

سيرة الإمام المتوكل على الله
المحسن بن أحمد بن رسول الله

مُحْفَوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

تم الصف والإخراج بمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

صف وإخراج	حفظ الله أحمد أحمد عقيل
إشراف	عبد الحفيظ حسن النهاري
	٠٠٩٦٧٧١١٧١٣٤٥٦

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية لعام ٢٠١٠م

()

دار الإمام زيد بن علي للطباعة والنشر

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية



مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

info @izbacf . Org_Website : www. izbacf.org ; email

سيرة الإمام المتوكل على الله

المحسن بن أحمد بن رسول الله

المسماة

ب(النفحات المسكية بالأسانيد القوية في الإجازات المتوكلية

والسيرة الإمامية المطهرية)

تأليف

مولانا العلامة الشهير الحافظ المدقق النحرير المجتهد الجهد الكبير شيخ الآل

الكرام عز الدين والإسلام

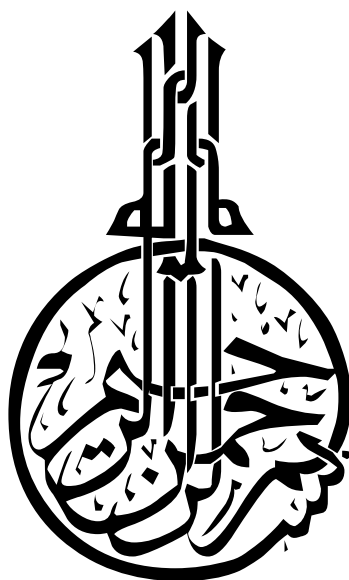
محمد بن إسماعيل بن محمد الكبسي

(الجزء الأول)

تحقيق

عبد الرحمن محمد محمد المتوكل

موسى بن الإمام زين العابدين علي بن أبي طالب



مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده، لا أوله يوصف ولا آخره يعرف، حمداً يكون وصلة إلى رضاء الرب الكريم، وذخيرة ليوم الهول العظيم، ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده، وبذل في ذلك نفسه ونفيسه، ولأجل ذلك وإلى الأبعدين وعادى الأقربين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله هداة الأمم ونور الظلم، صلاة لا ينقطع أمدها، ولا ينتهي أبدها، ترضيك وترضى بها عنا يا أرحم الراحمين.

وبعد..

فإن عجلة الأيام تسير بالناس إلى الغاية المنشودة، لكنها تنهي السير بأناس عند أن تنقضي أعمارهم، على ممر الأعوام، فترك لنا منهم قصصاً وأمثالاً وعبراً ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ [يوسف: ١١١] بقسميها السلبي والإيجابي.

فتكون دروساً لمن خلصت فكرته وصلحت سيرته، فيستفيد من تلك السير والأخبار في شتى جوانب حياته «دينياً - اجتماعياً - فكرياً..» لكن شريطة أن لا يخالطه التعصب الأعمى أو العواطف أو الأغراض النفسية فإذا خالطه ذلك كما نراه في البعض!! فستراه يقلب الحقائق ويوئد بخسارة الفائدة.

فقد يريد أن يذم فيمدح!، أو يمدح فيذم!، أو ينزه فيخطئ!، أو يبرئ فيتهم!، أو ينكر فيظهر!... فلو ترك هواه وسلك سبيل الإنصاف وتجنب الاعتساف لكان أمثل

لطريقته، وأصلح لسريته، وأسلم لذمته، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤].

فمن أراد أن يأخذ من أخبار الصالحين وسير الأئمة الهادين بحظ وافر، فليمعن النظر في سيرهم، وليرجع البصر كرتين ينقلب إليه البصر متعجباً مندهشاً لما شاهد من عظمة الشخصية، وغزارة العلم، ورسوخ القدم، وقوة التحمل، وعمق الفكر، وبُعْد النظر، وإجادة التأليف، وبراعة الأطروحة، وإصابة الدليل، ووضوح الاستدلال، وأصالة الانتاء.

فعلى تجارب أولئك الأئمة الأخيار الذين خلدت صفحات التاريخ أخبارهم، ونحتوا في جبين الزمن أسماءهم، يسير المقتفون لآثارهم السالكون منهجهم، فيعطوننا بذلك صوراً تذكارية لأولئك أرباب الفضائل ورواد العصور وقادة الأمم.

فمن أولئك العظماء وعلى رأسهم أئمة أهل البيت " فهم ذروة سنام المجد وأربابه وأهله وأصحابه.

ما ظنك ببيت عمره التنزيل، وخدمه جبريل، ونزل الوحي في أثنائه وتليت آيات الحكمة بين أرجائه، فبذكر أخبارهم وسرد سيرهم تثلج قلوب أوليائهم، وتنشرح صدور أصفيائهم، وتعبس وجوه أضدادهم، وتقشعر عند ذكرها جلود أعدائهم، فإذا ذكر غيرهم ولو فاسد السيرة وخبيث السريرة لانت جلودهم، واستبشرت صدورهم، فلا يضرهم ذلك ولا تعتورهم تلك المسالك.

فليأخذ الطالب لنجاته الخارج عن سلطان هواه من سيرهم سواء كانت المزبورة في المجلدات أو المحفوظة في العقول أو المتداولة في ألسن الأوداد والأضداد، فإذا أراد الله أن ينشر فضيلة أوجد لها لسان حسود.

فكلاهما يسرد مواقف وأخباراً يروونها عن آبائهم أو أصدقائهم بأي لفظ أو بأي عبارة حتى وإن كانت في معرض الذم، فالتأمل في هذا وذاك يجد عظمة أولئك الأئمة الأخيار".

فمنهم والدنا الإمام أمير المؤمنين المتوكل على العزيز الرحيم المحسن بن أحمد سلام الله عليه وعلى آبائه أجمعين، الجامع لأشتات الفضائل، والمحرز في العصر الأخير ما أحرزه الأئمة الأعلام الأوائل، المجدد للدين، والمحيي شريعة سيد المرسلين.

ومع أن القرن الثالث الهجري قد مر بأحداث تحتاج إلى توضيح أكثر، وفيها غموض كبير، حتى أن المؤرخين لم يهتموا كثيراً بتلك العقود الزمنية، ولذا أهملت شخصيات كثيرة وهامة ولم يُترجم لها، حتى أن الأئمة الهداة لم يشتهروا في وقتنا كثيراً لسبب أو لآخر، وقد سألتني أكثر من شخص من هو الإمام المحسن؟! فقلت: هو القائم بأمر الله بعد الإمام أحمد بن هاشم، فقال: من هو أحمد بن هاشم؟! قلت: هو القائم بأمر الله بعد الإمام أحمد بن علي السراجي، والإمام الناصر عبد الله بن الحسن، فقال: ومن أحمد بن علي السراجي؟! .. وهكذا!!

وما ذلك الجهل إلا لغموض تلك الفترة الزمنية، وهذه السيرة المباركة تُجلي كثيراً من ذلك الغموض، وتزيل إن شاء الله فهماً خاطئاً كان قد استولى على كثير من العقول.

فهذا الكتاب الذي بين يديك الكريمتين هو كتاب (النفحات المسكية بالأسانيد القوية في الإجازات المتوكلية والسيرة الإمامية المطهرية) يعرض في صفحاته شذرات من سيرته %
لؤلؤه السيد العلامة المؤرخ الكبير محمد بن إسماعيل الكبسي رحمه الله.

الكتاب وأهميته

استطاع المؤلف رحمه الله أن يجعل هذا الكتاب شاملاً واسعاً مفيداً فقد قسّمه رحمه الله إلى ثلاثة أجزاء جعلها كالتالي:

الجزء الأول: ذكر في أوله إجازته للإمام % وأسانيده إلى كتب الأمة ثم ذكر طرفاً سيراً من نشأة الإمام % ثم ذكر من بايعه من علماء وأعيان عصره وذكر بعض مبادئه من شعراء عصره، وذكر أيضاً بعض أجوبته ورسائله وأنظاره وبعض أخباره ومعاركه ومعارضيه، ثم ذكر آخره رسالة للعلامة الحسن الديلمي المسماة بـ(در النادي في خبث حسين الهادي) وبها انتهى الجزء الأول.

الجزء الثاني: لم يوجد في النسخة التي لدينا لأنه لا علاقة له بالسيرة وإنما جعله تراجم رجال السند حيث أسماه (المعتمد في تراجم رجال السند).

الجزء الثالث: جعله المؤلف رحمه الله تنمة للسيرة المباركة ذكر فيه بعض معاركه ووقائعه % مع الباطنية وشيئاً من مبادئه، وذكر فيه بعض أجوبته ورسائله، وذكر أيضاً عقائد المظفرية والباطنية وتاريخهم ومن جاهدتهم من أئمة آل " من ابتداء ظهورهم إلى عصر الإمام %.

وهكذا قسم المؤلف كتابه لكنه رحمه الله لم يتوسع في ذكر نشأة الإمام % حتى أنه لم يذكر تاريخ وموضع مولده % ولم يذكر أيضاً والده ووفاته ودوره في نشأة الإمام %.

فقد ذكر رحمه الله ما يتعلق بسيرة الإمام % ابتداء من عام دعوته سنة ١٢٧١ هـ إلى

عام ١٢٨٩ هـ هذا في النسخة التي بأيدينا مع أني قد وجدت بعض من نقل عنها فأفاد بأنها إلى عام وفاة الإمام % سنة ١٢٩٥ هـ غير أني لم أقف على هذه النسخة بعد البحث الطويل، وقد أضفت إليها ملحقاتاً صغيراً حاولت أن أجمع فيه ما حصل من أحداث خلال هذه السنوات التي لم يذكرها المؤلف، وأضفت أيضاً أخباراً رواها لي السيد العلامة الولي محمد بن عبد العظيم الحوئي لأنها تتعلق بسيرته وكذلك رواها لي والده.

والذي يجدر ذكره هنا أن المؤلف رحمه الله قد ذكر في بداية الجزء الثالث أنه قد جمع سيرة شاملة صارت مجلداً ضخماً إلا أن الأحداث والتنقل من بلد إلى آخر وظروف الجهاد قد عرضت ذلك للضياع.

فلنترك المؤلف نفسه يصف لنا ضالته التي أثارت تأسفي الشديد فقال: (ولكنه غاب عني ما أجريت من شوط القلم، ولم أتحقق الغاية التي أرخيت إليها العنان ووقفت بها مطية البيان، لكوني عند رقم هذا في رباط الجهاد، وفي محل الغربة عند اشتباك حبال الجياد، وصحبة الركاب العالي الإمامي في نحور الملاحدة المعطلة الجاحدة... وما انتهيت إليه من السيرة الإمامية في سفر قد كمل تجليده، وتم تخليده وصار في عارية بعض أولياء مولانا الإمام والأم التي لم تتجلد للتنقل في الأسفار نازحة عن هذه الديار، في ظفير حجة وقد نقلت في كراريس بعيدة المنال عسيرة الانتوال فاتكلت في النقل على ما وقع في الخيال وارتسم في الوهم في الحال فليعذر من جمعه بالسيرة الإمامية الحظ الأوفر في قابل الزمان وليصلح ما يتقصه من نقص أو زيادة على الكمال فقد أوضحت في الاعتذار والتنصل عن الاتصال بعدم الاقتدار).

فرغم ذلك كله قد اشتملت هذه السيرة على فوائد يقل وجودها وتعزّ على طلابها وتزهو في عيون خطّائها.

وكم لأمثال هذا الإمام العظيم من سِيرَ جليلة القدر، وكثيرة الفائدة، ففي كل عصر وكل زمان يظهر نجم من تلك النجوم يشق نوره ظلام ذلك الزمن، وتبقى آثاره لمن بعده تُستشفي بها العقول وتحيا بذكرها النفوس.

لهذا فلا بد أن نسعى جميعاً جادين في إخراج ذلك التراث العظيم من سِير الأئمة" أو مؤلفاتهم أو أخبارهم وأن نخرجها من ضيق الأدراج والمكاتب إلى الصرح العلمي الواسع.

قد ذكرت شيئاً مما تضمنته هذه السيرة العظيمة إلا أن المؤلف رحمه الله لم يقتصر - في هذا الكتاب على ذكر الحوادث التاريخية فحسب.

بل نراه توسع في فنون شتى إلى جانب الأحداث التاريخية، فقد كان يذكر بعض أجوبة الإمام % أو من يجيب عنه أو بأمره على الأسئلة الواردة إليه، وهي أجوبة لا تقتصر على فن واحد فقط بل شملت فنوناً عدة، كما ستراه في القسم الثاني (مجموع كتب ورسائل وأجوبة الإمام %).

وأما الناحية اللغوية والبيانية فقد كان المؤلف رحمه الله ناظماً ناثراً ساجعاً دون أن يظهر على اللفظ تكلف، يكثر من الجناس والسجع والتشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك، مما أدى إلى ظهور النص في أحسن صورة، وألطف عبارة مما يزيد القارئ الكريم شوقاً إلى قراءة النص كاملاً.

وأما الناحية الأدبية، فقد ذكر رحمه الله بعض القصائد الشعرية، المصاحبة للأحداث، فإنك ستقف خلال قراءتك للكتاب على قصائد في أعلى درجات الفصاحة.

وأخص بالذكر هنا العلامة الأديب السيد عبد الرحمن محسن جحاف رحمه الله الذي

فاق بفصاحته شعراء عصره وشارك بشعره مع الإمام % بما يفوق السيف في نصرته الدين، وأهل البيت الطاهرين، وإعلا كلمة الحق المبين، ولي أن أقول: إن هذا الشاعر الأديب هو حسان عصره فقد نصر الإمام % بشعره كما نصر حسان بن ثابت رسول الله ﷺ، وكما نصر ابن هيثم الإمام المهدي أحمد بن الحسين %، وكما نصر- ابن تريك الإمام المهدي محمد بن المطهر %، والإمام يحيى بن حمزة %، وكما نصر الحسن الهبل أئمة أهل البيت"، وغيرهم من الشعراء.

وأما التربية النفسية فقد ذكر لنا من مواقف الإمام % ما يدل على عظيم حلمه وصبره، وكيف تحمل أعباء الإمامة، وتغلب على المواقف الصعاب، مع حزم في لين وعزم في يقين.

ولم يبالغ العلامة العرشي حين قال عنه: ولا أظن أن إماماً امتحن بما امتحن به على صبر وتجلد لاسيما مع ميل الناس إلى الدنيا وغيتهم عن الآخرة. اهـ.

ولقد ذكر المؤلف رحمه الله من ذلك ما يستطيع القارئ أن يتعلم منها الأساليب الحسنة في الدعوة إلى الله، وأن يعرف النعمة العظمى لأئمة أهل البيت " في إيصال الدين إلينا سلباً من التحريف والتزييف.

فمن نافلة القول هنا: أن أذكر لك أخي القارئ الكريم مثلاً من ذلك، فقد كان الإمام % يبعث الرسائل إلى القبائل لحثهم على الجهاد، ففي مرة من المرات أرسل ولده إلى قبائل حاشد ولم يجاوز عمره التاسعة مع كوكبة من العلماء ليحثهم على الجهاد، ويستعطف أفئدتهم على الصبر والثبات وبعث معه رسالة إليهم ومما جاء فيها «فبعثنا ولدنا الأغر الضنين، قرة العين اليمين، الطاهر الكريم، البر الحميم، صفى الدين أحمد بن المتوكل على العزيز الرحيم، لتقوية عزائمكم القوية، وإثارة حميتكم العربية... وما أرسلنا ثمرة الفؤاد وفلذ الأكبادة إلا ثقة منا

بمحبتكم وتيقننا لأکید رغبتكم.. الخ».

أليس في هذه الكلمات ما يكسر- حواجز الخمول، ويفجر في النفوس براكين الحمية الدينية.

أليس في هذه التضحيات العظيمة ما يثير الوجدان، ويحفز القلوب إلى الدعوة إلى الله ببذل النفس والنفيس، والغالي والرخيص، والمال والولد، والتالد والتلد. وما هذا المثل الذي ذكرته لك إلا قطرة من مطرة، ونفثة من بحر لجي، لتعلم أن أمامك كتاباً مفيداً وإماماً عظيماً.

هذا وقد أردت أن أنبه القارئ الكريم على أني قد فصلت كل ما ذكره المؤلف في السيرة من أجوبة الإمام % أو رسائله أو أنظاره، أو من أجاب عنه أو بأمره أو أثبت في السيرة بأمره في جزء منفرد، وأضفت ما وجدته إليه وجعلت الكتاب قسمين، القسم الأول: كل ما يتعلق بالسيرة، والقسم الثاني: مجموع كتب ورسائل الإمام %.

وقد أضفت أيضاً إلى هذه السيرة المباركة بحثاً بسيطاً في تراجم الآباء " ابتداء بالإمام الحسن بن علي " وانتهاء بالذي عز الإسلام محمد بن محمد بن عبد الله بن الإمام المحسن " تتمياً للفائدة وأداءً لبعض ما يلزم لآبائي ". وأضفت أيضاً مشجراً جامعاً لأولاد الإمام المحسن ".

نسأل الله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم وأن يسددنا ويثبتنا على صراطه المستقيم.

وصف النسخة:

كنت والله الحمد كثير المجالسة والملازمة لشيخنا العلامة الذي لا يبارى، والنير الذي لا يتوارى، شرف الدين والدنيا، الحسن بن القاسم السراجي قدس الله روحه ونور ضريحه، وأنزل عليه شتآبيب رحمته.

وكانت عادته رحمه الله إتحاف مجلسه بفوائد جلية، ومسائل مفيدة، فلا يخرج أحد من مجلسه رحمه الله إلا وقد أخذ منه ما يريده.

ومما ارتشفته من معين علومه أنه ذات مرة وهو يحدثني عن الإمام % ويذكر لي بعض أخباره وسيرته أخبرني بأن له سيرة شاملة ثم أخبرني - رحمه الله - أنه أخبره أحد طلبته وهو السيد العلامة يحيى بن محمد بن شرف بن علي بن الإمام المتوكل - رحمه الله - بأنه قد وجد الجزئين الأول والثالث من السيرة وأنها مصورة بمكتبته، ثم حاولت الحصول على مصورة منها ولكن وبعد أن خالطني اليأس وفقت بعد فترة طويلة عليها جاد بها عليّ ولده الأخ النبيل علي بن يحيى المتوكل عافاه الله وجزاه خيراً.

ومن ثمّ شجعني وحثني شيخنا العلامة القاسم بن الحسن السراجي أطال الله عمره ونفعنا بعلومه ومتعنا ببقائه على العمل لتحقيقها وإخراج مثل هذا التراث العظيم الضائع إلى حيز الوجود وأعانني بكامل مجهوده فله بعد الله فضل كبير جزاه الله خير الجزاء.

فدفعتها للكمبيوتر للصف وأخرجتها الإخراج الأول وقابلتها على الأصل وأضفت فيها ما يلزم إضافته من علامات الترقيم وفصل الفقرات ووضع العناوين وجعلتها بين حاصرتين [].

وأضفت بعض الزيادات على بعض التراجم التي لم تذكر في الأصل كتأريخ وفاة، أو مولد، أو إجازات، أو مشائخ، أو تلاميذ، أو نحو ذلك.

وترجمت لبعض البلدان والقرى والأماكن التي ذكرت في السيرة واستغنيت بالشهرة لبعض الأماكن.

وقد واجهت صعوبة في المخطوطة عند بعض الكلمات التي لم تظهر لي لسبب أو لآخر. بيد أني قد بحثت بحثاً طويلاً عساي أجد نسخة أخرى لتعين عند المقابلة فلم أجد شيئاً ولكن كنت أجد بعض المقاطع والقصائد في مراجع أخرى.

فمثلاً قابلت الموعظة الحسنة مع المطبوعة ووجدت بعض القصائد في مجموع السيد العلامة علي بن حسن ساري - رحمه الله - فقابلت عليها، وأخرى في نزهة النظر وأئمة اليمن في القرن الرابع عشر، وفي نيل الوطر، وفي مطلع البدور وغيره، وقد أعانني ذلك كثيراً والله الحمد.

والذي يجب أن أنبه عليه أن النسخة التي لدينا كانت مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية فقد أصلحت ما تيسر لي إصلاحه دون أن أنبه عليه عند كل كلمة خشية الإطالة. وما وجدت له وجهاً أو محملاً في اللغة وإن كان ضعيفاً أبقيته كما هو خشية الإخلال بالأمانة رغم أن المؤلف - رحمه الله - قد أذن لمن وجد زيادة أو نقصاناً بالإصلاح.

فقال: (فليعذر من جمعه بالسيرة الإمامية الحظ الأوفر في قابل الزمان وليصلح ما يتقصّه من نقص أو زيادة على الكمال).

وتركت بعض الكلمات كما هي على الحكاية كأسماء بعض القبائل أو الأمثال فيقول

المؤلف مثلاً: (فدعا قبيلة ذو محمد للجهاد) فتركها هكذا على الحكاية، وإن كان الصواب ذي محمد كونها مضافاً إليه، وكذلك بعض الأمثال، فيقول المؤلف (فصاروا شذر مذر) والصواب فصاروا شذراً مذكراً، ولكن تركناها لأجل السجعة أو الحكاية، وأحياناً كان المؤلف رحمه الله يحافظ على السجعة وإن اختل الإعراب، فأصلحت بعضها إن لم يظهر فيه وجه الإعراب، وتركت الذي فيه وجه أو لغة قوم أو نحو ذلك. وأما القصائد الشعرية فقد شاركتني في مراجعتها الأخ الشاعر الأديب محمد علي الشرعي جزاه الله خيراً.

فقد بذلت في ذلك وسعي فمّن وقف على زلل أو خطأ فليعذر فقد أوضحت في الاعتذار والإنسان محل للخطأ والنسيان.

توثيق الكتاب

أروي جميع كتب المؤلف - رحمه الله - بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة القاسم السراجي حفظه الله بعدة طرق وهذه أعاليها.

١ - أرويا عن شيخنا العلامة القاسم السراجي حفظه الله عن الإمام الحجة مجد الدين المؤيدي - رحمه الله - عن والده الحافظ محمد بن منصور المؤيدي، عن العلامة الولي محمد بن عبد الله الغالبي، عن العلامة المحقق أحمد بن محمد السياغي - المعروف بالحفيد - عن المؤلف.

١ - أرويا عن شيخنا العلامة القاسم السراجي حفظه الله، عن العلامة الحجة حمود بن عباس المؤيد رضوان الله عليه، عن شيخه العلامة المحقق عبد الواسع الواسعي، عن شيخه العالمين الحافظين الحسين بن علي العمري، وأحمد بن محمد السياغي، وهما عن المؤلف.

* ح عن الواسعي عن محمد بن عبد الله الغالبي، عن أحمد بن محمد السياغي، عن المؤلف.

١ - أرويه عن شيخنا أبقاه الله عن العلامة محمد بن محمد المنصور، عن عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، عن الحسين العمري عن المؤلف.

٢ - أرويه عن شيخنا أطال الله عمره، عن المولى حمود بن عباس المؤيد، أرويه عن السيد أحمد زبارة المفتي العام، والسيد العلامة عبد القادر بن عبد الله، وهما عن الحسين بن علي العمري عن المؤلف.

ولنا بحمد الله طرق عديدة وهذه أعاليها

ترجمة المؤلف

نسبه:

هو السيد العلامة الشهير والمؤرخ الكبير، والأديب الأريب، شيخ الإسلام محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن قاسم بن عبد الله بن يحيى بن أحمد بن حسين بن الناصر بن علي بن معتق بن الهيجان بن القاسم بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

مولده ونشأته:

ولد -رحمه الله- في هجرة الكبس من خولان العالية يوم الأحد ١٨ جماد الأولى سنة ١٢٢١ هـ الموافق ٣/ أغسطس سنة ١٨٠٦ م، ونشأ في حجر والده في أسرة مشهورة بالعلم والدين والورع والأدب، كما ذلك معروف عند من قرأ تأريخ ذلك العصر، ثم ارتحل إلى صنعاء وأخذ عن علمائها.

مشائخه وإجازاته:

أخذ عن والده في النحو والأصول والحديث وأجازته إجازة عامة، وعن المتوكل على الله إسماعيل بن أحمد المغلس، وعن السيد العلامة أحمد زيد الكبسي، وعن السيد

العلامة محمد بن محمد بن عبد الله الكبسي، والقاضي العلامة عبد الله الغالبي، وأخذ عن السيد العلامة أحمد بن علي الكبسي، والقاضي العلامة علي بن محمد الشوكاني، ووالده محمد بن علي وأجازته، وأخذ عن العلامة محب العترة الكرام محمد بن صالح السماوي الشهيد - رحمه الله - وأخذ عن غيرهم.

وأما الذين أجازهم:

الإمام المحسن %، واستجازه حفيده محمد بن إسماعيل بن محمد الكبسي، وابن أخيه محمد بن محمد إسماعيل الكبسي، والقاضي العلامة الحسين العرشي، والقاضي أحمد بن عبد الله العرشي، والقاضي الحسين بن علي العمري، والسيد علي بن أحمد السدمي الروضي، وسيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين، والسيد محمد بن علي الجديري، والفقيه أحمد بن محمد السياغي، والفقيه أحمد بن رزق الشيباني، والفقيه عبد الرزاق بن محسن الرقيحي، والقاضي سعد بن محمد الشرقي، والفقيه أحمد بن محمد الجرافي، والقاضي محمد بن عبد الملك الأنسي الصنعاني وغيرهم.

نشاطه العلمي وجهاده:

كان - رحمه الله - علماً بارزاً في جهاده بالسيف والقلم، وكان مناصراً للأئمة والآل " ملازماً لهم، مجاهداً بين أيديهم، فكان مع والدنا الإمام % ملازماً لحضرته في حله وترحاله، وفي ظعنه وإقامته، وكان مشاركاً في معظم حروبه مع الباطنية، وسأكتفي بما أورد عن نفسه في هذه السيرة المباركة.

وأما نشاطه العلمي فقد ظهر أيام حدائته ونعومة أظافره، فقد أخذ العلم صغيراً وبرع فيه شاباً، وكانت الظروف الاجتماعية مساعدة له على ذلك، فقد كان والده عالماً فاضلاً، نشأ في

حجره واستفاد منه، وكان بنو عمومته وأقاربه علماء فضلاء أدباء فصحاء.

فهذه الأسباب هي التي أفرزت منه رجلاً عظيماً عالماً شاعراً مؤلفاً.

وكما أن الهجرة من بلد إلى آخر لأخذ العلم تحتاج إلى صبر وتحمل لمشاق السفر والاعتراب وفراق الأهل والوطن، فقد استحقب -رحمه الله- من هذا كله تجربة أثمرت نشاطه العلمي الكبير وحركته التي أظهرت لنا دوره في ذلك العصر- رغم الصعوبات والتحديات التي تعداها بحنكته وذكائه وجودة رأيه.

شعره:

كان شاعراً، أديباً، فصيحاً، ناثراً، ناظماً، له القصائد الفائقة، والمادح الرائقة، وقد شارك بشعره في نصره الدين القويم ونصرة أهل البيت الطاهرين.

وربما كان يتولى الجواب عن الإمام % أحياناً.

ومن شعره تتمته للبسامة، وقد ذكر فيها ثمانية من متأخري الأئمة " أولهم: الإمام المنصور حسين بن القاسم بن المؤيد المتوفى عام ١٣١ هـ، وآخرهم الإمام المحسن بن أحمد %، ومطلع تتمته قوله:

ذوب من الشهد أم سمط من الدرر أم سحر بابل أم بسامة الثغر

ومن شعره في بعض قصائده: [من الطويل]

إلى واحد الدنيا ومستبطن الهدى إلى الرأس من نسل التقاة الأكابر

إلى راكب الأهوال والصابر الذي تحمّل أعباء الأمور الجوائر

إلى المحسن الفرد النجيب بن أحمد إلى خير داعٍ في الألى والأواخر

إمام هدى يمشي - مع الحق حيثما
 ويحتقر الدنيا احتقار مجرب
 مشى ويزين الدست بين العساكر
 ولا واهناً إن نار خطب تسعرت
 بلا طمع في جمعها والتكاثر
 يقيم بها من رأيه حدَّ صارم
 يرى رأيه ما لا ترى عين غيره
 يخوض لظاها عند حرّ الدوائر
 حليمٌ فلوزالت جبال يلملم
 يروع المعالي وقعه في المناصر
 لما كدرت من حملة صفو شارب
 ويفري به ما ليس يفري بياتر
 تنقل في الأبراج كالبدر فاستضاء
 وشهلان في حال يضيق لناظر
 وكان له من رحمة الله نظرة
 ولا سفهت من رأيه حمل طائر
 بأنواره السُّمار جنح الدياتر
 سماوية قادت له كل نافر

إلى قوله:

ودانت لمولانا الإمام جوامع العـ
 ووالاه ما بين الصعيد وصعدة
 سباد وصافته بطون الدفاتر
 إلى الشرف الأقصى - إلى حقل يحصب
 إلى ريمة الفيح وأرض المعافر
 فلا زال في المجد الأثيل بسعيه الجـ
 إلى كل قطر بالمحاسن عامر
 مدام له المجد المنيف وعلمه الشـ
 مرام قدير العين من كل ناظر
 ولا زال محروس المقام مبلغ الـ
 كرام دواماً في الضحى والهواجر
 وصل على خير الأنام وآله الـ
 ويشملنا من فضلها كل وافر
 يطيب مع التسليم في كل حالة

وله غيرها سيمر بك في هذه السيرة المبارك.

ومن مؤلفاته:

- / تأريخ الزمان وسبب تفريق الناس في البلدان من لدن نوح % بعد الطوفان إلى سيرة سيد ولد عدنان.
- / العناية التامة بشرح أنوار الإمامة، تكملة ذيل البسامة.
- / جواهر الدر المكنون، سيرة الإمام محمد بن عبد الله الوزير.
- / اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية.
- / النفحات المسكية بالأسانيد القوية في الإجازات المتوكلية والسيرة الإمامية المطهرية، وهو الذي بين يديك الكريمتين.
- / النبذة اليسيرة في الأخبار والسيرة.
- / تأريخ دخول العجم إلى اليمن.

وفاته رحمه الله:

توفي - رحمه الله - بهجرة الكبس يوم الخميس ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٨ هـ الموافق ٦ / ٢ / ١٨٩١ م عن (٨٧) عاماً.

مصادر الترجمة:

أئمة اليمن، أعلام المؤلفين الزيدية، جواهر الدر المكنون، نزهة النظر، النفحات المسكية، ذيل أجود المسلسلات.

ترجمة الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد عليه السلام

نسبه عليه السلام:

الإمام المتوكل على الله العزيز الرحيم أبو محمد المحسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن الحسين بن صلاح بن عبد الرحيم بن الباقر بن نهشل بن المطهر بن أحمد بن عبد الله بن عز الدين محمد بن الأمير المنتصر بالله إبراهيم بن الإمام المظلل بالغمام المطهر بن يحيى شيبه آل الرسول بن المرتضى الزكي بن المطهر العالم بن القاسم العامل التقي بن المطهر المقتصد بن محمد العالم المجتهد بن الإمام المطهر المظفر بالله بن علي بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحافظ بن القاسم ترجمان آل الرسول بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر والشبه بن الحسن المثنى الرضا بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

شعراً:

نسب كأن عليه من شمس الضحى رداءً أو من فلق الصباح بروداً

غيره:

قوم كرام سادة من هم؟ ومن هم؟ ثم من؟

(١) نشأته عليه السلام:

نشأ سلام الله عليه بحصن شهارة وترعرع بها وقرأ كتاب الله العزيز في أول شبابه، ثم تنقل في البلدان لطلب العلم الشريف فرحل أولاً إلى الشرفين ثم إلى صنعاء فأقام بها يطلب العلم ثم رجع إلى كحلان وأقام بها درساً وتدريساً إلى أن راسلوه علماء وأعيان عصره للقيام بالإمامة العظمى.

مشائخه وقراءته عليه السلام:

من مشائخه الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم %، وشيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل القرشي واستجاز منه، وأجازه أيضاً السيد العلامة شيخ الإسلام محمد بن إسماعيل الكبسي، وأخذ في بداية الطلب عن القاضي محمد بن مصلح أبو جميلة في مختصرات النحو والفقه، وكذا عن الفقيه العلامة صالح بن يحيى بن سراج الشرقي الحجوري في بداية الطلب.

ومن تلامذته عليه السلام:

الإمام المهدي لدين الله محمد بن القاسم الحوثي الحسيني، والإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين"، والسيد العلامة حسن بن حسين ساري، والسيد العلامة لطف بن علي ساري واستجاز منه، والسيد العلامة علي بن حسن ساري واستجاز منه، والقاضي العلامة سعد الدين الشرقي واستجاز منه، والقاضي العلامة لطف بن محمد شاكر واستجاز منه، وأخذ عنه أولاده سيف الإسلام محمد وسيف الإسلام أحمد ووالدنا سيف الإسلام عبد الله وغيرهم.

(١) عن الإمام المحسن % انظر التحف الفاطمية - نيل الوتر - بلوغ المرام - روائع البحوث - حوليات يمانية - أعلام المؤلفين الزيدية - أئمة اليمن - الزيدية لصبحي.

بيعته ودعوته عليه السلام:

بعد أن كاتبه علماء عصره وأوجبوا عليه القيام رحل إلى صنعاء فأجاب إلى ذلك وقام بأمر الله ودعا إلى الله في شهر شعبان سنة ١٢٧١ هـ وتلقب بالمتوكل على الله، فساس الأمور أحسن سياسة وقادها بأحسن قيادة، في حلم وصبر، وتحمل وجد واجتهاد، وواجه المصائب وتحمل المتاعب، كل ذلك في حلم وحزم حتى استقام الدين، وجاهد الباطنية بالسيف والقلم واللسان، وقد استغنيت عن ذكر أخباره لذكرها في سيرته.

ولاته عليه السلام وقضااته:

- ١ - شيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل القرشي.
- ٢ - محمد بن القاسم الحوثي، نائب عن الإمام في صنعاء.
- ٣ - محمد بن يحيى حميد الدين، قائداً للمعارك.
- ٤ - محمد بن إسماعيل الكبسي، أخو المؤلف، تولى القضاء في خولان.
- ٥ - أحمد بن محمد الكبسي، تولى القضاء في صنعاء.
- ٦ - الحسن بن محمد الشرفين تولى القضاء في صنعاء.
- ٧ - القاسم بن أحمد زيد الحوثي، تولى قضاء مدينة حوث.
- ٨ - أحمد بن الإمام الناصر، تولى الجوفين.
- ٩ - القاضي سعد الدين الشرقي، تولى قضاء هجرة سناع وما جاورها.
- ١٠ - المرتضى بن محمد بن عبد الله، تولى قضاء السودة.
- ١١ - القاضي محمد بن أحمد الحيمي، تولى قضاء حدة وبني شهاب.
- ١٢ - محمد حسين عامر، تولى قضاء الشرفين.

- ١٣ - إسماعيل بن محمد الكبسي، ابن المؤلف، تولى قضاء مدينة يريم.
- ١٤ - إسماعيل المحطوري، تولى الشرفين.
- ١٥ - علي بن محمد صعصعة الغفاري، تولى كحلان.
- ١٦ - علي بن إبراهيم النعمي، تولى الشرفين.
- ١٧ - محسن بن محسن القرشي، تولى أرحب وبني الحارث.
- ١٨ - محمد يحيى المَعْمَرِي، تولى هجرة معمرة.
- ١٩ - محمد بن مبارك صوفان، تولى كحلان.
- ٢٠ - سعد بن عبد الله المهتدي الصنعاني، تولى الجوفين والظاهر.
- ٢١ - علي بن حسين الحوثي، نائب في حصن ذي مرمر.
- ٢٢ - عبد الخالق أحمد المطري، هجرة حبور.
- ٢٣ - علي بن حسين العلفي، قرية مسيب.
- ٢٤ - علي عبد الله الأنسي، بلاد أنس.
- ٢٥ - محمد بن إسماعيل جغمان، صنعاء.
- ٢٦ - القاضي يحيى بن جعفر، تولى الوقف والقضاء.
- ٢٧ - أحمد بن عبد الرحمن إسحاق، بلاد الروس.
- ٢٨ - عبد الله بن أحمد، تولى قضاء مدينة معبر.
- ٢٩ - علي محسن راجح، بلاد أنس.
- ٣٠ - حسين علي مداعس، بلاد الحيمة.
- وتولى له غيرهم كما سيمر بك في السيرة.

أقوال العلماء فيه والثناء عليه:

قال جامع سيرته: هو الركن الأشم، والعلم الأطول، والعنصر- الأول، المجاهد في سبيل ذي الجلال والإكرام، والمجدد لما اندرس من معالم الإسلام ومذاهب العترة الكرام، والذاب عن سنة سيد الأنام، زينة الوجود والباذل للوجود.

الباذل النفس إن ظن البخيل بها والجود بالنفس أقصى- غاية الجود

ذي السعي المشكور، والقصد الحميد المبرور، والجهاد الذي يشفي الصدور، والاجتهاد المرتفع على منازل البدور، والقصد الحميد المبرور، المستخرج الغامض من عباب البحور، رحب الصدر، واسع الصبر في احتمال عظام الأمور، فهو نادرة البشر، وثاقب النظر، والعقل الحادي عشر-، ولباب الألباب، ومن أوتي الحكمة وفصل الخطاب، الذي ملأت فضائله الرقاع، وحصل على كماله ورجاحته الإجماع، كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البقاع، حتى ألفت إليه الخلافة العظمى مقاليدها، وغازلته عيون السعادة وكان عميدها وعقيدها. [من المتقارب]

أنته الخلافة منقادة تجرُّ من التيه أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

ولورامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها . اهـ

كان ٥٠% إماماً، مجتهداً، مجاهداً، كريماً، شجاعاً، سخيّاً، ورعاً، زاهداً، أخذ العلم عن علماء عصره حتى فاق أقرانه، وبلغ في العلم مبلغاً لا يلحق به أهل زمانه، إذ كان أفضلهم أدباً وعلماً في شتى الفنون سيما علم الكلام، وظهر في ذلك العصر- كظهور البدر بين النجوم، حتى رجع إليه علماء عصره فيما استوعر عليهم من مسائلهم، فافتضها بأجوبة يقف عندها فحول الرجال، حتى استلانت لطلابها وحسنت في أعين

خطابها بأوضح قيل، وأفصح دليل، رغم حداثة سنه.

قال الإمام مجد الدين -رحمه الله-: هو الإمام الأواه، الزاهد العابد، المتوكل على الله أبو محمد المحسن بن أحمد، نهض إلى القيام بأمر الله سنة ١٢٧١ هـ ولهؤلاء الأئمة الأربعة الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم، والإمام المنصور بالله محمد بن عبد الله الوزير، والإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد، والإمام المهدي لدين الله محمد بن القاسم، في هذه الأعصار المنة الكبرى على أمة جدهم بتجديد الدين الحنيف، وإعلاء معالم الشرع الشريف، وبهم استنقذ الله الخلق من الوبال، وأزاح بجهادهم واجتهادهم ظلمات الضلال.. وقبضه الله وقد صبر وصابر، وجاهد وثابر. اهـ^(١).

وقال العلامة العرشي: الإمام الأواه صاحب الرحابة، والكرم، والعلم الذي ظهرت فيه ينابيع الحكم، والحلم الذي لم يكن لأحد فيمن تقدم، المحسن بن أحمد، ولما دعا للإمامة كان عمودها الذي لا يمحى، ويأتي قواعدها بالوجه الذي أمر الله أن يؤسس ويفتقد، ولا حظته الإمتحانات، وناصبته شياطين الزمان من القبائل، ولا أظن أن إماماً امتحن بما امتحن به على صبر وتجلد، لاسيما مع ميل الناس إلى الدنيا وغيبتهم عن الآخرة. اهـ^(٢).

قال الجنداري في الجامع الوجيز: كان علامة في فنون شتى سيما علم الكلام، وله مؤلفات وتعاليق وفتاوي كثيرة، وكان فيه من حسن الأخلاق ما يبهر، لا يكاد يغضب. اهـ.

وقال في غاية القبض: هو غاية في الكمال، يكفي في معرفة قدره كتابه السيف، وجوابه إزاحة الإشكال، وله الورع العظيم، والدين القويم، ولما قدم الأتراك صنعاء سنة ١٢٨٨ هـ كان أول من باينهم وجاهدتهم وأخافهم، وخرج بلاد الأهنوم

(١) التحف شرح الزلف [٣٦٢-٣٦٣].

(٢) بلوغ المرام [٧٣-٧٩].

فأصلحها إلى أيامنا ببركته، وضرب فيهم الحجاب، وأقيمت الصلوات، وكانوا أصلح
جهة في اليمن . اهـ .

قال الشماحي في كتابه (اليمن الإنسان والحضارة /١٦٣): وكان المحسن أصلب الأربعة
مغامرة لا مقر له ولا قصر ولا حصن ولا عاصمة إلا سرج حصانه يغادي الأتراك
ويراوحهم له من قلب كل زيدي عاصمة لا يخرق سورها ولا يبوح سرها فأقض
مضاجع الأتراك في كل مكان. اهـ .

قال شيخنا العلامة القاسم بن الحسن أدام الله غرته وحرس مهجته في روائعه: هو الإمام
الأواه، الأوحـد الزاهد، العابد، المجدد، المتوكل على الله، كان % إماماً، عالماً، مجتهداً،
مجاهداً، أخذ عن علماء عصره فسمت رتبته، وظهر أمره، واشتهر علمه وفضله، إذ كان
أفضل علماء عصره وأنبلهم وأكثرهم حدة وسياسة، كمل في جميع الجوانب، وكان %
من ممن الله على خلقه، وذلك لتجديد الدين الحنيف، وإعلانه معالم الشرع الشريف،
وقد نهج منهاج أئمة الدين ودعاة الحق، وقد ساس % على الأتراك سياسة البصير
الخبير، وجاهد الظالمين.

هذا وكراماته مشهورة وأخباره في كتب التواريخ مزبورة، وقدر هذا الإمام أعلى
من أن يحصر أو يذكر، أعاد الله علينا من بركاته وعلمنا من علومه، وثبتنا بحسن
الخاتمة، ورزقنا الصبر والعلم والعمل . اهـ .

قال العلامة الشاعر الأديب عبد الرحمن محسن جحاف في قصيدة منها: [من البسيط]

يامن حللت من الأفلاك قبتها وقد سما عن سما كيوان واستبقه
ويا أجل الوري قدراً وأكثرهم صبراً على حادثات الدهر إن طرقه

يا من إذا حُرِّرت في الطرس^(١) مدحته
 لكن أحذرکم من ينبري لكم
 تسييحه سيفه والذكر أسهمه
 لا زلت كهف اليتامى والأرامل والـ
 تزين النظم والمنظوم والورقه
 في معرض الزهد لكن همه السرقة
 والسَّبحَةُ الرمح ثم المصحف الدرقه
 أوقاف عوناً لنا يا صاحب الشفقه

وقال أيضاً في قصيدة طويلة منها: [من الكامل]

أضحى محلک في کمال الأرفعا
 وسعيت في طلب العلوم فمدَّعو
 يا أيها المولى الإمام المحسن المـ
 حکمت فيهم يا ابن بنت نبينا
 لا زلت مشكور الفعال موقفاً
 وتسعى فتهدى للهداية من وعـا
 وتذيق من ناولك كل كراهية
 لما حويت من الوصي خصائصاً
 أصبحت متال الخصائص أجمعا
 مع أنني لم أتمد بمدائحي
 إلا امرأ نطح السماء وزعزعا

وقال أيضاً: [من البسيط]

هذا إمامي إمام العصر - يطلبني
 قد صرت أمشي على العيدان في نصب
 إن كان يرضيه روعي قد سمحت بها
 له وما مسني في بذلها أسف
 إلى الوصول وإن أودى بي التلف
 بيت الشباب قد انهدت له سقف

(١) الطرس: الصحيفة، ويقال: هي التي نُحِيت ثم كُتِبَتْ، والجمع أطراس وطرس. انتهى القاموس المحيط.

بذل النفوس لما يرضيهم شرف وبذلها في سوى مرضاتهم سرف
ويل امرء باغضٍ للال ذي حسد لم يزع للال حقاً بل ولا يصف
دنياه في تعب محياه في نصب معاشه نكد آخراه تلهف

وقال السيد العلامة إسماعيل المرتضى المحطوري قصيدة منها: [من الكامل]

هذا إمام المسلمين بأسرهم في الحل والإبرام والإرشادي
هذا أمير المؤمنين بكلهم هذا النجاة سفيتي ورشادي
هذا الرضا هذا نجيب المرتضى - هذا الكفيل بينل كل مرادي
هذا الهدى بحر الندى سُم العدى جالي الصدى عن كل قلب صادي
ذو الحلم ذو العلم الغزير وذو التقى ذو المجد ذو الإنشاء ذو الإمداد

وقد أثنى عليه في ملحق البسامة بقوله: [من البسيط]

ثم انشأ الدعوة الغراء في يمن من قصر - صنعاء نجم العترة الزهر
غوث الورى المحسن الفضال ذي الخلق الـ ممرضى والصبر في حل وفي سفر
وأخلفت عهداً صنعاء وخالطها أهل البطالة والفحشاء والنكر
فجاد بالعفو والإحسان شيمته الحسنى فلم يشكروا عفواً على البطر

إلى أن قال:

وقد غدت عن طريق الرشد مائلة إلى القرامط أهل الكفر والأشر
فصالح الفرقة النكرى وراوحها عامين بالحرب في الآصال والبكر
حتى رأى رأيه الوضاح معذرة إلى الإله على وجهه لمعتذر

إلى أن قال:

ولم تزل هذه الدنيا تعود على أهل التقى بفعال ناقص المرر
هذا وقد قيلت في مدائحه أبلغ القصائد، وقد ذكر بعضها مؤلف سيرته، وإنما
أردنا أن نتبرك بإيراد شيء مما قيل فيه.

ومن مؤلفاته عليه السلام:

/ السيف المسلول لقطع حبال العلة والمعلول، ضمن مجموعة.
/ إزاحة الإشكال فيما يرد على المطرفية من الأقوال - لم أعثر عليها -.
/ رسالة في وجوب تسليم الزكاة إلى الإمام حيث تنفذ أوامره وحيث لا تنفذ،
ضمن مجموعة.
/ مجموع يحتوي على أجوبة وأنظار ورسائل قد أفردت كتاباً لها وجمعت فيه ما
وجدته من كتبه ورسائله وأجوبته وأنظاره.
/ مجموع إجازات وأسانيد - لم أعثر عليها -.

وفاته عليه السلام:

وانتقل إلى جوار ربه في يوم الثلاثاء سلخ شهر رجب سنة ١٢٩٥ هـ وكان وفاته
بقرية الخمري^(١) ودفن بهجرة حوث ضحى يوم الأربعاء غرة شهر شعبان في الجهة
اليمانية من جامع الشجرة، وقد بنى عليه ولده سيف الإسلام محمد قبة سنة ١٢٩٧ هـ
ودفن بجواره الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين، ووضع عليهما تابوتاً

(١) قرية تقع شمال مدينة حوث وتبعد عنها بضعة أميال.

الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين.

وزبرت عليه عدة قصائد منها هاتان القصيدتان الأولى قال فيها: [من الكامل]

يا زائراً قبر الإمام الأنورا	قف بالرسوم مسلماً متذكراً
واتلُ الفواتح والمفصل خاشعاً	صلة لمولانا الذي سكن الثرى
مولى المكارم والمفاخر والنهى	والعلم والمجد المؤثل والقرى
قصص تضمن حجة في دهره	قد جرع الكفار موتاً أحمره
من باطني ملحد ومعطّل	وأعاجم سنوا الخنا والمنكرا
فهو الإمام المتوكل ^(١) الشهم الذي	فاق العوالم والحوالق مفخرا
وهو الذي إن قيل من هذا الذي	عم المصاب به البوادي والقرى
فلتبكه سمر الأسنة والقنا	والمشرفة والجياد ومن يرى
أزكى السلام عليه ما غيثهما	تغشاه ما لبّا الجميع وكبرا

والقصيدة الأخرى هي: [من الكامل]

في ذا الضريح إمامنا المتوكل	المحسن البدر الأتم الأكمل
نادى العباد إلى الجهاد وقد علت	علياه فهو لكل مجد أول
رحم الإله ضريحه وأراحه	وأمدّه بمكارم لا تجهل
وأحله دار المقامة حيث لا	نصب هناك ولا نعيم ير حل
فلقد حمى الدين الحنيف بصارم	وبمقول فيما يقول ويفعل

(١) كذا في التابوت، ولعلها: المحسن.

ومن كراماته عليه السلام:

قد اكتفيت بذكر كراماته هنا ذكرها في سيرته كما سيمر بك فيها.

أولاده عليه السلام:

- ١ - سيف الإسلام أحمد، ولد في شهر الحجة سنة ١٢٧٨ هـ .
 - ٢ - سيف الإسلام محمد، ولد في شهر ربيع الأول سنة ١٢٧٩ هـ.
 - ٣ - سيف الإسلام والدنا عبد الله، ولد في شهر الحجة سنة ١٢٨٠ هـ.
 - ٤ - سيف الإسلام علي، مولده في شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٤ هـ.
 - ٥ - سيف الإسلام المطهر، مولده في شهر محرم الحرام سنة ١٢٩١ هـ.
- وقد قلت التهانى الشعرية بمناسبة ميلاد السيد مطهر ثم في جميع أولاده من الشعراء منهم السيد العلامة حسن بن حسين ساري، والسيد العلامة إسماعيل المرتضى- المحطوري، والقاضي سعد الدين الشرقي، والقاضي الحسام محسن بن محسن القرشي، وقد نظرتها بخط والدنا الإمام % بمكتبة شيخنا العلامة قاسم عصره أطل الله عمره.
- ومن أولاده %، الحسن والحسين درجا صغيرين، وقد جمعت لذرية الإمام % مشجراً جامعاً لأحفاده الذكور، وفصلاً آخر في تراجم الآباء " من عصرنا هذا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد أفردت أيضاً بحثاً كاملاً في تراجم ذرية الإمام المحسن % إلى أبناء عصرنا وهو مخطوط بمكتبتنا.

وأخيراً: نسأل الله تعالى أن يسد لنا ويوفقنا إلى رضاه وتقواه.

وأتمنى أن أكون قد وفيت بالمراد من إخراج هذا العمل في أحسن صورة سليماً عن

أي عيب يشينه، وأشكر كل من ساهم أو شارك في إخراج هذا الكتاب المفيد وعلى رأسهم شيخنا العلامة القاسم بن الحسن السراجي جزاه الله خيراً.

هذا وأشكر الأخ/ حفظ الله أحمد عقيل الزيلعي على الصف والإخراج، وأشكر أيضاً من أعان على المقابلة من طلبة العلم كثر الله عددهم وأخص بالذكر الأخ/ يوسف عبد الخالق عشيّش.

وجزا الله الجميع خير الجزاء، ولا أنسى المؤسسة الراعية لإخراج كتب أهل البيت

وآمل من كل من اطلع على هذا الكتاب إن وجد عيباً فليستره، أو خطأً فليصلحه، أو خللاً فليسده.

وأسأل الله الكريم السداد والثبات والتوفيق وحسن الختام في الأمور كلها، وأن يعافينا ويعفو عنا، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

بقلم راجي عفو ربه وتسديده وتوفيقه

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد

لطف الله به وغفر له ولوالديه وللمؤمنين آمين

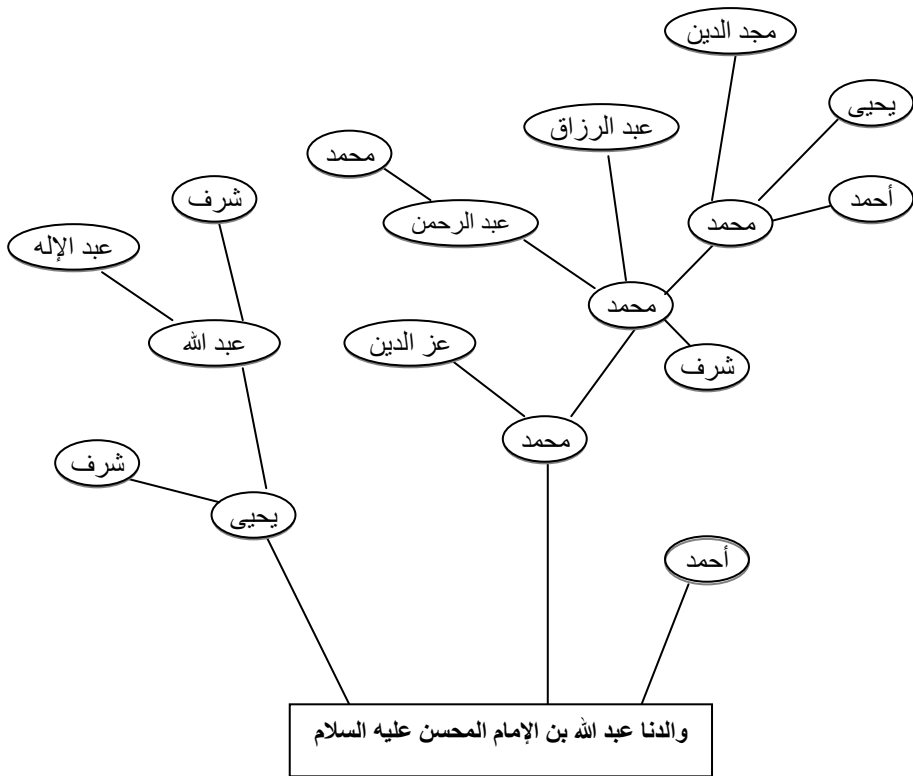
عمران/ حوث

ليلة الثلاثاء سلخ شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٤٣٠ هـ الموافق ١٦/١١/٢٠٠٩ م

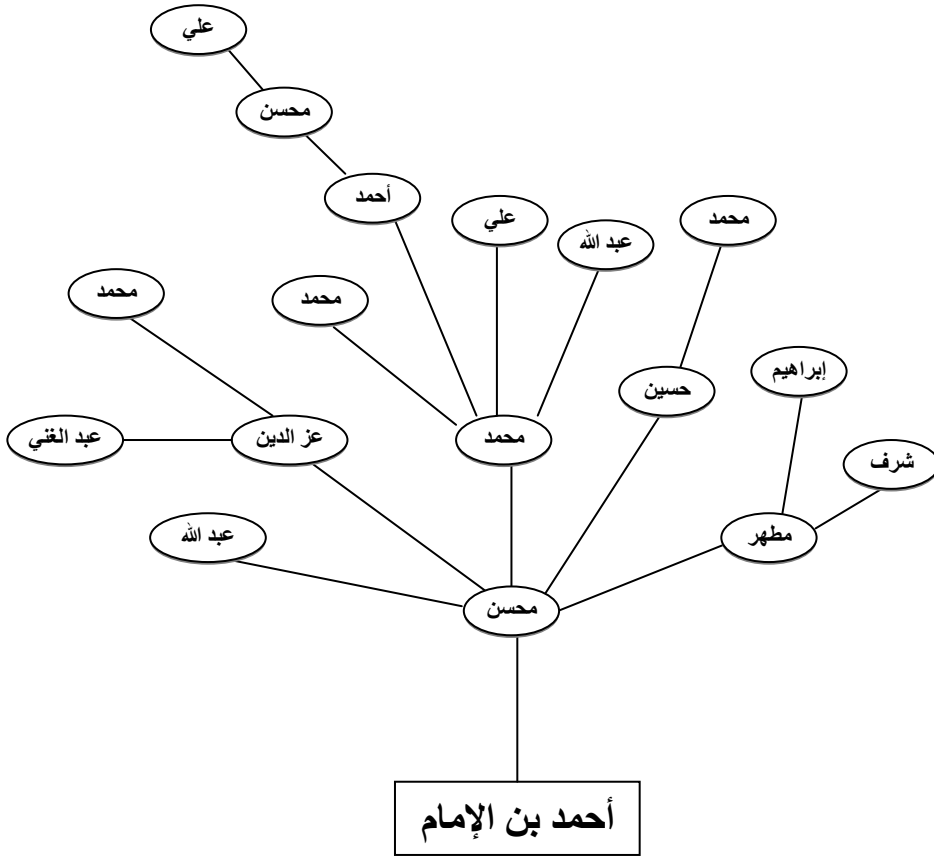
مشجر جامع لذرية الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد عليه السلام

(عبد الله - محمد - أحمد - علي)

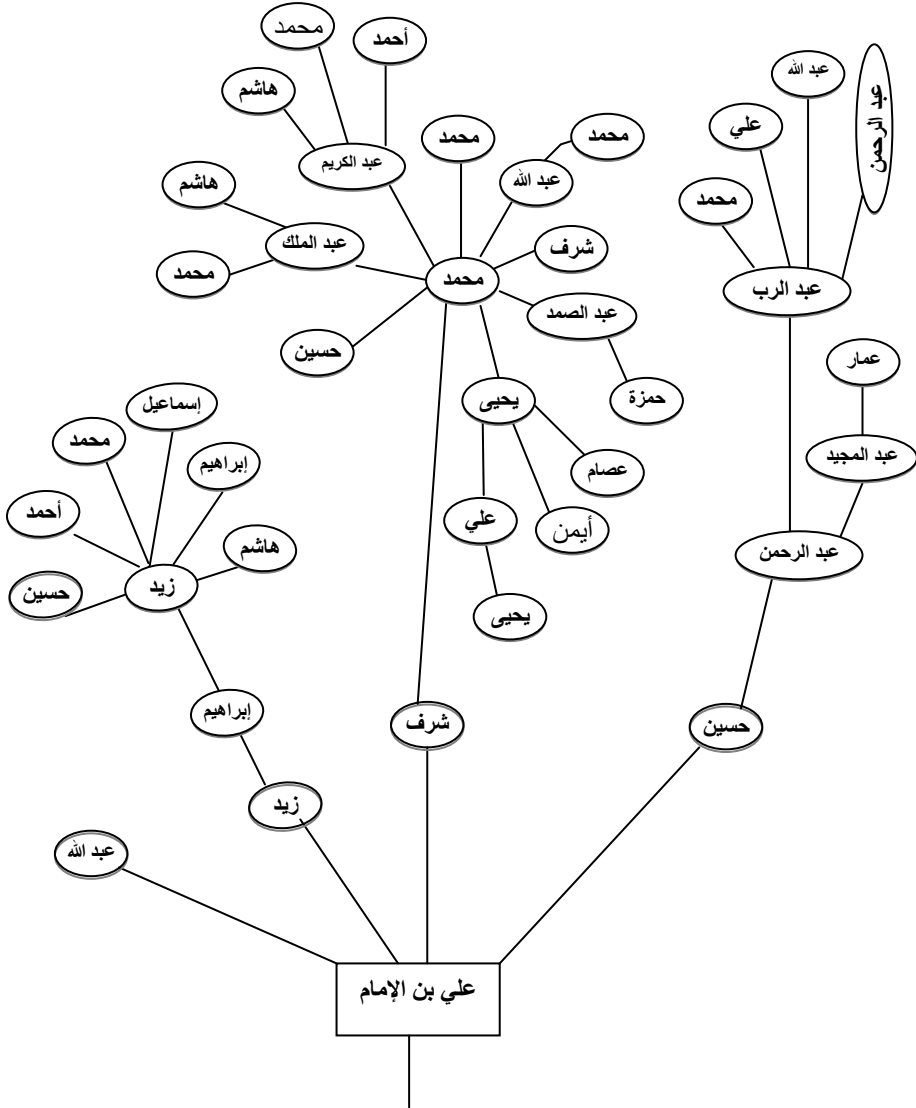
جمعت هذا المشجر المفيد الجامع لذرية الإمام % وكان مرجعي في ذلك مشجراً كان قد جمعه والدي عز الإسلام محمد بن محمد بن عبد الله بن الإمام ولكنه لم يستوعب فيه إلى عصرنا الحالي، مع أنني قد أفردت بحثاً كاملاً في تراجم وتأريخ أحفاد الإمام المتوكل على الله المحسن وهو مخطوط بمكتبتنا واستوعبت فيه تأريخ المولد والنشاط العلمي ونبذة عامة عن الشخصية، ونرجو أن نكون قد أعطينا كل واحد حقه ونأمل أن نكون عند حسن ظن الجميع.



مشجر جامع لأحفاد والدنا عبد الله بن الإمام المحسن عليه السلام



مشجر جامع لأحفاد أحمد بن الإمام المحسن عليه
السلام



مشجر جامع لأولاد علي بن الإمام المحسن عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذي أجاز المحسن بالإجازات السنية، وأفاض عليه أنوار حكمته المضية، وهده إلى الطرق الرفيعة العلية، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة مستندة إلى البراهين الجليلة، دانية أزهار أثمارها في رياضها وحدثها الوردية، مشرقة شمسها وأقمارها في سماء السنة النبوية، والصلاة والسلام على نبينا المختار من البرية، المعلم للشرائع الدال على الأسرار الظاهرة والخفية، وعلى آله الذين قفوا آثاره واتبعوا أخباره، وسلكو مسالكه المرضية، وخاضوا شريعته الغراء بجهادهم واجتهادهم بخلوص نية، وحسن طوية، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا من كل عقيدة ردية، المسندين رواياتهم عن أبي فاب بتحرر وضبط كما لا يخفى على ذوي الهمم العلية، صلى الله عليه وعليهم ما دامت علومهم متلوة في كل مشهد وبنية، وعلى أصحابه الراشدين وتابعيهم بإحسان من أعلام الملة الحنفية، واسأل الله تيسير الوصول وصلاح القول والاعتقاد والعمل والنية، وأن يجعل ما نأتي ونذر خالصاً لوجهه الكريم غير مشوب برياء ولا عجب ولا كذب ولا عصبية، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وبعد: فإني لما حللت بالحضرة المشرفة، والعقوة التي هي بالعلم والتقوى مطرزة مفوفة، واختلطت اختلاط الماء بالعسل المصفى، وظفرت فيها بما يروي الغلة من الوفا، شعراً:

وجدت بها ما يملأ العين قرة ويسلي عن الأوطان كل غريب

وهي الحضرة التي اكتست المحاسن من البدور، واستمدت السرور من قلائد النحور، واكتسبت المعارف العلمية من عباب البحور، حضرة مولانا إمام الزمان،

وحسنة الأوان، والمجدد لما دثر من الأديان، المتوكل على الملك الديان، المحسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن الحسين بن صلاح بن عبد الرحيم بن الباقر بن نهشل بن المطهر بن أحمد بن عبد الله بن عز الدين^(١) بن محمد بن إبراهيم بن المتوكل على الله المطهر بن يحيى بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وابن رسول الله ﷺ وملائكته عليهم أجمعين.

سلسلة من ذهب منوطة بالذهب
ونسبة ترددت بين وصي ونبوي
سبحان من قدسها عن شائيات النسب

أو كما قال آخر:

نسب علا فوق السماك مناره غطت على شمس الضحى أنواره

(١) الذي يظهر والله أعلم أن محمد بن إبراهيم كان يلقب (عز الدين محمد) فحصل سهو من بعض المؤرخين فجعلوه عز الدين بن محمد (هكذا) في عمود النسب فأضافوا كلمة (ابن) ولكن بعد البحث لم أجده صحيحاً ففني مشجر الجلال عند ذكره لأولاد المنتصر بالله إبراهيم بن الإمام المظلل بالغيام ذكر محمد بن إبراهيم ثم ذكر أولاد محمد وهم إدريس، وعبد الله، ولم يذكر عز الدين فظهر أنه لقب لمحمد والله أعلم، مع العلم أنني نقلت من مشجر الجلال والنسخة بخط العلامة الولي محمد بن الحسن العجري وهو نقل من نسخة بخط كاتب الإمام الهادي عز الدين بن الحسن وكاتب الإمام نقل من نسخة المؤلف والمؤلف كان مرجعه في ذرية الإمام المظلل بالغيام هو الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد حفيد الإمام المظلل بالغيام طلب منه المؤلف مشجراً وتراجع لأحفاد الإمام المظلل بالغيام، وبهذا كله جزمتم بعدم وجوده مع العلم أن بعض المؤرخين كزبارة رحمه الله في بعض كتبه لم يثبت كلمة (ابن) وقد ذكرت هذا مفصلاً في بحثنا (تراجع الآباء).

ثم وجدت في سيرة الإمام المطهر بن محمد بن سليمان عند ذكر نسبه أن أمه الشريفة المطهرة الفاضلة صفية بنت داود بن عز الدين محمد بن إبراهيم بن الإمام المطهر بن يحيى " وذكر قصة زواجها بأبيه وكان ذلك على يد الإمام الواثق بالله أيضاً، وهذا ما زادني تأكيداً والله أعلم.

وتضاحكت أزهار روض كماله وعلا على أعلام الفخار فخاره

أسعد الله الوجود بوجوده، وجعل ساكن السعادة في خافقات بنوده، وصدرت منه أيده الله مجالس يتزين الدهر بقلائدها، وتتجلى خرائد العلوم بعقود فرائدها، في إملاء الحديث النبوي في (تفريج الكروب) لسيدي العلامة الحافظ الكبير إسحاق بن يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل - رحمه الله - في فضائل الوصي وأولاده من المحتد النبوي وكان قد علق في خاطري في إبان الطلب، والتخلي عن الأشغال والنصب، ما علق من حفظ بعض تراجم الرجال، والإلمام بأحوال أهل النقل في مدة الإشتغال، وكذلك أملى أيده الله ونصره (الإلمام بأحاديث الأحكام) لشيخنا العلامة الشهيد محمد بن صالح السماوي الملقب حريوة، وكتاب (تجريد الكشاف) للسيد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم المطهري، وفي (الكشاف) للزخشي، وفي (المصابيح) للعلامة عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن صلاح الشرفي تفسير الأئمة، وفي (تفسير مكرر القرآن) للسيد العلامة أبي القاسم الحسين بن محمد بن إسماعيل الراغب، وفي (أمالى قاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي) وفي (الغظمم) للعلامة محمد بن صالح السماوي.

فكان مولانا أمير المؤمنين ربما عرج بهمته العلية على تقييد ما رويته، وتخليد ما أمليته، وإيداعه في بطون الأسفار، وإثباته في ذلك المضمار، فأردت أن أجمع ما علق بحفظي من تراجم أهل النقل والمحدثين من نقلة الآثار النبوية، وحفاظ الأخبار المحمدية، وأهديها إليه، سلام الله عليه، واجعلها وسيلة إلى التطفل على علومه الزاخرة، وفوائده الباهرة، وأضيف إلى ذلك ذكر ما اتصل بي من الأسانيد إلى أهلها، واتصال سلسلة الإسناد إلى مصنفها، واستحيي أن أقول قد أجزته في تحملها، والرواية عني لجملتها وتفصيلها، إذ كنت أنا المستفيد من أنظاره والمقتبس من أنواره ولكن

جواهر العلوم أفضل ما يهدي، وهدي المصطفى خير ما يهدي، وأضيف إلى ذلك جمع أربعين حديثاً في فضل العلم الشريف وأهله وهي التي جمعها الحافظ الكبير عبد العظيم بن عبد القوي المنذري^(١) صاحب (شرح سنن أبي داود) واجعلها تحفة لإمامي، وقرة عيني وغاية مرامي، وأسأل منه دعوة صالحة، وأن يتلقى ما أهديته بالقبول، وينظر إليه بعين الرضى، وظريف المسامحة والإغضاء.

ونقدم للتبرك بذكر الذرية الطاهرة، نجوم الدنيا وأدلاء الآخرة، ذكر أسانيد أهل البيت النبوي ونبدأ بذكر الإسناد الجامع لكتب آل محمد على جهة الجملة، ثم نذكر ما أمكن إلحاقه على جهة التفصيل، ثم نذكر بعد ذلك أسانيد أهل المسانيد الأربعة وتراجهم، ثم الأمهات الست وما علق بالحفظ من تراجم أهلها، ثم نلحق بها ما اتصل بنا إسناده وحضرنا الآن مع أنا في مكان خال عن استمداد ذلك من حافلات الأسفار، المتضمنة لتراجم أهل الآثار، وقد تكررت مرات صفا المحفوظات، وخمدت الفطنة بضرّ البليات ببلوغ سن المشيب، وتكرر أصدية الزمان العجيب.

(١) هو الحافظ الكبير أبو محمد عبد العظيم زكي الدين بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذري الشامي، ثم المصري الشافعي، صاحب التصانيف العديدة والمفيدة، ولد سنة ٥٨١هـ وقرأ على مشائخ، ومن تصانيفه (الترغيب والترهيب، ومختصر مسلم، مختصر سنن أبي داود) وغيرها، توفي سنة ٦٥٦هـ.

[السند إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام]

فأقول: مذهب أهل البيت % أرويه على جهة الإجمال عن والدي رضوان الله عليه، عن والده العلامة الحافظ الكبير المجتهد الشهير محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي- بلداً الحمزي الحسني محتداً، عن السيد العلامة حسين بن يوسف زبارة، عن والده العلامة الزاهد يوسف بن حسين بن أحمد زبارة، عن السيد العلامة أحمد بن عبد الرحمن الشامي، عن والده العلامة الحافظ المحدث الكبير حسين بن أحمد بن صلاح بن أحمد بن الحسين المدعو زبارة، عن شيخه العلامة عامر بن عبد الله بن عامر بن علي، عن القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، عن القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين المسوري رحمه الله، عن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، عن والده الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد x، عن السيد العلامة شيخ العترة أمير الدين بن عبد الله بن نهشل من ذرية الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى، عن السيد العلامة أحمد بن عبد الله الوزير، عن الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين بطرقه إلى المنصور بالله محمد بن علي السراجي الوشلي، بطرقه إلى الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان والهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن المؤيدي، بطرقهم إلى الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى، بطرقه إلى الإمام الناصر لدين الله محمد بن علي ووالده الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد بن علي، بطرقهما إلى الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة، بطرقه إلى الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهر ووالده المتوكل على الله المطهر بن يحيى، بطرقهما إلى الإمام الشهيد أحمد بن الحسين، بطرقه إلى الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان، وشيخي آل الرسول

الكبيرين العالمين شمس الدين يحيى وبدر الدين أحمد ابني أحمد بن يحيى بن يحيى، بطرقهم إلى الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، بطرقه إلى الإمام المؤيد بالله أحمد بن حسين الهاروني، وصنوه الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين، وخالهما السيد أبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني، بطرقهم إلى الإمام يحيى بن محمد بن^(١) المرتضى بن الهادي إلى الحق، بطرقه إلى عمه الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين، بطرقه إلى والده الإمام الهادي إلى الحق عن والده الإمام الحافظ الثبت الحسين، عن والده الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم، العَمَر، عن أبيه إسماعيل الديباج، عن أبيه إبراهيم الشبه، عن أبيه الحسن الرضا، عن أبيه الحسن السبط، عن أبيه أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ.

وقد اشتملت هذه الطريق على الطريق الموصلة لنا إلى الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي الأطروش من طريق المؤيد بالله وصنوه الإمام أبي طالب وخالهما السيد أبي العباس، عن الإمام المهدي لدين الله أبي عبد الله الداعي محمد بن الحسن بن القاسم، عن أبيه، عن الإمام الناصر %، وطريق الناصر، عن أبيه، عن جده عمر الأشرف، عن أخيه الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر محمد بن علي بن الحسين، عن زين العابدين عن أبيه عن أمير المؤمنين، وطريق النفس الزكية الإمام المهدي لدين الله محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن من هذه الطرق وقد شملتها طريق الناصر % عن آبائه.

(١) كذا في الأصل، والصواب يحيى بن محمد المرتضى.

[الأسانيد التفصيلية إلى مؤلفات أهل البيت عليهم السلام]

هذا وأما التفصيلي وهو إسناد كل كتاب إلى مؤلفه فنذكر منها ما تيسر نقله هنا.

[السند إلى شفاء الأوام للأمرير الحسين]

فمنها كتاب (شفاء الأوام) للأمرير الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى %، وقدمناه للتبرك بسنده وكون رجاله جميعاً من أهل البيت %، وتتمته لابن أخيه السيد الإمام صلاح بن أمير المؤمنين المهدي لدين الله إبراهيم بن تاج الدين بن بدر الدين سلام الله عليهم، وتتمه التتمة للسيد العلامة صلاح بن الجلال رحمه الله، فأرويه بالإجازة عن والدي -رحمه الله- ورضي عنه، عن والده العلامة المجتهد محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي، عن السيد العلامة حسين بن يوسف زبارة، عن والده السيد العلامة الزاهد يوسف بن حسين بن أحمد زبارة، عن والده العلامة الحافظ الكبير الحسين بن أحمد بن صلاح المدعو زبارة، عن السيد العلامة عامر بن عبد الله قراءة عليه في جميعه في عام مائة بعد الألف بمعمور الحصين بضوران، وهو يرويه عن شيخه العلامة الناصر بن محمد بن يحيى الغرباني، وهو يرويه عن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد %، وهو يرويه عن السيد العلامة أمير الدين بن عبد الله، وهو يرويه عن السيد العلامة أحمد بن عبد الله الوزير، وهو عن الإمام شرف الدين %، وهو عن السيد العلامة الحافظ إبراهيم بن محمد الوزير، وهو عن السيد العلامة الحافظ الكبير أبي العطايا عبد الله بن يحيى، وهو عن أبيه السيد العلامة يحيى بن المهدي، وهو عن الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد، وهو عن والده

الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهر، وهو عن الأمير المؤيد بن أحمد، وهو عن الأمير الحسين مصنف (الشفاء) سلام الله عليهم أجمعين.

وبطريق أخرى لتدخل التتمات وذلك أن الإمام القاسم % بطريقنا إليه يرويه جملة عن السيد صلاح بن أحمد بن الوزير، وهو عن والده السيد أحمد بن عبد الله، وهو عن والده عبد الله، عن والده أحمد، عن والده السيد العلامة إبراهيم بن محمد، ويرويه السيد أحمد بن عبد الله عن الإمام شرف الدين، عن السيد إبراهيم بن محمد، عن والده محمد، عن والده عبد الله بن الهادي، عن السيد العلامة صلاح بن الجلال صاحب (تتمة التتمة) عن السيد العلامة الهادي بن يحيى بن حسين، عن الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد، عن الفقيه العلامة سلطان المحققين أحمد بن حميد بن سعيد الحارثي، عن الإمام المهدي محمد بن المطهر، عن الأمير المؤيد بن أحمد، عن الأمير الحسين مؤلف (الشفاء).

[السند إلى مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام]

وأروي المجموع للإمام الشهيد الولي فاتح باب الجهاد زيد بن علي بن الحسين بن علي بالإسناد المتقدم إلى السيد العلامة الحافظ الكبير الحسين بن أحمد بن صلاح بن أحمد زبارة، عن شيخه القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، عن القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين المسوري، قال: أخبرنا الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، عن والده المنصور بالله القاسم بن محمد % قال: أخبرنا السيدان العالمان أمير الدين بن عبد الله الهادوي المطهري، وإبراهيم بن المهدي الجحافي، عن السيد العلامة أحمد بن عبد الله الوزير، عن الإمام شرف الدين، عن السيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الوزير، بروايته له عن السيد العلامة المحدث أبي

العطايا عبد الله بن يحيى بن المهدي بن القاسم بن الحسين الزيدي مذهباً والحسني نسباً^(١)، عن والده السيد العلامة يحيى بن المهدي، عن السيد الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد بن المطهر، عن والده الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهر، عن والده المتوكل على الله المطهر بن يحيى، عن الفقيه العلامة محمد بن أحمد بن أبي الرجال، عن الإمام المهدي أحمد بن الحسين، عن الشيخ العلامة المعروف بشعلة وهو أحمد بن محمد بن القاسم الأكوخ، عن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، عن شيخه العلامة الحسن بن محمد الرصاص، عن القاضي العلامة شمس الدين جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى رضوان الله عليه قراءة عليه قال: أخبرنا الشيخ الإمام شرف الفقهاء قطب الدين أبي الحسن أحمد بن الحسن الكني طول الله عمره قال: أخبرنا الشيخ الإمام زيد بن الحسن البيهقي البروقيني بالري قدمها في شعبان سنة أربعين وخمسائة، قال: أخبرنا الحاكم أبو الفضل وهب بن الحاكم أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحسكاني، قال: أخبرنا أبي قال: قال: أخبرني أبو سعد بن عبد الرحمن بن علي بن الحسن النيسابوري بقراءتي عليه من أصل، وهو سمع أن أبا الفضل محمد بن عبد الله بن محمد المطلب الشيباني أخبرهم بالكوفة، قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن كاس النخعي، القاضي بالرملة قراءة عليه في كتابه سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، قال: أخبرنا سليمان بن إبراهيم بن الزبرقان التيمي بن عبيد المحاربي جدي أبو أمي سنة خمس وستين ومئتين، قال: أخبرني نصر بن مزاحم المنقري العطار، قال: حدثني إبراهيم بن الزبرقان التيمي، قال: أخبرني أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي، قال: حدثني زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم سلام الله ورحمته وهو يرويه عن النبي ﷺ.

وهذا سند المجموع الفقهي والحديثي وغيره من التفسير والمناسك والرسائل للإمام الشهير الشهيد زيد بن علي %.

(١) في الأصل: الزيدي نسباً ومذهباً الحسيني، ولعل الصواب ما أثبتناه، والله أعلم.

[السند إلى تيسير المطالب في أمالي السيد الإمام أبي طالب]

بالسند المتقدم إلى القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام، قال: أخبرنا القاضي الإمام أحمد بن أبي الحسن الكني أسعده الله، قال: أخبرني الإمام الزاهد زيد بن الحسن بن علي البيهقي، بقراءتي عليه قدم علينا الري والشيخ الأفضل مجد الدين عبد المجيد بن عبد الغفار بن أبي سعد الاستراباذي الزيدي رحمه الله، قال: أخبرنا السيد الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن جعفر الحسيني، النقيب باستراباذ قراءة في شهر الله الأصم سنة ثمان عشرة وخمسمائة، قال: أخبرنا والدي السيد أبو جعفر محمد بن جعفر بن علي بن خليفة الحسيني والسيد أبو الحسن علي بن أبي طالب بن أحمد بن القاسم الحسيني الأملي الملقب بالمستعين بالله، قال: حدثنا السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني، يبلغ بها النبي ÷ من طريقه المذكورة في الأصل.

[السند إلى أمالي المرشد بالله عليه السلام]

بالإسناد المتقدم إلى القاضي جعفر، عن القاضي الكني، عن المظفر بن عبد الرحيم الحمدوني، قراءة عن والده أبي سعد المظفر، هذا عن الإمام المرشد بالله أبي الحسين يحيى بن الموفق بالله أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب %، تم المراد.

[السند إلى أمالي الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام]

أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو يسمى (علوم آل محمد)، ويسمى (محاسن الآثار)، ويسمى (جامع محمد بن منصور المرادي المقرئ)، أرويه بالسند المتقدم إلى القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام، عن الشيخ الفاضل العدلي أبي علي الحسن بن علي ملاعب الأسدي أسعده الله، قال: أخبرنا

الشريف السيد عمر بن إبراهيم بن حمزة العلوي الحسني، قال: أخبرني أبو الفرج محمد بن الحارث، عن محمد بن الحسين النجار المعروف بابن الصباغ، عن علي بن ماتي، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن منصور بن يزيد المرادي جميع ما في الأمالي.

[[السند إلى أمالي الإمام المؤيد بالله الهاروني عليه السلام]]

بالسند المتقدم إلى القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام -رحمه الله-، عن القاضي أحمد بن الحسن الكني، قال: أخبرني الشيخ الفقيه الإمام أبو علي الحسن بن علي بن علي بن أبي طالب الفرازدي، والشيخ أبو رشيد عبد الحميد بن قاسم الرازي، قراءة عليه، والشيخ عبد الوهاب بن العلاء بن سعدويه^(١) السمان، قراءة عليه أيضاً في مدرسة شجاع الدين في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، قالو: أخبرنا الأستاذ الرئيس علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين بن مزدك، في شوال سنة خمس وأربعين وأربعمائة، قال: أخبرنا أبو داود سليمان بن حاو، قال: أخبرنا السيد الإمام المؤيد بالله، وبهذا الإسناد قد شمل جميع مؤلفات السيد المؤيد بالله ورسائله أصولاً وفروعاً وحديثاً المصنف يرفعه إلى رسول الله ﷺ.

[[السند إلى أصول الأحكام للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام]]

نرويه بالسند المتقدم، يرويه إلى المنصور بالله % ، عن علي بن حميد بن أحمد، عن والده محيي الدين، قراءة عليه بجميعه بحوث^(٢)، قال: أخبرنا الإمام الأجل، المتوكل على الله عز وجل، أحمد بن سليمان مناولة من يده الشريفة إلى يدي.

(١) في لوامع الأنوار في السند إلى الإمام المؤيد بالله (بن بُعدويه).

(٢) حوث من المدن القديمة والمشهورة بالعلم والعلماء، ويرجع نسبتها إلى حوث بن السبع، وحوث هذا اسمه عبد الله وهو من قبل النبوة كما في (الإكليل)، وتبعد من صنعاء ثلاث مراحل شوالاً (١٢٠) كيلو متراً، وسكنها عدد من الأئمة وهاجر إليها طلاب العلم من شتى البلدان، وبها قبر والدنا الإمام المحسن صاحب هذه السيرة، وقد جمع في تأريخها شيخنا العلامة القاسم بن الحسن السراجي أطال الله عمره ونفعنا بعلومه كتاباً أسماه (روائع البحوث في تأريخ مدينة حوث).

[السند إلى الأحكام للإمام الهادي عليه السلام]

بالسند المتقدم إلى المطهر بن محمد بن مطهر، عن أبيه، عن جده، عن الفقيه محمد بن أحمد بن أبي الرجال، عن الإمام أحمد بن حسين، عن شيخه شعبة الأكو، عن محيي الدين، عن أبيه، عن الإمام أحمد بن سليمان، عن إسحاق بن أحمد بن عبد الباعث، عن عبد الرزاق بن أحمد، عن الشريف عبد الحارث، عن محمد بن الحسن المطهري، عن محمد بن أبي الفتح، عن الإمام المرتضى محمد بن الهادي عن أبيه %.

وهذا إسناد المنتخب والفنون والمجموع والتفسير وغيرها من كتبه، أعاد الله من بركاتهم، وفي هذا غنية في كتب الآل المشتملة على الأحاديث المسندة، فقصدنا الاختصار، وتحصيل الفائدة لا التطويل، وذكر أسانيد الكتب المجردة عن الأسانيد، إذ طريقها الوجدادة مع أن إسناد كل كتاب موجود في المطولات.

[السند إلى كتب أهل الحديث]

ونشرع فيما اتصل بنا من مسانيد أهل الحديث وروايتها وذكر ما أمكن من تراجم مصنفاتها.

[السند إلى مسند الإمام أبي حنيفة رحمه الله]

مسند الإمام أبي حنيفة، النعمان بن ثابت الكوفي، وهو من أول ما صُنف، إذ هو يُعدُّ في التابعين، أرويه بالسند المتقدم إلى السيد العلامة الحافظ حسين بن أحمد زبارة، يرويه عن القاضي العلامة إسحاق بن محمد جفغان الزبيدي الشافعي، عن محمد بن علان المكي الشافعي، عن الخطيب الشريفي، عن ابن الرملي، عن زكرياء الأنصاري بسنده، ويرويه السيد العلامة حسين بن أحمد زبارة، عن الشيخ العلامة عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز، عن أبيه العلامة محمد بن عبد العزيز، عن والده عبد العزيز بن تقي الدين الشافعي المفتي، وقال عبد العزيز الأول: وأخبرني به خالي عبد الوهاب، قال: أخبرني الفقيه علي بن محمد الوائلي، عن الشيخ العلامة أحمد بن حجر الهيتمي، قال: أخبرني ابن زكريا الأنصاري قال: أخبرني بالسند المذكور، العز عبد السلام البغدادي الحنفي إجازة، قال: أنبأنا به أبو الطاهر التكريتي، عن الحافظين الكبيرين أبي عبد الله محمد بن الحجاج، ويوسف المالكي المزي، والعلم البرزاني، قال: أخبرنا به أبو العباس النيسابوري، أخبرنا به مسلم المؤيد الشهير بابن الأحوج، وأبو أحمد زاهر الثقفي وغيرهما مكاتبة، قالوا: أخبرنا به أبو الفرج الصيرفي إجازة إن لم يكن سماعاً إلا الأول، فقال قراءة، أخبرنا به أبو بكر الطوفاني، قال: أخبرنا به الحافظ أبو عبد الله من مسنده، قال: أخبرنا به مخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحارثي النجاري عن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي.

[ترجمة أبي حنيفة رحمه الله]

تنبيه: قال حفيده إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: وُلِدَ ثابت والد أبي حنيفة على الإسلام، وذهب بابنه النعمان صاحب الترجمة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب %، وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، فكان هذا الإمام من آثار تلك الدعوة، وناهيك بذلك شرفاً له - رضي الله عنه - ومن ثمة قدمه الله على أئمة عصره الذي هو عصر التابعين، ولم يظهر الله لأحدٍ منهم من الاتباع والشهرة والتقدم، ما أظهر له ببركات دعاء الوصي، أخذ عن حماد بن سليمان، وأدرك أربعة من الصحابة، وفي رواية ثمانية منهم: أنس وعبد الله بن أبي أوفى وزيد بن سعد وأبو الطفيل، لكنه قيل أدركهم ولم يلق أحداً منهم، وكان عظيم الزهد والورع، وعرضت عليه الدنيا بحذافيرها، ولالية بيت المال، والقضاء فأبى ذلك كله، فقالوا له: إما أن تقبل أو نضربك بالسياط مائة سوط، فاختار عذابهم على عذاب الله، وسخطهم على سخط الله، فضربوه وكرروا عليه الضرب، ثم بلغهم أنه يتشيع في أهل بيت المصطفى، وأنه أفتى العلويين بالخروج على أبي جعفر، وأنهم أحق بالأمر، فضربوه حتى مات شهيداً سنة خمسين ومائة. تمت الترجمة.

[السند إلى الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة رحمه الله]

أرويه بالسند المتقدم إلى السيد العلامة حسين بن أحمد زبارة، قال: أخبرني به الفقيه العلامة علي بن مرجان التعزي، سماعاً بقراءة السيد العلامة الهادي بن أحمد الجلال، قال: أخبرني شيخنا العلامة محمد بن عبد العزيز الحبشي، قال: أخبرني خالي العلامة تاج الدين عبد الوهاب الحبشي رحمه الله، قال: أخبرني شيخنا العلامة علي بن محمد الوائلي، عن صنوه أحمد، عن العلامة شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي، قال:

أخبرني به مشائخي الثلاثة الجلال السيوطي، وزكرياء الأنصاري، والعلامة القشاشي، قال زكرياء: أخبرني به أبو مسعود بن صدقة الحنبلي، قال: أخبرنا به أبو العباس السويدي، قال: أخبرنا به جماعة، منهم التقي الأحيائي المالكي، قال: أخبرنا به الشرف الطمياطي، قال: أخبرني به عبد العزيز الزهري المالكي، قال: أخبرني به جدي أبو الطاهر إسماعيل، قال: أخبرنا به أبو بكر بن محمد بن الوليد الطرطوسي، قال: أخبرنا به أبو الوليد سليمان التاجي، قال: أخبرنا به أبو الوليد يونس الصفار، قال: أخبرنا به أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى الليثي، قال: أخبرنا به عم أبي، قال: أخبرني به أبي يحيى، قال: أخبرني به أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله.

ولنا طرق وقصدنا الاختصار، وفي هذا غنية عن الإكثار.

فائدة مهمة:

روى الموطأ عن مالك إثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى، أحدهما: يحيى بن يحيى الليثي، هذا وهو عاقل الأندلس، ساه بذلك الإمام مالك، مات في رجب سنة أربع وثلاثين ومئتي سنة، ولا رواية له في شيء من الكتب الستة، الصحيحين والسنن الأربع، ومن لا خبرة له بعلم الحديث ورجاله يلتبس عليه أحد هذين بالآخر فيتنبه، والآخر: أبو زكرياء يحيى بن يحيى بن أبي بكر التميمي، الحنظلي النيسابوري، مات في صفر سنة ست وعشرين ومئتين، يروي عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

ترجمة الإمام مالك:

والإمام مالك هو ابن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة، أخذ عن خلائق من التابعين، وأخذ عنه خلائق لا يحصون، وأجمع طوائف العلماء على جلالته وإمامته،

والإذعان له في حفظ الحديث والتثبيت فيه، وتعظيمه وتوقيره لحديث رسول الله ﷺ، قال البخاري وغيره: أجل الأسانيد وأصحها مالك عن نافع عن ابن عمر.

[أصح الأسانيد وأشهرها أسانيد أهل البيت عليهم السلام]

وأقول: أنا إن أصح الأسانيد وأشرفها وأجلها زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين زين العابدين، عن جده الحسين السبط، عن أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب %، إذ هي سلسلة ذهنية، وطريقة نبوية، يقل وجود مثلها في الأسانيد القوية.

وكذلك علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه سيد العابدين علي، عن أبيه سيد شباب أهل الجنة الحسين، عن أبيه سيد الوصيين علي بن أبي طالب.

وطريق ثالثة رواية الهادي يحيى بن الحسين، عن أبيه الحافظ الحسين، وعمّه محمد والحسن، عن أبيهم القاسم بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم الغمر، عن أبيه إسماعيل الديباج، عن أبيه إبراهيم الشبه، عن أبيه الحسن الرضا، عن أبيه الحسن السبط، عن أبيه أمير المؤمنين، الوصي علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ، ولكن الانحراف عن فضائل العترة الزكية، وشدة العصبية، حملهم على تقديم غيرهم، وإهمال ذكرهم.

[تشييع الإمام مالك]

والإمام مالك معدود من رجال الشيعة ومحبي أهل البيت، وقد روى أهل البيت وغيرهم أنه ممن خرج مع الإمام المهدي لدين الله محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وأفتى بوجوب الخروج معه، وقال له بعض أصحابه: إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر، قال الإمام مالك: إنكم بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين، فلما أكرم الله

الإمام المهدي بالشهادة، ودخلت الجنود العباسية المدينة النبوية، على ساكنها صلاة رب العالمين، ضربه عيسى بن موسى بالسياط، وأشهره للناس، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل هذه السياط جلياً على عاتق الإسلام، ومنقبة تتلا على صفحات الأيام، توفي الإمام مالك^{هـ} في شهر صفر أو في شهر ربيع الأول، شك الراوي في سنة تسع وسبعين ومائة، وولد في شهر ربيع الأول سنة ثلاث ومائة على الأشهر، ومكث في بطن أمه ثلاث سنين، وقيل أكثر، ورأت عمه الشافعي ليلة موته قائلاً يقول: مات الليلة هذه أعلم أهل الأرض، ومناقبه كثيرة تستغرق كرايس والإختصار أولى.

[[السند إلى مسند الإمام الشافعي رحمه الله]]

محمد بن إدريس، بن العباس، بن عثمان، بن شافع، بن السائب، بن عبيد، بن عبد يزيد، بن هاشم، بن المطلب، بن عبد مناف، بن قصي القرشي المطلب الحجازي المكي.

أرويه بالسند المتقدم إلى السيد حسين بن أحمد بن صلاح المدعو زبارة، عن شيخه العلامة عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الحبيشي الشافعي، عن والده الحافظ مفتي اليمن محمد بن عبد العزيز شيخ الإمام المتوكل على الله إسماعيل، عن الحافظ الديبع، عن شيخه شمس الدين أبي الخير، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، عن أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

* (ح) وأرويه بطريق من ذكرت إلى العلامة محمد بن عبد العزيز الحبيشي، قال: أخبرني خالي عبد الوهاب، قال: أخبرني العلامة علي بن محمد الوائلي، عن أخيه أحمد، عن العلامة الحافظ أحمد بن حجر الهيثمي، قال: أرويه عن مشائخي الثلاثة زكرياء الأنصاري، والسنباطي، والجلال الأسيوطي، قال: زكرياء: قرأته على الشيخ صدقة، قال: أخبرنا به أبو زرعة الولي العراقي، قال: أخبرنا به العز أبو عمرو بن جماعة بقراءة والدي الحافظ

الكبير الزين العراقي، وأنا حاضر، قال: أنبأنا به المسندة سيدة الفقهاء ابنة إبراهيم الواسطي، قالت: أنبأنا به أبو بكر محمد بن سعيد الخازن، قال: أخبرنا به الحافظ أبو زرعة طاهر، قال: أخبرنا به محمد بن طاهر المقدسي، قال: أخبرنا به أبو الحسن مكّي الكرخي، قال: أخبرنا به القاضي أبو بكر الحيري، قال: أخبرنا به أبو العباس الأصم، قال: أخبرنا به أبو محمد الربيع بن سليمان المرادي، قال: أخبرنا به الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، فذكره.

ولنا: طرق استغنيانا بها أشرنا للإختصار.

[ترجمة الإمام الشافعي]

والإمام الشافعي^٥ ولد بغزة في سنة خمسين ومائة، وقيل: إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه أبو حنيفة، ونشأ يتيماً في حجر أمه، في ضيق عيش، وكانت تترك تعليمه لعجزها عن أجره المعلم، لكن ألهمه الله أن ما تعلمه علمه الصبيان عند ذهاب المعلم فرأى المعلم أن نفعه له بذلك أكثر من أجره تعليمه فأسقطها، واستمر حتى ختم القرآن، ثم حُبب إليه مجالسة العلماء، فكان يكتب ما استفاده منهم في (نحو العظم)^(١) لعجزه عن الورق، وأثرى أولاً عن الشعر والأدب فكفاه الله عن ذلك أن أسمعته صوتاً من خلفه في عقبه منّا عليك بالفقه والهمة، وكان أستاذه مسلم بن خالد الزيجي قد سمعه يتمثل بيت من الشعر، فقال له: مثلك يذهب زمانه في مثل هذا! أين أنت من الفقه والحديث، وكان الشافعي يتشيع، ويميل إلى تفضيل أهل البيت على غيرهم، وله أشعار في مدح الوصي وأهل البيت النبوي، وخرج داعياً إلى اليمن للإمام يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، فكتب الرشيد إلى عامله باليمن، فحمّله من صنعاء على

(١) كذا في الأصل.

جمل بغير وطأ، حاسر الرأس إلى العراق، فلما وصل إلى الرشيد ورأى فصاحته وعلمه وناظره في فضائل أبي طالب، أذله الله له فأطلقه وأعطاه عشرة آلاف دينار، ففرقها في يومه، فعجب منه الرشيد وأكرمه، فبقي في بغداد مدة، واستفاد عليه خلق كثير، منهم ابن حنبل وأصحابه البغداديون ثم رحل إلى مصر، فأخذ عنه أصحاب مالك وغيرهم، وأخذوا بمذهبه ودونوه، وظهرت كتبه وتوفي بها سنة أربع ومئتين. انتهى باختصار.

السند إلى مسند الإمام أحمد بن حنبل

نروي مسنده بالإسناد المتقدم إلى ابن حجر الهيتمي المكي، قال: أخبرني به زكرياء الأنصاري، قال: أخبرني به المعز عبد الرحيم الحنفي، إذناً عن أبي العباس الجوخى، أنبأنا به زينب بنت مكي الحرائية، قالت: أخبرنا به حنبل بن الفرج الرصافي، أنبأنا به هبة الله الشيباني، أنبأنا به أبو علي التميمي، أنبأنا به أبو بكر أحمد القطيعي، أنبأنا به أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد، قال: أخبرنا به أبي^ه فذكره.

ولنا طرق اختصرناها.

ترجمة الإمام أحمد بن حنبل وتشيعه في أهل البيت عليهم السلام

وهو الإمام الحافظ الكبير، المحيط بعلم الحديث، إسناداً ورجالاً وعللاً، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، ولا حاجة للتطويل باستيفاء ترجمته فهي تستغرق مجلداً، وكان آية في الزهد والورع، واعتزال سلاطين الجور، والتنزه عن قبض جوائزهم، واعتزال مراكزهم، حتى امتحن المحنة الأولى، في أيام المعتصم والمحنة الأخرى مع المتوكل، والأخرى اشتدت عليه أعظم لأنها فتنة الدين، والنفس تميل إليها، فهو أراد على البقاء لديه، ويعطيه العطايا الجزيلة، معاكسة لفعل أبيه وعمه

المأمون، فامتنع عن مخالطته، وقبول هديته، وبقي حزيناً كائناً خوفاً على دينه، حتى ترك الطعام إلا ما يمسك به نفسه، خشية من دخول الحرام بطنه.

وكان من شيعة الوصي والمفضلين له على من عاداه من الصحابة، وألف كتاباً مفرداً في مناقبه سماه (أسنى المطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) وقال: إنه لم يرد في فضائل الصحابة بالأسانيد الجيدة ما ورد في فضائل علي %، ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة، وكانت وفاته سنة أحد وأربعين ومئتين وكانت جنازته يضرب بها المثل، فإنه روي أن الذين حضروا الصلاة عليه ألف ألف وخمسمائة ألف، وأسلم يوم موته من النصارى والمجوس عشرون ألفاً والإختصار أولى بنا.

[السند إلى صحيح البخاري وترجمته]

بالإسناد المتقدم إلى السيد الحافظ حسين بن أحمد زيارة، عن العلامة الحافظ إسحاق بن محمد جعفران، عن الحافظ العلامة محمد بن علاء الدين البابلي القاهري الشافعي.

*(ح) وسمعت عن شيخي العلامة الجهيد أحمد بن زيد الكبسي، وهو سمعه عن شيخه العلامة الحافظ عبد الله بن محمد الأمير، وهو سمعه عن شيخه الحافظ أبي الحسن السندي الصغير، صاحب (فتح الورود على سنن أبي داود) وهو عن جده أبي الحسن الكبير السندي، عن الحافظ محمد بن علاء الدين البابلي، قال أخبرنا أبو النجا سالم بن محمد، قال: أخبرنا به المسند أبو النجم محمد بن أحمد بن علي، قال: أخبرنا شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، قال: أخبرنا شيخ السنة أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قال: أخبرنا الأستاذ إبراهيم بن أحمد التنوخي، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجازي، قال: أخبرنا السراج

الحسين بن المبارك الزبيدي بفتح الزاي الحنبلي، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الداودي، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله السرخسي، قال: أخبرنا محمد بن يوسف الفَرَبري، قال: أخبرنا مؤلفه.

وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف بن بُردزيه الجعفي مولا هم شيخ أحبار الإسلام وإمام الفن وواحد العالم، ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشر خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ووفاته وقت العشاء من ليلة الفطر ليلة السبت سنة ست وخمسين ومئتين، عمره اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً.

[السند إلى صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري]

سمعته من شيخي العلامة أحمد بن زيد الكبسي، من أوله إلى آخره، وهو يرويه عن شيخه العلامة الحافظ الكبير عمه أبي الحسن بن يحيى بن أحمد الكبسي، وعن والدنا العلامة المجتهد محمد بن يحيى، سماعاً، عن والدنا الحسن، وهو يرويه عن والدنا العلامة شيخ مشائخ الإسلام القاسم بن محمد بن عبد الله الكبسي إجازة، عن سيدي هاشم بن يحيى الشامي، أخبرنا به القاضي طه بن عبد الله السادة، عن علي بن محمد المرجومي، عن نور الدين بن علي، عن سلطان ابن أحمد المزامي، عن أحمد بن خليل السبكي، وابن حجر الهيتمي، وعن الشيخ زكرياء الأنصاري، والحافظ السيوطي، عن شيخ الإسلام البلقيني، عن الشمس بن القماح، عن أبي إسحاق ابن مضر - الواسطي، عن رضى الدين الطوسي، عن منصور الفراوي، عن عبد الغافر النيسابوري الجلودي، عن إبراهيم بن سفيان، عن المؤلف.

قال مسلم في صحيحة: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا أبو عوانة بن زياد بن علاف، عن المغيرة، أن النبي ﷺ، صلى حتى انتفخت قدماه، فقليل له أتتكلف وقد غُفِرَ لك ما تقدم من

ذنبك وما تأخر قال: أفلا أكون عبداً شكوراً، فهذا الحديث من رباعيات مسلم.

قال شيخنا العلامة المرحوم أحمد بن زيد الكبسي رضوان الله عليه: وقرأته على شيخي العلامة عبد الله بن محمد الأمير، وهو يروي عن الشيخ أبي الحسن السندي، قال: أخبرنا شيخنا محمد حيوة السندي، مسند المدينة وعالمها، في عصره قراءة، وأنا أسمع في مسجد رسول الله ﷺ، عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري، عن أبي عبد الله محمد بن علاء الدين البابلي المصري، قراءة عليه لبعضه، وإجازة لباقيه، عن النجم القسطنطي لقراءته لجميعه عليه، وشيخ الإسلام زكرياء سماعاً لجميعه، عن الحافظ أبي نعيم رضوان بن محمد العقبي، بقراءته عليه لجميعه عليه، عن الشرف أبي الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن الكول، سماعاً لجميعه عليه، بقراءة الحافظ بن حجر، في أربعة مجالس سوى مجلس الختم، وأبي الفرج عبد الرحمن بن عبد الحميد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي، سماعاً لجميعه، عن أبي العباس أحمد بن عبد الدائم البابلي، سماعاً، عن محمد بن علي صدقه الحراني لجميعه، عن فقيه الحرم أبي عبد الله بن الفضل بن أحمد الفراوي، سماعاً لجميعه، عن أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي، قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي بضم الجيم واللام سماعاً، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري سماعاً، قال: أخبرنا مؤلفه، إلا ثلاثة أبواب معلومة مضبوطة، وكان يقول فيها عن مسلم، قال ابن الصلاح: فما ندري حملها عنه إجازة أو وجادة، وإبراهيم هذا هو أبو إسحاق الزاهد العابد، وكان مجاب الدعوة، ومن الملازمين لمسلم، قال: فرغ لنا مسلم من قراءة الكتاب في شهر رمضان سنة سبع وخمسين ومئتين وعُدَّتْ أحاديثه بلا تكرار نحو أربعة آلاف، وقال مسلم: وقد انتزعت يريده الجامع الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة.

[ترجمة مسلم بن الحجاج]

والإمام مسلم هو ابن الحجاج القشيري من بني قشير قبيلة من العرب معروفة، أحد الأئمة الأعلام في هذا الشأن، وكان من المبرزين، والرحالين فيه إلى الأقطار، والإجماع حاصل على تقدمه على أئمة عصره، كما شهد له بذلك إماما وقتها، حفظاً ومعرفة، أبو زرعة وأبو حاتم، سمع من مشائخ شيخه البخاري وغيرهم، كأحمد بن حنبل، ويروي عنه جماعة من كبار أئمة عصره، ولد سنة أربع وثمانين ومائة ودفن عشية الإثنين لأربع بقين من شهر رجب سنة إحدى وستين ومئتين، بنيسابور، وقبره بها مشهور يزار.

[السند إلى سنن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث]

قرأتها على شيخنا والدنا العلامة أحمد بن زيد الكبسي - رحمه الله - تعالى، من إماء لحي شيخنا العلامة عبد الله بن علي الغالبي، والقاضي العلامة حسين بن أحمد الحرازي، بجامع صنعاء، وهو يرويها عن والدنا العلامة المحيط بالعلوم، وفارس منطقها والمفهوم، الحسن بن يحيى بن أحمد الكبسي، وهو يرويها سماعاً، عن والدنا العلامة المطلق، والسابق الذي لا يلحق، مجتهد زمانه، ومرجع أوانه، القاسم بن محمد بن عبد الله بن المهدي الكبسي، سماعاً وهو يرويها عن السيد العلامة هاشم بن يحيى الشامي، وهو يرويها عن القاضي طه بن عبد الله السادة، نزيل مدينة جبلة الشافعي، عن علي محمد المرحومي، عن نور الدين بن علي الشراملي، عن علي الحلبي، عن الشمس الرمي، عن عز الدين بن زكرياء الأنصاري، عن عبد الرحيم بن محمد، المعروف بالفرات، عن محمد بن الحسن المراغي، عن ابن طيرزد، عن إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي، عن الحافظ الكبير أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، عن القاسم بن جعفر الهاشمي، عن اللؤلؤي، عن المؤلف.

* (ح) وأروها بالسند المتقدم إلى السيد حسين بن أحمد زبارة، عن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الحيشي، عن السيد الهادي بن أحمد الجلال، عن عبد القادر بن زياد الحفاشي، عن عبد العزيز بن تقي الدين الحيشي، عن السيد الطاهر بن حسين الأهدل، عن الحافظ الديع، عن الحافظ السخاوي، عن الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عن أبي علي بن المطهر، عن يوسف بن علي الحنفي، عن الحافظ زين الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، قال: أخبرنا بها الوليد إبراهيم بن محمد الكرخي، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب البغدادي، قال: أخبرنا أبو عمر بن جعفر الهاشمي، قالوا: خبرنا أبو علي اللؤلؤي، قال: أخبرنا بها مؤلفها.

[ترجمة الإمام أبي داود]

والإمام أبو داود هو سليمان ابن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمر بن عمران السجستاني، قيل: إنه من بلدة نسب إليها يقال لها زولج، وأما سجستان فهي قصبته^(١)، وهي قريب كرمان إلى ناحية الهند، ولد سنة اثنين ومئتين، وتوفي سنة خمس وخمسين ومئتين، وهو أحد أئمة المسلمين، والحفاظ الجهابذة الكثيرين، الذين يعتمد عليهم، ويرجع إليهم، قال بعضهم: هو ثاني الشيخين في علمهما وفضلهما، سكن البصرة فروى سننه ببغداد، وأخذ أهلها عنه، وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل، فاستجاده واستحسنه.

[ترجمة الحافظ النسائي]

الحافظ الكبير أحمد بن علي بن شعيب النسائي، هو ابن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني النسائي، وهو أحد رجال الشيعة، قتله أهل الشام، مع اجتماعهم عليه

(١) كذا في الأصل.

لسماع الحديث، فسأله بعضهم عما ورد في فضائل معاوية اللعين، مع اعتقادهم الفاسد، فيه فقال: لا أحفظ إلا «لا أشيع الله بطنه» فداسوا النسائي حتى قتلوه، فهو شهيد الحق، ولعل ذلك سنة خمس وستين ومئتين فتحقق، صبح مولده سنة خمس عشرة ومئتين، ووفاته سنة اثنتين وثلاثمائة.

[السند إلى سنن النسائي]

وأروي سننه الكبرى والخصائص والمجتبى عن والدي، عن والده، بالإسناد المتقدم إلى الحافظ الديبع، عن شيخه السخاوي، عن الحافظ الإمام العلامة أحمد بن علي حجر العسقلاني.

* (ح) قال الحبيشي: وأخبرنا بها خالي عبد الوهاب، قال: أخبرني شيخنا علي بن محمد الوائلي، عن أخيه أحمد، عن الحافظ المحدث أحمد بن حجر الهيثمي، قال: أخبرني بها شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، قال: أخبرني عالياً العز بن الفرات الحنفي، عن القاضي بن جماعة، عن الحافظ أبي جعفر العاصمي، قال: أخبرنا بها الحافظ أبو الحسن الساوي، قال: أخبرنا بها الإمام عبد الله الحنجري، قال: أخبرنا بها الحافظ محمد بن الفرج مولى ابن الطلاع، قال: أخبرنا بها القاضي يونس الصفار، قال: أخبرنا بها الحافظ أبو بكر محمد بن معوضة القرشي عرف بابن الأحمر، قال: أخبرنا بها المؤلف الحافظ النسائي فذكره...

[السند إلى الجامع الكبير والعلل في آخره للحافظ أبي عيسى محمد بن

عيسى بن سورة الترمذي الضرير]

قرأتها على شيخني العلامة أحمد بن زيد الكبسي، وهو يرويها عن القاضي محمد بن علي الشوكاني، عن شيخه يوسف بن محمد بن علاء الدين المزجاجي، عن أبيه الزين المزجاجي،

عن جده عبد الخالق المزجاجي الحنفي، عن إبراهيم الكردي، عن شيخه أحمد بن محمد المدني، عن الشمس الرملي، عن زين الدين زكرياء بن محمد الأنصاري، عن عبد الرحيم بن محمد المعروف بابن الفرات، عن عمر بن حسين المراغي، عن أبي طرزد.

* (ح) وأروي الجامع عن والدي -رحمه الله-، إجازة لسنده المتقدم إلى سيدي حسين بن أحمد زبارة، قال: أخبرني بها علي بن مرجان التعزي، سماعاً بقراءة السيد الهادي بن أحمد الجلال -رحمه الله- قال: أخبرني بها شيخنا العلامة محمد بن عبد العزيز الحبشي المفتي، قال: أخبرني والدي رحمه الله، قال: أخبرني السيد الطاهر بن حسين الأهدل، قال: أخبرني بها الحافظ الديع، قال: أخبرني الحافظ الإمام السخاوي، عن شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله، قال: أخبرني به الشيخ برهان التنوخي التغلبي، قال: أخبرنا به أبو محمد القاسم بن عساكر كتابة، قال: أخبرنا به أبو السعادات عبد الرحمن بن محمد بن مسعود كتابة، قال: أخبرنا بها محمد بن علي بن صالح، قال: أخبرنا به أبو عامر الأزدي، قال: أخبرنا به عبد المختار الدوري، قال: أخبرنا به أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي، قال: أخبرنا به مؤلفه.

لترجمة الإمام الترمذي

وهو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، المسلمي، الترمذي، بتشية الفوقية، وكسر الميم وضمها، مع إعجام الذال، هو الإمام الحجة الحافظ الثقة، أخذ عن البخاري وغيره، قال: عرضت كتابي السنن الجامع على علماء الحجاز والعراق وخراسان، فاستحسنوه، ورضوا به، ومن كان في بيته فكأنما في بيته نبي يتكلم.

وقد استشكل هذا المصطلح ما كرره الترمذي من قوله حسن صحيح غريب، مع تباين الحدود المعروفة عند أهل الحديث، وغاية ما أجابوا به أنه حسن من طريق، صحيح من طريق، غريب من طريق، وكان عليه أن يأتي بالواو العاطفة ليخرج من الإشكال.

[أقسام الحديث]

قولنا: مع تباين الحدود لترجمة الصحيح عند أهل الحديث.

الحديث الصحيح هو: نقل عدل عن عدل تام الضبط متصل السند غير معلل.

والحسن: هو ما نقص فيه شرط من شروط الصحيح.

والغريب: هو الذي يروى من طريق واحدة لا يتابع عليها فيدخل الشذوذ.

نعم:

والم متصل: هو ما اتصل رجال سنده بالنبي ÷.

والمقطع: ما انقطع فيه واحد.

والمعطل: ما انقطع فيه اثنان سواء كانا متتابعين أم لا.

والعزيز: هو ما يروى عن اثنين والإثنان عن اثنين.

والمرسل: هو ما لم يذكر سنده مع نسبته إلى رسول الله ÷، وهكذا إلى النبي ÷، وقد

التزمه البخاري في صحيحه، وانتقد عليه الدارقطني في مائتين واثنين وعشرين حديثاً لم يكن على شرطه.

توفي الترمذي بترمذ في آخر شهر رجب سنة سبع وستين ومئتين.

[السند إلى سنن ابن ماجه]

سنن أبي عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزويني - رحمه الله - سمعتها عن القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني، قراءة في شهر رمضان سنة سبع وأربعين ومئتين وألف، عن شيخه عبد القادر بن أحمد، عن شيخه سليمان بن يحيى الأهمل، عن أحمد بن محمد الأهمل، عن يحيى بن عمر بن مقبول الأهمل، عن السيد حسين بن الطاهر الأهمل، عن السيد طاهر والده، عن الحافظ الديع، إجازة إن لم يكن سماعاً، قال: أخبرنا بها أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، قال: أخبرنا بها شيخنا العلامة محدث الديار اليمنية وابن محدثها نفيس الدين أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن عمر العلوي، قال: أخبرنا بها والدي إجازة، وشيخنا الإمام موفق الدين علي بن أبي بكر بن شداد المقرئ قراءة مني عليه، قال: أخبرنا بها الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي الخير بن منصور الشاخي، قال: أخبرنا بها والدي، قال: أخبرنا بها المشائخ الأجلاء أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الحضرمي، وأبو بكر بن محمد الشراخي، وسليمان بن خليل العسقلاني، وبطال بن أحمد الزكي، وإسحاق بن أبي بكر الطبري، قالوا: أخبرنا بها الحافظ أبو الفرج نصر - بن علي بن أبي الفرج الحضرمي، قال الزين الشرجي: وأخبرنا بها أبو الضياء الشيخ الإمام مجد الدين والإسلام أبو الطاهر يعقوب الفيروزبازي - رحمه الله - في عموم إذنه، قال: أخبرنا بها الشيخ الأجل الصدر المسند المعمر صفي الدين عبد الكريم بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المخلص البعلبكي، قال: أخبرنا بها القاضي تاج الدين أبو محمد عبد الخالق بن عبد السلام بن سعيد بن علوان البعلبكي، سماعاً عليه جملة الكتاب، قال: أخبرنا الموفق أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدمي، قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد المفوض، إجازة إن لم يكن سماعاً، ثم ظهر سماعاً منه، قال:

أخبرنا أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر القطان، قال: أخبرنا مؤلفها الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني رحمه الله.

[[السند إلى سنن البيهقي]]

السنن الكبرى للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي، وهو أحمد بن حسين بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى، وهذا السنن هي أجل مؤلفاته، بل هي في الحقيقة أجل السنن الزائدة على السنن الأربع، كما قاله الحافظ بن حجر الهيتمي، ويقال: إن على كل شافعي منة الإمام محمد بن إدريس إلا أحمد البيهقي، فإن له المنة على الشافعي، لجمعه لأدلة مذهبه.

نرويهما وسائر مؤلفاته بالإسناد المتقدم إلى السيد حسين بن أحمد زبارة، عن شيخه عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الحبيشي المفتي، قال: أخبرنا بها والدي - رحمه الله - سماعاً من لفظه بمجلس السماع لمولانا المتوكل على الله رب العالمين إسماعيل بن القاسم سلام الله عليهما بمدينة تعز حرسها الله بالتقوى وأجازه جميعها، قال: أخبرني بها خالي عبد الوهاب - رحمه الله - تعالى، قال: أخبرني بها العلامة علي بن محمد الوائلي، عن أخيه أحمد، عن الشيخ الحافظ الكبير أحمد بن حجر المكي الهيتمي، قال: أخبرني بها الجلال الأسيوطي، قال: أخبرني بها محمد بن مقبل، عن الصلاح ابن أبي عمرو، عن الفخر ابن البخاري، عن منصور بن عبد المنعم الفراوي، قال: أخبرنا أبو محمد بن إسماعيل الفارسي، قال: أخبرنا مؤلفها فذكره.

[السند إلى المصابيح للبغوي]

في التفسير للقرآن بالحديث المأثور بالإسناد المتقدم إلى السيد حسين بن أحمد زبارة، قال: أخبرني بها شيعي العلامة عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المفتي، قال: أخبرني والدي، عن والده عبد العزيز بن تقي الدين، عن السيد الطاهر بن حسين الأهدل، عن الحافظ الديع، عن شيخه الحافظ أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشر-جي الحنفي مشافهة، قال: أخبرنا شيخ القراء والمحدثين أبو الخير شمس الدين أبو محمد محمد بن محمد بن محمد الجزري الشافعي إجازة، قال: أخبرنا بها الشيوخ الثلاثة أبو حسن محمد بن حسن بن جبلة، وحسن بن أحمد بن هبل الدمشقيان، وصلاح الدين محمد بن أحمد بن أبي عمر المقدسي، قالوا: أخبرنا به مسند الدنيا أبو الحسن بن علي بن أحمد البخاري، قال: أخبرنا به الإمام أبو سعيد عبد الله بن محمد بن عمر الصفار، قال: أخبرنا به المؤلف -رحمه الله- ونقتصر على هذا ففيه غنية.

[السند إلى تيسير الديع الجامع للأمهات الست]

بالإسناد المتقدم إلى السيد حسين بن أحمد زبارة، عن شيخه العلامة إسحاق بن محمد جفمان، قراءة لجميعه، قال: أخبرني به والدي رحمه الله، قال: أخبرني به الفقيه العلامة برهان الدين إبراهيم بن محمد جفمان، قال: أخبرني به السيد المحدث طاهر بن حسين الأهدل، قال: أخبرني به مؤلفه الشيخ العلامة الحافظ المحدث أبو الضياء عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديع وفاة الحافظ الديع -رحمه الله- في سنة إحدى وأربعين وتسعمائة سنة بتقديم التاء الفوقانية بائتين بمدينة زيد^(١) في دولة الإمام شرف الدين.

(١) زيد: مدينة عظيمة تاريخية اشتهرت بالعلم والعلماء كاشتهار مدينة حوث، وتقع بجوار بيت الفقيه بالقرب من المناطق الساحلية، وكانت تسمى قديماً (بالحبيب) وقد اتخذها كثير من ملوك اليمن عاصمة له وشاركت كثيراً في التغيرات السياسية في اليمن، وقد أنجبت كثيراً من العلماء والمبدعين، انظر عنها (معجم البلدان والقبائل اليمنية ١/ ٧٣٣).

[السند إلى الكشف]

للعلامة فخر خوارزم، إمام العربية والبيان والتفسير، جار الله بن محمود بن عمر الزمخشري، ووفاته في المائة السادسة لعلها سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، في دولة الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان %، أرويه بالسند المتقدم إلى السيد العلامة حسين بن أحمد زبارة، عن العلامة عبد العزيز بن محمد الحبشي المفتي، قال: أخبرني به خالي العلامة تاج الدين عبد الوهاب الحبشي، قراءة عليه لجميعه، قال: أخبرني به شيخنا العلامة جمال الدين محمد بن أحمد الرملي، قال: أخبرنا به شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، قال: أخبرنا به العز بن الفرات، عن الحافظ أبي عمر بن محمد الكناي، عن أحمد بن عبد الله بن عساكر، عن زينب بنت عبد الله الشعري عن مؤلفه.

[السند إلى شفاء القاضي عياض بن موسى اليحصبي]

سمعت من والدي -رحمه الله- رضوان الله عليه، بقراءتي عليه، وهو يسمع في شهر رمضان الكريم، لعله في سنة ست وأربعين ومئتين وألف، يرويه بالسند المتقدم إلى السيد حسين بن أحمد زبارة، عن شيخه عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الحبشي -المفتي، قال: أخبرني به والدي -رحمه الله-، سماعاً من لفظه لجميعه بمجلس سماع مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين إسماعيل بن القاسم % منه -رحمه الله- بمدينة تعز، قال: أخبرني به والدي شيخ الإسلام عز الدين عبد العزيز بن تقي الدين -رحمه الله- قراءة عليه مراراً متعددة، قال: أخبرنا به شيخنا الحافظ السيد طاهر بن حسين الأهدل، قال: أخبرنا به المشائخ الأجلاء الأعلام، الفقيه شرف الدين أبو القاسم بن محمد بن الطاهر بن أحمد جفمان، والفقيه الزاهد العالم رضي الدين أبو بكر بن أحمد بن عبد الرحيم المعلم الراشدي، والشيخ الإمام

شيخ الإسلام، مفتي الأنام، وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الكريم ابن زياد، والشيخ الإمام الحافظ الضابط المتقن أبو الضياء عبد الرحمن بن علي الديبع، والفقيه العلامة محقق المذهب أبي العباس أحمد بن الطيب البكري الطنباوي، والفقيه العلامة وجيه الدين عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمر العلوي، والسيد الصالح جمال الدين محمد بن عبد المحسن بن السيد حسين بن عبد الرحمن الأهدل، جزاهم الله أفضل الجزاء وجمع بيننا وبينهم في دار البقاء، بقراءتي على الأولين لجميعه، وسماعي لأكثره على الثالث والرابع، ولبعضه على الخامس، وإجازة ومشافهة منهم، وعن الآخرين لسائره، قال الأولان: أنبأنا به الفقيه الصالح العالم جمال الدين محمد بن الطاهر بن أحمد بن جغمان، قال: أخبرنا به الفقيه الصالح أبو القاسم بن إبراهيم بن جغمان، قال: أخبرنا به الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر بن جغمان، قال: أخبرنا به الفقيه برهان الدين بن إبراهيم بن عبد الله بن جغمان، قال: أخبرنا به الفقيه جمال الدين محمد بن موسى الدالي، قال: أخبرنا به والدي، عن الفقيه الحافظ أحمد بن أبي الخير بن منصور الشماخي السعدي، قال الثالث: أخبرنا به شيخنا الإمام الصالح جمال الدين موسى بن الشيخ سراج الدين عبد اللطيف بن موسى بن أحمد المشرع، قال: أخبرنا به والدي عبد اللطيف، قال: أخبرنا به والدي موسى، قال: أخبرنا به الفقيه العلامة بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل، قال: أخبرنا به الفقيه العلامة ضياء الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر الأزرق، قال: أخبرنا به الفقيه ضياء الدين إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مطهر، قال: أخبرنا به والدي، قال: أخبرنا به أحمد بن أبي الخير، قال: أخبرنا به والدي، قال: أخبرنا به الإمام أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى، قال: أخبرنا به الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الغافقي، وقال الأربعة الآخرون: أخبرنا به عالياً شيخنا العلامة الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، قال: أخبرنا به

الشيخ الإمام الحافظ الخطيب شمس الدين أبو عبد الله الرشيدى، قال: أخبرنا به الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد المعطي بن البيع، قال: أخبرنا الشيخ نجم الدين يوسف بن محمد بن محمد بن أبي الفتوح الدلاصي عن التقي أبي الحسن يحيى بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أبي الحسين يحيى بن محمد بن علي الأنصاري عن ابن الصايغ عن مؤلفه القاضي عياض بن موسى اليحصبي المغربي السبتي المالكي ولد سنة ست وستين وأربعمائة وولي القضاء بمدينة سبته ثم بعركلة ومات بمراكش سنة أربع وأربعين وخمسمائة رحمه الله.

[السند إلى الشمائل للترمذي]

الشمائل لأبي عيسى محمد بن سوره بن موسى الضحاك السلمي الترمذي.

بالإسناد المتقدم إلى السيد حسين ابن أحمد زبارة، قال: أخبرني بها شيخني العلامة أحمد بن عامر الأحصري، قال: أخبرني بها شيخني العلامة محمد بن عبد العزيز بن تقي الدين الحبيشي المفتي - رحمه الله - ، قال: أخبرنا بها والدي، قال: أخبرنا بها اليسد الطاهر، عن الحافظ الديع، قال: أخبرنا بها الحافظ زين الدين الشرجي، قال: أخبرنا بها شيخنا شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري، قال: أخبرنا بها شيخنا الإمام صلاح الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن قدامه المقدسي، قال: أخبرنا بها شيخنا الإمام تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي، قال: أخبرنا بها أبو الشجاع عمر بن محمد بن عبد الله البسطامي عن الشيخ أبي القاسم أحمد بن محمد بن أبي طاهر محمد بن عبد الله الجليلي الزيايدي قراءة، قال: أخبرنا بها أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل الأديب الشاشي، عن المؤلف وقد قدمنا ترجمته عند ذكر سند جامع فليطلب.

[السند إلى بلوغ المرام]

بالإسناد المتقدم إلى السيد حسين بن أحمد زبارة، قال: أخبرني شيخي الإمام العلامة إبراهيم بن عبد الله جفغان، قال: أخبرني الفقيه العلامة مفتي الأنام إبراهيم بن محمد جفغان، قال: أخبرني شيخ الإسلام الطاهر ابن حسين الأهدل، عن الحافظ عبد الرحيم بن علي الديع، قال: أخبرنا به شيخنا الحافظ السخاوي، عن مؤلفه شيخ الإسلام والسنة، بقية الحفاظ.

[ترجمة ابن حجر العسقلاني]

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني له التصانيف الكبيرة في علوم الحديث منها (فتح الباري شرح البخاري) و(تلخيص البدر المنير) تخريج أحاديث الرافعي و(تحاف المهرة بأطراف العشرة) و(تهذيب التهذيب في الرجال) و(المنفعة في رجال الأربعة) و(الكاف الشاف تخريج أحاديث الكشاف) و(شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر) وتصانيفه كثيرة وإنما ذكرت القليل منها وهو خاتمة الحفاظ لم يأت بعده مثله، وكان معاصراً للسيد محمد بن إبراهيم الوزير حافظ اليمن، والإمام المهدي صاحب الأزهار والبحر الزخار، وفاته سنة اثنين وخمسين وثمانمائة بمصر - رحمه الله - ورضي عنه.

[السند إلى بهجة المحافل للعامري]

قرأناها على والدي رضوان الله عليه في شهر رمضان الكريم لعله سنة تسع وأربعين واثنى عشر مائة سنة، وهو يرويها بالإسناد المتقدم إلى السيد حسين بن أحمد زبارة، قال: أخبرنا الحافظ العلامة عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الحبشي المفتي، عن والده العلامة محمد بن عبد العزيز، سماعاً لقراءته وإجازة، قال: أخبرني بها والدي

عبد العزيز بن تقي الدين، قراءة مني عليه مراراً، قال: أخبرنا بها الشيخ الطاهر بن حسين الأهدل، قال: أخبرنا بها الحافظ الديبع، والفقيه العلامة أبو العباس محمد بن الطيب البكري الطنّايدي وجدي السيد الفاضل جمال الدين محمد بن عبد المحسن بن حسين بن عبد الرحمن الأهدل، قال الأول: أخبرنا بها شيخنا العلامة الإمام برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم بن جفمان، وشيخنا الإمام رضي الدين أبو بكر الصديق محمد بن الحكمي الشهير بالوريعي، قال: أخبرنا بها مؤلفها، وهو يحيى بن أبي بكر الحكمي، من المخلاف السليمان، من أهل المائة التاسعة.

[السند إلى عدة الحصن الحصين]

تأليف الشيخ الإمام العلامة أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري - رحمه الله - ورضي عنه.

أرويهما بالإسناد المتقدم إلى السيد العلامة حسين بن أحمد زبارة، قال: أخبرنا بها شيخني القاضي العلامة المحدث إسحاق بن محمد جفمان، قراءة مني عليه، قال: أخبرنا بها مشائخ أجلاء منهم الشيخ العلامة الحافظ أبو عبد الله محمد بن علاء الدين البابلي المصري الضرير رحمه الله، والشيخ العلامة محمد بن علي بن علان، والشيخ العلامة عبد الرحمن الحباري، والشيخ الفاضل العلامة أحمد بن محمد بن عبد النبي المدني، قراءة مني على الأول والثاني في المسجد الحرام المكي تجاه الكعبة المشرفة، وعلى الثالث والرابع في المسجد النبوي في الروضة الشريفة، قال الأول: أخبرني بالكتاب المذكور أبو النجا سالم بن محمد البصري، قال: أخبرني أبو النجم محمد بن أحمد بن علي، قال: أخبرني به شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، قال: أخبرني به شيخ السنة أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قال: أخبرني به مؤلفه.

[السند إلى المستدرك للحاكم النيسابوري]

المستدرك على الصحيحين البخاري ومسلم للحاكم أبي عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع.

أرويه بالإسناد المتقدم إلى السيد العلامة الحسين بن أحمد زبارة، عن شيخه العلامة عبد العزيز، بن محمد بن عبد العزيز عن والده الحافظ محمد، عن والده الحافظ عبد العزيز بن تقي الدين، عن السيد الطاهر، عن الحافظ الديبع، عن شيخه الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، عن أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قال: أخبرني به أبو هريرة، عن القاسم بن مظعن عن أبي الحسن ابن المقير عن أبي الفضل الميهني عن أبي بكر أحمد بن علي بن خلف عن مؤلفه.

[ترجمة شيخ الحفاظ الحاكم النيسابوري]

وهو الحاكم أبو عبد الله الضبي، النيسابوري، الحافظ الكبير، الحجة، الثقة، إليه انتهت رحلة السماع، وحصل على حفظه الإجماع، بعد أهل الصحاح وبرز في علم الحديث على أقرانه، وجلّ في ميدانه وكان يُعَدّ في رجال الشيعة، حتى قال فيه الذهبي في النبلاء: إنه حافظ كبير رافضي! خبيث! من بلاياه إخراج حديث الطير!! وزعمه أنه على شرط الشيخين، تعصباً من الذهبي، وخروجاً عن الإنصاف ولما ملأ كتابه المستدرك من فضائل الوصي صلوات الله عليه ومناقب أهل البيت النبوي ازدادت عداوة أهل النصب له، وقصده الكرامة إلى مجلس إملائه وأرادوا قتله فعصمه الله منهم وازدادت مرتبته، وعلت درجته، وعمل بعلمه وثبت عقيدته، فيألم الويل والثبور، حيث جعلوا ما هو من أعظم المناقب والأجور، من القوادح في الأئمة!!، حفاظ الشريعة، ومالوا عن الإنصاف، وسلوكوا وعَرَ الإعتساف، حسبهم الله وكفى، فيما أضاعوه من حقوق بيت المصطفى÷!!.

[السند إلى صحيح ابن حبان]

صحيح أبي حاتم بن حبان التميمي البستي الشافعي، أرويه بالإسناد المتقدم إلى السيد العلامة الحسين بن أحمد زبارة، عن شيخه عبد العزيز بن محمد المفتي، قال: أخبرني به خالي عبد الوهاب إجازة، قال: أخبرنا به الفقيه العلامة علي بن محمد الوائلي، عن أخيه أحمد بن محمد الوائلي، عن الشيخ الحافظ أحمد بن حجر الهيتمي، قال: أخبرنا به الجلال الأسيوطي، قال: أخبرنا به أبو الفضل بن حصين، قال: أخبرنا به أبو إسحاق التنوخي، عن أبي عبد الله بن أحمد بن أبي الهيجاء الورد، قال: أخبرنا الحافظ أبو علي الحسن بن علي بن محمد البكري، قال -يعني الأسيوطي- وأخبرنا عالياً محمد بن مقبل بن الصلاح بن أبي عمر، عن أبي الفضل بن عساكر قال -أعني ابن البكري وابن عساكر- أخبرنا أبو روح عبد العزيز بن محمد اليردي، قال: أخبرنا تميم ابن سعيد الجرجاني، قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن هارون الدؤلي، قال: أخبرنا به مؤلفه.

[ترجمة ابن حبان]

وهو أبو حاتم محمد بن حبان التميمي، البستي، الشافعي، الثقة، الثبت، الفقيه، الواعظ، القاضي، قال الحاكم^(١): كان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، وإنما نسبوه إلى التساهل لأنه ربما يخرج عن المجهولين، لاسيما ومذهبه إدراج الحسن في الصحيح، وغاية ما وقع فيه أنه أدرج الحسن في كتابه الموضوع للصحيح، وأنه حقق في شروط الصحيح، بأنه خرّج فيه ما كان راويه ثقة غير مدلس، سمع ممن

(١) حاشية في الأصل من هنا ولفظها: توفي ابن حبان سنة ٣٥٤هـ، والكلام المسوق مقول على مستدرك الحاكم وهو في

المنقولة ... الحاكم مبتدأ خبره كان.. الخ فافهم، صح.

فوقه وسمع منه الآخذ عنه كل من شيخه والراوي عنه ثقة ولا يكون هناك إرسال ولا انقطاع إذا لم يكن في الراوي جرح ولا تعديل ولا يأتي بحديث منكر وهو عنده ثقة، ولا اصطلاح له ولا مساحة في الاصطلاح.

[السند إلى سنن الدارقطني رحمه الله]

بالإسناد المتقدم إلى السيد العلامة حسين بن أحمد بن صلاح بن أحمد زبارة، عن شيخه عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الحبشي المفتي الشافعي، قال: أخبرني خالي عبد الوهاب، إجازة، قال: أخبرنا الفقيه العلامة علي بن محمد الوائلي، عن أخيه أحمد، عن شيخ الإسلام العلامة أحمد بن حجر الهيتمي، عن الجلال السيوطي، قال: أخبرنا بها أبو الفرج الغزي، قال: أخبرنا يونس بن إبراهيم الدنوسي، عن أبي الحسن بن المقتر، عن أبي الكرم السهري، عن أبي الحسن بن المهدي بالله، عن المؤلف.

[ترجمة الدارقطني]

والدارقطني هو الإمام الحافظ إمام وقته، صاحب السنن والعلل والانتقاد على الصحيحين، بما أذعن له الحفاظ، وناهيك بها، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلم الحديث، وتميز الطيب من الخبيث، ومعرفة أسماء الرجال ومعرفة أحوال الرواة، مع كونه كان من أهل الصدق والعدالة والأمانة والديانة، ولادته سنة ست وثلاثمائة سنة، وتوفي ببغداد سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، وقبر إلى جنب قبر معروف الكرخي، وعاش تسعاً وسبعين سنة.

[السند إلى معجم الطبراني الكبير]

أرويه بالسند المتقدم إلى السيد حسين بن أحمد زبارة، عن شيخه عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الحبيشي المفتي، قال: قال أخبرني به خالي عبد الوهاب، عن الفقيه علي بن محمد الوائلي، عن أخيه أحمد، عن الحافظ بن حجر الهيثمي، عن الجلال السيوطي، قال: أخبرنا به أبو الفضل بن حصين، وهاجر بنت الشرف محمد المقدسي، قال الأول: أخبرنا به أبو العباس أحمد بن الحسين السويدي، قال: أخبرنا به الحافظان أبو الحجاج المقري وأبو محمد البرزاعي قالا: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن الدرجي عن أبي جعفر الصيملائي، وقال أيضاً: هو وهاجر، أخبرنا أبو الفرج الغزي سماعاً لبعضه وإجازة لسائره، قال: أخبرنا علي بن قريش، قال: أخبرنا أبو الطاهر، قال: أنبأنا به فاطمة بنت سعد الخير قالت: أنبأنا به فاطمة الجوزدانية، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن زيد، قال: أخبرنا به مؤلفه.

[ترجمة الطبراني]

وهذا الطبراني هو الحافظ الكبير المعمر يسمى أحمد بن عبد الله، عاش مائة سنة وعاماً واحداً، ولعل وفاته في اثنين وأربعمئة وهو خاتمة الحفاظ غير مدافع ولا منازع.

[السند إلى المعجم الأوسط للطبراني]

أرويه بالإسناد السابق إلى الصيدلاني، قال: أخبرنا أبو علي الجلال، قال: أخبرنا أبو نعيم عن المؤلف.

[السند إلى المعجم الصغير للطبراني]

أرويه بالسند السابق إلى الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي، قال: أخبرنا به الجلال السيوطي، قال: قرأته كله على شيخنا الإمام تقي الدين الشنهي، قال: أخبرنا الجلال عبد الله بن علي الحنبلي سماعاً، قال: أخبرني جدي لأمي أبو الحزم محمد بن محمد العلافسي، قال: أنبأنا يونس حاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب، قالت: أنبأنا به أم هاني عقيقة بنت أحمد الفارقانية كتابة، قالت: حدثنا فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية، قالت: أخبرنا أبو بكر بن زيد، قال: أخبرنا به الطبراني وذكره.

[السند إلى سيرة ابن هشام]

قرأتها على والدي رضوان الله عليه مراراً عديدة، يرويها بالسند المتقدم عن السيد العلامة حسين بن أحمد زبارة، عن شيخه العلامة عبد العزيز بن محمد الحبيشي، قال: أخبرني بها خالي عبد الوهاب، قال: أخبرني بها العلامة محمد بن أحمد الرملي، قال: أخبرنا بها شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، قال: أخبرنا بها العز بن الفرات، عن العز بن جماعة، عن أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرهوقي، عن عبد القوي، عن عبد العزيز بن عبد الجبار، عن عبد الله بن رفاعة، عن علي بن حسين الخلفي، عن عبد الرحمن بن عمر بن محمد البرجي، عن عبد الله بن جعفر بن الورد، عن عبد الرحيم بن عبد الله البرجي، عن مؤلفها.

[ترجمة ابن هشام]

الحافظ المؤرخ النحوي اللغوي النسابة العالم بأشغال العرب وأنسابها وأيامها أبو محمد عبد الملك بن هشام.

وفاته في دولة المأمون، لعلها سنة عشر ومئتين، وهو يروي مغازي بن إسحاق، عن زياد بن عبد الله البكاي عن محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي إمام في المغازي. فهذا ما أردت نقله ولنقتصر في هذه الإجازة عليه، وقد أجزتها لمولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على الله رب العالمين، أمدّه الله بالنصر والتمكين، يروي عني ما ذكرت، وجميع ما يصح لي روايته، سماعاً وإجازة، على الشروط المقررة، والقواعد المحررة، وما تيسر إلحاقه إن فسح الله في المدة فسألحقه من كتب أهل البيت وغيرها، وقد اقتصرت على طريقة واحدة، مع أن المتصل بنا والله الحمد طرق كثيرة، لو استوفيناها لطال الشرح، واتسع نطاق النقل، ولنا طرق كثيرة.

أمن طرق المؤلف في الرواية

منها طرق والدنا العلامة المجتهد الحافظ محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي - رحمه الله -، عن القاضي العلامة يحيى بن صالح السحولي - رحمه الله - عن الزين بن عبد الخالق المزجاجي، عن السيد يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل الزبيدي وهي في قدر مجلد لو ذكرناها.

ومنها طريق والدنا العلامة القاسم بن محمد الكبسي - رحمه الله -، عن شيخه السيد العلامة مجتهد العصر الأخير محمد بن إسماعيل الأمير - رحمه الله -، عن أبي الحسن السندي، وعن محمد حيوة السندي.

وطريق والدنا قاسم بن محمد - رحمه الله -، عن السيد العلامة هاشم بن يحيى الشامي، عن الحافظ المحدث طه بن عبد الله السادة.

ومنها طريق والدنا العلامة عمدة مشائخنا أحمد بن زيد الكبسي، عن السيد العلامة

الحافظ عبد الله بن محمد الأمير، عن أبي الحسن السندي الصغير، عن محمد حيوة.

ومنها أسانيد القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني المشتمل عليها كتابه المسمى (إلحاق^(١) الأكابر بإسناد الدفاتر) عن شيخه العلامة عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر الكوكباني، عن السيد سليمان بن يحيى الأهدل، عن السيد أحمد بن محمد الأهدل، عن السيد يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل، عن السيد طاهر بن حسين الأهدل، عن الحافظ الديبع، فإني حضرت قراءة مسلم وسنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه عليه، وأجاز جميع الحاضرين جميع ما يجوز له روايته، وكنت ممن حضر فصيح لي رواية جميع ما اشتمل عليه جميع ذلك المجموع.

(١) كذا في الأصل، والمشهور هو «إتحاف الأكابر».

[أربعون حديثاً في فضل العلم]

ونتبرك الآن بسرد الأربعين الحديث في فضل العلم الشريف، التي سبق الوعد بها في الخطبة، تشبهاً بمن جمع أربعين حديثاً وما ورد في فضل ذلك، وإن كان قد جمعها الحافظ المنذري كما تقدم، والتشبه بالكرام فلاح، وفضل الله واسع، وعطاؤه غير ممنوع، فنتبرك بذكرها.

الحديث الأول

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي حديثاً واحداً كان له أجر أحد وسبعين نبياً صديقاً».

الحديث الثاني

عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم حديثين ينفع بهما نفسه ويعلمهما غيره فينتفع بهما كان له خير من عبادة ستين عاماً».

الحديث الثالث

عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد ما يريد إلا ليتعلم خيراً أو يعلمه فله أجر حاج تام الحجة».

الحديث الرابع

عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لقمان قال لابنه يا بني عليك بمجالسة العلماء، واستماع كلام الحكماء، فإن الله يحبي القلب الميت بنور العلم والحكمة، كما يحبي الأرض الميتة بالمطر».

الحديث الخامس

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مثل العلماء في الأرض، كمثل النجوم نهتدي بها في ظلمات البر والبحر، فإذا النجوم انطمست يوشك أن تضل الهداة».

الحديث السادس

عن ابن مسعود^{هـ} قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب باباً من أبواب العلم يعلم الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبياً».

الحديث السابع

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج في طلب العلم حَفَّتْ به الملائكة وصلَّتْ عليه الطير في الهوى والحيتان في الماء ونزل من الله منازل سبعين شهيداً».

الحديث الثامن

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان بينك وبين العلم بحار من نار فحضرها إليه فإن لكل شيء طريقاً وطريق الجنة العلم».

الحديث التاسع

عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يفتح أبواب السماء لدعاء العالم، وباب من العلم يتعلمه المؤمن ويعلمه^(١) خير من عبادة سنة».

الحديث العاشر

عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم مسألة واحدة قلده الله يوم القيامة ألف قلادة من نور، وغفر له ألف ذنب، وبنى له مدينة من ذهب، وكتب له بكل شعرة على جسده حجة وعمرة».

الحديث الحادي عشر

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من مشى في طلب العلم خطوتين، أو جلس في حلقة العلم قدر فواق نواقة وجبت له الجنة».

(١) في الأصل: ولا يعلمه، ولعل الصواب ما أثبتناه والله أعلم.

الحديث الثاني عشر

عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاء أجله وهو يطلب العلم لقيني ولم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة النبوة».

الحديث الثالث عشر

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتى عليَّ يومٌ لم أتعلم فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس».

الحديث الرابع عشر

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله في أرضه يوم القيامة، فلينظر إلى طلبه العلم، وما من طالب يختلف إلى باب عالم إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها عبادة سنة، وبنى له بكل خطوة مدينة، وتستغفر له الأنهار، وتقول الملائكة إن هؤلاء عتقاء الله من النار».

الحديث الخامس عشر

عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب العلم وأدركه كان له كفلان من الأجر وإن لم يدركه كان له كفل من الأجر».

الحديث السادس عشر

عن أبي أمامة الباهلي قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عالم والآخر عابد، فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم».

الحديث السابع عشر

عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سارعوا إلى طلب العلم والحديث من صادق خير من الدنيا وما عليها من ذهب وفضة»^(١).

الحديث الثامن عشر

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجة ودرجة سبعون عاماً».

الحديث التاسع عشر

عن علي بن أبي طالب % قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله خلفاي قيل يا رسول الله ومن خلفاك؟ قال: قوم يأتون من بعدي يروون آثاري وستي ويعلمونها الناس».

(١) هذا الحديث مرسل سقط منه الصحابي لأن الباقر % لم يدرك النبي وهو أحد التابعين.

الحديث العشرون

عن ابن أمانة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الذنوب ذنباً لا تغفرها صلاة ولا صيام ولا حج ولا جهاد إلا العزم في طلب العلم».

الحديث الحادي والعشرون

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار عالماً فكأنها زار بيت المقدس محتسباً وحرّم الله لحمه وجسده على النار، ومن أدرك مجلس عالم فليس عليه في القيامة شدة ولا حساب».

الحديث الثالث والعشرون

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «العالم أشد على إبليس وجنوده من ألف عابد لأن العابد ما يفسد أكثر مما يصلح».

الحديث الرابع والعشرون

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يقول الله لعباده ادخلوا الجنة فإنها كان منفعتكم لأنفسكم ويقول للعالم اشفع تشفع فإنها كان منفعتك للناس».

الحديث الخامس والعشرون

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أذلَّ عالماً بغير حق أذلَّه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق والمرسلين ومن أكرم عالماً أكرمه الله بكرامة الأنبياء».

الحديث السادس والعشرون

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من رفع صوته فوق صوت عالم عاقبه الله في الدنيا والآخرة إلا أن يتوب ويرجع».

الحديث السابع والعشرون

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من كتب حرفاً لرجل مسلم فكأنما تصدق بدينار وأعتق رقبة وكتب الله له بكل حرف حسنة ومحى عنه سيئة».

الحديث الثامن والعشرون

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «نظرة إلى عالم أحب إلى الله من عبادة ستين سنة صيام نهارها، وقيام ليلها، ثم قال: لولا العلماء لهلكت أمتي».

الحديث التاسع والعشرون

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «متعلم كسلان - يعني لا يجتهد في طلب العلم - أفضل عند الله من سبعائة عابد مجتهد».

الحديث الثلاثون

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان همته طلب العلم سمي في السماء نبياً وكتب الله له بكل شعرة في جسده ثواب نبي وكأنها أعتق بكل قدم رقبة وبنى الله له بكل عرق في بدنه مدينة في الجنة ويدخل مع النبيين بغير حساب».

الحديث الحادي والثلاثون

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن مسعود جلوسك ساعة في مجلس العلم لا تمس قلماً ولا تكتب حرفاً خير لك من عتق ألف رقبة، ونظرك إلى وجه العالم خير لك من ألف فرس تصدقت بها في سبيل الله، وسلامك على العالم خير لك من عبادة ألف سنة».

الحديث الثاني والثلاثون

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حمل الرجل كلمة إلى أخيه المسلم من العلم كان خيراً له من سبعين حجة وعمرة وكان خيراً له من عبادة سنة وكتب الله له بكل شعرة على جسده مائة حسنة».

الحديث الثالث والثلاثون

عن حسان بن عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «من خدم عالماً سبعة أيام فقد خدم الله تعالى سبعة آلاف سنة وأعطاه الله كل يوم ثواب مائة شهيد».

الحديث الرابع والثلاثون

عن حسان بن عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يحزن لموت عالم فهو منافق فإنه لا مصيبة أعظم من موت العالم وإذا مات العالم بكى السماوات وبكائهن سبعون عاماً وما من مؤمن يحزن لموت العالم إلا كتب الله له ثواب عالم وألف شهيد ورفع الله له عمل ألف شهيد».

الحديث الخامس والثلاثون

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة أشد على أمتي من موت العالم وإن موت العالم فساد الدين وإن العالم إذا مات ذهب نظر الأرض كما يخرج القنديل من بيت مظلم تعلموا العلم تحشروا مع النبيين».

الحديث السادس والثلاثون

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس المتعلم بين يدي العالم فتح الله له سبعين باباً من الرحمة ولا يقوم من عنده إلا كيوم ولدته أمه وأعطاه الله

بكل حرف عبادة سنة وبنى له بكل حرف مائة مدينة كل مدينة مثل الدنيا عشر-
مرات».

الحديث السابع والثلاثون

عن عبد الله بن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأبى عليه العلم فيكون لله تعالى، ومن طلب العلم لله سبحانه فهو كالصائم نهاره القائم ليله، وإن باباً من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن لو كان له جبل أبي قبيس ذهباً أو فضة في سبيل الله عز وجل».

الحديث الثامن والثلاثون

عن عبد الله بن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء ويقول لهم إني لم أجمع العلم والحكمة في أجوافكم إلا وأنا أريد بكم خيراً يا ملائكتي اشهدوا أني قد قبلت حسناتهم وغفرت ذنوبهم».

الحديث التاسع والثلاثون

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك».

الحديث الأربعون

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعد موتي فيما ينفع الله به كان رفيقي في الجنة، ومن قرأ بعد الصلاة المفروضة أحد عشرة مرة قل هو الله أحد فهو رفيقي في الجنة، ومن جلس ساعة في مذاكرة العلم فهو رفيقي في الجنة».

انتهى ما أردت نقله مما جمعه الحافظ المنذري نقلتها من خط السيد العلامة حسين بن أحمد زبارة، قال: نقلتها من خط الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله، قال: نقلتها من خط القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال رضوان الله عليهم أجمعين من نسخة تعاوننا في كتابتها وقد صح لي روايتها عن السيد الحافظ حسين بن أحمد زبارة، عن شيخه العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، عن الحافظ محمد بن علاء الدين البابلي، عن الحافظ السيوطي، عن الحافظ ابن حجر، عن شيخه الزين العراقي، عن أبي عمر بن الصلاح، عن جامعها من الأمهات السيد الحافظ الكبير المنذري، وقد شملتها إجازة السيد العلامة حسين بن أحمد زبارة.

وهذه قطرة من مطرة، ومجة من لجة في فضل العلم وأهله جعلنا الله من العلماء العاملين ولا أحرمننا فضل مجالسهم فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

نعم: لما أنعم الله عليّ وأنا العبد الفقير له محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن قاسم بن عبد الله بن يحيى بن أحمد بن حسين بن الناصر بن علي بن معتق بن الهيجان بن القاسم بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين الحافظ بن الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن

الحسن بن علي بن أبي طالب سلام الله عليه ورضي عنه ورضي الله عن آبائنا أجمعين، عصمه الله من شر الشيطان، وغفر له ولوالديه، ولمشائخه في الدين، ولإخوانه المسلمين، ولجميع المؤمنين، والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، بأن جعلني من طلبة العلم الشريف، بل ممن يشبههم وتشبه بهم كما قيل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

ولما جمعتني العواطف الإلهية، بالأخلاف الإمامية، والمجالس السلامية، وحصلت مذاكرة تتزين بها الأيام، وتتلا على صفحات مجالس الأعلام، فقرأ سلام الله عليه بمحضري فيما أشرت إليه سابقاً من الحديث والتفسير واستمرت في (إمام بأحاديث الأحكام) الذي جمعه شيخنا العلامة الشهيد محمد بن صالح السماوي^(١) فرجح عندي أهدي ما تلقيته من الأسانيد إليه، والتبرك بروايته لها عني، مع الاعتراف مني بالقصور، وهبوطي عن منازل الدور، وتأخري عن تدفق البحور، وذكرت بعض الطرق التي تلقيتها وفي ذلك غنية، لكون هذه النبذة في حال أشغال، وتخل عن مراجعة الأسفار، ومطالعة الآثار، وإلا فقد تفضل الله وله الحمد بوصول طرق كثيرة اتصلت بنا أسانيدها، وصح لنا روايتها، من جهات عديدة، وطرق مفيدة، فقد أجزت مولانا أمير المؤمنين أيد الله به الدين يروي الذي أرويه سماعاً وإجازة، وجعلتها وسيلة إليه في الدعاء بظهر الغيب، الذي هو من أرغب الرغائب.

(١) محمد بن صالح السواوي الصنعاني ابن حريوة الحافظ المحقق الشهيد أحد نجوم علماء الزيدية، كان عظيم الولاء لآل محمد قوالاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، انتقد المهدي عبد الله ورد على الشوكاني وبعض المنحرفين في عصره، وله قصة طويلة في مقتله، وقد نسب الجنداري إلى الشوكاني والرباعي الوشاية به عند المهدي عبد الله فاستشهد بالحديدة عام ١٢٤١ هـ ومن مؤلفاته (الغظمم الزخار) رد على الشوكاني وغيره، وستأتي ترجمته، انظر أعلام المؤلفين (٩٠٥-٩١١) وغيره.

[طرق الرواية]

وأذكر في هذا المحل نبذة يسيرة في طرق الرواية المعتمدة عن أهل الآثار، ونقله الأخبار، ومن عني بعلم الحديث من العترة الأطهار، أشار إليها السيد العلامة الحافظ الكبير، البدر المنير، محمد بن إبراهيم الوزير^(١) -رحمه الله- في (تنقيح الأنظار) مع النظر إلى قول معلم الشرائع ÷ «إنكم تسمعون ويسمع منكم ورب حامل علم إلى من هو أعلم منه» وفي رواية «فقهه إلى من هو أفقه منه».

الإجازة

وقد ثبت أن من طرقها الإجازة فهي واجبة على التخيير بينها وبين سائر الطرق ولهذا أوجبها بعض حذاق العلماء رضوان الله عليهم، قال القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال^(٢) -رحمه الله- في إجازته للإمام المؤيد بالله^(٣) محمد بن المتوكل على الله إسماعيل سلام الله عليهما: ولقد حكى أبو الفتح بن جني^(٤) فيما رواه عنه

(١) محمد بن إبراهيم الوزير: ولد سنة ٧٧٥ هـ عالم شهير ولغوي أديب نحوي، تنقل في البلدان لأخذ العلم فتتلمذ على كبار علماء عصره حتى بلغ الاجتهاد، وخرج في بعض اجتهاداته عن مذهب أهل البيت "وعليه ردود من كثير من علماء الزيدية، وقد رويت توبته ورجوعه، توفي بالطاعون سنة ٨٤٠ هـ، وقبر بصنعاء، من مؤلفاته (ترجيح أساليب القرآن، والعواصم والقواصم) وغيرها، انظر أعلام المؤلفين (٨٢٥-٨٢٩) وغيره.

(٢) أحمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال، علامة كبير فقيه مؤرخ، ولد بجهة الأهنوم سنة ١٠٢٩ هـ وأخذ عن علماء عصره واهتم بكتابة التاريخ، وكان محباً لأهل البيت، تولى للإمام المتوكل على الله إسماعيل خطابة الجامع الكبير بصنعاء، توفي سنة ١٠٩٢ هـ.

(٣) هو الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد % أحد أئمة الزيدية الأخيار، ولد سنة ١٠٤٤ هـ، قام بالإمامة العظمى سنة ١٠٩٢ هـ وكان عابداً زاهداً، توفي سنة ١٠٩٧ هـ.

(٤) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي صاحب التصانيف الفائقة في النحو واللغة، سكن بغداد ومات سنة ٣٩٢ هـ.

الجلال الأسيوطي في إتقانه أن ذلك ثابت بالإجماع.

قال الأسيوطي: ادعى ابن جني الإجماع على أنه ليس لأحد أن ينقل حديثاً عن رسول الله ﷺ ما لم تكن رواية ولو بالإجازة.

قال مولانا حجة الله البالغة، المنصور بالله القاسم^(١) بن محمد بن رسول الله % ، في إجازته لولده الإمام المؤيد^(٢) بالله سلام الله عليهما: واعلموا طيب الله حياتكم، وحرس مهجكم، ودفع عنكم كيد الأعداء، أن الإجازة طريق عبّرها واعتمد عليها علماء الإسلام، فائمة الزيدية مذهبهم في ذلك معلوم، وظاهر غير مكتوم، وغيرهم من علماء سائر الفرق اعتمد على الإجازة، ولم يعتمد على قول من أنكرها، لأنها كالوكالة جائزة في شريعة رسول الله ﷺ لأنه لا فرق عند أولي الألباب بين قولك تصرف ما في مالي وأعد فلاناً كذا، وبين قولك أروني هذا الكتاب أو هذه الكتب، وقول بعضهم: الرواية خبر عما مضى، والوكالة إنشاء يتعلق لتصحيح الأحكام، وأن الوكيل يصح عزله بخلاف المجاز له.

أما الأول: فجوابه وبالله التوفيق أن الإنشاء في تبليغ الشرائع لا يبطلها قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاكَمُ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقال النبي ﷺ: «ليبلغ الشاهد الغائب» والمجيز قد صح له، فقال أخبروا عني بما صح لي في الكتب المعروفة فكل ذلك من كتاب الله وسنة رسوله، والإجازة إنشاء يصح به الشرائع.

(١) الإمام الأعظم القاسم بن محمد بن علي أحد عظماء الإسلام والأئمة الأعلام، ولد سنة ٩٦٧ هـ ونشأ على العلم وترعرع في بيئة علمية حتى فاق الأقران، ودعا إلى الله سنة ١٠٠٦ هـ وجدد منهج الدعوة وأحيا معالم الدين، وجاهد وصبر، وذكره أشهر وفضله أكبر، وخلف ثروة علمية عظيمة للأمة الإسلامية منها الاعتصام، والأساس، لعقائد الأكياس، والإرشاد إلى سبيل الرشاد، وغيرها، توفي رحمه الله سنة ١٠٢٩ هـ وقبر بمدينة شهارة. انظر أعلام المؤلفين (٧٧٧-٧٧٨) وغيره.

(٢) الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم بن محمد % ، ولد سنة ٩٩٠ هـ وكان إماماً زاهداً، عابداً، مجاهداً، مجتهداً، دعا إلى الله سنة ١٠٢٩ هـ وبعد وفاة أبيه وكانت عاصمته شهارة، وأخرج الأثر الك من اليمن، وتوفي سنة ١٠٥٤ هـ.

وأما الثاني: فإنه يصح أن يقول القائل لا تروني ما سمعت مني، فيكون محجوراً أو معزولاً، فهذه مشتركة الإلزام، فإن كان العزل قادحاً علينا فقد قدح عليه مثله، وأيضاً فإن الإجازة متضمنة للخبر الجملي، والخبر الجملي شائع في الناس بل قد ورد المجمل في كتاب الله وبيّنه الله سبحانه في كتابه وعلى لسان نبيه وهو الحجة الذي يجب عليك أيها المكلف أن تعتمد ما صح لك من الشريعة، وعرفته ولم تنكره بعقلك، سواء كان عن سماع أو إجازة أو مناوله أو وجادة، لأن الله تعالى قد أمرنا أن نأخذ ما آتانا الرسول، ومجرد الإعتبارات في إبطال حجج الله سبحانه لا نعتمدها ولا نرجع عليها. انتهى كلام الإمام القاسم %.

[طرق الرواية للحديث والمسائل والكتب]

وأنت خبير بطرق الرواية للحديث والمسائل والكتب على ما ذكره العلماء في مصنفاتهم أربع:

الأولى: قراءة الشيخ والتلميذ يسمع، وهي أقواها في الأصح، وعليه الجمهور، ونقل عن أبي حنيفة وابن أبي ذؤيب وغيرهما ترجيح قراءة التلميذ والشيخ يسمع، وروي ذلك عن مالك أيضاً، وعنه وعن غيره أنها سواء، والوجه في ترجيح السماع من الشيخ أنه ربما يذهل الشيخ كثير مما يعرض عليه بخلاف ما يمليه ويحدث به.

الثانية: قراءة التلميذ والشيخ يسمع، وأكثر المحدثين يسمي هذا عرضاً، لأن القارئ يعرض على الشيخ ما يقرأه، وللقارئ أن يروي بهذه عند أكثر المحدثين والفقهاء، فيقول حدثنا قراءة وأخبرنا قراءة عليه، وأجود العبارات وأسلمها أن يقول: قرأت على فلان، وفي الإطلاق من غير تقييد بلفظ قراءة خلاف بين العلماء، فمنهم من منعه، ومنهم من أجازته، وهو المقرر في مواضعه، ومثلها قراءة غيره على الشيخ بمحضه.

الثالثة: كتابة الشيخ إليه سواء كان حاضراً أو غائباً، وهي إما أن تقترن بإجازة أولاً؟ إن لم تقترن، فالصحيح المشهور بين أهل الحديث والذي عليه أكثر الأصوليين أنها أقوى من الإجازة، وذهب آخرون منهم القاضي الماوردي^(١) الشافعي إلى أن الإجازة أقوى منها، وإن اقترنت بالإجازة فأهل المذهب الثاني ينزلونها منزلة المناولة المقرونة بالإجازة فيقول المكتوب إليه في عبارته: أخبرني أو حدثني أو أخبرنا أو حدثنا من غير تقييد، وهذا رأي الأكثر من علماء المحدثين وأكابرهم.

وقال ابن الصلاح:^(٢) المختار كتب إليّ فلان أو أخبرني بكذا حكاية أو كتابة أو نحو ذلك، قال: وهذا هو اللائق بمذهب أهل التحري في النزاهة.

الرابعة: إجازة الشيخ والذي عليه جماهير أهل العلم من المحدثين وغيرهم القول بأنها طريق يجوز الرواية بها، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف^(٣) وأحد الروائين عن الشافعي المنع.

المناولة

ومن أنواع المناولة الإجازة على الأصح لأن من شروطها أن تقترن بها الإجازة على الصحيح، وصورتها أن يدفع إليه أصل سماعه، أو فرعاً مقابلاً له ويقول هذا سماعي أو روايتي عن فلان أجزت لك رواياته، أو يجيء الطالب إلى الشيخ بكتاب من حديثه،

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ولد سنة ٣٧٤هـ شيخ الشافعية، عالم شهير، وله تصانيف عديدة منها (الإقناع) وغيره، توفي سنة ٤٥٠هـ.

(٢) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري الشافعي المعروف بابن الصلاح، ولد سنة ٥٧٧هـ كان عالماً، فاضلاً، متقناً خصوصاً علم الحديث، سكن الموصل، ثم خراسان، ثم دمشق، من مؤلفاته (مقدمته المشهورة) توفي سنة ٦٤٣هـ.

(٣) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي، ولد سنة ١١٣هـ، روى عن أبي حنيفة ولازمه وتفقه به وهو أنبل تلامذته، توفي سنة ١٨٢هـ.

فيعرض عليه فيتأمله الشيخ ثم يعيده ويقول أجزت لك روايته عني، أو اروه عني، ويسمى هذا عرض المناولة، فإذا قلنا: إن المناولة نوع من الإجازة فهذا أقوى أنواعها على الإطلاق، ولهذا أحلها الإمام مالك، وغيره من أئمة الحديث محل السماع.

وقال بعض الناس: إنها مرتبة من مراتب الرواية برأسها، وإنما تجوز الرواية بها سواء اقترنت بالإجازة أو لا، وذلك أنها لا تخلو عن إشعار بالإذن بالرواية، فيقول الراوي بطريق المناولة والإجازة على الصحيح، والذي عليه أهل التحري والورع حدثني أو أخبرني مقيداً بقوله مناولة أو إجازة، وأجازني أو أجازني أو ناولني وما أشبه ذلك.

وقال بعض المحدثين منهم مالك والزهري: ^(١) يجوز إطلاق حدثنا وأخبرنا في الرواية بالإجازة، ويجوز أن يقول في الرواية بالإجازة، أنبأني باتفاق بين المحدثين المتأخرين، وأما المتقدمون فكان أنبأنا عندهم بمثابة أخبرنا، والإجازة تجوز للموجودين وهي على أنواع:

[أنواع الإجازة]

أولها: الإجازة لمعين في معين نحو أن يقول: أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني، أو ما اشتملت عليه فهرستي هذه، وزعم بعضهم أنه لا خلاف في جواز الرواية بهذا النوع، وإنما الخلاف في غيره، والظاهر أن الخلاف في الإجازة على الإطلاق.

وثانيها: الإجازة لمعين في غير معين نحو أن يقول: أجزت لك جميع مسموعاتي أو مروياتي، والخلاف في هذا النوع أقوى وأكثر، والجمهور على جواز الرواية بها وإيجاب العمل.

(١) محمد بن مسلم الزهري، كان شرطياً لبني أمية يحب اللهو والطرب، قال الإمام القاسم %: وجميع أهل البيت يجرحونه. اهـ. اشتهر بالتدليس، توفي سنة ١٢٣ هـ.

وثالثها: إجازة العموم كأجزت للمسلمين أو لكل أحد أو لكل من أدرك زمانه، والخلاف في هذا النوع أقوى مما قبله، وكثير من العلماء يميلون إلى جواز إجازة العموم، وقد أجاز الجلال السيوطي لكل من أدرك زمانه، وروى عنه ابن حجر الهيتمي المكي بهذه الإجازة كما في مسانيدِه فإنه ذكر أنه أدرك ثلاث سنين من حياة السيوطي.

ورابعها: إجازة المعدوم كأجزت لنسل فلان، أو لمن يوجد من بني فلان، فالأصح من القولين أنها لا تصح، لأن الإجازة في حكم الإخبار بالمجاز جملة على ما قدمنا ثمة، فلا تصح للمعدوم كما لا يصح إخباره، وذهب بعض المحدثين والأصوليين إلى جوازها بناءً على أن الإجازة إذن لا محادثة، [ويلزم عليه جوازها لمن يوجد مطلقاً ولا قائل له]^(١) ويلزم عليه جوازها لمن يوجد مطلقاً ولا قائل به، ومنهم أجاز الإجازة للمعدوم عطفاً على الموجود كأجزت لك، ولولئك أو لعقبك ما تناسلوا.

ومن الناس من يذهب إلى جواز الإجازة للطفل الصغير من غير اعتبار سن التحمل وهو مبني على أنها إذن.

هذا ما نقله مولانا العلامة المحقق الحسين بن القاسم x في (شرح غاية السؤل) وهو مبسوط في مواطنه.

[الوجادة]

وأما الوجادة: وهي عبارة عما أخذ من العلم صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة فالمحكي عن الشافعي جواز العمل بها، وقالت بذلك طائفة من نظار أصحابه، وهو الذي نصره الجويني، واختاره غيره من أرباب التحقيق.

(١) ما بين المعكوفين مكرر هنا كما هو في الأصل.

قال ابن الصلاح: قطع بعض المحققين من أصحابه في أصول الفقه بوجوب العمل بها عند حصول الثقة به، وهو الذي لا يتجه غيره في الأعصار المتأخرة، وقال النووي: هذا هو الصحيح.

قال السيد الإمام الحافظ الحجة محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله: وهو الذي اختاره أئمة أهل البيت ٥٪، منهم الإمام المنصور بالله ^(١)، وادّعى إجماع الصحابة على ذلك، ذكره في (صفوة الاختيار) في أصول الفقه، ومنهم الإمام يحيى ^(٢) بن حمزة رحمه الله، ذكره في كتابه (المعيار) ولكنه اختار جواز العمل دون الرواية، ومنهم الإمام أحمد ^(٣) بن سليمان - رحمه الله - حكاه عنه الإمام محمد ^(٤) بن المطهر في (عقود العقيان) واختاره لنفسه، وحكاه عن أبيه المطهر ^(٥) بن يحيى رحمه الله، ذكر ذلك كله في (عقود

(١) الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان الحسني اليمني، إمام، مجتهد، مجاهد، مجدد أحد عظماء الإسلام، وأئمة آل الكرام، ولد سنة ٥٦١ هـ وعاش في أسرة علمية عريقة وهو أشهر من أن يذكر، أخذ العلوم عن علماء عصره، وكان شاعراً، أديباً، بليغاً، فصيحاً، دعا إلى الله بالإمامة سنة ٥٨٣ هـ وجاهد الظالمين في عصره كأشمال طغتكين، وبني حاتم، وبفضل جهاده ٥٪ أباد المطرفية، ومن مؤلفاته: الشافي، وله مجموع كتب ورسائل وصفوة الاختيار في الأصول، والرسالة الناصحة وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٦١٤ هـ، وقبره في ظفار مشهور مزور.

(٢) هو الإمام الأعظم المؤيد برب العزة يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسني من منن الله على أرض اليمن، وانتفع بعلومه الأئمة وملئت كتبه المكاتب وأخباره شاهرة ظاهرة، قام بأمر الله بعد وفاة الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهر سنة ٧٢٩ هـ وهو والده المظلل بالغمام من مشائخ الإمام يحيى وتوفي رحمه الله سنة ٧٤٩ هـ عن (٨٢) عاماً، ومشهده بمدينة دمار مشهور مزور، ومن مؤلفاته (الانتصار، والشامل، والحاوي، وتصفية القلوب) وغيرها.

(٣) الإمام الأعظم أحمد بن سليمان بن محمد الحسني اليمني، أحد عظماء الإسلام، ورواد الفكر الإسلامي، وأحد الأئمة الأعلام، ولد سنة ٥٠٠ هـ، قيل أنه ولد بمدينة حوث والله أعلم، قام ودعى إلى الله سنة ٥٣٢ هـ فأقام شريعة سيد المرسلين وانتصب بفضل عمود الدين، ومناقبه وأخباره كثيرة، وهو أشهر من أن يذكر، توفي سلام الله عليه سنة ٥٦٦ هـ وقبره بحيدان مشهور مزور، ومن مؤلفاته أصول الأحكام، وحقائق المعرفة، وغيرها، انظر أعلام المؤلفين الزيدية (١١٤-١١٦) وغيره.

(٤) الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهر بن يحيى، إمام مجاهد مجتهد، أحد عظماء الزيدية وأحد أئمة آل الكرام، ولد سنة ٦٦٠ هـ، أخذ العلم عن والده الإمام المطهر بن يحيى، وعن علماء عصره، دعا إلى الله وتلقب بالمهدي لدين الله، وجاهد المؤيد الرسولي، وتوفي سنة ٧٢٨ هـ، ومن مؤلفاته: عقود العقيان في الناسخ والمنسوخ، والمنهاج الجلي في فقه الإمام زيد بن علي، وغيرها، انظر أعلام المؤلفين (٩٩٧-١٠٠٠) وغيره.

(٥) والدنا الإمام المطهر بن يحيى المتوكل على الله المظلل بالغمام، الصوام، القوام، أحد نجوم أئمة آل، ورواد الفكر الإسلامي، أكرمه الله بكرامات عديدة، ولد ٥٪ سنة ٦١٤ هـ، ودعا إلى الله وقام بأمر الدين في عام ٦٧٤ هـ، وجاهد =

العقيان) في شرح قوله:

روينا سماعاً عن عليم محقق أبي القاسم الخبر المفسر بالفصل

يعني هبة الله بن سلامة بن نصر صاحب كتاب (الناسخ والمنسوخ) الذي نظمه الإمام المهدي محمد بن المطهر، وشرحه وسماه (عقود العقيان في الناسخ والمنسوخ من القرآن) وذكر الخلاف في ذلك الحاكم أبو سعيد في (شرح العيون) واحتج على المخالف بما يقضي أنه إجماع الصحابة والتابعين، وكذلك الشيخ أبو الحسين البصري، ذكر ذلك في (المعتمد) واختاره الفقيه عبد الله بن زيد^(١) في كتاب (الدرر المنظومة) واحتج له بمثل ذلك وهو قول طائفة من العلماء.

قال مولانا رحمه الله: وقد احتجوا لذلك بحجج ثلاث منها: أن ذلك يفيد الظن وهو العلة الموجبة لقبول أخبار الآحاد.

ومنها: إجماع الصحابة كما رواه المنصور بالله، والمهدي محمد بن المطهر، وعبد الله بن زيد، والحاكم، وأبو الحسين، والرازي، والحافضان إسماعيل بن كثير الشافعي، ويعقوب بن سفيان.

ومنها: كتاب عمرو بن حزم الذي أمر النبي ﷺ أن يكتب له فيه أنصبه الزكاة ومقادير الديات، ورجع إليه الصحابة، وتركوا آراءهم له، وقد صح عن ابن المسيب أن عمر بن الخطاب رجع إليه في دية الأصابع، حكاه ابن كثير، قال: وقد روى هذا الحديث مسنداً ومرسلاً، أما المسند فرواه جماعة من الحفاظ وأئمة الأثر، النسائي في

واجتهد وهو أشهر من أن يذكر، توفي رحمه الله سنة ٦٩٧ هـ بحصن دروان حجة، وقبره هناك مشهور مزور، ومن مؤلفاته: الرسالة المزلزلة لأعضاء المعتزلة، ودرة الغواص في أحكام الخلاص، أنظر أعلام المؤلفين (١٠٤٢).

(١) عبد الله بن زيد بن أحمد العنسي الزبيدي، فقيه مجتهد، أصولي، عاصر الإمام أحمد بن الحسين وناصره، سكن خولان وكان من كبار علماء القرن السابع الهجري، توفي سنة ٦٦٧ هـ، ومن مؤلفاته: الإرشاد إلى نجاة العباد، والاستبصار وغيرها، أنظر أعلام المؤلفين (٥٨٩-٥٩١).

سنة، والإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في كتاب المراسيل، وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وأبو يعلى الموصلي، ويعقوب بن سفيان في مسانيدهم، ورواه الحسن بن سفيان العسوي، وعثمان بن سعيد الدارمي، وعبد الله بن عبد العزيز البغوي، وأبو زرعة الدمشقي، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، وحامد بن محمد بن سعيد البلخي، والحافظ الطبراني، وأبو حاتم بن حبان البستي في صحيحة، وقال البيهقي: هو حديث موصول الأسانيد حسن.

وأما المرسل فقد روي من وجوه ذكرها ابن كثير، وذكر خلافاً في صحة إسناده، وطول الكلام فيه، ثم قال: وعلى كل تقدير فهذا الكتاب متداول بين أئمة الإسلام قديماً وحديثاً، يعتمدون عليه، ويفزعون في مهمات هذا الباب إليه، كما قال يعقوب بن سفيان: لا أعلم في جميع الكتب كتاباً أصح من كتاب عمرو بن حزم كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون يرجعون إليه، ويدعون آراءهم.

وقال بعض العلماء في حديث الوصية: وهو قوله ﷺ: «إلا ووصيته مكتوبة عنده» وهذا يدل على العمل بالخط، لأنه لم يذكر أمراً زائداً على ذلك، فلولا أنه كافٍ لما كان للكتابة فائدة والله أعلم.

ومن الحجج النيرة على العمل بالوجادة ما رواه في (أمالي السمان) بإسناده عن عمر بن الخطاب قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالساً فقال رسول الله ﷺ: «انبئوني بأفضل أهل الإيمان إيماناً قالوا: هم الملائكة قال: هم كذلك ويحق ذلك لهم وما يمنعهم وقد أنزلهم الله منه بالمنزلة التي أنزلهم، بل غيرهم قالوا: يا رسول الله فالأنبياء الذين أكرمهم الله بالرسالة والنبوة قال: هم كذلك ويحق لهم ذلك وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالنبوة والرسالة، بل غيرهم، قالوا: يا رسول الله فالشهداء الذين أكرمهم الله بالشهادة مع الأنبياء قال: وما يمنعهم من ذلك وقد أكرمهم الله بالشهادة على غيرهم، بل غيرهم، قالوا: قل لنا يا رسول الله من هم؟ قال: قوم يأتون من بعدي في أصلاب الرجال،

يؤمنون بي ولا يروني، ويجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهو لاء أفضل أهل الإيوان إيماناً». انتهى.

وقد ذكر الإمام المهدي^(١) في (المنهاج شرح المعيار) ما معناه أنه يجوز الأخذ بما صنفه العالم، وإن لم تحصل تلك الطرق، لأنه لا يعمل ذلك الكتاب ويصنفه إلا وقد اراد الأخذ بما فيه والعمل به، إذ لا مراد له سوى ذلك، ولكن إنما تجوز ذلك في النقليات بشرط أن يكون المطلع من أهل البصيرة ليعرف التحريف، ويأمن الخروج عن مقصد المصنف، وأن لا يجوز أن يكون ذلك الكتاب قد ضبطت ألفاظه على غير تلك الصفة، حتى لا يتردد في المراد، وأما العمليات فإنه إنما يعمل بذلك الكتاب حيث طابق ما فيه، ما وقر في نظره فحيث يكون عملاً بعلمه لأنه لو لم يوافق لم يعمل به إذ لا يجوز التقليد. انتهى.

هذا ما قصدت الإشارة إليه، والفائدة فيه، وهو مبسوط في مواضعه من الكتب الموضوعية في علم الأثر والأصول، كون ذلك يتعلق بما نحن فيه من الإجازة.

(١) الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى الحسني الزيدي، إمام كبير، ومجتهد خطير، أحد عظماء الزيدية، أشرى المكتبات الإسلامية بمؤلفاته الشهيرة التي هي عمدة المذهب الزيدي، ولد سنة ٧٧٥هـ، نشأ وترعرع على العلم في أسرة كريمة علمية، وأخذ عن مشاهير علماء عصره حتى فاق أقرانه، وكان فريد زمانه، دعا إلى الله بالإمامة العظماء سنة ٧٩٣هـ، مع أنه كان شاعراً أديباً، وتوفي % بالطاعون سنة ٨٤٠هـ، وقبر بظفير حجة، ومن مؤلفاته: الأزهار، والغيث المدرار، والبحر الزخار وغيرها، انظر أعلام المؤلفين (٢٠٦-٢٠٨).

[مشائخ المؤلف ومشائخ والده]

[إسماعيل بن محمد الكبسي (والد المؤلف)]

هذا ومشائخي الذين التقطت من درر فوائدهم، وكرعت من نمير علومهم، أولهم وأعظمهم عليّ منه هو والدي وبركتي العلامة الفذ المبرز، المحقق الفهامة، المدقق، الأديب، المصقع، الناظم المبدع، والناثر للؤلؤ المتهافت من ألفاظه التي يدعن لها عبد الحميد، ويضل صاحب الكافي بحضرتها تعديد، ويتعلم منها الفاضل عبد الرحيم، ويجد ولود قريحته عند نتائجها عقيم^(١)، خريت العلوم، وفارس منطوقها والمفهوم، الجهد الكبير الحافظ النحرير ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي الحمزي روح الله روحه، وأحسن في قصور الجنان فتوحه، فإني قرأت عليه في إبان الطلب، وريعان الشباب، وغصن الشباب رطيب، وبرده قشيب، وأنا حينئذ أتقلب في برود إنعامه، وأتزه في رياض إكرامه، وهو بي أبر من الأم الألو، وألطف من الوالد العطوف، فكرعت في نمير علومه، وارتويت من صافي أدبه، وقرأت عليه أولاً (شرح ملحّة الإعراب)، البحرق، ثم في (شرح الكافل) للسيد العلامة المجاهد شمس الدين أحمد بن محمد لقمان - رحمه الله - حتى كمل ذلك الشرف، ثم في (سنن أبي داود) ثم في (سيرة ابن هشام) أشرفاً عديدة تكررت، ثم في (بهجة المحافل) للعامري، ثم في (شفاء القاضي عياض بن موسى اليحصبي) ثم في (أمالى أبي طالب) وأجازني إجازة عامة هي معتمدي فيما ذكرت من الأسانيد في هذه الإجازة.

(١) كذا في الأصل، والصواب عقيباً.

[محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي (جد المؤلف)]

وهو رضوان الله عليه، أخذ عن والده العلامة البدر المجتهد الأكبر الحافظ البحر البر المجدد، المحيط بجميع العلوم، الذي أجمع على فضله علماء وقته، وصدور دسسته، وأقروا أنه العلم المفرد، والصدر الأوحده، محمد بن يحيى بن أحمد، رضوان الله عليه ورحمته وتحياته ومرضاته فإنه انفرد في زمانه بمعرفة علم الحديث، ورجاله وعدله ومصطلحه وأقر له الأقران، وردّ على الحفاظ الكثيرين، وانتقد عليهم في كثير مما أغفلوه، حتى رجع إليه علماء عصره، مع توفرهم في ذلك العصر- وكثرتهم، فكان مرجعهم الذين يعولون عليه، ويرجعون فيما أشكل إليه، وكان في الفقه والتفسير والأصولين والمنطق والنحو والتصريف وعلم المعاني والبيان والتاريخ والأدب المحقق، الذي لا يسبق، والفارس الذي لا يلحق، ومع ذلك فهو في علوم أهل البيت ابن نجدتها، وسابق حلبتها، ثبت على عقائدهم المرضية، ومذاهبهم العادلة، وله الأشعار الرائقة، والمنظومات الفائقة، الإخوانية والعلمية، منها ما كتبه على شرح مجموع زيد بن علي سلام الله عليه، للقاضي العلامة الحافظ حسين بن أحمد السياغي الحيمي - رحمه الله - فقال رحمه الله: [من الكامل]

يا أيها الشرح الذي في ضمنه شرح الصدور ونزهة الأفكار
فلما اشتملت عليه من هدي النبي وما تضمنه من الأسرار
تفديك من سود العيون ضياؤها^(١) ويقيك من سوء العيون الباري
فلقد حوت إفادة ونقادة لتصاويل العلماء في المضمار
وإجادة التحقيق وهويين في ذات الرجال تفاوت المقدار^(٢)

(١) في الأصل: (عيونها)، ووجدته في نيل الوطر (ضياؤها) ولعله الصواب، والله أعلم.

(٢) في نيل الوطر (الأقدار) وفيه أيضاً بعد هذا البيت بيت سقط في الأصل وهو:

وتجري الإنصاف وهو ملاك هـ هذا الشأن في الإمعان للأنظار

ما أحسن النظر البليغ لمنصفٍ في مقتضى - الإيراد والإصدار
وتكشف الشبهات بالحجج الصحاح - ساح تكشف الظلماء بالأنوار
هذا وخير الهدي هدي محمد فمن النجاة تتبع الآثار

وترجمته تحتل مجلداً فهو آية في زمانه، وعندني ترجمته في كراريس رقمتها لنفسه ولمشائخه، وقد ترجمه من علماء عصره - الجم الغفير، منهم العلامة الشوكاني^(١) في تاريخه، والعلامة لطف الله بن أحمد جحاف^(٢) في تاريخه، المسمى (درر البحور) والعلامة إبراهيم بن عبد الله الحوئي^(٣) في تاريخه المسمى (نفحة العنبر في رجال القرن الثاني عشر) وترجم له السيد العلامة حسين بن أحمد حيدرة^(٤) في كتابه المسمى (مطالع الأقيار في تراجم علماء دمار) ومما ذكر المترجم له - رحمه الله - لو كان ملائكة يمشون على الأرض هوناً لكان محمد بن يحيى بن أحمد منهم، وهو فوق ما يوصف، وأجل مما قرص به في صفحات الدفاتر.

وفاته رضوان الله عليه في شهر^(٥) ربيع الأول سنة تسع عشرة ومئتين وألف، ومولده سنة أربع وخمسين ومائة وألف كما قال والدي رضوان الله عليه في بعض

(١) القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني: من مواليد سنة ١١٧٣ هـ قرأ على والده وبعض علماء عصره، وتولى لبعض الولاة في عصره، ومدحهم في مؤلفاته وأطنب رغم شهرة ظلمهم، وربما تُسبب إلى الزيدية جغرافياً، وفلسفياً، وإسناداً، وقد ذكر الجنداري في (سمط الجنان) أنه تجنّى على شيخ الشيعة العلامة محمد بن صالح السائوي، وسيأتي للمؤلف ما يؤيد ذلك إن شاء الله، والكلام يطول، توفي سنة ١٢٥٠ هـ وقبر بصنعاء.

(٢) لطف الله بن أحمد جحاف: ولد سنة ١١٨٩ هـ وأخذ عن علماء عصره حتى صار عالماً فاضلاً، شاعراً، مجيداً، وتوفي سنة ١٢٢٣ هـ.

(٣) السيد إبراهيم بن عبد الله بن إسماعيل الحوئي الحسني: عالم، فاضل، مؤرخ، ولد سنة ١١٨٧ هـ بصنعاء وأخذ عن علماء عصره، وترجمه الكثير، وتوفي سنة ١٢٢٣ هـ، انظر عنه روائع البحوث ونيل الوطر وغيرها.

(٤) السيد العلامة حسن بن حسين حيدرة: ولد بمدينة دمار سنة ١١٧٠ هـ وتوفي سنة ١٢٢١ هـ، وكان عالماً، عارفاً، فاضلاً، مؤرخاً كبيراً، وشاعراً أديباً.

انظر أعلام المؤلفين الزيدية، ونيل الوطر، وغيرها.

(٥) يوم الخميس ربيع الأول سنة ١٢١٩ هـ، ومولده هجرة الكيس من خولان كما ذكره زبارة في نيل الوطر (٢/ ٣٣٥).

مرأثيه: [من الطويل]

ألا إن عز الدين نجل ابن أحمد
 تقضت ليليه بشهر ربيع
 ونادى منادى الموت بعد انقضائها
 فكان لأمر الله خير سميع
 وبعد انقضا ستين عاماً وأربع
 من العيش قد وافا جوار منيع
 وقيلت فيه مرث كثيرة من علماء عصره، وأدباء وقته، وليس هذا موضع ذكرها،
 فإنما قصدنا الإشارة.

[الحسن بن يحيى بن أحمد الكبسي]

وقرأ والدي رضوان الله عليه على عمه العلامة المجتهد الأكبر، والعلم الأطول
 الأنور، شيخ الشيوخ وأستاذ أهل الرسوخ، والمحدث الإمام، الحافظ الجهبذ المصنف
 أعلم أهل زمانه، ومرجع أهل أوانه، صاحب التصانيف والأنظار، التي ملأت
 الأسفار، الحسن بن يحيى بن أحمد الكبسي - الحمزي - رحمه الله - ولا نشتغل ببسط
 ترجمته فهو أشهر من نار على علم، ولا يجله إلا من عرض وساده، ولا يخفى إلا على
 أكمله، لا يعرف القمر، وقد ترجمه كل من أرّخ في زمنه، وعلومه ومقروآته ومصنفاته
 متداولة في كل صقع، حتى في البلاد القصية، مثل زبيد وأرض الحرمين وغيرها، وقد
 أجاز والدي إجازة عامة بأبيات قال فيها شعراً: [من السريع]

الحمد لله العلي الجليل

ذي الفضل والإفضال منه الجزيل

المنعم الباعث فينا هدى
 نبينا الهادي لقصد السيل
 فجاءنا بالنور والسنة الـ
 — يضاء والهدى القويم الجميل
 صلى عليه الله مع آله
 وصحبه القافين نهج الدليل
 وبعد فالولد الضياء ومن
 صار له في العلم باع طويل^(١)
 وذاك إسماعيل ابن النبي
 له علينا كل من جليل
 محمد صنوي إمام الهدى
 شيخي وأستاذي الحبيب الأصيل
 قد سألتني بل شاء من خطة
 عظيمة الشأن بحمل الثقل
 أجزه يروي العلوم التي
 رويتها عن كل حبر نبيل
 وهولها أهل فقد أحرز السـ
 — بق بميدان الكمال الطويل

(١) في هذا البيت إقواء.

فقد أجزناه حقيقةً بها
 نقلاً وسماعاً فهو برٌّ جليل
 يروي الذي أروي سماعاً وإقـ
 راء وإرشاداً لقصد السبيل
 فقد حباه الله سبحانه
 بالأخذ عني في الزمان الأصيل
 مستدرك الحاكم جمعاً ومن
 زاد المعاد الهدى أيضاً أنيل
 ومن أبي داود شرطاً ومن
 سيرة خير الناس غير القليل
 يوصي بتقوى الله سبحانه
 وبالعدل في الضحى والأصيل
 يختم بالحسنى لنا ربنا
 وحسبنا الله ونعم الوكيل

وأجازه إجازة أخرى، ذكره فيها أسانيده ومشائخه، وناهيك بهذين العالمين
 المفردين، والبحرين الزاخرين، الذين سمح الزمان بوجودهما في قرنٍ ولولا كراهة
 مدح الآباء، لذكرت من علومهما ما طاب، وعطر الرحاب، والاختصار أولى، وفضل
 الله واسع، فإنها كانا يمدان إلى الصواب يدًا واحدة، شمسان في فلك، وبحران يجليان
 كل معترك.

[إسماعيل بن أحمد بن محمد الكبسي]^(١)

وقرأ والدي رضوان الله عليه على الوالد العلامة الزاهد العبادة المنشئ البليغ المجتهد الأكبر والمعلم الأطول الأنور إسماعيل بن أحمد بن محمد بن الحسن الكبسي- الساكن بروضة حاتم، المقبور بصرح جامعها، عن يمين الداخل، وفاته سنة إحدى وثلاثين ومئتين وألف - رحمه الله - ورضي عنه.

وقرأ عليه والدي البحر الزخار وغيره، ثم قرأ بمدينة صنعاء، مع رحلته إليها لطلب العلم على الوالد العلامة الزاهد المنشئ البليغ أحمد بن علي بن مهدي الكبسي- الملقب المراحل الساكن بمسجد الإمام الوشلي المعروف بمدينة صنعاء.

[الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الكبسي]

ثم على الوالد العلامة الإمام الواعظ الداعي إلى الله الولي صاحب الكرامات، وشريف المقامات، والمهاجر في سبيل الله، الزاهد في متاع الدنيا، والراقي إلى الدرجة العليا، شيخنا وشيخ والدنا، وشيخ الشيوخ، وعمدة أهل الرسوخ، إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الكبسي- الملقب المغلس، في الكشف وحواشيه، والبحر الزخار وحاشية القبلي المسماة المنار، وهذا الإمام الجليل والعلامة النبيل، والجهد الحافظ الهادي إلى سواء السبيل، هو علم الأعلام، وياقوتة الأنام، والغرة الشاذخة في العلماء الفخام، جوهر اللغات، وقاموس العربية وحيد الصفات، والمجتهد المطلق، ولسان أهل الحق، دعا في سنة اثنين وعشرين ومئتين وألف بظفير حجة وبقي في المهاجر المذكور مدة ثلاث سنين وتكنى بالمتوكل على الله رب العالمين وشرعت أموره تقوى فاحتفل المعارض له وهو أحمد المكنى بالمتوكل، وفوق سهام الحيلة إلى قبضته، والدولة

(١) ولد بعد سنة ١١٥٠ هـ وكان عالماً، شاعراً، أدبياً، فصيحاً، زاهداً، ورعاً، تقياً، ترجمه زيارة فاطمب في مدحه، وذكر بعض قصائده إلا أنه قال: توفي سنة ١٢٣٣ في ٢٠ صفر.

حينئذ في قوة، والأموال والبلاد في أيديهم، والناس في طاعتهم، فهى الله سبحانه له الخلو، وخرج من الظفير بلا نصير ولا خفير، وتوجه [إلى] مدينة صعدة وبقي فيها مدة ثلاث عشر سنة أو زيادة، وأخذ عنه أهلها واثالث إليه الطلبة، من الجهة التهامية والشامية، ثم رجع إلى هجرة الكبس المحمية، في سنة ثمان وثلاثين ومئتين وألف، وبقي فيها مدرساً، وانتفع أهلها بعلومه ومواعظه، وكان راقم هذه السطور ممن لازمه ملازمة الظل، وكرع في زفرات علومه، واستضاء بنور فوائده، وتقلد بجواهر نعمته، فقرأت عليه في أوائل الطلب شرح بحرق، ثم شرح الفاكي، وقواعد الإعراب للزهري وشرحها لابن هشام، ثم في حاشية السيد حتى أكملت ذلك، ثم في شرح الخبيصي على الكافية، والمناهل الصافية على الشافية، وشرح الكافل لابن لقمان، وأكملت ذلك بعون الملك المنان، ثم في الغاية وشرحها هداية العقول، مع حاشية المحقق سيلان قراءة تحقيق وتدقيق، وبحث في جواهر التحقيق، ثم في شرح الأزهار، والبحر الزخار، وشفاء الأوام، ثم انتقل إلى مدينة دمار وبقي فيها مدرساً ومفيداً، وعقد في صدور الفخار فريداً، حتى وافاه الأجل المحتوم إلى الحمام، واختار الله له جواره في دار السلام، في سنة ثمان وأربعين ومئتين وألف^(١)، وقبره هنالك وعليه قبة إلى جانب قبر السيد العلامة الكبير الحسين بن يحيى بن إبراهيم الديلمي^(٢) علامة زمانه، وحجة أوانه، صاحب التصانيف، وكرامة^(٣) هذا الإمام كثيرة، وفضائله شهيرة، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل ما جرى عباده الصالحين، وبعد ارتحاله من هجرة الكبس، ارتحل جامع هذه الكراريس إلى مدينة صنعاء، فقرأت فيها على مشائخ، هم النمرقة الوسطى، والدرجة العليا.

(١) في عشرين صفر وقيل سنة ١٢٥٠، هكذا في نيل الوطر (٢٥٩).

قال المولى مجد الدين المؤيدي رحمه الله في هذا الإمام: (وهو المجدد في المائة الثانية عشر) التحف (٣٥٢).

(٢) مولده في رجب سنة ١١٤٨ هـ بمدينة دمار ونشأ بها، وكان عالماً، شاعراً، أديباً، فاضلاً، توفي بمدينة دمار سابع عشر-

ذي القعدة سنة ١٢٤٩ هـ، نيل الوطر (٤٠١، ٤٠٤).

(٣) كذا في الأصل، والصواب: وكرامات.

لأحمد بن زيد بن عبد الله الكبسي^(١)

منهم والدنا وشيخنا أستاذ البشر، وحافظ الأثر، وشيخ مشائخ الإسلام، والمحيط بحل معضلات المسائل، والآتي في الزمن الأخير بما لم تسطعه الأوائل، خاتمة العلماء والمحققين، ومجدد زمانه، وحجة أوانه، المجتهد الجهد الكبير، الإمام المحيط بعلميّ المعقول والمنقول، والمدقق في العربية والأصول، والمحرز لقصبات السبق في ميدان الكمال، والمجلي على فرسان التحقيق في حلبة المعارف وشريف الخصال، حتى كان في مدينة صنعاء مع توفر علمائها في ذلك الوقت هو المنظور إليه، والمعوّل في الفتوى عليه، وهو والدنا شيخ الشيوخ أحمد بن زيد بن عبد الله بن ناصر بن مهدي الكبسي برد الله مضجعه، وأنس مهيعه، فقرأت عليه (الكشاف) مع حاشية سراج الدين عليه، و(شرح الأزهار) حتى كمل، وفي (الغاية) لابن الإمام وشرحها، و(البحر الزخار) من النكاح إلى آخره، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي الصغرى المسمى بالمجتبى، واستفدت عليه مع الملازمة مثل فوائد القراءة، حتى المذاكرة فكانت من أجل الفوائد، وأوسط القلائد، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيراً، ولقاه الأجر الأوفى، وكانت وفاته بمدينة صنعاء المحمية في شهر رجب سنة إحدى وسبعين ومئتين وألف، وبموته انقرض العلماء البحور، وتقلص ظل أهل المعارف الصدور.

[محمد بن محمد بن عبد الله الكبسي]

وقرأت أيضاً في مدينة صنعاء على الوالد السيد العلامة المحقق في الأدوات محمد بن محمد بن عبد الله الكبسي، الملقب السعواني، في (شرح الكافل)، و(شرح

(١) مولده في شهر رجب سنة ١٢٠٩ هـ، أخذ عن علماء عصره في شتى الفنون حتى بلغ غاية في العلم والفضل والزهد، وتوفي بصنعاء ليلة الجمعة سلخ جماد الآخرة سنة ١٢٧١ هـ. نبيل الوطر (١/١٠١، ١٠٤).

الخبيري) على الكافية لابن الحاجب، وفي (الشرح الصغير) لسعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني قراءة بحث وتدقيق وإعمال للنظر الدقيق، وكان هذا السيد من المحققين في علم العربية والأصول وعلم البيان، يشار إليه فيها بالبنان، وكان له رصانة في التعبير، ومثانة في إلقاء العلوم، يجل فيها عن النظر، توفي بمدينة صنعاء في سنة سبعين واثني عشر مائة.

[عبد الله بن علي الغالبي]^(١)

وقرأت فيها على حي شيخنا العلامة المفيد، الولي، المهاجر، المجاهد، الصابر، الواعظ، البليغ، الفهامة، شيخ الأعلام، ونصير الأئمة الكرام، وحجة الإسلام، عبد الله بن علي الغالبي بل الله ثراه بوابل الرضوان، وجزاه عني بالإحسان، في رياض الجنان، مع الخيرات الحسان.

وهذا العالم هو رفيقي في أكثر المقروآت على شيخنا العلامة أحمد بن زيد الكبسي- رضوان الله عليه، قرأت عليه في شرح الغاية، قراءة تشد إليها الرحال، حضرها فحول تلامذة ذلك الوقت، منهم الإمام الناصر عبد الله بن الحسن^(٢) بن أحمد بن المهدي، والإمام العلامة الحسين بن علي المؤيدي^(٣)، والقاضي العلامة المحقق أحمد بن عبد الرحمن المجاهد، والفقيه العلامة محقق العلوم البليانية، وعلم العربية، وعلوم القرآن

(١) توفي بمدينة ضحيان في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٢٧٦هـ.

(٢) في الأصل: الحسين، وهو تصحيف، والصواب ما أثبت.

مولده بصنعاء سنة ١٢٢٦هـ، وكان إماماً فاضلاً، زاهداً، ورعاً، بوع له بالإمامة العظمى ثالث ذي القعدة سنة ١٢٥٢هـ، واستشهد رحمه الله صباح الإثنين تاسع ربيع الأول سنة ١٢٥٦هـ، على أيدي الباطنية اللثام، وقبر بقرية القابل عن ثلاثين سنة من مولده، نيل الوطر (٢/ ٨٩/ ٩٠).

(٣) كان إماماً فاضلاً، دعا إلى الله سنة ١٢٥١هـ، وتوفي يوم الأحد ربيع الأول سنة ١٢٥٢هـ، وعمره سبع وعشرون سنة، ودفن بحيدان جوار الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، التحف الفاطمية (٣٥٤).

محمد بن حسين الطويل، وقرأت عليه حاشية المحقق عبد الله اليزدي على تهذيب الكمال المنطقي للسعد التفتازاني، مرافقاً لحي الصنو العلامة الإمام الحسين بن علي المؤيدي رحمه الله، وقرأت عليه أيضاً شرح رسالة الوضع المعروفة للسمرقندي، وقرأت عليه أيضاً في شفاء الأمير الحسين بن بدر الدين، ولهذا العالم -أي العلامة الغالبي- رحمه الله تعالى- من المآثر الصالحة، والمتاجر الرابحة، فإنه هاجر إلى هجرة ضحيان، وهي حينئذ عاطلة من جيد المعارف، قد اعتور أهلها الجهل والغباوة، وهم أشرف من آل يحيى بن يحيى لسلفهم سبق إلى كل فضيلة، أعلام زمانهم، وأئمة عصرهم، فاندرست تلك المعالم، حتى حلها هذا العالم، فأخضرت رياض العلوم، وتدلّت أثمار منطوقها والمفهوم، وأعاد إليها نظرتها السابقة، وبهجتها الفائقة، واثال إليه الطلبة من كل فج، وجعلوا حضرته غاية كل معرج، وانقاد له قبائل تلك الجهات فأبطل أحكام الطاغوت، وأقبلوا على فعل الواجبات، وانتهوا عن المقبحات، حتى قيل إن المساجد المعمورة ببركته قدر ثلاثمائة مسجد والله أعلم.

أحمد بن علي بن مهدي المراحل الكبسي

ومن مشائخي الوالد العلامة أحمد بن علي بن مهدي المراحل الكبسي الذي سبق له ذكر في مشائخ والدي -رحمه الله- فإنه طال به العمر في طاعة الله سبحانه، وأخذت عليه في شرح الغاية لابن الإمام، مرافقاً لحي سيدنا العلامة محمد بن حسين الطويل، توفي سنة أربع وستين واثنى عشر مائة، ومن مشائخي سيدي العلامة المحقق علي بن إسماعيل بن يحيى^(١) من آل الإمام، قرأت عليه المطلع شرح إيساغوجي في المنطق، ومن شيوخه القاضي العلامة حسين بن أحمد الحجازي، قرأت عليه الشرح الصغير، وحاشية الشيخ لطف الله، ومن مشائخي القاضي العلامة علي بن محمد بن علي

(١) من آل الإمام القاسم بن محمد، وتوفي سنة ١٢٥٨ هـ وقيل سنة ١٢٦٠ هـ بقرية جحانة من مسور خولان، نيل الوطر (١٢٩/٢).

الشوكاني^(١)، قرأت عليه في المناهل شرح الشافية، وفي شرح الغاية لابن الإمام، ووالده حضرت في قراءة مسلم عليه، والسنن الأربع، وتلقيت الإجازة في مروياته، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

وهؤلاء مشائخي استطردت خيول حلية محاسنهم في هذا الميدان، وجعلتهم حلية جيد هذه الإجازة المشار إليها بالبنان، فلهم الحق الأوفر عليّ، والإحسان الأكبر إليّ، فأديت بعض حقوقهم، برقم ذكرهم، وإلا فأحوالهم لا تجهل، وعلومهم لا تنكر، فهم أدلى^(٢) الهدى في هذا العصر الأخير، ومصابيح الدجى في حل كل معضل عسير، والعلماء هم الناس، لا أهل الجهل فهم النسناس، وهم الأحياء، وأهل الجهل موتى، في ثياب الأحياء، كما قيل، ويروى لأمر المؤمنين الوصي سلام الله عليه.

فقم بعلم ولا تبغي به بدلاً

فالناس موتى وأهل العلم أحياء

أعاد الله علينا من سرهم وبركاتهم، وجزاهم عنا وعن الإسلام خيراً، وأنالهم الأجر الأوفى، فهم القدوة والأسوة، وسبب الحياة الأبدية، والسعادة السرمدية.

(١) مولده ١٠ محرم سنة ١٢١٧هـ، قرأ على عدة مشائخ أجلهم السيد العلامة أحمد زيد الكبسي، توفي بالروضة في شهر

ربيع الآخر سنة ١٢٥٠هـ بعد والده بشهرين، نيل الوطر (٢/ ١٦٢، ١٦٣).

(٢) كذا في الأصل، والمراد أدلاء.

[ترجمة الإمام عليه السلام]

ونشرع الآن في ترجمة إمام الزمان المفوض إليه هذه الإجازة العامة فأقول: هو الإمام الأعظم، والركن الأشم، والعلم الأطول، والعنصر- الأول، المجاهد في سبيل ذي الجلال والإكرام، والمجدد لما اندرس من معالم الإسلام، ومذاهب العترة الكرام، والذاب عن سنة سيد الأنام، بلسان السيف الحسام، والخائض في عباب المعارف، والقايل في ظلال الأدب الوارف، والمقتطف للطائف الفوائد من أعلى المقاطف، ثمار العلماء، ومركز دائرة الشرف الأسمى، والفائق في الرياسة العظماء، والراقي رقي الإمامة الكبرى، والسامي بهمته القعسا إلى رفيع الدرجات وعوالي الذرى، والمقلد لجيد الزمن العاطل، بعقد الفضائل والفواضل، الحقيق بقول القائل^(١):

وإني وإن كنت الأخير زمانه

لأنّ بهما لم تستطعه الأوائـل

زينة الوجود والباذل للموجود أو كما قال آخر:

الباذل النفس إن ظن البخل بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجودي

ذي السعي المشكور، والقصد الحميد المبرور، والجهاد الذي يشفي الصدور، والاجتهاد المرتفع على منازل البدور، المستخرج الغامض من عباب البحور، ورحب الصدر، واسع الصبر في احتمال عضائم الأمور، والقائم بما تعجز عنه فحول الملوك

(١) القائل هو أبو العلا المعري.

وقدما الأئمة من الهدي والنور، فهو نادرة البشر، وثاقب النظر، والعقل الحادي عشر،
ولباب اللباب، ومن أوتي الحكمة وفصل الخطاب، الذي ملأت فضائله الرقاع،
وحصل على كماله ورجاحته الإجماع

كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البقاع

حتى ألقت إليه الخلافة العظمى مقاليدها، وغازلته عيون السعادة فكان عميدها
وعقيدها، وأذعنت رقاب المعاندين لكمالها، وشخصت الأبصار لشريف خصاله، فكان
كما قال أبو العتاهية: [من المقارب]

أنته الخلافة منقادة تجر من التيه أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولورامها أحد غيره لزلزلة الأرض زلزالها
ولو لم تطقه نيات القلوب لما قبل الله أعمالها

وعلى الجملة فليس عندي عبارة تقوم بشريف صفاته، ولا تستقل بعد شريف
خلاله وعالي سماته، ولو أني استعرت بلاغة قس بن ساعدة وسحبان، أو انطلق قلمي
بخطاب صعصعة بن صوحان، فهو نادرة الزمان ومنّة الأوان، فليقصّر عنان القلم
على ذكر ما سنح من سيرته، وابتدأ دعوته، وتنقله في البلدان وجهاده وعلمه وكرمه
وإقدامه إلى هذا الأوان.

وقد سردنا نسبه الشريف في أول الإجازة ولا بأس بتكريره في الترجمة، فالمكرر
أحلا كما قال الشاعر:

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره لك المسك ما كررته يتضوع

فهو الإمام المتوكل على الله أبو محمد المحسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن الحسين بن صلاح بن عبد الرحيم بن الباقر بن نهشل بن المطهر بن أحمد بن عبد الله بن عز الدين^(١) بن محمد بن إبراهيم بن الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى المظلل بالغمام بن المرتضى^(٢) بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحافظ بن الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الغمر بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضا بن الحسن سبط رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة بن علي سيد الوصيين وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت رسول الله ﷺ فهو نسب كما قال زهير: [من البسيط]

لو كان يقعد فوق النجم من أحد

قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

قوم أبوهم علي حين تنسبهم

طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

أو كما قال آخر^(٣): [من الطويل]

وإني من القوم الذي طاب ذكرهم

إذا مات منهم سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما انقضى كوكب

بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

(١) الصواب: عز الدين محمد كما قدمنا.

(٢) الصواب: بن المرتضى بن المطهر بن القاسم كما قدمنا.

(٣) هو أحمد بن صالح بن أبي الرجال.

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم

دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

فهذا المتصل بواسطة عقد المرسلين، وإمام النبيين، لا ينقطع فلا يضع كما قال سيدي علي بن إبراهيم بن محمد الأمير في مدح الزهراء سيدة النساء سلام الله عليها: [من الخفيف]

بضعة من طه رضاها رضاها

ما على نسلها غداً من عذاب

كل من كان ذي انتساب إليها

لم يَضِعْ يوم ضيعة الأنساب

[نشأته عليه السلام]

نشأ سلام الله عليه بحصن شهارة المشهورة المشرفة بالمشاهد المقدسة، والمساكن التي هي على التقوى مؤسسة، حتى إذا بلغ أوائل الشباب، وأكمل قراءة كتاب الله العزيز الوهاب، رحل إلى الشرفين لطلب العلم الشريف، ثم رحل إلى صنعاء اليمن، فأقام فيها لطلب العلم حصّة من الزمن، وفتح الله له أبواب الفوائد ووضح السنن، حتى إذا أذن الله سبحانه ولاحضته الألفاظ السارية، الموصلة إلى السعادة الأبدية، بفتح باب الجهاد، وإحياء طريقة أئمة أهل الرشاد، واجتمع رأي طائفة الحق من علماء الشيعة، وبحور الشريعة الوسيعة، على قيام حي مولانا الإمام الأواه، البائع نفسه من الله، العلامة الجهبذ الأكبر، الفهامة المبرز الأنور، المحقق اللوذعي، والمدقق الصمصامة الألمي، فاتح باب الجهاد، ومروي السنة الصفاح والصعاد، والقائم بفريضة الأمر

بالمعروف الأكبر، والناهي عن الفحشاء والمنكر، الأديب المصقع اللبيب، المنشئ السميدع البليغ، الفاضل والناظم المجيد، الكامل أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، المنصور بالله رب العالمين، أحمد بن هاشم بن رسول الله، سلام الله عليه، فخرج هو ومن اجتمع معه من علماء العصر، وزينة الدهر، وقصدوا بلاد صعدة، لإقامة الدعوة هنالك فكان إمامنا المتوكل على الله سلام الله عليه ممن شهد، ذلك المشهد وأسرع إلى حسن ذلك المقصد، وكان له القدح المعلا، والمحل الأعلى، وقام في تلك الحروب وقعد، وقارب وسدد، ولان وشدد، ووثب فيها وثوب الأسد، وكان عذيقها المرجب، وعقيدتها المنتخب، ولازم مع ذلك قراءة العلوم، واستخراج منطوقها والمفهوم، واستمر على الطلب في الحضر والسفر، وداوم على استجلاء الفوائد المخدرات في الأصايل والبكر، ولم تَحُلْ أوقاته من عمل في طاعة رب العالمين، تارة في اكتساب العلم وتحصيله وبرهه في إعانة الحق وإحياء سبيله، مع المحافظة على امتثال أمر إمامه، وتشديد مقامه، والمسارة إلى العمل فيما وجهه عليه، وأحال من الأعمال عليه، من خطابة وقضاء بين المسلمين، أو جهاد وجلاد، وسعي في صلاح أحوال البلاد.

ثم صحبه إلى الجهة اليمنية، ولازمه حضراً وسفراً، ومساء وبكراً، فكان سلمان بيته، وعمدة أنصاره، وخلاصة سماره، حتى فاضت عليه الأنوار الإلهية، وغمرت النفحات الملكوتية، واشتهر في الناس بالأخلاق النبوية، والمعارف العلوية، والمكارم الحسنية، وأشرق بدره، وعلا ذكره، واشتهر بكرم الأخلاق، وطيب الأعراق، وصارت عيون الأعيان ناظرة إليه، وقلوبهم مقبلة عليه، فكان قطب رحاها، وغاية مناهها، وزعيم جماعتها، وعقيد طاعتها، وحلية جيدها، وواسطة عقدتها، فبقي على هذه الطريقة المرضية، مدة الخلافة المنصورية، حتى تقلص حال تلك الأمور، وحدث ما حدث من الشرور، ونكت من الناس الجمهور، وتعطلت الثغور، وبقي الإمام المنصور في دار

هجرته المسمى (دار علي)، وإمامنا المتوكل على الله متردد إليه، ومقتبس من أنواره، ومقتفٍ لآثاره، حتى دعاه داعي الأجل المحتوم، والقدر المعلوم، إلى دار القرار، ومنازل الأبرار، فأظلمت الأرض لفقده، وصار الناس فوضىاء لا سرات لهم، ومرضى لا طبيب لهم، فحدثت أمور لا حاجة بنا إلى ذكرها، فلما عجز القائم عما دهمه من حوادثها وبهضه من ثقل كودتها.

تراجم العلماء والفضلاء المناصرين للإمام عليه السلام

ترجمة شيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل القرشي^(١) رضي الله عنه

أجمع علماء العصر - وحسنات الدهر ورؤوس أهل العلا، وقادة الملا، وأدلاء الخليقة، وبحور الحقيقة، على قيام مولانا الإمام % ورأسهم وعقيدهم، وواسطة عقدهم، جمال الشيعة، وبحر الشريعة، وحامل لواء العلوم الوسيعة، والحاكم المستدرك، ومحمود الرواية والدراية المدرك، القاضي العلامة، الفاضل الفهامة، الحجة الجهيد الكبير، الحافظ المبرز الزاهد الشهير، مجدد هذه الأعصار، نضير الأئمة الأطهار، وعماد مودتهم في البوادي والأمصار، وسلمان بيتهم في الليل والنهار، المؤثر لولائهم ومحبتهم على القرابة والأحباب والأصهار، شيخ الإسلام، والغرة الشاذخة في الأعلام، أحمد بن إسماعيل بن صالح القرشي، جادت على ضريحه سحائب الرضوان، وسرت على روحه نسيمات الروح والريحان، وهذا العالم العامل، والزاهد الفاضل الحلال، هو عين علماء الأوان، وحسنة الدهر التي جاد بها الزمان، وزاهدها المشهور، وواعظها المؤثر في الصدور، ما برح في السعي المشكور، والفعل الحميد المبرور، ومناصرة الأئمة الأطهار، وقطع أوقاته في الدعاء إليهم في آناء الليل وأطراف النهار، بحسن أخلاق ولطف صناعة، واحتمال للمشاق والمكاره، وصبر على مدارات الناس وحسن وسيلة إلى جلبهم للهدى، وجذبهم إلى منار الإقتداء، وتعريفهم بما تقبله عقولهم، ويتمكن في اسماعهم، وينطبع في طباعهم، حتى أصلح الله به الجم الغفير، والعدد الكثير، وصاروا للحق أعوانا، وفي الله إخوانا، وعرفوا طريق الرشاد، ونهجوا نهج العترة في أوان الفترة، وقويت بهم شوكة الإسلام، ونفذت فيهم شرائع

(١) كان هذا أحد مشائخ والدنا الإمام المحسن % ، وله منه إجازة عامة.

والأحكام، ودارت رحى الإسلام على قطب الحق السوي، والنور النبوي، وانقاد النافر الشمس، وأذعنت لمواعظه آيات النفوس، وصار هذا العالم بمنزلة لم يصعد إلى درجتها غيره من علماء الوقت، ولا تصدى لرقبها سواه من صدور الدست، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الجمعة: ٤] فالله سبحانه يشكر مساعيه الحميدة، ومعاضده الرشيدة، وفوائده المفيدة، فهو آية في الزمان، معدوم النظير في الأوان، قارع الأهوال، وصَبَرَ على مشاق يعجز عنها فحول الرجال، وحيداً عن المعاضد، فريداً عن النصير والمساعد، حتى أقر الله عينه وأسعد جده، وأنجح مقصده، وشرف مقعده، وأتم نوره، وأكمل سروره، وضاعف حبوره، وأنال درجة المجاهدين، ورتبة الصابرين، ومنزلة الصديقين، واستوت الأمور، واسندت الثغور، وسكنت الشرور، وانشرحت الصدور، وتم مرامه بالنصر والظفر لإمامه، وفتحت صنعاء اليمن بعظيم الأيادي والمنن بعد الحصار الطويل، والجهد المهيل، كما سيأتي من التفصيل، واستمر شيخ الإسلام في ترميم الأحوال، وضم الأطراف، ولم الشعث، وحراسة العمل، فانتقل من حضرة الإمام % إلى قرية جدر^(١) وهي له مسكن، وله فيها موطن، فاستقر فيها بأهله حتى عرض له مرض في شهر ربيع الآخر من سنة اثنين وثمانين واثنى عشر ومائة، فلم يلبث هذا المرض إلا مدة يسيرة، حتى استأثر الله به، ودعا داعي الحمام، إلى دار السلام، وحسن الختام، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] فأظلمت الأرض لمصرعه، ووجل المؤمنون لهول مضجعه، ولم يخلف من يسد مسده، في حماية الدين، والدعاء إلى طريقة العترة المطهرين، والأئمة الهادين، فهو شمس سماء هذه الفضيلة، وأساس بناء هذه المرتبة الجليلة، وقد قيلت فيه المراثي، ممن بقي من أدباء الزمان وفصحاء الأوان، ولم يحضرني حال رقم هذه الترجمة غير ما سأذكره منها هذه القصيدة الفريدة للسيد العلامة الأديب، الآخذ من البلاغة أوفر

(١) بفتح فكسر منطقة في (بني الحارث) بالأطراف الشمالية لمدينة صنعاء فيما بينها وبين الروضة وهي ثلاث قرى جدر العليا والسفلى وكولة جدر. اهـ . معجم البلدان والقبائل اليمنية (١/ ٢٩٩).

نصيب، وجيه الدين عبد الرحمن بن محسن الجحافي، الساكن بحصن الظفير، ببلاد
حجة مقيم مشهد الإمامين الأعظمين، المهدي لدين الله صاحب الأزهار، وحفيده
الإمام المتوكل على الله شرف الدين صاحب الأثرار، عليهما سلام الله ورضوانه فقال
أبقاه الله: [من الطويل]

أبدر ثوى تحت الثرى وهو كامل
أم الشمس غطتها سحاب هو اطل
وقاض به الدنيا أضاءت فأصبحت
لفقدانه ظلماً فأين المشاعل
لقد حل أمر أوحش الخلق خطبه
وسالت له فوق الخدود جداول
بموت حليف العلم والزهد والتقوى
صفي الهدى نعم الصفي الموصل
ومولى الوفا والصدق والمجد أحمد
وخير فتى قد هذبتة الفضائل
فيالك من رزء وعظم مصيبة
بها اختل ذو عقل وطاش الكوامل
أتهوى ارتياحاً ويك بعد فراقه
وترجوا سلواً والشجافيك حاصل
بعيد وحق الله ما أناسالياً
ولو كنت سلطاناً وملكياً طائل

وإني إذاً طَلقت دنيائي بعده
 ثلاثاً وهل بعد الطلاق تواصل
 وكيف يطيب العيش لي بعد فقدته
 ولو عَذُبْتُ غدرانَه والمناهل
 فما العيش صفواً عنك يا خير صاحب
 فقد كان لِمَا كان منك التناول
 على مثله فليكه كل نادب
 وإلا فتبكيه الشروح الهوائيل
 على مثله فليكه كل فارس
 وإلا فتبكيه الخيول الصواهل
 على مثله فليكه كل عالم
 وإلا فتبكيه الدنا والرسائل
 على مثله فليكه كل ماجد
 وإلا فتبكيه الرماح العواسل
 لقد كان أعلام من يجلي غوامضاً
 يحللها في الحال والأمر هائل
 مضى - وهو في حزب الإمام مجاهداً
 محباً وفي أصدقائنا مختل

ولولا التأسّي بالنبي محمد
 بكيناه ما دام الضحى والأصايل
 فلم يبق إلا الصبر للحكم والرضى
 بما الله قاضٍ فهو في الحكم عادل
 وربك فاسأل أن يجود برحمته
 ومغفرة تغشاه فهو المعامل
 ويسكنه بحبوحه الخلد إنه
 هو المرتجى والعبد للرب سائل
 وهذا إلى المولى الإمام بعثته
 مواسٍ له والرزء لكل شامل
 وذاك أمير المؤمنين إمامنا
 وأفضل من سارت إليه الجحافل
 فقل لبني الزهراء الأماجد منهم
 مساعير حرب والرماح نواهل
 وأشجع من هز القناة براحة
 إذا الحرب جدت واستطارت مناصل
 وقامت على ساق وثار عجاجها
 ونادت ألا... هل من شجاع يقاتل
 على سنة الأبأ وصدق فعالمهم
 يكونوا فإن الحق يلقاه باطل

فما منهم إلا كريم ورأيه
 سديد ولكن في الأفاضل فاضل
 فإن يسرعوا طوعاً له ولأمره
 فعزهم فوق البسيطة طائل
 وإن يعرضوا فالحكم لله فيهم
 وأخشى عليهم أن تصيب نوازل
 فلو ذوابه من قبل أن تتفاشوا
 فخير أمر من قدمته المحافل
 ولا عز إلا بالفضل فاسمعوا
 نصائح صدق دونه الأوائل
 وصل على خير البرية أحمد
 مع الآل ما هزت ظباً وعواسل

تمت، ويتلوها هذه الأبيات للأخ العلامة الأديب الفاضل الأملعي الحاحل
 بدر الدين محمد بن إسماعيل الملقب عشيش أبقى الله غرته وحرس مهجته، وهي
 قوله: [من الطويل]

قضى—الله أن الموت حق هجومه
 على كل حي من بريته يجري
 ولكن ملاك الأمر في كل ما قضى—
 إلهي وأمضاه لزوم عرى الصبر

رضينا بحكم الله جل وقدهى
 مصاب عظيم موت علامة العصر—
 بقية أهل العلم والفضل والتقوى
 وأخوفهم لله في السر—والجهر
 حليف كتاب الله وارث علمه
 وأسـمـعهم لله في النهي والأمر
 ومرجع أهل العلم في كل مشكلٍ
 وفيصل أهل الحكم بالحجج الغرّ
 شهاب علوم الآل أرمى خصومهم
 فكم ملحدٍ أردى وزبغ وذو جبر
 مضى—أوحدياً في المحاسن قد حوى
 محامداً لا تحصى—بعد ولا ذكر
 تعطل ربّ العلم عند ابتعاده
 وقد كان مثل البيت يقصد والحجر
 فمن لبناء المجد من بعد أحمدٍ
 وقد مات عمّار المكارم والفخر
 ومن ذا يناوي الظالمين مجاهداً
 وينفر عنهم بعد فقْد أبي ذر
 أليس ابن إسماعيل في سبقه العلا
 حقيق بأن يبكى ويعزى إلى النضر—^(١)

(١) قال في نسخة في حاشية ما لفظه: النضر هو قريش بن كنانة ينسب إليه كل قرشي والله أعلم.

هو السابق المحيي الجهاد بعزمه
وقطب رحي الإسلام إن كنت لا تدري
ألم تَرَكْم قاسى بلاءً من العدا
وصابر أوقاتاً تفوت عن الحصر—
ولم يثن عزمًا منه قلّة ناصرٍ
وكثرة أعداء عقاربهم تسري
بل اشتد في تحريض من قد أجابه
على نصر— أولاد البتول أولي الأمر
إلى أن أعز الله أنصار دينه
بخير إمام خُصَّ بالفتح والنصر—
فمزّق أحزاب الضلالة والشقي
وأفنى رؤوس البغي باليضر والسمر
وأسس للدين الحنيف قواعداً^(١)
وشيد أركاناً تحاكي سنا الفجر
فأبقاه ربُّ الناس للدين ملجأً
فكم فكَّ من أسيرٍ وكم شدَّ من أزرٍ
سلِّ الله حسن الصبر فيما قضى— به
على فقد شمس الدين والعالم الخير

(١) الصواب بغير تنوين لأنها ممنوعة من الصرف، ولعلها لضرورة الشعر.

لقد غاب نور الدين إذ غاب شخصه
 عن السمع والأبصار والبر والبحر
 فحق لمن تحت السماء بكاءه
 ألا.. فابكه بالدمع والنظم والشر
 قضى سعيه المبرور تخليد ذكره
 وإثباته في الصحف تتلامع^(١) الدهر
 طويت الأسى في القلب لما أتى له
 مع السابقين المدح في محكم الذكر
 فجزاه رب العرش خير جزائه
 وأسكنه الفردوس في الحلل الخضر—
 وطاب ختامي بالنبى وآله
 عليهم صلاة الله طيبة النشر—
 وأزكى سلام كالرياض طوره
 تردد ألحان المحامد والشكر

تمت. ويتلوها عراضتها لجامع هذه السيرة عامله الله بلطفه وهي قوله: [من الطويل]

هو الخطب فأذر الدمع إن كنت لا تدري
 فإنك لا تدري بمن حل في القبر
 لقد حل فيه المجد والزهد والتقوى
 وغاب العلى في الترب والبحر في البر

(١) في نسخة: مدى الدهر.

وَكُورَتِ الشَّمْسُ المَنِيرَةَ فِي الضُّحَى
 وَغَارَتِ نَجُومُ اللَّيْلِ حَزناً فَلَمْ تَسِرْ—
 وَلَمْ يَبْقَ فِي هَذَا البَسِيطَةِ مَطْلَبٌ
 عَزِيزٌ وَلَا عَيْشٌ يَرُوقُ لِمَنِ فِكْرٍ
 هَوَى فِي التَّرَابِ البَدْرَ طَوْعاً وَأَكْسَفَتْ
 ذِكْراً وَجَرَى فِي ظِلْمَةِ الخُطْبِ مَنْ يَجْرِي
 خَوَتْ أَنْجَمُ الجُوزَا وَأَظْلَمَ أَقْفَهَا
 وَشَيَّتِ حَلَاوَاتِ التَّمَتُّعِ بِالمِرْ
 أَحْقَاباً بِأَنَّ الشَّامِخَ الفَرْدَ هَدَمَتْ
 جَوَانِبَهُ وَانْهَدَ ثَهْلَانُ فِي العَصْرِ—
 لِإِنْ كَانَ حَقّاً فَاسْبِلِ الدَّمَعَ بِالدِّمَا
 وَلَوْ كُنْتَ تَمْرِيهِنَ مِنْ جَانِبِ النُّهْرِ
 وَابِكَ ابْنَ إِسْمَاعِيلَ أَحْمَدَ مِنْ غَدَا
 لَشَرَّ— عَلُومِ الآلِ كَالْكُوكِبِ الدِّرِ
 عَلِيمٍ بِأَسْرَارِ العُلُومِ وَهَذِهِ
 فَوَائِدُهُ فِي الأَرْضِ كَالنَّيْلِ فِي مِصْرٍ—
 تَرْدَى ثِيَابُ المَجْدِ طِفْلاً وَيَافِعاً
 وَأَنْفَقَ صَفْوُ العَمْرِ فِي الزَّهْدِ وَالبِرِّ
 وَأَحْيَا مَقَامَاتِ الجِهَادِ مَجْدَداً
 لِأَحْكَامِهِ فِي فَتْرَةِ النُّهْيِ وَالْأَمْرِ
 وَأَرْشَدَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الحَقَّ فَاهْتَدَى
 بِهِ كُلُّ مَنْ قَدْ كَانَ فِي غِيَّهِ يَجْرِي

فأعلا منار الدين وانتشر الهدى
 فصار به نهج الشريعة في وفر
 وأبلغ في نصر الأئمة ناهضاً
 بعزم كنصل السيف يفري ذوي الكفر
 إلى أن دعا داع الهدى شمس عصرنا
 أبي البركات المجتبي زينة الدهر
 إمام بني الزهرا ومستنبط الهدى
 وأسبقهم في حلبة المجد والفخر
 شحاك العذارب الذكا واسع الجدى
 حليف التقى أصل الندى درة العصر
 له من إمام المرسلين وصنوه
 علي مقال قد علت قمة النسر
 مجدد أعلام الهدى بعد أن غدت
 مهدمة الأركان بالفحش والنكر
 هو الآية العظمى هو النور في الملاء
 هو البدر حقاً في الظلام إذا يسر
 أجاب نداءه أحمد وغداله
 كعمار في عقد الخلافة كالشذر
 فقد شكر الرحمن في الخلد سعيه
 وأولاه فضلاً لا يقاوم بالحصر
 وأبقى لنا بدر التمام وموئل الـ
 كرام وروض الفضل ناهيك من بدر

مجدداً آثار العلوم بهمة
 يقصر عن أوصافها المادح المُطري
 تسلى عن الخطب الملم بمهرق
 كواسطة التقصان كلل بالبدر
 تود الحسان الغيد لو حليت به
 عقوداً لجيداً أو وشاحاً على الخصر
 فما للرياض الزاهيات اخضرارة
 ولا للحياض المترعات على النهر
 سلونا به عن كل غيدا وأغيد
 وزال به همّ الذي حل في الصدر
 فلا زال بدر الدين يهدي لطائفاً
 كأخلاقه كالغصن كلل بالزهر
 ولا زال محروس المقام مبلغ الـ
 مرام قير العين بالسعد والنصر
 محوط لآيات الكتاب مشرف الـ
 جناب رفيع الشأن في فسحة العمر
 وصلّ على حسن الختام وكرر السـ
 لام عليه ثم عترته الغر
 انتهى الموجود من المراثي في شيخ الإسلام، وهي كثيرة، والإختصار بنا أولى، وإلا
 فمحاسنه كثيرة، وتستغرق مجلدات لكثير فضائله، وسعة علومه، كما قال أبو الطيب:
 وقد أطال ثنائي طول لابسه
 إن الشاء على التنبال تنبال

شكر الله له ما أسلفه، وبارك فيما خلفه، وهو مع هذا خزنة العلوم، وفارس منطوقها والمفهوم، له فوائد تقف عن معارضتها الأفكار، وفوائد تحيّر عن مساجلتها ثاقبات الأنصار، منها (المختصر المفيد فيما لا يجوز الإخلال به لكل مكلف من العبيد)^(١) في ظوابط الفقه واستطرد إلى علم الباطن، (وتصفية القلوب لذكر علام الغيوب)، ومنها (سلافة المعاصر في حسن سيرة الإمام الناصر)، ذبّ فيها عن إمامه الناصر إذ كان من أعوانه وتلامذته وملازمي حضرته، وتولى القضاء من جهته في البلاد الحيمية^(٢) وهو في ريعان الشباب، وإبان الطلب، فقام بحقوقه في حياته، وبعد وفاته، ورد على من طعن في سيرته، وقدر في طريقته، وأنكر اجتهاداته، من أهل الزيف والضلال، وأعوان الظلم ورؤساء الجهال، فربما اتسع منهم في أعراض الأئمة الأطهار، واستنكروا ما استحسنة العقل والشرع، وعرفوا ما قبّحه، وألفوا قواعد الظلم وداعي الشهوات، وزينة الحياة الدنيا، وإتيان المقبحات، والميل إلى الراحات، وارتكبوا ما أجمع على تحريمه علماء الشريعة المحمدية، ونطقت بحضرة السنة النبوية، فمدحوا ما ذمّه الله، وذمّوا ما مدحه، رعاغ أغمار، أتباع كل ناعق، وأحزاب كل منافق، فجزى الله العلامة شيخ الإسلام الجزاء الأوفى.

الإمام الناصر عبد الله بن الحسن عليه السلام

وهذا الإمام العظيم العلامة المبرز المجتهد، الحافظ، الذكي، الخريت، الألمي، الفائق في جميع العلوم، عقلاً ونقلاً وفرعاً وأصلاً، الناصر لدينه عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الإمام المهدي لدين الله العباس بن المنصور الحسين بن المتوكل قاسم بن الحسين بن المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ٥٠٠، وبقية

(١) وقد طُبع.

(٢) بلاد واسعة بالغرب من مدينة صنعاء بمسافة (٣٧) كيلاً إلى بداياتها وتنقسم إلى قسمين الحيمة الداخلية ومركزها (العزّ) والحيمة الخارجية ومركزها (مُفَحّق) انظر معجم البلدان والقبائل اليمنية (١/ ٥٥٠، ٥٥٢).

نسبه معروف، وهو حقيق بالعناية، خليق بالرعاية، فقد جهل الأشقياء حقوقه، وأنكروا طريقه، فذبّ عنه شيخ الإسلام -رحمه الله-، ودججه في عقد سيرة الأئمة القائمين بالقسط، وأوضح ما ورد في سيرهم مما وافق الإجتهدات الناصرية وأنه، ماشٍ على سننهم القويم، جارٍ على صراطهم المستقيم، وتوفي هذا الإمام شهيداً بأيدي أعداء الله الباطنية، من همدان، في سلخ شهر صفر بوادي ظهر، سنة ست وخمسين ومئتين وألف، وقبره هناك مشهور البركة، وظهرت له كرامات بعد موته واستشهاده وصبت على قاتليه المصائب، وتوالت عليهم النوائب، والله فيهم نقمة لم تبلغ، وعذاب الآخرة أشد وأبقى، وقد وثق شيخ الإسلام -رحمه الله- سيرته، وأفاد في أحواله، وهذا شأن من امتحن الله قلبه بالتقوى، من شيعة آل المصطفى، يجددون محاسنهم في بطون الدفاتر، ويودعونها صفحات الأوراق باللسنة المحابر، فهو شأن من تمسك بالجلب الوثيق، واعتزى إلى خير فريق، وسلك واضح الطريق، من حب أهل بيت المصطفى، ولزوم نهجهم المقتضى، وأسرع في طريق الوفا، فيعقد على نصرتهم قلبه ولسانه وقلمه، كما كان عليه شيخ الإسلام، أحسن الله نزله، وتقبل عمله، وحقق أمله.

وله أيضاً مؤلفات ورسائل وأجوبة ومسائل كثيرة اشتملت عليها مجاميعه ولكنه كان لا يشيعها توضعاً وخشية من الريا، وهي طريقة مستحسنة ولا بد أن يكون لها في الآخرين نبأ إن شاء الله.

[محمد بن إسماعيل عشيّش^(١)]

ومن أجمع على قيام مولانا إمام الزمان %، واعتقد إمامته، في ذلك المقام الأخ العلامة الزاهد المفيد الفذ، الفهامة الوحيد، ذي الخلق المرضي، والسعي الحميد،

(١) محمد بن إسماعيل بن يحيى بن محمد بن حسن بن زيد بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن محمد بن الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة "، توفي في الحديدة في حبس المشير الظالم مصطفى باشا في ذي القعدة سنة ١٢٩٦ هـ.

والمنهج الواضح الرشيد، والورع الكامل، والكرم الشامل، بدر الدين محمد بن إسماعيل الحسيني الملقب عشيش، من ذرية الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة سلام الله عليه، وهذا السيد العظيم هو بركة الأوان، وحسنة الزمان، ومطلب الإحسان، والمتصدر للإفادة في جامع صنعاء، ومتخذ له محلاً وربعاً، أكثر طلبه الوقت مثالون عليه، وراجعون^(١) في تلقين العلوم إليه، وله ملكة في التعليم، وحسن صبر على الطلبة ورفق وحسن خلق، وهو مع هذا يشارك في الأدب، أخذ فيه بأعذب مشرب ربما نظم منه أشعاراً رائعة، وكلمات فائقة، منها تنمة التتمة للبسامة المشهورة للسيد صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله المعروف بابن^(٢) الوزير مرثاة أئمة آل المصطفى، وتتمتها للسيد العلامة داود بن الهادي المؤيدي^(٣)، وتنمة التتمة للسيد العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي^(٤) شرحها بالآلئ المضيئة، وقد كمل فيها السيد العلامة نادرة عصره، وزينة دهره، عبد الله بن علي بن عبد الإله الوزير، العلامة الأديب، الذي أزرى ببلاغته على عبد الحميد، وفاق بفصاحته على الفاضل المجيد، وجعل ذيلاً على البسامة بلغ فيه من الفصاحة ما هو حقيق، وبنسج ديباجة لفظه خليك، وكملها الأخ العلامة عز الإسلام صاحب الترجمة بذكر من دعاء من أئمة الحق في هذه الأعصار، وأسرع إلى طريق العترة الأطهار، وهذه البسامة عارض بها السيد صارم الدين قصيدة

(١) في الأصل: راجعين، والصواب ما أثبتناه.

(٢) إبراهيم بن محمد الوزير صارم الدين، كان حافظاً مجتهداً، شاعراً، أديباً، ولد سنة ٨٣٤هـ وقرأ في صنعاء وصعدة وصار المرجع في عصره والمشار إليه، توفي رحمه الله سنة ٩١٤هـ ودفن بجزيرة الروضة، ومن مؤلفاته: البسامة قصيدة في تاريخ الأئمة، والفصول اللؤلؤية، وهداية الأفكار وغيرها. انظر أعلام المؤلفين (٦٩-٧٠).

(٣) داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن عز الدين بن الحسن المؤيدي: ولد سنة ٩٨٠هـ، تتلمذ على علماء عصره وكان عالماً، فاضلاً، إماماً في العربية، شاعراً مجيداً، توفي سنة ١٠٣٥هـ.

(٤) أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي الحسيني، ولد سنة ٩٧٥هـ تنقل لطلب العلم من هجرة إلى أخرى، وأجل مشائخه الإمام القاسم بن محمد ٥% وأجازه، ومن تلامذته الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، والحسين بن القاسم، وكان عالماً، عابداً، زاهداً، وشهرته تغني عن وصفه، ومن مؤلفاته: (شرح الأساس الكبير والصغير، والآلئ المضيئة) وغيرها. انظر أعلام المؤلفين الزيدية، طبقات الزيدية وغيرها.

الفاضل، ذي الوزارتين، أبي محمد بن عبدون^(١) التي رثى بها بني الأفتس، ملوك بطليوس، من إقليم الغرب وجزيرة الأندلس، وذكر فيها كل ملك ورئيس مقتول، وأبدع في نظامها، وأبلغ في انسجامها، ولها شروح منها أطواق الحمامة، لعبد الملك بن زيدون، وقد استمد السيد صارم الدين منها في بسامته كثيراً في القوافي وضمن به منها بعضاً، وهما فرسا رهان، ورضيعا لبان، في بلاغة اللفظ وحسن البيان.

ترجمة سيدنا العلامة الحسين بن عبد الرحمن الأكوع رضي الله عنه

وممن حضر ذلك المجلس، المجمع فيه على قيام مولانا وإمامنا %، سيدنا الفقيه العلامة، الفذ الفهامة، الناشئ في طاعة الله، السالك منهج الشيعة، الماشي في طريقتهم الوسيعة، المتمسك بولاء آل رسول الله، والمؤثر لمذاهبهم على سائر الفرق، لسان أهل الحق، وشمال الطلبة، ومرجع الفتوى، ومجتمع أهل التقوى، شرف الإسلام الحسين بن عبد الرحمن بن حسين بن علي بن حسن الأكوع شرف الله مقعده، وأزلف مقصده، وهذا العالم الجليل، الفاضل النبيل، نشأ في جامع صنعاء، وكان جل أوقاته حالاً بساحاته، اشتغل بالطلب، وبرع في فنون العلم التي هي أشرف مكتسب، وكان حماسة الجامع المقدس لا يكاد يفارقه في أغلب أوقاته، وتفرد في عطلة الوقت، وخلو العلماء، وقيام الفتنة الدهماء، بإفادة الطلبة والإفتاء، وكان التعويل عليه، والرجوع إليه، وامتنحن في آخر عمره بغلبة السفهاء، وإمرة الأشقياء، في مدينة صنعاء، فجهلوا حقوقه، وعاملوه بالقبيح، فحبس أولاً لا بذنب اقترفه، ولا بسوء معهم أسلفه، بل تعدياً وظلماً وحسداً لفضله، فكأنه بعد ذلك انقبض عن ملازمة الجامع المقدس، وتخلّى عن الإقراء.

(١) أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري، كان أديباً، شاعراً، كاتباً، مترسلاً، عالماً بالأثر ومعاني الحديث، واستفاد الناس منه، وتوفي سنة ٥٢٧ هـ.

نكت أهل صنعاء بحسين بن المتوكل وعاقبته

فلما حصل من أهل صنعاء نكت بيعة الإمام، وأرخي لهم الزمام، واجترحوا الآثام، وعارضوا بحسين بن المتوكل^(١) أحمد بن المنصور وجعلوه سلماً للشقاق، ووصلة للنفاق، وأدخلوه صنعاء مراغمة للحق، ومعاندة لإمام الزمان، وهو أي حسين بن المتوكل قد جبل على استحلاء قواعد الظلم والعدوان، وعرف سبيل الغي والبهتان، لا يعرف من الشريعة المحمدية نقيراً، ولا من السيرة المرضية قطميراً، بل اشتهر منه عداوة الحق، ومن قام به، وله تهافت على تولي هذه الأمرة على أي حالة وجدت، قد اشتد غرامه، وعظم لزامه وانعكس عليه مرامه، فصار ضحكة للمنافقين، وآلة للناكثين، ينصبونه إذا عدموا المساعد، وفقدوا المعاضد، توصلاً إلى إبطال حجج الله، وإطفاء نور الله، ﴿وَيَأْتِىَ اللَّهُ إِلَآ أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

فلما دخل صنعاء بمساعدة أهلها وكثرت عداوتهم للحق، إلا القليل من الشيعة، حاول هذا الشقي بتتبع من عرف منه الميل إلى محبة أهل البيت، وموالاته الحي منهم والميت، وأعانه على هذه الطبيعة الفاسدة من انطوى على العداوة والشنآن، وارتكب كاهل البغي والعدوان، من زعانف الأراذل أهل النصب والشقاق، ونتاجف أهل الزيف والنفاق، فأرسل هذا الغوي للفقير العلامة الشرفي^(٢) -رحمه الله-، وصنوه الفقيه محمد بن عبد الرحمن، وأراد قتلها وأخرجها إلى الميدان وأذاقها الهوان، وزعم أنها كتبا إلى أنصار الحق وأهل المحبة لمولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله سلام الله عليه، ولا حقيقة لما زعمه، ولا صحة لما أوهمه، إلا أنه وأخلائه يعلموا من هذا العالم الميل إلى الحق، والتمسك بالعروة الوثقى، من محبة أهل البيت النبوي، والقول بالإمامة

(١) أحد المعارضين للإمام % ويلقب (الذعرور) دعا إلى فتنه عام ١٢٨٠ هـ ودخل صنعاء بلعبة من عاقلها محسن معيذ سنة ١٢٨١ هـ وجرى بينهم من الشقاق والخلاف ما يكون عبرة لمعتبر كما سيمر بك.

(٢) يعني صاحب الترجمة.

لصاحبها الذي جعل الله زمامها بيده، وقوامها بعضده، وحصل على هذا العالم من الضرر العظيم، والتهدد المقعد المقيم، ما يلحق بما نال شيعة الحق في الدولتين الأموية والعباسية، وفي ذلك أسوة للصالحين، وسلوة للعارفين، ومنقبة لاتباع الأئمة الهادين، ونال بما جرى في جنبه رفيع الدرجات عند رب العالمين، وآل أمر هذا المعتدي، إلى أن أودعها سجنه، وضاعف عليها العقوبة والمحنة، حتى جعل عليهما جملة من المال أنفقا فيها المصون، وأنفدا ما يجدون، وبقي في الحبس حتى نهض مولانا أمير المؤمنين أيده الله بملائكة النصر المبين، من الجهة القبلية إلى محاصرة صنعاء وأهلها، وشن عليهم الغارات، ونادى يا للثارات، وتقلد عزيمة علوية، وشكيمة نبوية، واغتار للدين، ولجناب العلماء العاملين، وأذاق الناكثين الوبال، وجزاهم بسوء الأعمال، فأطلقوا سيدنا العلامة الشرفي، صاحب الترجمة، وبقي في بيته أياماً، حتى وافاه الحمام مظلوماً، شهيداً مرضياً جميلاً، وكانت وفاته في شهر القعدة الحرام، أحد شهور سنة أحد وثمانين ومئتين وألف سنة.

ومما قيل فيه من المراثي هذه الأبيات للقاضي العلامة الأديب النحرير شرف الإسلام الحسين بن إسماعيل جفمان شكر الله مقالته وأحسن مآله: [من الخفيف]

أي هول أجري عيون الليالي
أدمعاً من عقيقها والالالي
أي هدم به تناثر نظم^(١) الـ
ـدين وانهدشأخات العوالي
أي أمر به جراقلم القـد
رة في الناس من وضع وعالي

(١) في نسخة: نجم.

أي خطبٍ لم يأت فيه نظير
 من خطوب الزمان والأهوال
 أي كرب به تكدر صفو العـ
 يش للمسلمين في كل حال
 أي ثلم في الدين قل فلم ير
 جع حتى يأتي الملاء للمال
 أي كلم في العلم ليس له من
 اندمال وربنا المتعال
 من مصاب أصاب أمة طه المـ
 مصطفى المجتبي نبي الكمال
 أنشبت لبوة المضايا^(١) إماماً
 وعلماً ما إن له من مثال
 شرف الدين أزهى الوقت^(٢) طراً
 العلیم الکريم شمس المعالي
 حافظ المذهب الشريف وشيخ الشـ
 يعة الأكـرمين بعد الآل
 نجل عبد الرحمن من أظهر الله
 به نور الحق عند الضلال^(٣)
 مرجع الطالين إن أشكل الأمـ
 روفصل الخصام عند الجدل

(١) في نسخة: المصاب، وفي أخرى: المنايا.

(٢) في نسخة: الخلق.

(٣) في نسخة: به الحق عند ليل الضلال.

بحر علم يفيض في الروض حتى
يحتني من ثمارها كل نالي
فترى السائلين في روضة النا
ضر للإلتقاط والإلتوالي
وثمار الرياض فيها صنوف
من فنون الضروب والأشكال
جمع الله فيه من كل علم^(١)
ووقارٍ وذاك غير محال
شجعت قلبها المنيّة لم تر
قرب حق العلوم والأعمال
أخذت روحه سراعاً ونادت
ذا صريع بالهدم لا بالنصال
هدمته الطغاة بغياً وعدوا
نأولم يتقوا شديد المحال
أين هم من مقال طه النبي في
كعبة الله من لها القدر عالي
فخراب لها على حجر أهـ
ون من هدم مسلم كل حال
كيف بالعالم المبرز مفتي المسـ
لمين الرحيم رحب المجال

(١) في نخسة: جمع الله فيه كل علم وفضل.

أنصف الله منهم بانتقام
عاجلاً بالني ثم الآل
والصلاة الكبرى على خير رسل
الله طهه وآله ذي الكمال
انتهت.

وهذا حسين بن المتوكل وحزبه، صُبت عليهم المصائب، وتوالت عليهم النوائب، وألوت بهم الأجناد المتوكلية، وعظمت عليهم البلية، حتى آل أمرهم إلى فساد ذات بينهم، وأراد الوقعة بعامل أهل صنعاء محسن معيضي^(١) وحاول الغدر به بعظم مهيض، فثار أهل صنعاء وألَمُوا بداره، وأزعجوه عن قراره، وأخرجوه عنها صاغراً ذليلاً، لا يجد قطميراً ولا فتيلاً، ويعض كفيه، ويقرع سنه وأخدعيه، وله ولإخوته عيال المتوكل سلف في الجرأة على الله، ومعادات أولياء الله، وإهانة العلماء الأعلام، والإستخفاف بشعائر الإسلام، فإنه سبق لأخيه عبد الله الملقب بالمهدي^(٢) قضية حي شيخنا العلامة المحقق الحافظ الجهد الأكبر، المركز الواضح الأنور، الشهيد الحميد المطهر، محمد بن صالح السماوي الملقب حريوة، وما اجتزره هذا الملك الضال، من خسيس الأفعال، فلما قام العلامة المذكور بما وجب على حجج الله في أرضه أن لا يعاروا على ظلم ظالم، وأفيكة آثم، وأنكر المنكرات التي اعتمدها، اجتراً عليه هذا

(١) محسن بن علي معيضي، كان من أفراد صنعاء يتجر في قشر البن، ثم نصب عاقلاً عليها وعاهد الإمام % أكثر من مرة ونكت، وقيل إنه ممن أشار على مصطفى عاصم بحبس العلماء في الحديدة ثم حبسه إسماعيل باشا وتهده بالقتل وكفل عليه بعض تجار صنعاء في تسليم ما طلبه الوالي منه واستدعاه ليلاً وقد نصب له الخانوق (المشتقة) فسلم ما طلبه منه تلك الليلة وهو نحو أربعين ألف ريال ثم أطلقه وقد شرع فيه المرض وهلك لعلها سنة ١٢٩٨هـ.

(٢) المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد بن المنصور بن علي أحد الظلمة الطغام، تولى الملك سنة ١٢٣١هـ، وولد سنة ١٢٠٨هـ، وله فتكات بأهل الحق والمحقين وبالعلماء والعاملين، قتل العلامة المحقق محمد بن صالح السماوي بسبب كلمة حق أشاعها أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقد بايع المهدي عبد الله القاضي الشوكاني ومدحه في كتابه البدر الطالع وهلك سنة ١٢٥١هـ.

عبد الله بن المتوكل، وبطش به بطش جبار عنيد، ومعتد مريب، وأهانته بالضرب والدوران كما يصنع بأهل أعمال السوء من الفساق، ثم غرّبه إلى بندر الحديد وأمر بضرب عنقه هنالك وصلبه، ونال منازل الشهداء، وطريقة أهل الاقتداء، وظهرت كراماته، وسطعت آياته، حتى أجمع الموالم والمخالف على سماع تلاوة القرآن من قبره ليلة الإثنين والجمعة، ونقل ذلك الإثبات، وأخبر به الثقات.

ترجمة الشهيد العلامة محمد بن صالح السماوي الملقب حريوة رحمه الله

ورضي عنه

وهذا العالم الجليل، هو خاتمة العلماء المبرزين في العصر الأخير، ومطلب الإحسان، والمشار إليه بالبنان، ومركز دائرة أهل التحقيق، وغرة جبين أهل التدقيق، الخائض في عباب العلوم، بما تعجز عنه القرائح والفهوم، حتى فاق وراق، وجلى بعلومه الآفاق، وحصل على اجتهداه الإتفاق، وأحاط بعلم المعقول والمنقول، وصار حجة أهل العقول، والمرجع في الفروع والأصول، وإمام العربية والبيان، وزمخشري لطائف القرآن، والحافظ للآثار، وناقد الأخبار، وثاقب الأنصار، والذي لا يشق له غبار، ولا يجارى في حلبة ولا مضمار، حتى شخصت إليه الأبصار، وحارت لتحقيقه الأفكار، وبرز في ميدان الكمال، وطارت بتصانيفه الأقوال، وسلم له أهل المعارف، وخضع له الموالم والمخالف، وانعقد عليه الإجماع، واتفق على فضله أهل الأوضاع، وبهرت مسائله، واشتهرت رسائله.

وله مصنغات هي بغية النفوس، وجلاء كل بؤس، وعقله العجلان، ورياض الإحسان، منها (الغظمم الزخار المطهر لحدائق الأزهار عن نجاسة السيل الجرار) رد فيه على الشوكاني^(١) لَمَّا أَلَفَ (السيل الجرار) ونقم فيه على (الأزهار) في بعض

(١) والشوكاني من مشائخ المؤلف.

المسائل، وتجاراً بالقول على مذهب العترة المطهرين، ونسب إليهم مخالفة السنة النبوية، وجهل الأدلة الشرعية، فتصدى هذا العالم للرد عليه بما يعجز عنه فحول العلماء، ونحارير الحفاظ، وأوضح في الرد، وأفاد وأجاد، وبالع في تخطئته، ورد عليه في عجزه، ولكنه لم يتم ذلك التأليف، بل بلغ فيه إلى أثني كتاب الصلاة، وقد صار مجلداً ضخماً تستفاد منه العجائب، وتستجلى من فوائده مخدرات الغرائب.

وله كتاب (الإمام في أحاديث الأحكام) مجلدين، أوعب وأعرب، وأفاد وأعجب، وألم بأحاديث الأحكام، وأدلة الحلال والحرام، وجمع فيه ما لم يسبق إليه فأغنى هذا الكتاب المبارك عن كثير من كتب الحديث، مع نقد للأحاديث، وتخريجها من أمهاتها، وذكر عللها، وما يحتاج إليه من التصحيح، وذكر الطرق والكلام على رجالها، فجاء سفيراً مفيداً، وعقد في صدور العلوم فريداً، فجازه الله عن الإسلام خيراً، وله شرح على المواقف العضدية في الأصول، لعله لم يتم ولم أقف عليه بل ذكره مولانا العلامة محسن^(١) بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن الإمام المهدي أحمد بن حسن في ترجمة الشيخ محمد.

وله (القول الطيب والعمل الصالح) جواب على أهل مكة، في مسائل وردت في الصفات، أفاد فيه ووفي بالمراد، وسبق غيره من علماء وقته فإنهم تصدوا للجواب منهم المطنب ومنهم المختصر، فما شقوا له غبار، ولا جاروه في مضمار، بل وقفوا في الحضيض وهو في منازل الجوزاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فليعلم الناظر تجاري هؤلاء الأغمار، وتساهلهم بالدين، وعدم مبالاتهم بأوعية الشرائع، فإنه وقع قتله جرأة وعدواناً، لأجل كلمة حق أوضحها، وقضية منكر أنكرها، وبالله وللمسلمين، من هذه

(١) محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق، كان شاعراً، أديباً، عالماً، عارفاً، ولد في ربيع الأول سنة ١١٩١ هـ، وله قصائد حسنة ومؤلفات شروح لبعض قصائده، توفي رحمه الله بصنعاء سنة ١٢٦٦ هـ في شهر ذي القعدة.

الجرأة على رب العالمين!!، والتهاون بأمر الدين!!، ولكن الله سبحانه قد اجتث ملكهم، وأوهى سلكهم، وسلبهم النعمة التي لم يقوموا بشكرها، ولا أدوا حقها، وقد سلك سبيل هذا المفتون أخوه محمد الملقب الهادي، فإنه لما ارتقى إلى ذروة هذا المنصب، استخف بالعلماء، وهتك منصب سرج الظلماء، وتجارى على حي والدنا العلامة المدرس المفيد، الفهامة التحرير الرشيد، محمد بن محمد بن عبد الله الكبسي- لا لسبب، وأرعى العنان للعبد الطاغي المسمى فيروز، فعامل هذا العالم معاملة أهل البطالة والفسوق، وسجنه لديه في مسكنه الخبيث، وعبث به بالضرب ومضاعفة القيود والأغلال، وأخذ مساكنه وما يملكه من العتاد، تجارياً واستخفافاً بحقوق آل رسول الله، وتعالى على الله، واشتغلاً بما انطوت عليه عقيدة سيده، وانطبعت عليه سريره، وأنه عدو لله ولرسوله، ولدينه في استخفافه بحق العلم الشريف، وتهاون به بما يجب لذرية رسول الله ﷺ حتى استوعب جميع أملاكه وبيوته، وتركه فقيراً لا يملك نقيراً ولا قطميراً، ثم تعدى الحال بهذا العبد الطاغي بأمر سيده، إلى أن أراد ما هو أعظم وأكبر وأطم فإنه قبل أن ينتقم الله منه أمر هذا العبد الطاغي بالإرسال لحي شيخنا والدنا العلامة المجتهد الجهد الكبير الحافظ الإمام بقية الحفاظ وآخر العلماء المبرزين، وشيخ الشيوخ، وإمام أهل الرسوخ، وترجمان السنة والقرآن، وزمام العربية والبيان، وحجة أهل الأصول، وسوار المعقول والمنقول أحمد بن زيد بن عبد الله بن ناصر بن مهدي بن قاسم الكبسي، وقد أعملوا رأيهم الفاسد على إهانتته، والإيقاع به، فلم يمكنهم الله من ذلك، بل ألهمه الله الفرار منهم إلى هجرة الكبس المحمية بالله سبحانه، وبقي فيها حتى أظهر الله برهانه، وانتقم له من هذا الطاغية، فإنه أراد هذا العبد الخروج من صنعاء، وسؤل له شيطانه أنه سيصلح البلاد، ويستعين بالإفرنج الذين في بندر عدن، ومكنه سيده مما بقي لديه مخزون، وأودعه كل مصون، فخرج في شرذمة من

الأجناد، فاجتمع عليه قبائل خولان وأخذوه أخذة رابية، واغتنموا تلك الذخائر، وهتكوا ذلك الفاجر، وأودعوه السلاسل والأغلال، وقادوه إلى محلة الرويشان في ذل وهوان، فبقي لديهم أسيراً ذليلاً حسيراً حتى قادوه إلى القتل بعد هلاك سيده، وضربت عنقه، وقطعت من الحياة علقه، واطمأن الحال بشيخنا والدنا العلامة صفي الدين، ورجع إلى وطنه بصنعاء اليمن قرير العين، بريئ من الشين، وقد أكرمه الله بهلاك أعدائه، ونفاذ من تعداه.

وهذا عارض أجرى ذكره جرأة هؤلاء القوم، وتهاونهم بالعلم الشريف، وأن حسين بن المتوكل جرى في إقدامه على العلامة الحسين بن عبد الرحمن الأكوع، على منوال إخوته، وسلفه، وأنها شنشنة أخزمية، ونفوس ردية، وأن شرف العلم الذي هو فوق كل شرف، لم يراعا عند هؤلاء الأغمار، والسبب ميلهم إلى أهل النصب، والحشو والانحراف عن مذهب العترة الأطهار، فليعجب المتعجب كيف آل إليه هذا المنصب الشريف، ذلك ثمرة الظلم، وفعل المحرمات، فالله سبحانه يوفقنا لطريقة آل المصطفى، ويلطف بنا فيما ظهر وخفى.

[محمد بن إسماعيل الكبسي أخو المؤلف^(١)]

ومن أجمع على هذه الإمامة الغراء، والخلافة النبوية الزهراء، أخي ومخدومي العلامة البدر الأنور، والفهامة الجهبذ الأكبر، خريت المعارف، وتليد الأدب الوارف، والبحر المتدفق بجواهر اللطائف، إنسان عين الكمال، وكلية الفضائل، وحميد الخصال، شحاك أعداء الشريعة، ومركز دائرة المحامد الوسيعة، وثمان المخلصين من خلص الشيعة، ذي العزائم الحيدرية، والشكائم الحسنية، والهمة التي تناطح النجوم، والنجدة التي تقف عن وصفها ثاقبات القرائح والفهوم، من أحيا الله به روض الشريعة

(١) كانت وفاته في ٩ جماد الآخرة سنة ١٢٨٩ هـ، نيل الوطر (٢/ ٢٤١).

المحمدية في البلاد الطاغوتية، وأعلا به سماء الأحكام النبوية، والطريقة المحمدية، حتى أشرقت شمسها، وانجلى بؤسها، واسفر عبوسها، وأذعن لسطوته أعداءها، وخضع لهيبته من أرادها بسوءٍ، وتعداها صاحب الأنظار الثاقبة، والآراء الصائبة، والمكارم التي ملأت الأصقاع، وعمّت البقاع، وطبقت الرقاع، حافظ الآثار، وناقد الأخبار، وتاريخ الزمان، المحيط بأنباء الأعيان، وترجمان السنة والقرآن، ومقلد سواف أجساد القريض بفرائد قلائد الدر والمرجان، وقصائد وسائط فلذ الياقوت في أعناق الخرد الحسان، من نظمه الذي هو اللؤلؤ المنظوم، ونثره المزري بأنوار النجوم، رئيس بلده الثاقب الأحكام، وعقيد قومه في كل حل وإبرام، محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن قاسم بن عبد الله بن يحيى بن أحمد بن حسين بن الناصر بن علي بن معتق بن الهيجان بن القاسم بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين وابن فاطمة الزهراء وخامسة أهل الكساء بنت رسول الله ﷺ وعلى أرواحهم الطاهرة، صلاة لا يبلغ عددها، ولا ينقص مددها، عدد ما أشرقت عليه الشمس والأقمار، وعدد قطر البحار، وورق الأشجار، فهو نسب شريف، وعقد فخار منيف، وقد ذكرته فيما أسلفت من الإجازة لإمام الزمان وأعدته تطرباً وتطلباً لحفظه ممن أثر ذلك من الإخوان والأعوان.

وصاحب الترجمة هو شقيقي، وأنيسي ورحيقي، ومحبوبي في مقري وطريقي، وهو ممن أخذ في العلوم بنصيب وافر، وسهم قامر، وذهن سليم، وطبع مستقيم، حتى أتم الله له المرام وبلغه المقصود التام، وأقرّ به العيون، وأودع فيه السر المكنون، فولي القضاء في الجهة الخولانية في مستقر أهله، ومحط رحله، فاشتدت به شوكته، وعلت همته، وقويت شكيمته، ونفذت أوامره، وسطعت أحكامه، وهو الآن الغرة الشاذخة، والدوحة الباذخة، إليه مآل أهل هذه البلدة، وإليه يرجعون عند كل شدة، وأعطاه الله

هية في صدور الناس، وقبولاً في أوامره أطال الله بقاءه، وأمتع الوجود بوجوده وجعل السعادة مستمرة بسعوده.

محمد بن القاسم الحوئي الإمام المهدي^(١)

ومن أجرى في هذه الإمامة النبوية حكمه، وعقد عليها علمه ورسومه، واعتقد ثبوتها في حله ورحله، وأجلب في نصرتها بخيله ورجله، العلامة النحرير، الفذ الجهبذ الكبير الفهامة، القابض على معضلات المسائل، والآتي وهو الأخير زمانه بما لم تستطعه الأوائل، والمزري ببالغة ألفاظه وبدائع أفكاره بسحبان وائل، ذي الأخلاق العاطرة، والسجيا التي هي روضة ناضرة، والفهم الثاقب، والنظر الصائب، سيف الإسلام وحواري مولانا الإمام، ويده الباطشة، ومقر مودته الرايشة، وثالث القمرين، وثاني النيرين، وقطب الشريعة، ومعيار العلوم الوسيعة، وكشاف العويصات، ومظهر الخفيات، وإمام العلوم، وروضة المظنون والمعلوم، محمد بن قاسم بن محمد الحوئي الحسيني، وهذا السيد ممن كثرت ملازمته لإمام زمانه، واطمأن إلى ولايته ومحبته بقلبه ولسانه، وجَدَّ في نصرته، وثبت في طاعته، وكان صدى ونجي خلوته، والمقدم في الأعمال، والكامل الفرد في حميد الخصال، ولي النيابة عنه في مدينة صنعاء، وكان سيفه

(١) الإمام الأعظم المهدي لدين الله محمد بن القاسم بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله بن محمد بن الإمام المؤيد بالله مجيبى بن حمزة، كان إماماً، عالماً، مجتهداً، مجاهداً، أخذ العلم عن علماء عصره، وعن الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد صاحب هذه السيرة، ولازمه وتولى له، وكان من العلماء العاملين المخلصين الثابتين الذي لا يشق له غبار، وسجن في الحديدة في سجن الأتراك، ودعا إلى الله بعد وفاة والدنا الإمام سنة ١٢٩٨ هـ، ومن مؤلفاته: الموعظة الحسنة ألفها بأمر والدنا الإمام وكانت ضمن دعوته، والبدور المضئية جوابات الأسئلة الضحائية، وله فتاوي بلغت مجلدات وغير ذلك، وبه جدد الله الدين في المائة الثالثة، ولم يزل معلماً للأمة معالم دينها حتى توفاه الله يوم الجمعة من رجب سنة ١٣١٩ هـ وقبر بجبل برط.

انظر التحف الفاطمية (٣٦٥-٣٧٥) وغيرها.

القائم بأمورها، وتصدر للنيابة عن شيخ الإسلام جادت عليه سحائب الرضوان في القضاء الأكبر، فحسن في ذلك أثره، وطاب خبره وخبره، وصدعت أحكامه، وطاب مقامه، وثبت في ذلك قدمه، وهو الآن في حصن ذي مرمر، محمود الورد والصدر، نائباً عن الإمام، شحاك في حلق الطغام، حلية لجيد الخلافة، كشحاً على عاتق العصر، وحرماً عاصماً من كل مخافة، أبقى الله عزته وحرس مهجته.

ترجمة العلامة شرف الدين الحسين بن علي بن الحسين بن يحيى بن

أحمد الكبسي^(١)

ومن انتظم في سلك نظام الإتيام، وتمسك بأهداب هذه الخلافة في أحسن نظام، الولد العلامة، المحقق الفهامة، محل المشكلات، ومفتاح مغلق العضلات، الثاقب النظر، والحافظ الأكبر، والخريت الماهر، والروض العاطر، والسحاب الماطر، حميد الخصال، شريف الفعال، سامي المهمة القعساء، طاهر الجيب، النقي من كل عيب وريب، الحسين بن علي بن الحسين بن يحيى بن أحمد الكبسي ثبت الله قدمه، وأجرى في المعالي علمه، ونفع بعلومه، وبارك في رسومه، وهو الآن غرة في جبين الفضائل، درة في عقد الأمثال، مرجع في الفتوى، مردع للأهواء، عوناً لإمام الزمان، من ملازمي حضرته، وخواص أسرته، معيناً في الفتوى، وولاية القضاء، والنظارة في أعمال الوقف الكبير بمدينة صنعاء، قد جمع الله فيه حميد الخلال، وشريف الأفعال، ونور قلبه لإصابة

(١) ولد بهجرة الكبس من خولان العالية سنة ١٢٤١ هـ، وأخذ عن القاضي العلامة أحمد بن عبد الرحمن المجاهد والقاضي العلامة عبد الله الغالبي وعن المؤلف، وكانت أكثر مقرواته عليه وكان ممن سجنهم المشير مصطفى باشا في سجن الحديد، وتوفي بصنعاء في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢١ هـ، ودفن بجربة الروضة جنوبي سور صنعاء. نزهة النظر (١/ ٢٧٤ / ٢٧٦).

الغرض المقصود، فصار عين الوجود، وغيض كل حسود، وسرور قلب كل ودود، أطال الله عمره في طاعته، وأدام عليه نعمته وهو ممن ضرب في بحور المعارف العلمية بأوفر سهم، وقدح فيها بأثقب فهم، وأحرز منها بغية القاصد، وروضة الناظر، وسبق في حلبتها، وبسق فرعه في كسبها، حتى أحرز منها المقصود، وصار فيها الحوض المورود، أفنى عصر الشبيبة في الطلب، وتحلى بحلية الأدب، وسبق من درج ودب، نفع الله بعلومه، وأمتع به الإسلام، وبلغه المرام.

ترجمة السيد العلامة يحيى بن محمد حميد الدين رحمه الله^(١)

ومنهم حي المولى العلامة الفائق في مكسب الكمال، المحلى في حيلة المجد عند انتقاد الرجال، السابق إلى كل مكرمة شريفة، والمجلى لكل معضلة عنيفة، والمبرز من فهمه الثاقب كل نكتة لطيفة، جوهرى اللغة العربية، وقاموس العلوم النقليّة والعقلية، والمجدد في الكتابة الهلالية، المنشئ البليغ، الفاضل المزري ببلاغته عبد الحميد، والعاقب في صناعته لما ختمه بن العميد، عماد الملة، وترجمان الأدلة، يحيى بن محمد بن الإمام المعروف بابن حميد الدين، وهو من ذرية مولانا العلامة الحجة المحقق الحسين بن القاسم سلام الله عليهما، وهذا الشريف المنيف، ذي المَحْتَد العالي اللطيف، ممن زين الزمن العاقل بحلية الأدب والمعارف، ومشى في روض التحقيق الوارف، وكرع من الأنهار العلمية غرفة طالوتية، أفرغت عليه أنوار الألفاظ الإلهية، فتمسك بالحق القويم، ومشى على الصراط المستقيم، وتمسك بالعروة الوثقى، وأحيا ما ثرى سلافه ومناقب أهله بما تحلى به من العلوم، والهمة التي تناطح نيرات النجوم، لزم

(١) يحيى بن محمد حميد الدين من ذرية الإمام القاسم بن محمد، توفي سنة ١٢٨١هـ في ربيع الآخر منها، ودفن بمقبرة خزيمة بصنعاء.

باعتاب أئمة الحق، وتمسك بأهداب هداة الخلق، وكان مع الإمام الناصر لدين الله عبد الله بن الحسن سلام الله عليه اليد الباطشة، والركن الأقوم، والعميد المقدم، ثم بقي على حسن السيرة، وصلاح السريرة، حتى صدعت الدعوة المتوكلية، فكان من أعظم أعوانها، وأقوم أركانها، روح الله روحه وأكرم فتوحه.

ترجمة ولده العلامة محمد بن يحيى حميد الدين^(١)

وقد بارك الله في سلالة هذا عماد الدين، وجعل له لسان صدق في الآخرين، فإن سليله العلامة، الشاب، التقى، الفهامة، عين أعلام الوقت، ورأس صدور الدست، المحقق في المعقول والمنقول، والمدقق في الفروع والأصول، عز الدين محمد بن يحيى بن محمد، بلغه الله في الكمال مرتبة أبيه، وجعله مباركاً فيه، هو الآن العين الناضرة في الحضرة، والغرة الشاذخة في النصرة، ملازم لحضرة أمير المؤمنين، يستضاء برأيه، ويراجع إلى ثاقب نظره، ويكفي في المهمات، ويشارك في تحمل العضلات، نافذ البصيرة، صالح السريرة، حسن السيرة، ومع هذا فقد أحرز من المعارف العلمية، واللطائف الأدبية ما تقرّ به العين، ويحلي الكرب والدين، وكدح في الطلب، وتمسك بأقوى سبب، فله اليد الطولى، والطريقة الفضلى، والمنزل الأعلى، في تحمل أعباء واجب هذه الإمامة الغراء، والخلافة الرسولية الزهراء، أبقاه الله شحاكاً للملحددين، وملاذاً لأهل الدين، وثبته على الحق المستبين.

(١) السيد العلامة محمد بن يحيى بن حميد الدين، لازم الحضرة الإمامية المتوكلية وتولى للإمام المحسن % وقاد معارك له مع الباطنية الطغام، منها معركة الزيلة بالحيمة التي بها دمر الله سطوتهم في اليمن إلى عصرنا، وتزوج ابنة الإمام المحسن % بمدينة حوث، هذا وقد قام بأمر الله بالإمامة العظمى سنة ١٣٠٧ هـ ولم يزل مجاهداً ناشراً للدين إلى أن توفاه الله سنة ١٣٢٢ هـ في ربيع الأول منها ودفن جوار والدنا الإمام بمدينة حوث المحروسة بالقبة التي يباي جامع الشجرة.

ترجمة السيد العلامة صفى الدين أحمد بن محمد الكبسى عافاه الله

ومن عقد هذه الإمامة الراسخة، وتلقى هذه الخلافة الباذخة، وأجمع على عقدها حين عقدت، وقبولها حين أشرقت شمسها وبرقت أساريرها، وبدت تبشيرها، الولد السيد العلامة، المحقق، الجهبد، الحافظ، النصار، المحيط بالمعارف الطائلة، والمفيد في أنظاره ومسائله، والواعظ البليغ المزري بقدامه، ومفتي الفرق، ولسان أهل الحق، والخائض في علوم الاجتهاد، بأوفر فهم وأكبر عتاد، ملحق الأصاغر بالأكابر، وحليف الموضوعات والدفاتر، وبقية العلماء المبرزين، وحجة أهل الزمان، والغرة الشاذخة في الأعيان، وسلطان المحققين في هذه الأزمان، صفى الإسلام وواحد الأعلام أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الكبسى الحسيني الحمزي أخذ الله بقلبه إلى الصواب، ونهج بآرائه نهج السنة والكتاب، فهو النمرقة الوسطى، والواسطة في عقد العلماء، والمحقق النظار، والمدقق الذي لا يشق له غبار، جدّ في الطلب وغصين شبابه رطيب، وبُرد عمره قشيب، فأخذ من المعارف واللطائف بأوفر نصيب، وحفظ المختصرات غيباً، ورجع إلى شروحها مهمة تناطح الفرقدين، وتعلو على النيرين، وبرز في الفقه والأصول، وعلم العربية وعلوم المعقول، على الجهابذة الفحول، ثم جدّ في سماع الحديث النبوي، والأثر المصطفوي، فأحرز فيه وفي علومه ما طاب، ووقر في القلوب والألباب، وصار مدرّس الزمان، والحجة في الأوان، الذي ما علا سواه معرج، وكعبة الطلبة الذي يطوف به من كل فج، والرحلة لطلب القراءة، والمقصود لاقتناص الشوارد، وولي القضاء في مدينة صنعاء، ثم عرض له ما أوجب ارتحاله منها، مع تحبّط أهلها، وعدم انقيادهم لأوامر الشرع، وإمارة السفهاء، واستقر في جبل برط وأكرمه أهلها، وانقاد له بدوها وحضرها، وأرشدتهم إلى الدين القويم، والحق المستقيم، فثبت الأحكام، وتبين لهم الحلال من الحرام، وأقيمت الصلاة واستمرت الجماعات،

وعمرت المساجد، وأبطلوا الأحكام الطاغوتية، ورجعوا إلى الشريعة المحمدية، وهو منتمي إلى إمام الزمان، مقيم الخطبة باسمه على رؤوس الأعيان، نسأل الله أن يثبتته على الرشاد، ويبصره السداد فهو بقية العلماء الأعلام، والغرة الشاذخة في هذه الأعوام.

ترجمة السيد العلامة شرف الدين الحسن بن عبد الوهاب الديلمي

رضي الله عنه ^(١)

ومن اعتقد هذه الإمامة العظماء، ورقى في تحملها إلى أفق السماء، ونافع عنها بالقلب واللسان، وصدع لكمالها بالجوارح والجنان، سلطان محقق علم العقول والمنقول، وإمام الفروع والأصول، وحجة أهل العقول، ونادرة البشر، وحافظ الأثر، والعقل الحادي عشر، صاحب التصانيف، وجامع التأليف، وروض الأدب الوريث، وقطب المعارف المنيف، الذكي الألمي، الحافظ اللوذعي، المزري بذكاء إياس، وألمعية ابن عباس، والحري بأن يدعى بابن سيد الناس، والناظم الذي تزينت الخرد الحسن بعقود فوائده جواهره، ورصفت منظوم آدابه في النحور والأجياد، ورصعت بآلئ خطابه باهيات الخدود، ولين قوامها المياد، أليف وصديقي العلامة المرحوم شرف الإسلام الحسن بن عبد الوهاب بن الحسين بن يحيى، يدعى بالديلمي نسبة إلى الإمام الناصر، أبو الفتح صاحب التفسير، الشهيد بنجد الحاج، وإليه ينسب هؤلاء السادة، منهم من سكن مدينة دمار، وطاب له فيها القرار، وصاحب الترجمة، روح الله روحه، هو سنان تلك الأسرة، وعالمهم في الفترة، وأحدهم في النصرة لهم بالدعاء في تلك الجهة إلى السبيل الأقوم، وسنة الله التي قد خلت في عبادته، من إجابة دعوة الحق.

وتلقى دعوة حي الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم بالقبول، وحث على المناصرة بقلبه ولسانه ويده، وجمع أهل بلدته، فأجابه العامة، وخالفته الخاصة، المنتمون إلى

(١) ولد بمدينة دمار سنة ١٢٢٩ هـ.

العلم بزعمهم، محبة في الدنيا، واتباعاً للأهواء، ومحافظة على وضائعهم الدنيوية، ومشاربهم الويبة، التي اعتادوها من معاونة أهل الظلم والفساد، فإني رأيت من ينتمي إلى العلم في هذه المدينة، أغفل الناس قلوباً، وأكثرهم ميلاً إلى البغي، ربما علموا يسيراً من الفقه، وانتسبوا إلى المذهب الهدوي، وهم أجهل الناس بطريقة الأئمة المحققين من العترة المطهرين، لا ينطبع في أفكارهم غير حب الدنيا، والحب والبغض فيها، حتى أن كثيراً منهم فارق مذهبه إلى أهل الدنيا والتجسس إليهم، وكان الأخ العلامة شرف الإسلام، جادت عليه سحائب الرضوان، قد ابتلي بهؤلاء الأعتام، وقاسى منهم عظيم الداء العقام، ولكنه - رحمه الله - لم يبال بتعجر فهم، ولا ردعه تفيهقهم، فإنه قام بالدعوة المتوكلية وبقي على وتيرة واحدة في إظهار كلمة الله، والدعاء إلى الله، حتى دعا داعي الأجل المحتوم، إلى جوار الحي القيوم، واختار الله له جواره في حرمه المحرم، ومسجده الأعظم، فإنه رحل لأداء فريضة الحج، وأكمل الله له المناسك، وأتم له المقصاد، ثم بدا له رأي في المجاورة هنالك مدة من الزمان، فأكرمه الله بحسن الختام، ودعاه إلى المجاورة في دار السلام ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] وله اليد الطولى في علم المعقول والمنقول، والبسطة البسيطة في الحديث وأثار الرسول، والبراعة في علم الميزان، والرياضي والطبيعي والإلهي وحل اقلیدس وفنون شتى حتى أني نظرت له رسالة ذكر فيها أربعين علماً، وفيها ما يدل على إمامه بتلك العلوم، ومعرفته بحدودها والرسوم، وله مصنفات وقفت على بعضها منها (مختصر الإتيقان في علوم القرآن) للحافظ السيوطي، ومنها (مختصر قواعد المذهب الشريف) في الفقه، ومنها (منظومة في علم المنطق) وشرحها شرحاً مفيداً، وله رسالة سماها (بدر النادي في الكشف عن خبث حسين الهادي) ستأتي في محلها إن شاء الله في ذكر الحوادث، وله أنظار ورسائل فيها تحقيقات باهرة تدل على ذكاء عظيم، وذهن سليم، وكانت وفاته في مكة المشرفة لعلها في شهر محرم الحرام سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف برد الله مضجعه، وآنس مهيعه.

ترجمة السيد العلامة الحسن بن محمد الشرفي الدرواني رحمه الله

ومن أساطين هذه الخلافة المشرفة وأقطابها، حي السيد العلامة، المحقق، الأصولي، المدقق، النافذ البصيرة، الفهامة، التحرير، شرف الآل الحسن بن محمد الشرفي الدرواني، ينسب إلى دروان^(١) أحد حصون بلاد حجة، سكنه الإمام المتوكل على الله، المطهر بن يحيى، المظلل بالغمام، المذكور في عمود نسب مولانا إمام العصر - سلام الله عليهما، وقبره هنالك مشهور مزور يتبرك به على ممر الدهور، وهذا السيد العالم كان عظيم القدر، عالي الذكر، مشهوراً بالزهد والورع، راضٍ من الدنيا بما سهل تاركاً للطمع، ولي القضاء في مدينة صنعاء المحمية، لحي الإمام الناصر لدين الله عبد الله بن الحسن - رحمه الله - تعالى، ثم ترك ذلك ورجع إلى مسكنه بظفير حجة، لجوار الإمامين الأعظمين المهدي لدين الله أحمد بن يحيى صاحب الأزهار، وحفيده الإمام المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين سلام الله عليهما، وبقي هذا السيد بهذا المشهد مدرساً مفيداً، ومفتياً حميداً، مقصداً لأهل تلك الجهة، يفزعون إليه في المشكلات، ويرجعون إليه في حل المعضلات^(٢)، وكان متمسكاً بإمام زمانه، إمامنا صاحب هذه السيرة سلام الله عليه، حتى ختم الله له بالحسن، وأناله الجزاء الأوفى، وانتقل إلى جوار الله الكريم في شهر الحجة الحرام آخر شهور سنة اثنين وثمانين ومئتين وألف، برد الله مضجعه، وروح روحه، وأكرم نزله فلم يخلق يخلف في تلك الجهة مثله.

(١) دَرَوَان: بالتحريك قرية في جبل (قُدَم) بالضواحي الجنوبية لمدينة حجة، كانت تعرف باسم (أدران) وفيها مشهد والدنا الإمام المتوكل على الله المظلل بالغمام المطهر بن يحيى ويسكنها من نسله حتى الآن أسر عديدة. انظر معجم البلدان والقبائل اليمنية (١/ ٦٠٩).

(٢) العويصات. نسخة.

ترجمة السيد القاسم^(١) بن أحمد بن زيد الحوثي الأميري

ومن أركان هذه الخلافة الزاهرة، وأعضادها وعيونها الناضرة، السيد العلامة المنشئ البليغ، الكاتب المزري ببلاغته بالصاحب الكافي، والمبرز كل عقيلة ولود من علمه الشافي، نصير الحق، وحليف الصدق، والغرة في بلده ومسكنه، والمرجع في صقعه ووطنه، علم الشريعة المنيف، وروض المكارم الوريف، القاسم بن أحمد بن زيد الحوثي الأميري، ينسب إلى السيد العلامة أمير الدين بن عبد الله بن نهشل، شيخ شيوخ زمانه، وعلامة أوانه، شيخ مولانا أمير المؤمنين القاسم بن محمد، وأسانيد الإمام المذكور من طريقه في كتب العترة وغيرها، ونسبه متصل بنسب مولانا الإمام ٥% في جده نهشل، وقد ذكرت سلسلة هذا النسب الشريف في أول هذه الترجمة المباركة فليرجع إليه من أثر الوقوف عليه، وهذا السيد العالم هو عين الوجود، وزينة الوقت الموجود، والمنهل الصافي المورود، والركن اليمني المقصود، إليه ولاية القضاء في هجرة حوث، وهو قطب رحاها، وغاية سؤلها وعذيقها المرجب، وبدرها المنير في جنح الغيب، وعالمها المشهور، ومفتيها المجلي لخفيات الأمور، وله السعي الحميد، والمنهج الرشيد، في الدعاء إلى طاعة إمام الزمان، وجلب الأعوان، والترسل^(٢) في البلدان جارياً على الطريقة المرضية، وسيرة أعيان علماء العترة الزكية، شكر الله علمه وبلغه غاية سؤلّه وأملّه، وأبقى ذاته، وحاط شريف صفاته.

سيف الإسلام أحمد بن الإمام الناصر رضوان الله عليه

ومن أورد في معين هذه الخلافة النبوية، وأصدر وناصر وأعذر، وكدح وصبر، مولانا الولد العلامة غصن دوحة الفضل والإفضال، وقطب دائرة أهل الكمال، وليث الملاحم، والأسد الصارم، والبدر الطالع في آل القاسم، خيرة الشباب والشيب،

(١) مولده سنة ١٢٠٧ هـ، ووفاته رحمه الله تعالى سنة ١٣٠٧ هـ.

(٢) في نسخة: والترسل إلى أهل البلدان.

الصادق عليه قول القائل المصيب:

وما الحداثة من حلم بآنعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

أو كما قال الإمام شرف الدين، في ولده العلامة علي بن الإمام رحمة الله عليهما: الباقر العلم في صباه، والفارس الأغلب الأكر، سيد أبناء عصره، وعميد أسرته، وعزيز مصره، الفهامة الأملعي، والصمصامة اللوذعي، والنجم المضيء، والقمر النوار الأرضي، ذي الجهاد المرضي، والرباط المتقبل الرضي، سيف الإسلام والعضد الجراز عند الصدام، أحمد بن الإمام الناصر لدين الله عبد الله بن الحسن، المتكرر ذكره في غضون هذه السيرة.

وهذا الشاب التقى نشأ في مدينة صنعاء مرضي السيرة، صالح السريرة، على الطهارة والتقوى، والتمسك بحبل الله الأقوى، وطلب العلم بجامعة المقدس، مع ذكاء وفطنة، وفهم ثاقب، ونظر صائب، فأدرك في اليسير من عمره في النحو والفقه، وشارف^(١) على سائر الفنون، مع وقار وحسن سمت، وصيانة لنفسه، عما يشين أبناء جنسه، ثم دعاه داعي الخير والسعادة، إلى القيام بالواجب الأهم، والركن الأعظم، من ملازمة إمام الزمان، والانتظام في سلك الأعوان، فجرد نفسه لقصد حضرته، وملازمة نصرته، فرحل إليه وتوجه عن رأيه إلى الجوفين، وجمع من لبي صوته وأجاب دعوته إلى نصرة الحق، وعزم بهم عن رأي مولانا الإمام، مفوضاً في الحل والإبرام، فوصل مطرح زواجه^(٢)، فأخلف من وعد من قبائل الحداء وخولان أن يكونوا من الأعوان، وتحقيق منهم الميل إلى العصيان، فرجع عن ذلك المقصد، وبقي مدة من الزمان في هجرة

(١) في نسخة «وأشرف».

(٢) زواجه: بكسر ففتح من مدن الحداء، تبعد عن معبر شرقاً نحو ١٣ كيلاً وكانت ساحة للقتال بين الأتراك واليمنيين المناهضين لهم مما أدى إلى تهديم بعض منازلها كما أن زلزال ديسمبر ١٩٨٢ م قد أحدث فيها دماراً أيضاً. انظر معجم القبائل والبلدان اليمنية (١/ ٧٣٨).

الكبس المحمية بالله تعالى يحاول جمع قبائل خولان، لمعاودة ذلك الشأن، ثم توجه عن رأي الإمام % إلى مدينة صنعاء ناظراً في أعمالها، وبقي فيها تلوح عليه أنوار الرئاسة، وتعقب من أنفاسه روائح النفاسة، حتى نشأت الفتنة، وقامت المحنة، ورجع أهلها في الحافرة، وخسروا الدنيا والآخرة، فخرج منها متجرداً للجهاد، مشمراً للجلاد، فبقي يصول ويجول، حتى أذن الله لإمامه بالوصول، فكان صدى صوته، وسيفه القاضب، وسهمه الصائب، وآخر أمره بقي في مطرح شعوب أميراً على الأجناد المتجردين للحصار، مرابطاً آناء الليل وأطراف النهار، فعرض له مرض أثقله، وأوجب نقله إلى هجرة سناع، فاختر الله له جواره، بدار القرار، ونقله إلى خير دار، مرابطاً سعيداً، مجاهداً شهيداً حميداً، في شهر رمضان الكريم سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف، فعظمت المصيبة به، وقد كانت العيون إليه ناظرة، والقلوب إليه مائلة، والرغبة فيه من الأنظار متوافرة، وقد ظهرت عليه مخائل الشرف والرئاسة، وتباشير المجد والسياسة، والله في خلقه التصرف والحكمة، لا رادّ لما قضى، ولا مبدّل لما أمضى، وقد قيلت فيه المراثي، ونظمت الأشعار، ممن بقي من أدباء الوقت، منها مرثاة لجامع هذه السيرة عامله الله بما هو أهله وهي: [من الخفيف]

أي خطب أوهى عرى الإسلام	حُقّ لي فيه عبرتي وهيامي
عزّ فيه تصبّري وجرى دمي	عبي ومن أجله جفاني منامي
هكذا هكذا صروف الليالي	وترامي حوادث الأيام
ليس للخلق من أمان من الدهر	ولا فسحة من الأعوام
لا الشريف الرفيع يقي ولا من	صار ^(١) في عسكر وفي أعلام

(١) في نسخة «كان».

ليس يلقى إلا الكريم تعالى
 أين من شيد القصور ومن رو
 أين من أحرز العلوم وأجرى
 أين من طوق الدفاتر بالدر
 أين من أطعم الطعام وساد الد
 أعجلتهم أم المنيعة عن ني
 وانشت عن غرورها ليس ترثي^(١)
 لم تعرج عن أحمد زينة العصر
 الشهيد الكريم نجل أمير الم
 شبل ليث الهيجا إمام المعالي
 فارس الخيل حين يدعى نزال
 وتطيش القلوب في حومة الهي
 وريب العلوم إن غاصت الأف
 فهو يروي الصاد^(٢) ويستخرج الغ
 جبلت ذاته على البر والتق
 فاستوت نحوه المنون ولم تش
 غادرته مذهب العمل الص
 عن زوال وجلّ عن إعدام
 ع أقطارها بجيش هام
 في مداها سوابق الإفهام
 المصنّف في نثرها^(٣) والنظام
 ناس طراً يباسه في الصدام
 ل الأمانى وبادرت بقطام
 لعزیز عن الديار محامي
 وبدر الدجى وغوث الكرام
 مؤمنين الشهيد نجل الفخام
 الناصر المتقى قتيل اللئام
 وتذوب القلوب في الأجسام
 جاً وتعري^(٤) ثواقب الأحلام
 كـار في معضل عن الإفهام
 امض بالبحث عند جد الخصام
 وى طفلاً وبافعاً في لزام
 فق ولا سامحت بحسن ذمام
 الح في طي ضمن شهر الصيام

(١) في نسخة «من نثره».

(٢) في نسخة «ترثا».

(٣) في نسخة «تغوى».

(٤) في نسخة «الصدى».

عرج الروح منه في ليلة القدر	رب شهر الغفران والإكرام
لا بسأحلة الجهاد مغيصاً	آلة السيف في نحور الطغام
أنزلته عن سرجه ليث غاب	وحمى مانع وسيف انتقام
وشحاكاً للناكثين وغوثاً	للمطيعين في رضاء الإمام
فعليه تبكي عيون المعالي	وعليه تذرى الدموع الدوام
وسرت في ضريحه نسمة الرحم	ة مطبوعة بمسك الختام
أحسن الله للإمام وللإخـ	وان فيه العزا وللإسلام
وعلا مستقره في جنان الخـ	لد مستوجباً لأعلى مقام
وتلقاه البشر والعفو والغفـ	ران والخور مسفرت اللثام
وأطال البقاء لذات إمام الـ	عصر مهما أقام بدر التمام
وأدام الصلاة تغشى نبي	الله مردوفة بأزكى سلام
وعلى آله مصايح دين الله	مهما أقام ركني شام

تمت. وقد قيل فيه مرثي اقتصرنا منها بهذا رضوان الله عليه، وأكرم نزله لديه.

(١) القاضي العلامة سعد بن محمد الشرقي

ومن هذه الطبقة العالية ضميره^(٢) الفقيه العلامة المجاهد، شحاك كل حاسد،
الذكي الغايص عن غوامض دقائق العلوم، والمنيط لما خفى على القرائح والفهوم،

(١) سعد بن محمد بن عبد الله بن محمد الشرقي الصنعاني، ولد سنة ١٢٥٠ هـ، مولده في حضران وأخذ العلم عن علماء عصره في صنعاء، وكان شيعياً مخلصاً لأهل البيت"، واستقر آخر أيامه في الأهنوم، واستجاز من والدنا الإمام المحسن % ، وبها كانت وفاته سنة ١٣٣٥ هـ في جماد الآخرة بقرية الهجر (أعلام المؤلفين ٤٥٩).

(٢) كذا في الأصل، والمراد رفيقه أو نظيره.

والسالك في مسالك المجد والكرم، والخائض في ضحضاح الجهاد الأقوم، نصير الحق وظهيره، وحواري الإمام ووزيره، سعد بن محمد المعروف بالشرقي ثبته الله على اليقين، ودبره لموافقة الحق المبين، هو من عيون المجاهدين، ورمد جفون المفسدين، وقرة عيون المتقين، ثابت القدم فيما توجه إليه، قائم بما يجب عليه، إليه ولاية القضاء في هجرة سناع، وما جاورها من الأصقاع، وهو القائم بحفظها وترتيبها، مع غيبة مولانا الإمام ٥٠٪، وظهرت منه الكفاية، وحمدت منه الحماية، وله كمال الإتصال، وحميد الفعال، وشريف الخلال، ومع هذا فله إلمام بالعلوم، وإشراف على منظوقها والمفهوم، وتحقيق في الفقه المبارك والنحو والمنطق، بذهن شريف، وطبع منيف، فهو عين الأعيان، ومن حسنات الزمان، أبقاها الله واستعمله في رضاه.

القاضي العلامة صفى الدين أحمد بن عبد الرحمن المجاهد رحمه الله^(١)

وممن عقد هذه الإمامة، وأعطى فيها صفقته، وشهر في صحتها عقيدته، حي القاضي العلامة، الجهبذ الكبير الحافظ، المدرس، الرحلة، مفتي الفرق، ملحق الأصاغر بالأكابر، ومجدد العصر الآخر، وإنسان المعارف الطائفة، ولسان اللطائف المتواصلة، المحيط بجميع العلوم، وفارس منشورها والمنظوم، ومعيار الآثار، وناقد الأخبار، وإمام أهل التحقيق، وزمام أهل النظر والتدقيق، ذي الذكاء الذي لوراءه إياس، لأمسك عن مجاراته على يأس، والتبحر في العلوم الذي ينشر في زمانه عصر- الشافعي وابن عباس، وغاية القول في صفاته، ونشر عالي سماته، أنه خاتمة العلماء الذي لم يخلف نظيره ولا ترك من يسد مسده، العلامة أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله

(١) مولده في شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٤ هـ، من مؤلفاته مقدمة في علم التفسير، والروض المجتنى في تحقيق مسائل الربا، وله مؤلف في أصول الدين، وله مسائل إلى الإمام ٥٠٪ وأجاب عنها الإمام ٥٠٪ كما سيمر بك في رسالة الإمام ٥٠٪ (الجوابات على أسئلة المجاهد) وغيرها (أعلام المؤلفين ١٢٥).

المجاهد، عالم العصر الأخير، وشيخ المشائخ، والركن الباذخ، فإنه -رحمه الله- من أعطى بيعته، وانتظم في سلك زمرة، وإن كان قد زعم من زعم أنها لم تثبت قدمه، فقد أخبرني من أثق به، أنه في مرضه المفضي إلى وفاته، نطق بالإشهاد على نفسه، أن إمامه في الدنيا والآخرة مولانا إمام الزمان، وترجمان البيان، المتوكل على العزيز الديان، فسررت بما سمعت من الراوي، ونظمت في سلك أهل الحق، فمثله تتزين بذكره الأوراق، وتتعطر بنشر عاطر ذكره الآفاق، وهو من مفاخر العصور الأخيرة، وبمثله تتزين هذه السيرة، وبيني وبينه مودة أكيدة، ومسكة سديدة، وهو رفيقي في الطلب، وشريكي في درس كل خير مكتسب، وله عليّ مشيخ، فلا غرو أن أقوم ببعض ما يجب له، وكانت وفاته روح الله روحه، في سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف لعلها في شهر جمادى الأولى أو الأخرى، وكانت المصيبة كبرى، والفديحة بمثله جراحة لا تبرا، -رحمه الله- ورضي عنه، فهو لاء الذي نشرت روائح طيب ذكرهم، وزينت هذه السيرة بجميل نشرهم، هم عيون أعلام العصر، ووجوه صدور الدهر، أركان الدين، وأهل العرفان المستبين، وبمثلهم تتعقد الإمامة الكبرى، وإليهم الحل والعقد بلا مرأى، فليعلم الناظر، أن هذه الإمامة العلية، رسخت قواعدها، وشمخت أركانها، وعظم عاقدها، وصارت قلادة في الأعناق، وغاية اعتورتها فرسان السباق، ومسألة حصل عليها الإجماع، ممن يعتد به في الأوضاع.

السيد محمد بن عبد الله المرتضى عافاه الله^(١)

ونشرع في ذكر من لم يتقدم له ترجمة من أهل مودة مولانا الإمام، ووافق في عقد موته أهل الحل والإبرام، فمنهم حي السيد العلامة الورع، الزاهد، الفذ، الفهامة، المجاهد، نصير الأئمة، وزينة المعارف الجمّة، وضياء كل ظلمة مدلهمة، بدر الدين، والغرة الشاذخة في المتقين، محمد بن عبد الله المرتضى حاكم سودة شطب، وعذيقها

(١) وفاته قبل عام ١٢٨٤هـ.

المرجب، وبدرها المحجب، أسبل الله على ضريحه سحائب الرضوان، وتلقاه بتباشير الرحمة والغفران، وهذا السيد ممن شايح حي الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم وحضر في تلك المشاهد والملاحم، فلما ظهرت الدعوة المتوكلية كان من السابقين إليها، والمعولن في السر والإعلان عليها، والساعين في تأسيس قواعدها، وتقويم مصادرها ومواردها، والحث على إجابة داعيها، وتلبية مناديه، وبقي على هذه السيرة صادق العقيدة والسريرة حتى وافاه الحما، مشكور السعي عالي المقام، ملحوظ بعين عناية ذي الجلال والإكرام.

السيد المرتضى بن محمد بن عبد الله أبقاه الله^(١)

وخلفه في حسن طريقته، وجميل عقيدته، سليله غصن دوحة السيادة، وروح جسم الزعامة والنقادة، العلامة اللوذعي، الفهامة الأملعي، الشاب الضريف المتحلي بالكرم، الباذخ المنيف، فيصل الأحكام، ثاقب النظر التام، وصائب الفكر في كشف العضلات الغاربة عن الإفهام، والكاشف عن مخدرات الفوائد كل لثام، المرتضى- بن محمد بن عبد الله أبقاه الله للدين عصام، وللاحق قوام، هو الآن حاكم جهة السودة^(٢) ومفتيها، لا تزال ترد من تلقائه مذاكرة إلى مولانا الإمام تدل على فهم سليم، ونظر غير سقيم، يتوسم منها تطلعه في المعارف كما قال الشاعر: [من البسيط]

هذا مخائل برق خلفه مطر جود ووري زنادٍ بعده هب

وأزرق الصبح يدي قبل أوله وأول الغيث قطر ثم ينسكب

أو كما قال آخر:

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل

(١) توفي بجلدة عند عزمه للحج بشهر محرم سنة ١٢٨٤ هـ.

(٢) مديرية من أعمال محافظة عمران وهي إلى جهة الشمال.

بلغه الله في الكمال مبلغ كرام الآل، ورزقه من حميد الخصال أشرف ما أعطى فحول الرجال، وأمتع به الوجود، وثبته على الحق المحمود، وبلغه كل خير مقصود، وهم أهل بيت شرفوا بصحة العقائد، وصلحت منهم السرائر، وحسنت لهم الضمائر، أصهار مولانا الإمام وأهل ولائه وخلاصة أنصاره وأجباءه، ونسبهم يتصل^(١) بالإمام المنصور بالله القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم العياني سلام الله عليه.

السيد محمد بن علي المرتضى عافاه الله

ومنهم الأخ العارف، المجاهد، المخلص، الزاهد، شحاك كل معاند وجاحد، نصير الإمام وعونه على تحمل الأعباء العضام، محمد بن علي المرتضى- أحمد الله مساعيه، وشرف مقاصده ومداعيه، فهو من أعظم الأعوان وأكثر الدعاة إلى البر والإحسان، فقد ظهر حميد سعيه، وجميل أثره، وطاب خبره وخبره، وأصلح في جهة المغارب جماً غفيراً، وعدداً كثيراً، وأعلن الدعوة وصدع بالحق، ووعظ فأبلغ، وذكر فأثر، وبذر فأثمر، وأعان وحن، وجلب المنافع من كل مكان، فهو حقيق بأن ينظم في سلك نظام هذه السيرة، حليف بأن يودع في صفحات خدود الشمس المنيرة، فقد حقق الله فيه الأمل، وأحسن له العمل، وخصه بثمرة العلم الأكمل أبقى الله ذاته.

القاضي محمد بن محمد بن أحمد الحيمي

ومن أحاط بهذه الإمامة خبراً، ونصح لها سرّاً وجهراً، ورقى في درجات معاليها إلى المنزلة الكبرى، القاضي العلامة، الأديب، الناظم، الناثر، الأريب، الخطيب، الهزبري

(١) وقد نسبهم المؤرخ زبارة عند ذكره صاحب الترجمة في كتابه نيل الوطر من ذرية السيد يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن أحمد بن الإمام الهادي، والله أعلم.

المصقع، والنجيب اللوذعي السميدع، ولي آل محمد حقاً، ورضيع ثدي مودتهم صدقاً، محمد بن محمد بن أحمد الحيمي الصنعاني، أدام الله إنعامه، وكرر إكرامه، وهو ممن كثرت ملازمته لإمام زمانه، وانتظم في سلك أعوانه، وعلق بحبل لزامه، في سفره ومقامه، وولي من جهته الأعمال، وتصدر في الخطابة، فرمى غرض الإصابة، وتولى وقف حدة^(١) وبني شهاب وما إليها، وعمالة مدينة صنعاء في ابتداء فتحها، فظهرت الكفاية وحمدت منه الولاية، ثم اعتذر عنها لغرض لاحظه لا للعجز والمال، وهو من شارف في العلميات وأخذ بنصيب وافر في الأدوات، وله مشاركة في علم الطب والحكمة ومعرفة التشريح، صائب الفكر، صادق الفراسة، ذكي الطباع، سلس الأخلاق، شاعراً مطبوعاً، خطيباً بليغاً، زين الله به الأوقات، ووقاه من الآفات.

السيد العلامة القاسم بن محمد بن أحمد زيارة رحمه الله

ومن هذه الطبقة الفضلى وهذه الطريقة المثلى، السيد العلامة فرع شجرة العلوم، وسليل أنوار النجوم، وغصن دوحة المظنون والمعلوم، علم الدين، القاسم بن محمد بن أحمد بن يوسف بن الحسين بن أحمد بن صلاح المعروف بزيارة، جادت على ضريحه شأبيب الرحمة والغفران، وقابلته محاسن تباشير الحور الحسان، في عرف الجنان، وهو من شجرة المعارف الباسقة، ونبعة العلوم الفائقة، سلسلة اتصلت أسانيد آثارها المحمودة، وانتظمت دراري أخبارها المفيدة، فهم أهل الدرجات الرفيعة، والعلوم الوسيعة، ومنهم تلقينا الأسانيد العالية في دفاتر الإسلام، وعلم الحلال والحرام، وهذا السيد قفاً طريقة أسلافه، له إلمام بالفقه مع أهلية وفهم في القضاء، وطبيعة سليمة في فهم القضايا وفي الحكم، لازم حي القاضي العلامة الوفي، أحمد بن إسماعيل العلفي رضوان الله عليه فاقتبس من أنواره، وارتوى من آثاره، وأخذ عنه في حضره وأسفاره،

(١) كانت قرية بالقرب من صنعاء غرباً وهي الآن حي منها.

وكان من أعوان الإمام، وخواص شيخ الإسلام، وبقي على هذه الطريقة، مشكور الفعل، حامي الحقيقة، ولما نكت أهل صنعاء ورجعوا في الحافرة، وخسروا خير الدنيا والآخرة، فرّ بدينه وأهله إلى حدة بني شهاب، وأهلها في الحوزة الإمامية، والطاعة المتوكلية، وبقي هنالك متردداً في حضرة المولى % فعرض له مرض أفضى- إلى داعي الحما، وإجابة الملك العلام، وأحسن الله له الختام، في شهر صفر من عام ثلاث وثمانين ومئتين وألف -رحمه الله- تعالى ورضي عنه، ودفن في سناع بجانب قبر سيدي الصفي أحمد بن الإمام الناصر % .

السيد محمد بن حسين عامر رحمه الله تعالى

ومن أركان هذه الدولة المبرورة، والخلافة العالية المشكورة، السيد العلامة الرئيس، واسطة عقد المكارم النفيس، ليث الصدام البيهس، المصور المقدام، عز الإسلام، محمد بن حسين بن عامر ينتهي نسبه إلى السيد الشهيد عامر بن علي بن محمد بن أحمد بن الرشيد بن الأمير حسين بن أحمد بن يحيى بن محمد بن علي بن يوسف الأشل بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن أحمد الناصر بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين، وهذا السيد الرئيس الصارم، صاحب الجهاد والملاحم، له عناية في إعانة إمام الزمان، وصدق نية وإحسان، تولى جهة الشرفين^(١) من جهة الإمام %، فصال وجال، ونظم الأعمال، ثم بدا له الرجوع إلى الجوفين^(٢) فأحسن الدعاء وجلب الأجناد، في حصار صنعاء الآخر، وهو حال رقم

(١) سلسلة جبلية من الشمال الغربي في مدينة حجة تظم عدة حصون ومديريات وهي مشهورة بجمال المنظر وسكنها العديد من العلماء وينسب إليها السادة بيت الشرفي. المعجم (١/ ٨٦٠-٨٦١).

(٢) الجوفين: وادٍ ومنطقة شمال صنعاء بمسافة ١٤٥ كيلاً على أطراف الربع الخالي وتنقسم إلى الجوف الأعلى والجوف الأسفل والجميع يسمى حالاً الجوف وهي محافظة مركزها الحزم، وتظم عدة مديريات وتمتاز بخصوبة الأرض. المعجم (١/ ٣٧٣، ٣٧٤).

هذه الترجمة في تحشيد وتجنيد، وتقريب وتسديد، في جهة برط^(١) عزم جلبهم للجهاد، وإصلاح البلاد، وقد استجاب له قبائل تلك الجهة، المحمدي والحسيني، وسيصلح الله عمله، ويحقق أمله، ويبقي أمثاله، ويمتدع بأشكاله.

عز الإسلام محمد بن أحمد بن علي المطاع^(٢)

ومن عالي هذه الطبقة، وأحق بتلك المرتبة، التي بلغت من السوء شفقة، ومن الليل غسقة، الحقيق بالتقديم، والحري بأن يكون مجلياً في هذه الحلبة، إلى أرفع رتبة، وهو الأخ العلامة الجواد الكريم، ذي السعي المشكور العظيم، والقصد المبرور السليم، والجهاد المتقبل، والسبق إلى المنزل الأول، والنية الصادقة، والطوية التي هي للحق موافقة، والمسامي التي تدل على كمال الإيمان بالمطابقة، نصير الأئمة، وجلاء كل معضلة مدلهمة، عز الإسلام محمد بن أحمد بن علي المطاع، الذي ملأ بحسن الذكر البقاع، وطاب ذكره في الأسماع، أبقى الله ذاته حلية لجيد الزمن العاطل، ونصر بحسن مقاصده الحق على الباطل، وهذا السيد هو كلية جسم الفضائل، وواسطة عقد الأعيان الأمثال، ودرة التقاصر في حلية جيد العصر العاطل، بمثله تتزين الأوراق، وبذكره تتضوع الآفاق، وعليه المعول في الإصدار والإيراد، وهو في أعيان المجاهدين كالشمس في الأنوار، والسفينة في البحار، والروض الزاهي بالأزهار، فهو رمد جفون المعاندين، وكمد نفوس المفسدين، وشجا حلوق الناكثين، كان ابتداء رئاسته، ومنشأ سيادته ونفاسته، مع الإمام الناصر لدين الله عبد الله بن الحسن السابق ذكره، تولى من جهته

(١) برط: بفتحين جبل مشهور شمال شرق صنعاء يبعد عنها ما يقارب ٢٠٠ كيلاً وهو منطقة واسعة وتظم ثلاث مديريات، برط العنان، وبرط المرائش، ورجوزة، وجميعها ترجع إلى محافظة الجوف، وبها دفن الإمام المهدي محمد بن القاسم. انظر المعجم (١/١٥٦).

(٢) محمد بن أحمد المطاع ينتهي نسبه إلى العباس بن علي بن أبي طالب، مولده سنة ١٢٣٤ هـ، وتوفي بالحديدة في سجن الأتراك شهيداً سعيداً سنة ١٢٩٦ هـ. نيل الوطر (٢٢٨، ٢٢٩).

وساطة الجلال وهي إحدى المراتب العلية وعظيم الأعمال، وبقي على ذلك مدة خلافته وظهرت كفايته، واشتهر كماله، وظهر كرمه، وسبق علمه، وكان من تلامذة حي الإمام الناصر، أخذ عنه قبل دعوته ولزم محبته، ثم لازم حي الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم سلام الله عليه، وجاهد ونصر، وثاغر وصبر، وحمد منه الورد والصدر، وأنفق ووافق، حتى حدثت تلك الأمور وهو في أعيان حضرته، وملازمي عقوته، فكان ممن ثبت على طاعته، ولزم جماعته، وتردد إلى دار هجرته، فلما قام إمامنا أمير المؤمنين المتوكل على الله سلام الله عليه، كان عميد دولته، وعضد صولته، ورئيس جماعته، ثابت القدم، نافذ العلم، صاحب السيف والقلم، لا يزول عما عقد عليه قلبه ولسانه ولو زالت الجبال، ولا يتخلف عن الشدائد والأهوال، ولا يخالف ما أمره به من الأقوال والأفعال، ثبت الله قدمه على الصراط السوي، وسدد عمله على المنهج القوي.

السيد العلامة عبد الرحمن بن محسن الجحافي^(١)

ومن أجرى في هذه الخلافة العلية طرفه، وأمسك عليها كفه، السيد العلامة الأديب، البارع الحلال، الكاتب البليغ الفاضل، وجيه الإسلام عبد الرحمن بن محسن الجحافي، الساكن بظفير^(٢) حجة مقيم مشهد الإمامين الأعظمين والركنين الأقومين المهدي لدين الله صاحب (الأزهار)، والإمام شرف الدين صاحب (الأثمار)

(١) وكانت وفاته في أواخر القرن الثالث عشر هكذا ذكره المؤرخ زبارة في نيل الوطر (٢/ ٣٥-٣٦)، وسيمر بك في هذه السيرة قصائد له تدل على براعته وبلاغته وعظيم قدره، كان يرسلها إلى والدنا الإمام % مهتاً له بمناسبات دينية أو أحداث تأريخية، وقد تعمّر إلى أكثر من التسعين عاماً.

(٢) بلدة ومركز إداري من مديرية مبيّن وأعمال محافظة حجة، تقع في قمة جبل شمال مدينة حجة بمسافة ١٥ كيلاً، وهي من الهجر القديمة العلمية وتوجد بها حصون، وكثرت فيها الحروب لموقعها الجغرافي، وقد قاد والدنا سيف الإسلام عبد الله بن الإمام المحسن رحمه الله معارك عدة بها مع الأتراك.

وقد تقدم لهذا السيد الجليل ذكر، وذكرنا مرثاته في شيخ الإسلام القرشي رضوان الله عليه، وهذا السيد من بيت كبير، وجبال علم دونها يللمم وثبير، أهل علم وأدب، ورسوخ في خير مكتسب، لهم التصانيف الفائقة، والأشعار الرائقة، والخطوط المنسوبة، والرسائل المكتوبة، منهم مشائخ الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد سلام الله عليه، وأولاده المؤيد بالله والمتوكل على الله، وبينه وبينهم صهارة وملازمة، وكانوا بدور تلك المنازل، وصدور هاتيك المحافل، وقوَاد أعنة الجحافل، كما قال القائل:

من تلقَ منهم نُقْلَ لا قيت سيدهم مثل البدور التي يسري بها الساري

وفي هذه الأعصار غابت تلك البدور، ونضبت تلك البحور، وتهاوت النجوم إلى حضيض التخوم، ولم يبق منهم من يذكر في الحدود والرسوم، حتى أحيا الله أذكاهم وجدد آثارهم بهذا السيد الجليل العلامة، فهو من محاسن الزمان، على تقاصير الأعيان، فإنه جاد به الزمان البخيل لأهل الفضائل، ومشى على الطريقة المرضية، وسبيل العترة الزكية، في التمسك بالأئمة الأطهار، ومحبة إمام الزمان، وله فيه ممدوح كثيرة، لم تحضر في حال رقم هذه السطور وإن ظفرت بشيء منها فسأثبته، وغيره من الأشعار، وهو الآن حي يرزق، أبقى الله غرته، وحرس مهجته.

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الكبسي

وممن رتع في هذه الرياض المستطابة، وكرع من نمير هذه العصابة، وتفيأ في ظلال الإمامة الوارف، واغترف من بحار هذا الفضل تليداً وطارف، ولدي العلامة، الألمي الذكي، الفهامة اللودعي، مقتعد صهوة المعارف العلمية، ومجتنبي ثمرات قطائف النكات الأدبية، ومحرك قصبات السبق في ميدان الكمال، والجاري في حلبة الفضائل إلى ذروة حميد الخصال، البار التقي، الحلال المنشي، البليغ الكامل، جامع مفترق العلوم،

وحامل لواء منطوقها والمفهوم، ضياء المدهمات، ونور مشكات العضلات، إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن أحمد وقد تقدم سرد هذا النسب الشريف في سلك ذكر نسب جامع هذه السيرة، وفي ترجمة عمه شقيق التبر المصفي، فهو بلغه الله ما أرجوه من درجات السيادة، ومعارج الكمال غاية مراده، شبلي الذي نما على أصله، وبسقت أغصان فضله، وحسنت طيات خضله، تغذى في مهادر الطلب، وبرع في فني العلم والأدب، وأجهد همته في تحصيل خير مكتسب، بذكاء تظلم عنده دُكاء ويحتقر عنده إياس، والمعية يتصاغر لديها ما اشتهر عن حبر الأمة ابن عباس، وتحقيق ينضج لبراعته ما دونه السعد والشريف، وتدقيق يستخرج الغامض اللطيف، تعلم كتاب الله المجيد ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فُصِّلَتْ: ٤٢] في أقرب مدة، وأيسر عدة، فلما أكمل الله له المرام لفت إلى غيب المختصرات فأحرزها في كل فن، وحمل الأزهار عن ظهر غيب، ثم مقدمة ابن الحاجب الكافية في النحو، ثم الشافية لابن الحاجب في التصريف، ثم تلخيص المفتاح في المعاني والبيان للقزويني، ثم متن الغاية في علم أصول الفقه لمولانا شرف الإسلام الحسين بن الإمام مع غيب غير ذلك مثل الملحة، والفرائض، والنخبة لابن حجر، في مصطلح علم أهل الأثر، وأعطاه الله الفهم الثاقب، فقرأ في شروح هذه المختصرات على والده جامع هذا، وعلى الأخ العلامة شرف الإسلام الحسن بن عبد الوهاب بن حسين بن يحيى الديلمي المقدم ذكره، وعلى القاضي العلامة علي بن محمد بن أحسن بن علي بن أحمد بن ناصر الشجني، وعلى القاضي العلامة عبد الله بن عبد الله بن سعيد العنسي، هذا بمحروس مدينة دمار، وأخذ بمدينة صنعاء على الولد العلامة المحقق أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الكبسي، وعلى القاضي العلامة المجتهد أحمد بن عبد الرحمن المجاهد، حتى أثمرت ذاته بالفوائد العلمية، وأينعت صفاته بالفواكه الجنية، واللطائف الأدبية، فرغب في ثمرة غرس المعارف، ونتيجة شكل اللطائف، وأن يكون عوناً لإمام الزمان، وداعياً إلى طاعة الملك الديان، فتولى من جهة إمام العصر %، القضاء في مدينة

(١) وما إليها من البلدان فحسنت طريقته، وحمدت سيرته، وصلحت سيرته، وحمد الناس أحكامه، واثالوا إلى إكرامه، والتزموا ظاهر أحكام الإمامة، واستمرت الخطبة والانتفاء إلى طاعة الإمام فبقى على ذلك محمود الفعال، مشكور الأحوال، مقدار عامين وزيادة، ثم طلب الإذن من مولانا الإمام ٩٠٪، في وصوله مدينة صنعاء لزيارة مولانا الإمام، وزيارة أهله ووالده جامع هذا، فوصل وصله الله بموائد نعمه، وفوائد فضله وكرمه، وطلع في حضرة الإمام ٩٠٪ بداراً منيراً في سماء الشريعة المحمدية، وشمساً مضيئة في فلك الحضرة الإمامية، وهو حال تحرير هذه السطور قررة للعيون، وروضة تفوح بمحاسن الفنون، معيناً في فصل الخصومات، وتدريس من في الحضرة الشريفة من طلبة العلم الشريف، حقق الله فيه أمل أبيه، وجعله مباركاً فيه، وألهمه التوفيق، وجعله من خير فريق، وكان له حافظاً ومعيناً ورقيقاً^(٢).

إسماعيل بن حسن بن علي الكبسي

ومن تكرر إحسانه، وبرع بيانه، وأعمل في رضاء الله قلبه ولسانه، الولد السيد العارف الناشئ في طاعة الله، والساعي في رضاء مولاه، الكاتب البليغ، الذي لو رآه عبد الحميد لنادى على بلاغته بالكساد، أو ابن العميد لقال لم يتول عند هذا عماد، أو صاحب الكافي لانعزل عن الصحبة، أو أبو إسحاق الصابي لرغب في التسليم لأدبه أعظم رغبة، أو الفاضل عبد الرحيم لصرف بن قلافس إلى مدحه صيرني في كل وادٍ أهيم، أو العماد الكاتب لقيه في هذا العصر لجلّى على بلاغته خريدة القصر، ضياء

(١) يريم بفتح وكسر مدينة في قاع الحقل ما بين ذمار وإب، وهي مدينة مشهورة من أرض يحصب تقع بين جبلين وتوجد بها مآثر قديمة وهي تابعة لمحافظة إب ويتبعها عدد من المراكز الإدارية. انظر معجم البلدان والقبائل اليمنية.

(٢) ويعدّها ترجح له العود إلى مدينة يريم فبقي قدر عامين وعاد في شهر رمضان سنة ١٢٨٦ هـ وبقي حتى استقر عمه العلامة محمد بن إسماعيل في القضاء الأكبر بصنعاء فلأزم حضرته وأعانه في فصل الخصومات إلى أن وصلت الأثرالك عام ١٢٨٩ هـ إلى صنعاء فخرج إلى هجرة الكبس من خولان، ولعل وفاته بها سنة ١٢٩٥ هـ، هكذا أفاده المؤرخ زبارة في نيل الوطر (٣٠٤).

الإسلام إسماعيل بن حسن بن علي بن أحمد بن علي بن عبد الله الكبسي- الحمزي الحسني أسعد الله بخته، وأطاب وقته، هو عين في جبين الزمان، وغرة في هذا الأوان، كثير الذكر والطاعة، وحليف النسك والقناعة، عظيم الهمة، لا يرضى لنفسه بنقيصة في علو منصبه، ولا بدنية في تحصيل مكسبه، بل جبله الله على محاب الأعمال، وشريف الخلال، فلا يرد إلا المورد الصافي، ولا يتخير إلا البيان الشافي، قد ألف حضرة العز والكرم، وتردد إلى عقوة الكمال الأتم، وصار من أعيان الحضرة الإمامية وكتابها، وله سكينه ووقار، وعقل وافر، وذهن حاضر، ورأي مصيب، وصدر رحيب، ولا يتكلم في ما لا يعنيه، ولا يفشي الأسرار، ولا يآلف كثرة الهدار، وهو مما تقتنيه الدّول، وتدخره الخاصة الأول، ويحب في سواد الأبصار، ويصان عن البصائر وسيء الأفكار، وهو في حال رقم هذه السطور منظوم في سلك أهل الحضرة الأعيان، حسنة من حسنات الزمان، يعين في المكتوبات، ويشارك في الاستفادة في المقرورات^(١)، وينقل ما قد تحصل من هذه السيرة المباركة بخط كأنها طبع على الإحسان من أراعاه بصره، يود ناظره لو حولت أعضاؤه مقللاً فلو رء آه بن مقلة لطلب تحريره، أو بن البواب لعزّ عليه تطيره، أبقاه الله حلية لجيد البلاغة والإحسان، وغرة في جبين الزمان.

القاضي العلامة حسين بن علي بن قاسم اليماني

ومن طابت سيرته، وحسنت طريقته، القاضي العلامة المخلص المجاهد، الأورع الزاهد، شرف الإسلام حسين بن علي بن قاسم بن نجم الدين اليماني، من هجرة العين^(٢) بقرب قرية ذي يدوم جهة اليمانية العليا من بلاد خولان، هو من أهل التشيع الصحيح، والورع الشحيح، ومحبي الحق القويم، وسالكي نهج الصراط المستقيم،

(١) كذا في الأصل ولعل المراد المقروءات.

(٢) قرية في اليمانية العليا من خولان العالية بمشارق مدينة صنعاء وهي محل سكن آل اليماني. المعجم (١١٥٧/٢).

خرج مع الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم %، ولازم حضرته، ونفع في ذلك المقام، وأجهد نفسه في النفع العام، ثم استمر على حسن العقيدة، وصلاح السيرة الحميدة، حتى انخرط في سلك أعوان إمام الزمان، وكان من أجل الأعوان، مع صحة الأمانة، وخالص الديانة، والتدريس لصغار الطلبة في جامع صنعاء المقدس، الذي هو على التقوى مؤسس، أكثر الله في أمثاله وأحسن مآله.

الشريف محمد بن ناجي بن حسن الحمزي

ومن طلع في سماء الفضل بدرًا، وكان بالذكر أولى وأحرى، الشريف الفاضل، العالم الحلال، المجاهد الأكبر، والمركز الأنور، مقدم الصفوف، وهزبر الهيجاء المستعر بنار الختوف، الفارس الأغلب، والصارم المجرب، من أجهد نفسه في الطلب، ولازم كسب العلوم التي هي خير مكتسب، وجد في تحصيل الفوائد العلمية في الحل والإرتحال، فصبر على نكد العيش لطلب العلم والجهاد، في جميع الأحوال، فهو آية في الزمان، وأعجوبة في الأوان، وهو الشريف، محمد بن ناجي بن حسن الحمزي من أشرف الجوف، ذرية الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن النفس الزكية بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب % والرحمة والرضوان، وهذا الشريف من أهل الرباط والجهاد والمثابرة على طلب العلم الشريف في الحضرة مهاجرًا بأهله منقطعًا في رضاء مولاه، لا يلوي على أهل ولا ولد ولا مال ولا سند، فهو بكل حرمة حقيق، وبكل وصف خليق، أسبغ الله عليه من فضله، وأمدّه بإمداد الخير، وكفاه كل ضرر.

يحيى بن إبراهيم بن محمد الشريف^(١)

ومن الأعلام الذين شملتهم عواطف الملك العلام، واعترفوا بما يجب في جميع الأحكام، ووقفوا تحت ظلال هذه الإمامة الغراء في الحل والحرام، السيد السند، والعلامة الأديب المفرد، الناظم الذي تود النجوم الزاهرة أن تستمد عقد مفرداته، وتستعير باهي لفظه وعاطر نكاته، وتنظر الغيد الحسان إلى لفظه السليم، فتلتبس جانب العقد النظيم، عماد الدين يحيى بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الشرفي الشاهلي الملقب الشهاري أبقي الله عالي محاسنه على مرور الأزمان، وأدام عليه عواطف الإحسان، وله يد في العلوم قوية، وطريقة في الآداب مرضية، وهو من بيت علم رسخت قواعده، وجمدت مصادره وموارده، من ذرية حي السيد عبد الله بن محمد الشرفي مؤلف المصابيح وهو ابن عم حي السيد العلامة الكبير صاحب التصانيف أحمد بن محمد بن صلاح صاحب (شرح الأساس) و(شرح البسامة) لابن الوزير، المسمى باللائى المضئية، وولده السيد العلامة الحسن بن محمد شارح (الأزهار) ونسبهم يجتمع في صلاح جد السيد أحمد والسيد عبد الله، وينتهي نسبهم إلى القاسم الحرازي من ولد الإمام الأعظم محمد بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب %، ووالد صاحب الترجمة وعميه أحمد بن محمد وعلي بن محمد كانوا من أعلام زمانهم وجهابذة أوانهم، تبحروا في الفوائد العلمية واللطائف الأدبية بمحروس صنعاء في دولة المهدي العباس وأبيه المنصور وهي حينئذ تغص بأعلام الأمة وسراج الظلمة ويفوح من سورها روائح طيب أهل الاجتهاد وجهابذة الملة الخنيفية الأوتاد، فارتووا من تلك الحياض، ورتعوا

(١) وتوفي تقريباً عام ١٣٠٤ هـ كما في أئمة اليمن ص ٧٣.

في خمائل تلك الرياض، وترشفوا من أنهار بحار المعارف كؤوساً دهاقاً، وتناولوا من موائدها أهل الأدب الوارف فواكه رشاقاً، حتى غدوا أعلاماً يستضاء بأنوارهم، وتقتبس الفوائد من أفكارهم، وقد رأيت لهم مكاتبات تفوح بروائح العنبر الهندي، وتزري بعاطر عرف ما نشره ابن الوردي، فلهف الزمان على أولئك الأعيان، وقد جدد هذا السيد حميد آثارهم، ونشر طيب أخبارهم، فهو في هذه الفترة النمرقة، والغرة للقلب مسرة، وللعيون قرة، أقر الله به ناظر الدين وأبقاه زينة للناظرين.

إسماعيل بن المرتضى المحطوري^(١)

ومن سعد في تقويم الإمامة، وصوب، وجاهد، ورغب، السيد العلامة الأديب، إسماعيل بن المرتضى المحطوري، من أهل بلاد الشرفين، له نظم متوسط، ومشاركة في الفوائد، وإشراف على سني المقاصد، من أعوان الحق القويم، وفد على مولانا الإمام سلام الله عليه، إلى مخيمه المحروس بيت سبطان^(٢) مع وفد أهل جهته، وبقي مرابطاً الجهاد حتى أذن له الإمام بالعود إلى بلده، وله منظومات اطلعت على شيء منها بحضرة مولانا الإمام، وقد أثبتنا في معرض السيرة ما أثبتنا- حسباً سيمر بك في ممادح مولانا أيده الله كما سيأتي، وولي القضاء في بلده من جهة إمام الزمان، وهو الآن مستمر على ذلك.

(١) وفاته بعد ١٣٠٠ هـ، وعاصر الإمام المنصور بن محمد بن يحيى حميد الدين، وله قصائد إليه.

(٢) بيت سبطان بثلاث فتحات قرية بالغرب من مدينة صنعاء عرض الجبل الطويل وتدعى اليوم بيت زبطان بالزاي بدلاً عن السين لتقارب المخرج المعجم (١/ ٧٦٩).

محمد بن مصلح أبو جميلة الشريفي

ومن سبقت له العناية، واستحق الرعاية، بإجرائه في هذه الغاية، الفقيه العلامة المفيد، المخلص الرشيد، محمد بن مصلح أبو جميلة الشريفي، أخذ عنه مولانا الإمام في ابتداء الطلب، وريعان الشباب، في مختصرات النحو والفقه، وله مشاركة حسنة وإفادة مستحسنة، كما سمعت من مولانا % .

صالح بن يحيى الشريفي

ومن هذه البدور المضيئة، والشيعية المرضية، الفقيه العلامة، الفذ الفهامة، صالح بن يحيى بن سراج الشريفي الحجوري، له حسن مقصد، وتشيع وإقبال على الطاعات، وتعريف لمن جهل مقام الإمام، وهو من مشائخ مولانا الإمام % في ابتداء الطلب، ورحلته إلى خير مكتسب، فلهذا أجرنا ذكره في هذه الحلبة، واستحق الرقي إلى رفيع الرتبة.

علي بن محمد صعصعة الغفاري^(١)

ومن السوابق إلى حلبة المحبة والطاعة، والتحلي بحلي هذه الإمامة المطاعة، القاضي العلامة المدرس المحقق في الفروع علي بن محمد صعصعة الغفاري، وهذا الفقيه العالم من أشياع الحق، وأتباع الهدى، ولي القضاء بجهة كحلان^(٢) وأعان على حراسة العقل المحروس وحفظه، والقيام بأود من فيه من الرتبة ومع هذا فهو متصدر للإفادة، وعنده طلبية يجري عليهم ما يقوم بأودهم من وقف كحلان، أتم الله مقصده، وأحمد مصدره ومورده.

(١) وقد شارك في بعض الحروب في جهته وسيمر بك في الجزء الثاني ذكرها وذكر وفاته.

(٢) كحلان: بضم فسكون ففتح اسم مشترك بين عدد من الأماكن والحصون في اليمن منها كحلان عفار وهي مدينة جبلية في الشرق الشمالي من حجة بمسافة ١٧ كيلا، وتسمى كحلان تاج الدين، وكذلك كحلان الشرف تقع في الشال من حجة بمسافة ٣٧ كيلاً. المعجم (١/ ١٣٢٩-١٣٣٠).

السيد العلامة علي بن إبراهيم النعمي الشيرفي

ومن محاسن المعتقدين للإمامة، وأهل الجد والاجتهاد في تحمل أعباء هذه الزعامة، السيد العلامة علي بن إبراهيم النعمي الشيرفي الساكن بجهة الشرف، والمرقي في محبة إمامه إلى المحل الأرلف، وهو حاكم الإمام، المرجع في معضلات الأحكام، في بلاد الشرفين، وبمساعيه تقرر العين، فله العناية في إمضاء أوامر الإمام، وتلقيها بالطاعة والإكرام، والترسل إلى الخاص والعام، والحث على الجهاد الذي هو للدين سنام، يباشر ذلك بنفسه في المجامع، ويملاً الأبصار والمسامع، وله وجهة وقبول، وحسن نية فيما تقبله العقول.

عبد الخالق بن أحمد البدري

ومن أهل القيام التام، والمبالغة في نفع المأموم والإمام، والمسابقة إلى الخير التام، الفقيه، العارف، المخلص، الأورع، التقى، عبد الخالق بن أحمد البدري الشاهلي الشيرفي، له المساعي المقبولة، والمنافع الجليلة، والمحبة الصادقة، والآراء المطابقة، قد وقف نفسه على الدعاء إلى طاعة مولانا الإمام 90%، وجلب المنافع التي يعم نفعها كافة أهل الإسلام، وتحصيل المواد، والوقوف على المراد، وتحصيل الإمداد، في كل حاضر وباد، فهو من أساطين الإمامة وأعظم أعوانها، يتولى أوقاف جبل الشاهل ولا يأخذ على ذلك أجراً، بل تطوعاً، وطلباً للثواب، وسعيّاً في رضاء رب الأرباب جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

علي بن صالح العربي

ومن هذه الطائفة التي هم على الحق ظاهرين، وإلى طاعة الله مجدين، وفي طلب رضاه عاكفين، الفقيه، العارف، الزاهد، العاكف، روض الفضائل، وبقية الشيعة الأمثال، المجاهد في سبيل الله، الموالي لأولياء الله، علي بن صالح العربي، من عرب بلاد ظليمة، وهذا الفقيه هو قرّة عيون أهل الفضل والإفضال، والغرة المضيئة في جبين أهل الكمال، والطود الأشم في أهل الإعانة، والركن الأعظم، في باب الديانة، لازم حي الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم %، ونفع في مقامه النفع العام، وأقام في جهاد وجلاد، ونفع واستزاد، وبلغ غاية الجد والاجتهاد، ولازم حي شيخ الإسلام القرشي رضوان الله عليه، واقتبس من أنواره، وتجلّى بآثاره، وبلغ في الزهد والثبات منزلة الأثبات، واتسم بصفات شيخ الإسلام - رحمه الله -، غير أن درجته في المعارف العلمية قاصرة، ولكنه جبرها بالعمل الذي هو الثمرة المقصودة، فكم من كثير علم يكون علمه عليه حجة، ووبالاً وخزية وخبالاً، تولى قبض واجبات بلاد السودة، وأصلح جمّاً غفيراً من أهلها، ممن ورد إليه، وقام بمصالح المعامل الإمامية، وحفظها في حاجاتهم فهو ممن يعده الإمام للمهمات، ويفزع إليه عند الحاجات، قائم بأود أهل الإمام وأولاده، مدة بقاهم في تلك الجهات، مع عفة عن بيوت الأموال لا يؤخذ منها شيئاً، بل مكتفٍ بموجوده، ومقتصر على غلته، أدام الله وجوده، وأرغم حسوده.

(١) عبد الله بن إسماعيل الوادعي

ومن يستحق التقديم، ويحق له التكريم، ويمشي - في هذه الطريقة على الصراط المستقيم، الأخ العلامة، الغرة في الآل والعلامة، والنقطة في بیکار السيادة والشامة، ذي المساعي الحميدة، والأخلاق الرشيدة، والمقاصد السديدة، فخر الدين عبد الله بن

(١) وكانت وفاته غرة محرم سنة ١٢٨٤ هـ.

إسماعيل المدعو بالوادعي، من آل المؤيد بالله محمد بن القاسم سلام الله عليه، وهذا الشريف المنيف ذو الفضل الغني عن التعريف، هو ياقوته الشرف الأسمى، ودره عقد السيادة العظماء، ونمرقة المكارم، وسيد نجباء بني هاشم، لهج بمتابعة الحق القويم، وعلق بأئمة الحق علاقة البان بالنسيم، وطلب بمساعيه بلوغ النظرة والنعيم، وهو صهير الإمام % والد عقيلة بيته وأم أولاده، وله صلابه في الدين وخشونة في رضاء رب العالمين، قوي الإيمان، رفيع القدر والشان، يطلب الوقوف تحت راية الحق منذ عرف حجة الله، وطلب الهدى، صحب حي الإمام الهادي لدين الله أحمد بن علي السراجي %، وتردد إلى حي شيخنا العلامة الجهيد الكبير الحافظ الرحلة^(١) الشهير إسماعيل بن أحمد الكبسي الملقب المغلس^(٢) رضوان الله عليه، ثم صحب الأخ العلامة المجتهد الداعي إلى الله الحسين بن علي المؤيدي جادت على ضريحه ينابيع البركة والرضوان حتى كتب الله وفاته في حيدان، ولما قام الإمام الناصر %، تابع وشايح، واختلط به، وكان من خواصه وأحبابه، وأعظم أئدانه وأصحابه، واستمر طالباً للحق وسبيله، مجدداً في وضوح دليله، حتى قام الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم %، فكان من المشايخين، وعمدة المتابعين، وأعظم المؤتمين، وهو أعظم من حرص فحشد، ودعى حي الإمام المنصور بالله وأصحابه الصدور إلى الخروج إلى بلاد صعدة، وصدره صاحب سيرة الإمام، في أول المقام، وهو حقيق بأن تكتب ترجمته بسواد الأحداق، وتكتب في أعطاف القدود الرشاق، وتخلد في صفحات الأوراق، وهو الآن كافل أولاد الإمام، الذي من ابنته، حريصاً على طاعته ومحبتة، أدام الله ذاته الكريمة، وحاط صفاته السليمة.

(١) في نسخة: الرحالة.

(٢) تقدمت ترجمته.

محسن بن محسن بن إسماعيل العلفي القرشي

ومن شايع وناصر، وجاهد وثاغر، القاضي العارف، الراتع في رياض الفضائل الوارف، الرئيس، المقدم، الماجد المقام، محسن بن محسن بن إسماعيل العلفي القرشي، من قرابة شيخ الإسلام وتلامذته، وهذا القاضي من شيعة مولانا الإمام، وهو أهل الصدق في الوداد، والنصيحة في الجهاد، والذكاء الوقاد، من أشياع آل محمد على طريقة شيخه العلامة شيخ الإسلام، وهو رئيس أجناد الإمام في حصار صنعاء، وأبلى في تلك المواطن، وحمد أثره فطاب خُبره وخبره، وباشر الحروب، ولم يفزع للقاء شعوب، وفاز بالغرض المطلوب، وتولى تفريق مؤنة الأجناد، وترتيبهم في الأرصاد، وهو حاكم مولانا في البلاد الأرحبية^(١)، والجهة الحارثية^(٢)، وفيه أهلية في فصل القضايا والأحكام، طاهر الغرض من الآثام، زاد الله في الأنصار من أمثاله، وكثر أشكاله.

عماد الدين يحيى بن أحمد بن حسن بن الهادي

ومن أعضاد هذه الإمامة، وأعماد هذه الرئاسة العامة، السيد العارف الناشئ في طاعة مولى الحمد والمعارف، عماد الدين يحيى بن أحمد بن حسن بن الهادي بن الإمام، من آل الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد %، يسكن حصن شهارة^(٣) المحروس، ولهذا السيد عناية في الدعاء إلى التمسك بالإمامة العظماء، والخلافة التي تلتقتها من الملائكة الرحماء، قد عقد ضميره على ولاء مولانا الإمام %، وصلحت منه السريرة،

(١) أرحب: قبيلة ومديرية من أعمال محافظة صنعاء سميت باسم أرحب بن الدعام بن مالك، وتقع شمال مدينة صنعاء بين جبال نهم شرقاً وجبال عيال يزيد غرباً، وهي مشهورة قديمة شارك أهلها مع أمير المؤمنين على % في صفين وكان حامل راية همدان سعيد بن قيس الأرحبي وقد ذكره وذكرها أمير المؤمنين % في قصيدته المشهورة. المعجم (١/ ٥٠).

(٢) بني الحارث: منطقة وقبيلة شمالي صنعاء تمتد منازلها إلى بلاد أرحب شمالاً وتشمل عدة قرى. المعجم (١/ ٣٨٦).

(٣) شهارة مدينة مشهورة في بلاد الأهنوم شمالي مدينة حجة وهي عبارة عن مدينتين في راس جبلين الأولى شهارة الأمير والأخرى شهارة الفيش، وحصلت فيها وقائع كثيرة لموقعها الجيد واتخذها الإمام القاسم بن محمد عاصمة له ودفن بها عام ١٠٢٩ هـ. المعجم (١/ ٨٨٠-٨٨٢).

وحسنت منه السيرة، ودعا أهل جهته، وأثر في أسرته، وله يدٌ في الآداب والنظم والنثر، الذي يستنزل العصم إلى البيان، معروف بالصدق في الخطاب والتعفف عن الحطام، أبقاه الله وثبته في رضاه.

محمد بن يحيى الشرفي المَعْمَرِي

ومن أهل المراتب المنيعة، والدرجة العالية الرفيعة، في موالاة مولانا الإمام %، وإعلان اللزام، والآخذ بنصيبه من هذه الفضيلة، التي هي محك ثبات الأقدام، السيد الفاضل، العلامة الحلال، ربحانة الشرف، وهلال المعارف المضيء في ظلمة السدف، محمد بن يحيى الشرفي المعمري، من ذرية شيخ العترة إمام العلوم، أحمد بن محمد بن صلاح مصنف (شرح الأساس) وغيره، يسكن بمسكن أهله، بهجرة المعمرة^(١) من بلاد الأهنوم، وعكف على درس العلوم، واستجلاء عرائس المنطوق والمفهوم، وولي القضاء من جهة الإمام في جهته، فحمدت فيهم طريقته، وله عناية في الدعاء إلى التمسك بالإمامة، والطاعة لولي هذه الزعامة، مستمر في التدريس والإفادة، والطريقة التي هي لسلفه خير عادة، نور الله قلبه وثبت فيه المزايا لبّه.

لطف بن محمد شاكر^(٢)

ومن أحزاب الحق، واتباع الهدى، الفقيه، العلامة، المحقق، لطف بن محمد شاكر، الصنعاني المهاجر في هجرة المعمرة من بلاد الأهنوم، ساعياً في رضاء الحي القيوم، مؤتماً بإمام الأمة، وسراج الظلمة، ويوصف هذا الفقيه بتحقيق علم النحو وكمال فيه،

(١) المعمرة: بفتح الميم وسكون العين وفتح الراء بلدة في رأس جبل الأهنوم تتبع مديرية المدان، وقبر بها العلامة أحمد بن محمد الشرفي المتوفي عام ١٠٥٥ هـ.

(٢) ولد بصنعاء عام ١٢٤٠ هـ، أخذ عن العلامة أحمد بن عبد الرحمن المجاهد، والعلامة عبد الله الغالبي، والسيد العلامة محمد بن إسماعيل عيش، واستجاز من والدنا الإمام المحسن % ، وتوفي في بلاد الأهنوم في شهر ربيع الثاني عام ١٣٣٣ هـ. نزهة النظر (١/ ٤٩٣).

وناهيك بهذه المرتبة شرفاً، ومع هذا فهو من دوحة فضل وأدب، ونبعة كرم وحسب، فإنه من ذرية سيدنا العلامة، المجتهد المحقق الفهامة، المدقق حامد بن حسن شاكر قدس الله سرّه، صاحب التصانيف، ومظهر التأليف، المحيط بأنواع العلوم عقلاً ونقلاً، ولو لم يكن من محاسنه إلا كتابه (ميزان الأنظار بين المنحة وضوء النهار) لكفاه فخراً، فإنه أودعه أبحاثاً مفيدة، وتحقيقات تبهر العقول، وتقف عن مباراتها دقائق النقول، وله فتاوي كثيرة تسمى فتاوي حامد شاكر، وقد جدد هذا العالم مآثره، وأحيا ذكره، بسلوكه الطريق الحميدة، والمناهج الرشيدة، أبقاء الله وعافاه.

محمد بن مبارك صوفان

ومن أعضاد هذه الدولة المشرفة، وأركان الإمامة التي هي بالتقوى مفوفة، وأعيان الإخوان، ووجود الأنصار والأعوان، الحاج، الفاضل، العارف، المجاهد، المخلص، الماجد، محمد بن مبارك صوفان، من جهة كحلان تاج الدين، له كمال العناية في إعانة الحق وإمداده، واستقامة أمره وسداده، قائماً بأود معقل الإمام المحروس، مثابراً على رسوخ الدولة الإمامية في جهته، ساعياً في صلاح أهلها، فجد في حلها وعقدها، وإليه ولاية الأوقاف عن أمر إمامنا 90، وله حسن نية، وخلوص طوية، وصدق في الولاء، ورجاحة في الرأي، واعتماد على الإخلاص، وتلقي من وفد لطلب العلم يجري نفقاتهم، ويقوم بحاجاتهم من حاصل الأوقاف، وإليه الولاية في المحل، من جهة إمام الزمان، أصلح الله حميد مساعيه، وجعله مباركاً فيه.

سعد بن عبد الله المهتدي الصنعاني

ومن المحبين أهل الزمام والدوام، الفقيه، العارف، العبادة، الفاضل، سعد بن عبد الله المهتدي الصنعاني، وهذا الفقيه كثير التلاوة لكتاب الله، في غالب أوقاته، له معرفة

في الفقه، ربما ألقى على صغار الطلبة الدرس، مع صدق نية، وحسن طوية، ومحبة لأهل البيت النبوي، ولزوم مذاهبهم، وكان من الملازمين لحي الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم، ودعاته في الجوفين والظواهر، ثم استمر على الدعاء لإمام الزمان، أمير المؤمنين المتوكل على الله %، صاحب هذه السيرة في الجوفين والشرفين والظاهر^(١) وغيرها، وربما نفع في المهمات، وتولي الخطابة والإمامة في بعض الأوقات، ووعظ وذكر، وحذر وأندر، في الحث على ملازمة التقوى، والتمسك بحبل الله الأقوى.

الحسين بن إسماعيل بن حسين بن حسن جفمان^(٢)

ومن أهل الوداد والنصيحة، والعقيدة الصحيحة الصريحة، القاضي العلامة، الأديب الفهامة، النجيب ربيب التمسك الأكيد، ورضيع ثدي التشيع التليد، شرف الإسلام، الحسين بن إسماعيل بن حسن جفمان، نادرة الزمان، وحسنة الأوان، متمسكاً بمذهب العترة، على نهج والده الشهيد، له رأي سديد، ومنهج رشيد، كان والده العلامة، المرحوم، الجهيد الفهامة، خريت العلوم، وغظمطم المنشور والمنظوم، ضياء الإسلام إسماعيل بن حسين رضوان الله عليه، من أساطين الشيعة، وبحور الشريعة، وأنصار الحق، وأتباع العترة، شديد الولاء، مبالغاً في نشر فضائلهم، واتباع سبيلهم، وذم من خالفهم، وله مؤلفات جميعها في فضائل الآل، والرد على أهل الزيغ والضلال، وله أشعار رائقة، ومنظومات فائقة، اشتمل عليها ديوان، وبينه مودة

(١) الظاهر: مركز إداري من مديرية خرم محافظة عمران، وكانت تطلق سابقاً على مجموعة مناطق منها خرم، وبني صريم، والغولة، والسنتين وغيرها. المعجم (١/ ٩٧١).

(٢) مولده ١٦ محرم سنة ١٢٤٩ بصنعاء وبها نشأ وتولى خطابة الجامع الكبير بصنعاء بعد وصول الأثرأ إلى صنعاء سنة ١٢٨٩ هـ وعينه كاتباً وحسبه المشير مصطفى عاصم بحسب صنعاء، ثم الحديدية، ثم سافر من صنعاء إلى السلطان عبد الحميد سنة ١٣٠٠ هـ ثم عاد بعدها بعام وبقي متمسكاً بمذهب العترة الزكية على نهج والده، وتوفي سنة ١٣٠٤ هـ، وله ديوان شعر وغيرها، (أعلام المؤلفين ٣٦٦) وغيره.

أكيدة، وله عليّ مشيخ في الفرائض، وجرى ولده صاحب الترجمة على نهجه، والقاضي العلامة الضياء رضوان الله عليه، ممن تابع حي الإمام الهادي، أحمد بن علي السراجي، ولزم حي والدنا وشيخنا العلامة إسماعيل بن أحمد المغلس، ثم لزم الإمام الناصر مع قيامه، فكان من خواصه وخدامه، وصدور حضرته وحكامه، حتى ساقته السعادة، إلى نيل الشهادة، مع الإمام الناصر بأيدي الباطنية الملحدة، وولده القاضي الشرفي في طريقته المحمودة، من أعوان مولانا إمام الزمان أصلح الله دينه وثبت يقينه.

محمد بن يحيى زاهر

ومن الأعوان، أهل الإيمان، والصلابة في الأديان، الفقيه العلامة، حامل كتاب الله، الموالي لأولياء الله، محمد بن يحيى زاهر، من أهل قرية القابل^(١)، نافذ البصيرة، صالح السريرة، له معرفة وتفقه، وملازمة للطاعات، كان من إخوان القاضي العلامة شيخ الإسلام القرشي رضوان الله عليه، وأهل مودته، ولزوم حضرته، وصحب الإمام المنصور أحمد بن هاشم %، وهو الآن من أجل الأعوان، انتقل عن مسكنه إلى قرية حزيز^(٢) وعكف على الدعاء إلى طاعة الإمام، وقد أصلح الله به جماً غفيراً، وعدداً كثيراً، حقق الله أمله وأصلح عمله.

أحمد بن جار الله السلال

ومن هذه العصابة، التي انعقد رأيها على الإصابة، الفقيه، العارف، المجاهد، المخلص، نصير الحق المبين، وعون أمير المؤمنين، أحمد بن جار الله السلال، من أهل

(١) قرية القابل بكسر الباء بلدة في أسفل وادي ظهر غرباً من صنعاء إلى الشمال. المعجم (٢/ ١٢٣١-١٢٣٢).

(٢) حزيز: بكسر فسكون ففتح من بلدان سنحان في جنوب مدينة صنعاء بمسافة ٨ كيلو مترات تقع على قارعة الطريق

الجنوبية لمدينة صنعاء وفيها استشهد الإمام يحيى حميد الدين عام ١٩٤٨ م. المعجم (١/ ٤٥٦).

الجوف، له رغبة في تقويم الإمامة، وجد واجتهاد في الإعانة التامة، ينفق الأموال، ويصطنع الرجال، ويستخلص الأبطال، أعان حي الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم ٩٠%، وكان من خواصه، ولما قام إمامنا المتوكل على الله أبقى الله غرته، جد واجتهد، وحث وحشد، ورغب وقرب، وصعد وصوب، وأمد بالأجناد، وأنفق في لوازم الجهاد، وأصلح كثيراً من أهل تلك البلاد، فهو من الدعاة إلى الخيرات، وأهل الأعمال الصالحات، حقيق بأن ينظم ذكره، في سلك أعيان عصره، وهو الآن في جهة برط، صعد إليها للدعاء إلى طاعة مولانا الإمام، صحبة السيد العلامة محمد بن حسين بن عامر المقدم ترجمته، وقد ظهرت منها تباشير الفلاح، وعلامات الصلاح، ثبتهما الله على الدين، وجعلهما قرة عيون المؤمنين.

السيد العلامة علي بن حسن الداعي

ومن هذه العصابة المجبولين على التقوى، والتمسك بالسبب الأقوى، السيد، العلامة، المجاهد، الداعي إلى الله، المجاهد في سبيل الله، عماد الحق المين، وداعي أمير المؤمنين، علي بن حسن الداعي، من جهة بلاد خولان الشام ببلاد صعدة، وهذا السيد ممن له كمال العرفان، والتمسك بالسنة والقرآن، أعلن الدعوة المتوكلية، في الجهة الصعدية، ودعا على سبيل الجنة، وأقام الفرض والسنة، وصلح بحميد سعيه خلقاً في تلك الأصقاع، ونصب لهم السيد الأمير الكبير، علي بن محسن بن عباس، أميراً بعد أن أخذ عليه البيعة والعهود، وميثاق العقود، في التوقف على رأي الإمام وتشديد أركان الإسلام، وإقامة الشريعة والأحكام، وصلحت به عصابة نافعة، وألف الأجناد، وصدع بالحق في البلاد، وهذا السيد الجليل ملازم حضرته، لتعريفه ما جهل من الشرائع، لا تزال ترد مكتوباتهما إلى مولانا الإمام، وهما في قيد اللزام، والتعاون في رضا الملك العلام، أدام الله عليهما الإنعام، وسددهما في الحل والإبرام.

القاضي العلامة أحمد بن علي بن مشحم

ومن بدور هذه السماء، والراقين إلى المنزل الرفيع الأسمى، القاضي العلامة، الزاهد، الورع، الألمعي، المحقق، صفى الإسلام، أحمد بن علي بن مشحم، الساكن بمدينة صعدة المقدسة، بالمشاهد، التي هي على التقوى مؤسسة، وهذا القاضي من أهل الوقار التام، والتمسك بمذهب العترة الكرام، والعقيدة الصحيحة بمتابعة مولانا الإمام، ترد مكاتباته، ويستنشق عرف عاطر نكاته، فكأنها مسك فتيق، أو عنبر سحيق، مع قوة خط كأنه جناح طاووس، يود ابن مقله^(١) لو علقت به بنانه، وابن البواب^(٢) لو رزق إحسانه، لعله كان يستنيب القاضي العلامة محمد بن صلاح مشحم^(٣)، فإنه انكشف أن هذا الخط الممدوح خطه، وفد هذا الكاتب أعني محمد بن صلاح إلى حضرة مولانا أيده الله، إلى بلدة حزيز، وهو من أهل الموالة والالتزام للإمام، أحمد الله مساعيه، وجعله مباركاً فيه، وكان القاضي الصفى، ممن ارتحل إلى مدينة صنعاء، ووصل إلى مولانا الإمام ايده الله في جماعة من السادة والتلامذة والأعيان، وجماعة من رجال سحرار، قصداً لأخذ العهد وإجابة الواعية، والتحلي بالأخلاق السنية، والتبرك بالحضرة الشريفة المتوكلية، في شهر ربيع آخر سنة ثلاث وثمانين مئتين وألف، وعاد إلى وطنه، وقر في مسكنه، وشيخه الذي أخذ عليه العلم السيد علي بن أحمد الهاشمي أكثر قراءته عليه، وعلى سيدنا العلامة عبد الله بن علي الغالبي وهو مع خلو الزمان، أحسن من بقي في هذه المدينة التي هي معتادة لحول الجهابذة البحور، ومنازل مطالع البدور، وفي هذه الإحصار، تقلص حال أهل المجد والفخار، وأفلت نجوم المعارف في دار

(١) هو الحسن بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقله، ولد سنة ٢٧٨هـ وكان كاتباً مشهوراً، قد يضرب به المثل في الكتابة وحسن الخط، وتوفي سنة ٣٣٨هـ (الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٢).

(٢) أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور، قيل إنه لم يوجد من كتب مثله، كان مشهوراً بحسن الخط، توفي سنة ٤١٣هـ ببغداد ودفن جوار أحمد بن حنبل (وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٣).

(٣) القاضي العلامة محمد بن صلاح مشحم أحد أعيان القرن الثالث عشر- من سكان مدينة ضحيان من الجهات الصعدية، وكان يسعى في الإصلاح وكثير المودة للإمام ٥٠٪، وله مراسلات مع الإمام كما سيمر بك إن شاء الله.

القرار، وذهب الناس، وبقي النسناس، واندرست الفروع والأساس، وهذا العالم صاحب الترجمة ممن حفظ الله به حجة الله التي أقام لعباده، حتى يأذن الله بحياة بلاده، فلن تخلو الأرض من الحجة، ولا تنقطع من سبل الهداية المحجة، أبقاه الله زينة لمصره، وحلية لعصره.

القاضي عبد الله بن محمد العكام

وممن أعتق للرشاد، وتابع وانقاد، وعرف الحق والسداد، القاضي العلامة فخر الإسلام عبد الله بن محمد العكام، الساكن بالمراشي من الجهة البرطية، وهذا القاضي من أهل الكرم، والتحلي بمحاسن الشيم، يتلقى الوفد بالإكرام، خصوصاً أهل مودة الإمام، وله التفات إلى الحق، وسلوك طريقه، وملازمة أعوانه وفريقه، وهو الآن في جد واجتهاد، في تحصيل الأجناد، معاضداً لدعاة مولانا الإمام، في الحث لتشديد المقام، جزاه الله خيراً، لكنه لم يثبت قدمه في هذا المقام كلية الثبات.

علي بن حسين الحيفي

ومن خلص الأعوان، وصالحى الإخوان، الولد السيد العارف، المخلص، المجاهد، الكريم، الماجد، علي بن حسين الحيفي الساكن في قرية مدام^(١) من جهة همدان، له السعي المشكور، والقصد الحميد المبرور، والإعانة التي تشفي الصدور، وله تعلق بالمعارف، والإقبال على تحصيل الفوائد من أهل النصيحة، والمودة الصحيحة، ينوب عن مولانا بحسن ذي مرمر^(٢) ويقوم بأود من فيه من العسكر، وله في عمله نهضة وكمال، ورجحان في التحلي بحميد الخصال، عامله الله بالإحسان، وأدرّ عليه سحائب الامتنان.

(١) مَدَام: بالترحيك قرية من مديرية همدان صنعاء تقع فيما بين (المعبر) و(وادي ظهر) شمال مدينة صنعاء. المعجم (٢/ ١٤٥٩).

(٢) ذي مَرْمَر: حصن تاريخي شهير في وادي السر من مديرية بني حشيش من أعمال محافظة صنعاء، يبعد عن صنعاء ١٥ كيلاً بالشمال الشرقي وسبأتي تاريخه. المعجم (٢/ ١٤٩٤).

زيد بن صالح الرضي

ومن تأهل للإنتظام، في سلك أحباب مولانا الإمام %، وصحت مودته، وخلصت عقيدته، الحاج الفقيه، المخلص، الناسك، الزاهد، الوفي، زيد بن صالح الرضي الساكن بهجرة الصيد^(١) من بلاد حاشد، له الأفعال الحميدة، والمقاصد السديدة، وصالح السريرة، وحسن السيرة، يتلقى أوامر الإمام، بالإجلال والاحترام، والامثال التام، وله ملازمة له عند وصوله إلى بلدتهم واستقراره هنالك مدة، والحاج الضياء مجدداً في النصرة، مبالغاً في حث قبائله في الإنفاق في ساعة العسرة، فهو من خلص المحيين، وخواص المؤمنين، جزاه الله خيراً عن دينه وذرية نبيه الأمين، وألحقه بالصالحين.

صارم الدين إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الهاشمي

ومن هذه الطبقة، التي هي على الإمامة متفقة، السيد العلامة، الفاضل، زينة الأمثال، وواسطة عقد أهل الفضائل، صارم الدين إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الهاشمي الساكن بمدينة صعدة، وثمال أهلها، وعميد عقدها وحلها، له تمسك بإمام الزمان، ومبالغة في هذا الشأن، ولا يزال ترد مكاتباته وفيها صريح القول بالإمامة، والتزامه الطاعة، وإرجاع مهمات الأمور إلى من جعلها الله إليه، وأناط حبلها بيديه، وذلك شأن أهل العلم والسيادة، وعمل أهل العقول والنقادة، وهو يتولى أوقاف هذه المدينة، وكان سلفه وأهله أهل علم وعبادة، ورئاسة وسيادة، إليهم المرجع في هذه البلدة، والتفريع لكل شدة، وجرى هذا السيد على هذه الوتيرة، وحسنت منه السيرة، كما قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

ثبته الله على الحق القويم، وسدده على الصراط المستقيم.

(١) الصَّيْدُ: بفتح حين أحد فروع قبيلة خارف الحاشدية من أعمال محافظة عمران وهي خمسة أقسام. المعجم (١/٩٢٨).

عبد الخالق بن أحمد المطري

ومن استحق أن يجري في هذه الغاية، ويحمد قصده من الوقوف تحت هذه الراية، الفقيه، العلامة، الزاهد، الأورع، المفيد، عبد الخالق بن أحمد المطري الساكن بهجرة حبور^(١)، وفد هذا الفقيه على الإمام فعرفنا منه صدق الولاء، والتحقيق بالطاعة والانتظام في سلك أهل السبق والإعناق، إلى غاية المضمّر العتاق، من موالاة مَنْ أمر الله بموالاته، والتمسك بالحبل الوثيق، والإعتراء إلى خير فريق، وهو يتولى القضاء والتدريس في هجرة حبور، ويحث على طاعة الإمام %، ويقبض الواجبات ممن وقر في قلبه الإيمان، وهو أمثل من بقي في هذه المهجرة، مع أنها كانت مجمع البحور، ومجلس الصدور من أعلام السادة آل جحاف، وقد خلت في هذه الأعصار، وتعطلت عن أهل الأنظار، والله نفحات نرجوه أن يعيد على الأرض نظرتها، ويقيم الشرائع والأحكام، بالنصر والظفر التام، لمولانا الإمام % .

بدر الدين محمد بن عبد الله^(٢)

ومن اتصف بحميد الأوصاف، وتحلى بخفي الألفاف، ومشى تحت هذا العلم السايق إلى النجاة، المولى العلامة، الفذ الفهامة، ذو الخلق الوضيء، والخلق المرضي، بدر الدين محمد بن عبد الله، من قرابة مولانا الإمام، وبني عمه الكرام، وفد على الإمام، فرأيناه روض أخلاق نضير، وغصن دوحة بسق فرعها وكرم أصلها، وعلا ذكرها، وحمدت آثارها، وأينعت أثمارها، يتحلى بمكارم الأخلاق، ويتزين بزينة فرسان السباق، إلى غاية الوفاء والوفاق، قد انسحبت عليه البركات، وتضوعت في أعطافه

(١) حبور: مدينة جبلية مشهورة في جنوب جبل شهارة بها جامع أثري وهي عاصمة مديرية ظليمة وتتبع في أعمالها محافظة عمران.

(٢) لعله محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن بن الحسين، فهو ابن عم الإمام كما قال المؤلف، هذا ما ظهر والله أعلم.

عاطر النفحات، وشملت الأسرار الإمامية، والعواطف النبوية، فهو لباب الباب في أعيان العصر، وحسنات الدهر، وله أولاد نجباء منهمكين في طلب العلم الشريف، متنزهون في روضه الوريث، أطال الله عمره في رضاه، وأصلح دينه ودنياه.

سعد بن حسن الشيخ

ومن غمرته شآبيب الألفاف، وأدركته العناية ولطائف الإتحاف، الفقيه، العلامة، شيخ القراءات السبع، المقرئ، الحافظ، المتقن، الزاهد، المخلص، سعد بن حسن الشيخ الساكن بقرية القابل الضريير وهو منور البصيرة، صالح السريرة، قد استضاء بنور الإيثار، ونظر بضياء الإحسان، وتابع الحق ومشى تحت رايته، ووقفه تحت عكمة^(١) في بدايته ونهايته، وله عناية في تعريف الجاهل، وتبصير العاقل، والحث على طاعة إمام الزمان، وجلب أهل محله ومن عرفه إلى موالاة من أمر الله بطاعته، حجة الله على خلقه، ونعمته التي أسبغها على بلاده، وله مشاركة في الفقه والنحو، وأما علوم القرآن فهو الخريت الماهر، والغيث المدرار، وإمامها الذي عليه مدارها، وإليه قرارها، فلم يبق في هذا العصر من يشابهه في هذا الفن، أمتع الله به الوجود، وأرغم به كل حسود.

القاضي العلامة عبد الله بن أحمد العلفي

ومن الخلق المحبين، والشيعية المخلصين، القاضي العلامة، فخر الإسلام، عبد الله بن أحمد العلفي القرشي، الساكن بقرية أحداق من جهة أرحب، في حدود الرحبة بني الحارث، من قرابة حي شيخ الإسلام، أحمد بن إسماعيل رحمه الله، وهو

(١) المراد ووقف تحت ظله.

خريجه وتلميذه، كان ملازماً له سفرراً وحضراً، ومتابعاً له مذهباً ونظراً، اتصف ببعض صفاته الحميدة، وتلقى أخلاقه المشيدة، وقفا أثره في محبة العترة الطاهرة، ولزم سمته في التمسك بخير فريق، وسلك خير طريق.

القاضي العلامة علي بن حسن العلفي

ومن قرابة شيخ الإسلام، وأهل المودة لمولانا الإمام، القاضي العلامة، جمال الإسلام، علي بن حسن العلفي القرشي، الساكن بقرية مسيب من جهة بلاد حضور، هو أقرب إلى شيخ الإسلام ممن ذكر من قرابته، وهو الذي أخذ التعصيب من إرثه، وله تمسك بإمام الزمان، ومشاركة في المعارف العلمية، أخذ على شيخ الإسلام، وهاجر في مدينة صنعاء، واستقر الآن بقرية مسيب حاكماً مسدداً، يسعى في إقامة الحق بمستطاعه جزاه الله خيراً.

الفقيه أحمد بن أحمد الحملي

ومن وجب حقه لتمسكه بعترة المصطفى، وولائه لعترة المرتضى، الفقيه العارف، شيخ كتاب الله العزيز، أحمد بن أحمد الحملي، الساكن في ريمة بن الحاج بلد آل الشاطبي بجهة سنحان، وهذا الفقيه على نهج الشيعة الأول، شديد الموالاتة لوصي رسول الله، متجرماً ممن عاداه، وله محبة في مولانا الإمام %، واعتقاد صادق، وانتماء موافق، لا يزال يصدع بكلمة الحق ويعلن لأهل جهته، حتى وقر في قلوبهم إجابة داعي الهدى، وهو ضرير البصر، منور البصيرة، مضيء السريرة، من الشيعة الجارودية، الذين هم في الحقيقة خلص الزيدية، وأتباع العترة الزكية، فهم الذي على طريقة أئمة الآل وقد وجب ذكره لما ذكرنا نظراه في صفحات هذه السيرة.

إسماعيل بن حسين قيس

ومن طائفة الحق وأهل العقائد الصحيحة، والبراهين الصريحة، سيدنا الفقيه، العارف، نصير الحق، وظهير الصدق، ضياء الإسلام، إسماعيل بن حسين قيس، من أهل سودة شطب وأهل الدين والحسب، له معاونة للمقام، وعناية في إعانة الإمام ٥٠٪، يبذل جده وجهده، ويستفرغ وسعه وودده، وهو قرين سيدنا علي بن صالح العربي ونظيره في تلك الجهة، يسعى في تحصيل المواد، ويعم الحاضر والباد، وله إلمام بالفقه، ومعرفة بطريق الحق، وإخلاص في الوداد، والله يشكر مساعيه، ويجعله مباركاً فيه.

محمد بن عبد الله بن الإمام

ومن تعين ذكره في المقام، وتعين جعله حسن الختام، الأخ العلامة، الولي، المحقق، الفهامة، عز الإسلام، محمد بن عبد الله بن الإمام، ونسبه ينتهي إلى الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن صاحب الغراس ٩٠٪، فهو ساكن بهجرة سناع، له كمال الإطلاع، وتحقيق في الفروع، وإصابة في المشروع، ومشاركة على سائر الفنون، وهو في علم الكلام وعلم العدل والتوحيد، الواحد المجيد، مع دماء أخلاق، وطيب أعراق، وسلامة طوية، وحسن نية، وصدق موالاته لإمام الزمان، واستمرار في طريقة البر والإحسان.

وقد استوفيت تراجم الأعيان، ممن له العناية والإحسان، وهم خواص أهل الزمان، وزينة العصر والأوان، الذين نور الله قلوبهم بالإيمان، وهداهم إلى سبيل السنة والقرآن، والتمسك بخير أمة أخرجت للناس، عترة خير البشر، وقرناء الذكر المدكر، وأهل صحيح النظر، الذي ينجي من عذاب سقر، ويقود إلى الزلفى في خير مستقر، فهم الفرقة الناجية، والثلة الهادية، وطائفة الحق الذين لا يزالون عليه ظاهرين، ما زالوا ملتزمين بأعتاب أبواب الهدى والنور، منذ توفي رسول الله ﷺ، إخوان عمار، والمقداد،

وسلمان، وأبو ذر، وخباب، السابقون إلى إجابة الدعوة النبوية، والمسارعين إلى الشريعة المرضية، ثم لزموا سمت الوصي المجتبي، والخليفة المرتضى، والسابق الأول، والصديق الأكبر، والفاروق الأزهر، أبي شبير وشبر، أمير المؤمنين، وابن عم النبي الأمين، وقائد الغر المحجلين، علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

ثم تتبع أثرهم واقتفى نظهرم مَن خلص وأخلص من أشياع العترة المكرمين، مثل الأشر النخعي مالك بن الحارث^(١)، وحجر بن عدي الكندي^(٢)، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي^(٣)، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري^(٤)، وغيرهم ممن سبقت له العناية الربانية، وشملت العواطف الرحمانية، ثم أشياع الحسين والتوابون الذين صبروا على وقع السيوف، وأسرعوا إلى طريق الختوف، في رضاء باري البرية، ولزموا خير ذرية، ثم أشياع الإمام أبي الحسين الولي زيد بن علي بن الحسين بن علي، الذين ثبتوا ولم تزل أقدامهم، ولا رجعوا عن عزائمهم، حتى وافاهم حمامهم، وهلم جرا إلى وقتنا، فإن من هذا حذوهم،

(١) ملك العرب مالك بن الحارث النخعي، أحد الأشراف والأبطال فقتت عينه في اليرموك، كان شهياً مطعاً، ذا فصاحة وبلاغة وشجاعة، وشهد مع علي % حروبه وكاد أن يهزم معاوية لولا كارثة الخوارج، ولاه علي % مصر- فسم له معاوية كافأه الله بين عسل وخطب معاوية فقال: إن لله جنوداً من عسل، وقال عنه أمير المؤمنين % (كان لي كما كنتُ لرسول الله ﷺ).

(٢) حجر بن عدي الكندي، صحابي له وفاده ورواية عن النبي ﷺ وسمع من علي وعمار، وشهد مع علي % صفين والجمل والنهروان، وكان عابداً صالحاً، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، كان يكذب زياداً على المنبر وحصبه مرة فكتب فيه إلى معاوية فأرسل به إليه فقتله سنة إحدى وخمسين، وقال قبل قتله لمن حضر- من أهله: لا تطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً فإني ملاقي معاوية على الجادة. لوامع الأنوار (٣/ ٧٥).

(٣) عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، أسلم مع أبيه قبل الفتح وشهد حنيناً، والطائف، وتبوك، وكان سيد خزاعة، استشهد مع أخيه عبد الرحمن في صفين مع الإمام علي %، وكان رضي الله عنه على الرجالة وضرب بسيفه حتى أزال معاوية وأصحابه الذين كانوا معه عن مكانهم ثم استشهد فقال معاوية: إن نساء خزاعة لو قدرت أن تقتلني فضلاً عن رجالها لفعلت.

(٤) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، صحابي أسلم يوم الفتح وفتت عينه في اليرموك، وكان من الفضلاء الأخيار الأبطال، وشهد القادسية وحضر الجمل وصفين واستشهد بها، وقطعت رجله وقتل رغم ذلك، وكان يسمى بالمرقال، وكانت راية علي % معه، وكان قائد الرجالة يوم ذاك.

واقترى بأنوارهم، وجرى في آثارهم، فهو في عدادهم، وهم سلفه الذين سبقوا بالإيمان، وقدوته الذين تبعهم بالإحسان، ومن أحب قوماً كان منهم، كما ورد في الأثر، عن سيد البشر، صلى الله عليه وعلى آله الميامين الغرر.

وقد ظفرت ببعض الأشعار، التي وعدت بإجرائها في هذا المضمار، فلنذكر ما وجد، وإذا ظفرنا بشيء منها ألحقناه فيما بعد، ونضيف إلى ذلك ما وجد من مكتوبات مولانا الإمام ٥٠٪، ورسائله وجواباته وأنضاره العلمية، واجتهاداته القوية، ليعلم الناظر أن درجة هذا الإمام العظيم لاحقة بسلفه من أئمة الآل، في الأقوال والأفعال، ثم نسوق ما أمكن من سيرته وتنقله وجهاده ووقائعه، على حسب الإمكان، إذ قد بعد العهد بها، وفي أول الأمر لم يكن عن مشاهدة، ولعل الله سبحانه ييسر المقصود، ويوفق لما يريده من استيفاء المقاصد، واستكمال المساند، وبه الإستعانة.

ومما قاله السيد عبد الرحمن بن محسن جحاف عامله الله بخفي الألفاف، قوله: [من البسيط]

يا بذرتم بداء في خير إشراق
مكملاً غير منقوص يا محقق
ومحسنأ أسايوماً إلى خدن
ولانكى قلب ذى ودّ بإحراق
ومنفق كل ما نالت يده بلا
مَنْ كغيث هنى الصب غيداق
قد استوى الكثر والإقلال في يده
لا يخشى قط من فقر وإملاق

وأحسن الخلق من تلقاه متكلاً
 على المهيمن في عزم وإنفاق
 وقائماً لم يزل يمشي — على السنن
 المرضي على وفق قول الخالق الواق
 ويا إمام الهدى والجود لا برحت
 أيامك الغر في عز وإشراق
 قد طال منك دعاء الناس ترش —
 — لهم إلى الهداية في نصيح وإصداق
 فطال غيُّهم في الناس وانتهكوا
 محارم الله إذ هم شر عواق
 شر البرية أهل النكث ما برحوا
 على الخداع لهم أقوال سلاق
 إن عاهدوا نقضوا أو بايعوا نكثوا
 أو عاملوا ظلموا من غير إشفاق
 هم الأفاعي إذا حققت طبعهم
 فسمهم سم صلي ماله راق
 وقد بلغت من المجهود أوسعه
 والله يعلم وهو الشاهد الباقي

جزاك ربك ما ترجوه منه غداً
يوم الجزأ أجر صبار وسباق
يا آل طه بقيتم ما بقي علم
وطاب ذكرك في أفق العلا الراق
فكن مع الله واحيي من معالم ديد
من الله مامات من عين ومن باقي
وسوف يعطيك من إفضاله ظفراً
أيام عشت على عز وإرفاق
صبراً على حادثات الدهر هل أحد
ينجو ولورأيه يعلو على الطاق^(١)
واسلم ودم في نعيم لا نفاد له
يابن الوصي ويا مولى الصفي الباقي
خليفة العصر منك البر قد عهد الـ
مملوك فافضل بعهد فهو ترياق
وصف لنا منك أحوالاً وحققها
إني لتحقيقها الوافي بمشتاق
إني لعهدك مشتاق أهيم إذا
فاح النسيم بعرف منه دفء

(١) قال في نسخة أخرى: الطاق كل ما بين سماء وسماء. تمت.

أسائل الحي هل مروا بربك ما
 ذايخرون على الإطلاق إطلاق
 فاذكر أسيركم ما دمت أذكركم
 فذكركم مثل أورادي وأوفاق
 واثن الصلاة على طه وعترته
 مع السلام دواماً كل إشراق
 فأجاب عن مولانا الإمام % القاضي العلامة الأديب محمد بن محمد الحيمي عافاه
 الله بقوله: [من البسيط]

جاءت مطوقة غراً بإشراق
 ألوكة أنبات عن ودسباق
 كأنها الخمر إلا أن أكؤوسها
 سمط الال غدا في جيد أوراق
 ماسحها روت فعلاً مثل رقتها
 ولا نظام ابن مطروح بترياق
 تمثلت عندما جاءت بغانية
 تزهو وترفل في تيه وإشراق
 أهلاً بها من عقودكم حوت دراً
 أزرت بياها راقوال لوراق

وأفصحت عن بلاغات مُحبرة
من سيد ماجدٍ فذٍ بإطلاق
لقد أتيت بأقوالٍ محققةٍ
في أهل دهرٍ لنا ما فيهم باق
همُ الذئاب التي تحت الثياب فلا
تكن إلى أحدٍ منهم بمشتاق
واحذرهم حذر ذي دينٍ فقد لدغوا
ولا تثق منهم يوماً بميثاق
لكن مقصدنا إصلاح دينهم
لأنشئ عند أمر الله خلاق
بالقول أول ثم السيف يحملُه
عرمرمٌ من ذراهمدان صدّاق
سيف ورمح وأروام معودة
ضرباً وطعناً وتحريكاً بمزّاق^(١)
ونسأل الله تعجيباً لموعده
ليحفظ الدين عن تبديل فساق
فذاك من ربنا لا غيره أحد
والله يعطف وهو الناصر الواق

(١) في نسخة: بمزراق.

ونحن في نَعَمٍ غراً قد امتزجت

بعنبر اللطف من ذي العزة الباقي

ولا برحت بـنعماءٍ مكررة

من ربنا كهـمـو^(١) السبل غيداق

ومما قاله السيد المذكور مهنيّاً بفتح صنعاء قدمنا ذكرها هنا وإن كان محلها عند ذكر

ذلك حفظاً لها من الضياع وهي قوله: [من الخفيف]

أضحك النصر — مبسم السراء

بـافترار الخريدة الغراء

وغدا طائر البشارة يشدو

معلنّاً فوق أيكة العلياء

قائلاً ملء فيه نصر — من الله

وفتح من فوق سبع سماء

ما اسفرار الطلائع الغر زهواً

وافترار المباسم اللمياء

ما فتور الجفون من كل طرفٍ

ناعسٍ ناعسٍ لكل هواء

ما انبراح له به دعج الأحـ

ـداق في لحظ مقلبةٍ حوراء

(١) في نسخة: كهمول.

بل ولا ورد خـد وعيون
 فتانة^(١) تخجل النهى نجلاء
 ذات تصفيف طرة أسبلت فو
 ق جبين حاز البها بسناء
 ما انحجام النهود إن كان يعلو
 ها^(٢) بساتين روضة روضاء
 ما حلوا الوشام زاه بنقش
 بشفاه العروبة النهـداء
 لم يكن كل ذا بأشهى وأبهى
 عندنا من بشارة عظماء
 ولعمري لقد سررنا وحق
 أن يُهنئ بها إمام الـوراء
 بحصول المنى بفتح أزال^(٣)
 عنوة بالحصار بعد مداء
 ثم كان الفتوح من صاحب الفتـ
 ح مجيب الدعاء سميع النداء
 فله الحمد قد أمد بنصر
 بـاهرٍ مرغـم البغاة العـداء

(١) في الأصل غير واضحة، وما أثبت تظنيًا.

(٢) في الأصل: يعلوه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) أزال اسم من أسماء مدينة صنعاء.

أيد الله قاسم العصر — بالنصر —
وأولاه نصر —ة الأولياء
صاحب الذكر طيب النشر — محمو
د السجايا معنبر الأنبياء
طاب أصلاً وطاب فرعاً وأربى
بسمو على الورى وانتماء
بدر تم يدور في فلك السع —
د فيز هو بنوره الوضاء
وحسام بحد سطوته المجد
تتقى في رفعة وعلاء
وإمام بحسن سيرته الدين
تجلى في حلقة سيرة
وتقي به الشريعة أضحت
في علو ورفعة وسناء
أروع يمالأ العيون جلالاً
حين يبدو من مجده في ملاء
ماجد يتضي — من الناس سيفاً
حاكماً في عدوه بالجلال
لبس الدهر ذكره فتنى
ساحباً ذيله من السراء

الإمام المقام والمحسن القـ
 —وام لله أفضل الخلفاء
 هو للمجد دوحه ذات فرع
 باسقى في حديقته ذات ماء
 دوحه ظلٍ أبرد بها ظليل
 لا ضئيل وفرعها في السماء^(١)
 قد سقاها ماء الخلافة رياءً
 فتمت ذات بهجة ورواء
 طالعته عين الأعادي فأضنت
 جفنها مغمضاً على الأقذاء
 ما وفاء هيهات فاؤا إلى السلم
 غدا ليسوا بأهل وفاء
 إنما أذعنوا له حذر الموت
 وخوف القضييب والسمراء
 يَقيظ القلب لا ينام لدى الحر
 ب لغير الضرار والأعضاء
 قد أباد الأضداد منه بحد
 يـن من المرفعات والآراء

(١) كذا في الأصل، ولعلها: ذات ظلٍ أبرد بها من ظليل.

لست أدري أراؤه كمضاه
 أم ضبابه كرايه في المضاه
 أتعب النفس فاستراح ومن لم
 يتعب النفس لم يزل في عناء
 عم صباحاً أيها القائم الأز
 هر من آل فاطم الزهراء
 أنهنك أم يهنى بأنبأ
 مساعيك سيد الأنبياء
 فلقد شدت دينه بمساع
 في صباح أطلبته ومساع
 قمت لله ناصراً فتولاك
 وأولاك نصرمة السعداء
 سرفي أيها الإمام فتوح
 سننحتن روح ذي البرحاء
 وشجاني افتخار صنعاء لما
 صاعرت خدها لطيب نقاء
 بلسان الزمان تشكي فقالت
 بسئ ما نلت من الأعداء
 فلقد طال ما علي استطالت
 بالتجاني أعبدني وإمائي

ولهذا الشكاء بثت وأشجيت
حين جاءت تمشي — على استحياء
أكرم الفخار محترم الجا
رحميد السمات والأسماء
وإلى سوحك الكريم كتاب —
افتح قل قد أتى بفتح رضاء
من إله السما وأرجوه فالاً
رب فالٍ أتى بهما في المناء
وكتاب مبارك عدة الحصن
الحصين الذي سما في الدعاء
وإليك النظام يا خير مختار
لِ لرب السماء تحت اللواء
هاكهما من رضيع برّك عذرا
زيتها صفات مولى الصفاء
وأعزني سترأف من شيم الأب —
نناء أن يستروا على الآباء
وصلاة من الإله على من
ارتقى السبع ليلة الإسراء
وتعم الوصي والآل طرّاً
ما أضال البدر في دجى الظلماء

ما أَمال النسيم غصناً وما أطم
 — سرب سجع الحمامة الورقاء
 تمت. وللسيد المذكور مادحاً لمولانا الإمام % قوله: [من الكامل]
 قمرٌ تجلّى مسفراً بالنور
 مرحاً ترنح في نفاكافور
 أجرى الشباب الغضّ في وجناته
 ماء وناراً في خدود زهور
 يفتراً أثناء العتاب فيزدري
 باللولؤ المنظوم والمشهور
 وسنان أحورَ ما تجلّى حسنه
 إلا لنعلم كيف حسن الحور
 ثمل القوام معربد اللحظات ما
 لثمت مرأشفه كؤوس مدير
 لبس الجمال ملوّن تجبيره
 بغرائب التلوين والتجبير
 نور الجمال ملوّن في حسنه
 تقدير ذي صنع وصنع قدير
 فالأرجوان بخده وشفاته
 يجري دماً دمع الشجي المقهور

وسواد طرته وصبح جينه
ذهباً بحسن الصبح والديجور
ويروع بالبلج العيون فيثني
وهواه منقوش بكل ضمير
نور سواد الحاجين طباقه
أفلس تعجب من سواد النور
فدنا على خدي غزال كُحلاً
بالغنج والتعبيس والتفتير
مقل بهامزج اليباض بخمرة
فتضاغت فتن العيون الحور
متبسم عن لؤلؤ يوري عقو
د الحور بين ترائب ونحور
قمر تجلى لي فحين علقت به
ولى وعاد بكرة وسور
من لي به والربع لم يبرح به
لولا مراقبتي لعين غيور
تحمي زيارته كما يحمي فناً
ء المحسن المتوكل المشهور
الماجد العلم الهمام الأورع الفـ
ذ الإمام الطاهر المبرور

أعني حليف المجد ذروة أحمد
مولى الفضائل صاحب التنوير
فردّ له تعنو الكرام إذا بدا
في أوج سرج أو سماء بسرير
ملاً الطلاس وملاً برج سبوحه
بأساً وملاً خواطر وصدور
هابوه لا لفظاً بل أذعنوا
لكمال وافٍ بالشرائط خطير
سل عن نجابته وسل عن علمه
ثقة تجرد ما قلت في التحرير
حسن الشئائل لم يندس عرضه
درك الرذائل صاحب التطهير
إن شئت أن تلقى المعالي صورة
والجود شخصاً واضحاً بظهور
ومكارم الأخلاق طبعاً راسخاً
تجري عليه سجية التوقير
فانزل به تلق العلاء شخصاً زها
نسباً وطلعة بهجة وحبور
وهو الوفي الحافظ الود الذي
يرعاه كل مهذب مشكور

يا أيها المولى الذي قد قام يد
 عونا ناصحاً بالجد والتشهير
 يدعونا إلى دين الإله مجاهداً
 بالسيف والتذكير والتحذير
 هُنْتُ عِيد النحر وُلِّي بالرضا
 وكذا المحرم قد أتى سرور
 شهر المحرم قد أتاك مبشراً
 بالفتح والإقبال والتيسير
 والنصر والتأييد هبت ريحه
 بنسيم فتح ترحيمه كبير
 النصر فاح أريجيه فتلقاه
 بالحمد والتسبيح والتكبير
 فاسجد لربك واقرب شكره فقد
 ضمن المزيدي لشكر كل شكور
 وإليهما عناء بنت قريحة
 كلت عن المنظوم والمشور
 حباً لكم ومودة أخلصتها
 لأنال منك مودة التوقير
 تأبى الجوائز غير ودِّ فؤادكم
 هو خير جائزة لكل بصير

عزّت على خطّاهام وودّة
 جاءته ماشيّة كمشي — حقير
 فإليك نازحة شكية شَيِّق
 هزّته لوعة شوقه المكثور
 فاعذر أباك ولا تسل عن شوقه
 فتبيّمه خطباً ليس بالمقدور
 إن الحروف ظروفها لم تتسع
 من كنهه أشواقه بعشر — عشير
 وسلام ربك حصّ ذلك ماشدى
 وُرُق الرّباب — ترنم وهدير
 وأزبن متضمي بحسن تحية
 ختماً يفوح بعنبر وعبير
 كالراح لطفاً والأفاح طلاوة
 ويفوق تأمّل لؤلؤ مسحور
 وبرحمة حكمت النسيم لطافة
 وسرت بنشر — النرجس المحظور
 تغشى بشير المؤمنين بجنة
 ومحذر الكفار نار سعيير
 المصطفى خير الأنام محمد
 والآل ذروة شبيب — وشير

تمت. والله دره فلقد أبدع في النظام، وفاق في حسن الترتيف والإنسجام، وأودعها ما رق وأرق، وعذب في الأسجاع والأذواق، وهي غرة في أشعاره، ودرة في عقد آدابه، وروضة في إحسانه وخطابه، وله في مدح مولانا % : [من البسيط]

يامن حللت من الأفلاك قبتها
وقد سمى عن سما كيوان واستبقه
يابدر تم أضاء في كل ناحية
ثم استوى في بروج غير مرتحلة
تهدي إلى القلب نوراً باقياً وإلى
العينين نوراً بنور البدر متسقة
ويا أجل الورى قدراً وأكثرهم
صبراً على حادثات الدهر إن طرقة
ويا إماماً على الرحمن متكلاً
ويا حسام لبتر^(١) الفرقة المركة
ويا أميناً على دين الإله ويا
مولى الأمانات في الأوقاف والصدقة
يامن إذا حررت في الطرس مدحته
تزين النظم والمنظوم والورقة
يامن إذا قيل أين الفخر فهو له
دار وفي العلم بحر زاهر طبقه

(١) في الأصل لبتر، وما أثبت تظنيماً ليستقيم الكلام.

يا محسن الظن لا تغتر في رجل
يأتيك في صورة منظورة تنقته
يزين الزور بالتغريب تحسبه
حقاً وكم عزّ قبيلاً عالم أرقه
حلو الحديث ومشهور النظام وذا
ك الصل فالسم في اقواله النمقة
في معرض النصح إني لا أحذركم
معة اللص والأكراد والفسقة
لكن أحذركم من ينبري لكم
في معرض الزهد لكن همه السرقة
تسيحه سيفه والذكر أسهمه
والسبحة الرمح ثم المصحف الدرقه
وهاكها يا كريم الذكر من خدن
يحب ذكرك حب الطيب للشقة
وإن تباعد عهدني لا تؤاخذني
فأنت في البال والأرواح متفقة
لا زلت كهف اليتامى والأرامل وا
لأوقاف عوناً لنا يا صاحب الشفقة
تمت. وقد ذكرنا في هذا الكراس ما تيسر من نظم السيد المذكور.

ومن رسائل مولانا إمامنا صاحب هذه السيرة ما كتبه إلى أهل صنعاء^(١) بعد نكثهم لبيعته واستدعائهم لحسين بن المتوكل قبل أن يحيط بهم الحصار ويسعر عليهم الحروب التي سيأتي ذكرها.

[ومنها] الرسالة^(٢) الدافعة لسوء القالة المرشدة إلى الصواب، الهادية إلى سبيل قرناء الكتاب، من جعلهم الله مرجعاً عند الاختلاف، لإتصافهم بجميل الخلال وشريف الأوصاف، حررها مولانا إمامنا عادت بركاته جواباً على بعض المنحرفين وأهل الأهواء لما قدح في السيرة، ونقم أموراً يسيرة، وهذى في هذا الاعتراض وأرسل مقرض الأعراض واستحق المقت من الله سبحانه، وارتكب المحرمات باستحلال أعراض العلماء العاملين، وأعمدة الدين.

(١) ستأتي في مجموع الإمام % القسم الثاني انظرها هناك.

(٢) ستأتي في مجموع الإمام % القسم الثالث انظرها هناك.

ولنشرع الآن في نظم عقود السيرة في هذا السمط الجامع، ونشرف آذان السامع، بأقراط جواهرها، ومسالس مواردها ومصادرها.

[انتقال الإمام عليه السلام من كحلان إلى صنعاء]

فنقول: بعد أن أجمع أركان الشريعة الذين اتسق ذكرهم، ونشرنا عاطر نشرهم، على قيامه في صدر هذا الدست، وانتصابه علماً للهداية في الوقت، وكان % مقيماً في بلده كحلان لإحياء الشريعة الغراء، والدرس والتدريس، ومطالعة كل سفر نفيس، فكتب إليه أولئك الأعلام، وحثوه على الانتقال إلى قرب مدينة صنعاء، والمسارة إلى ذلك المدعا، ولم يكن له رغبة لتحمل هذه الأعباء إذ وجد في الشرع مساعاً للاعتذار، وصارفاً عن حمل هذه الأخطار، ومعرفة ما عليه الناس من جهل ما يجب للقائم من أهل بيت النبوة من السمع والطاعة، والدخول في الجماعة، وتكالبه على الخطام، وتهافتهم على الآثام، وارتباكهم في تناول السحت الحرام، ودعا لسان حالهم بصمي صمام لا خلف ولا أمام، فساعد %، بعد تكرار الإلزام، ومداومة المكاتبة من أولئك الأعلام، وانتقل إلى وادي سعوان بالقرب من مدينة صنعاء، واتخذ محلاً وربعاً، إذ كان فيه أهل وأخذان، وقد تقدم له سكون في ذلك المكان، حتى خرج إليه من خرج، وألزمه القيام ولم يجد عنه مخرج^(١)، ولم يجدوا على سواه مخرج^(٢)، وكان القائم في تلك المدة قد التوت به الفتن، واعتورته المحن، وتألّب عليه القبائل، وأحاطت به الجحافل، فصرح بالعجز والتبري، مع أن أولئك الأعلام قد عرفوا نقصه عن ذلك المقام، وفساد رأيه، وضيق صدره، وقلة صبره، وعدم العمل بما يجب من مدارات الرؤساء، وكونه لا يخلو عن شيء من حب الدنيا، والمنافسة على خطامها، وعدم معرفته بحقوق مَنْ جَدَّ

(١) الصواب: مخرجاً.

(٢) الصواب: معرجاً.

واجتهده، وألب وحشد، وأبرق وأرعد، في تقويم دولته، وتثبيت صولته، حتى أنه اتخذهم أعداء بعد أن رفعوا ذكره، وقوموا أمره، وشدوا أزره، ولم يُنقَم عليهم شيء من أمور الدين، ولا عرف سير الأئمة الهادين، فيما قاموا به من حقوق السابقين، وجزوهم بالثناء الحسن، وكفى بالقرآن العظيم، وسنة نبينا عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، فإنها طافحان بالثناء على أهل السبق والفضيلة والجهاد الذي اتضح دليله، كقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

قِيلَ لَهُمْ تَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْكُمْ وَلَا تَحِبُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

وقول النبي ﷺ لخالد بن الوليد^(١) وقد نافر عبد الرحمن بن عوف: «يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما أدركت غدوة أحدهم ولا روحته ولا مده ولا نصيفه» يريد ما أنفقوه في بداية الإسلام، وحين الفاقة، فعلم أن سوابق السابقين، من شريعة سيد المرسلين، وأنها من المهمات التي يراعيها من الأئمة المحققين، وقد أعد الله الثواب الأكبر، والجزاء الأوفر، في الدار الآخرة، ولكن ملاحظة طرق السياسة، مما يشترط في أهل الرئاسة، ليرغب فيه الناس على اختلاف حالاتهم، وتباين جهاتهم، ويدأبوا في النصيحة، وتصح منهم العقائد.

ألا ترى إلى خير القرون أصحاب رسول الله ﷺ حيث فتحت لهم الأقطار، ومصر- والأمصار، وعرفوا لأهل السبق في ذلك المضمار، كيف دخل الناس في الدين أفواجا، وسارعوا إليه أفراداً وأزواجا، إما للدين وإما للدنيا، واتسعت بذلك رقعة الإسلام،

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، أسلم مع عمرو بن العاص سنة ثمان للهجرة، وحضر فتح مكة، وقتل بني جذيمة فقال الرسول ﷺ: «اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد» وقاد معارك الردة وفيها قتل مالك بن نويرة ظلماً ولأمره عمر على ذلك، فلما تولى عزله، وتوفي بجمص سنة ٢١هـ وقيل غيرها.

وانبسطت الأرض للأحكام، وعمرت خزائن الحلال والحرام، وتمّ الدين الذي هو المقصود، وعُرف الملك المعبود، وهذا عارض أجراه ذكر فساد تدبير المنتصب الأول، حتى أوجب صرفه عن هذا الأمر.

[بيعة الإمام عليه السلام]

فلما كان ذلك، وأجمع الخاص والعام، على انتصاب مولانا الإمام، نهض من سنوان إلى قصر صنعاء وبايعه الخاصة، وتبعت بيعته العامة، وأكد عليهم العهد، وشدد العقود، وأجرى الأمور على السبيل المورود، وبقي في محروس صنعاء أياماً لتسكين الفتنة التي قد كانت ألوت بهم من كل جانب، وأحاط بهم كل محارب، فسكنت بحميد قيامه عنهم الزعازع، وتفرقت تلك الجموع، فصارت منهم الديار بلاقع، ثم إنه % أجمع على النهوض منها لإصلاح البلاد، والنظر في أحوال العباد، فنهض إلى هجرة سناع، وشرفت بقدمه تلك البقاع.

وتوجه عن أمره حي السيد الشهيد الرئيس الصارم المقدام الفاتك الهمام محمد بن علي بن محمد بن حسن الشامي يحيوي، يتصل نسبه بالإمام المعتضد بالله يحيى بن محسن بن محفوظ الملقب الداعي الذي دعا بعد وفاة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان %، وكان هذا الإمام الداعي من أوعية العلم الواسعة، قال فيه الإمام المنصور بالله % : مع الداعي علم أربعة أئمة، وله الكتاب المعروف بـ(المقنع في أصول الفقه) جمع فيه فأوعى، وأتى فيه بالعجائب وكان كاسمه مقنعاً للطالب، مألفاً للراغب.

وهذا السيد محمد بن علي كان من أهل البسالة والإقدام، والرئاسة التي تحل حبي

الأحلام، يقود الجنود، ويعقد البنود، ويجلي المعارك السود، قد ألفت مناصرة أئمة الحق، ونور الله قلبه لمناصرتهم، وألف طاعتهم، وقد كان عظم خطره على الأعداء، وصار شجاً في حلو قههم، وقذاً في أعينهم، ورمداً في جفونهم، ومراغماً في ديارهم، حتى أنهم تصوروا في خيالاتهم الفاسدة وتجارتهم الكاسدة أنهم إذا أعملوا فيه الحيلة، وتمت لهم إلى إهلاكه الوسيلة فقد استراحوا من صولة الحق، واطمأنت لهم الديار، وطاب لهم القرار، فعقدت بينهم وبينه هدنة، فأمن غوائلهم، فدخل إلى مدينة صنعاء، فأمسكوه وأودعوه السجن، حتى قام داعي الضلالة المعروف بحسين الهادي كما سيمر بك في هذا المجموع، ف ضربوا عنقه ظملاً وعدواناً، وبغياً وطغياناً، واستحق الشهادة التي هي لسلفه عادة.

فتقدم هذا السيد المهام إلى جهة حضور، ومعه أجناد، فصلحت به البلاد وانقادت إلى طاعته، لما قد عرفوه من صرامته، وشرع في قبض حقوقها، وإصلاح طريقها، وتقويم أودها، وترميم لدها، فلما سكت مسامع الأعداء أخباره، ومُحِدت في الحق آثاره، قامت عليهم القيامة، وألوت بهم الندامة، وعلموا أن شوكة الحق إذا قويت، وأمور العدل إذا اتسقت، تنغصت مشاربهم الوبيئة، فلما حصل السيد محمد بن علي بالبلاد الشهابية وبني الراعي وحصل منهم إجابة الداعي، اجتمع أهل العناد، وسلوا سخيمة الأحقاد، ودسوا إلى الأضداد من آل الإمام القاسم أن هذه الخلافة قد أقشعت عن ساحاتكم، ومالت عن راحتكم، بسبب اختلافكم وتعاديكم، حتى طمع فيكم الطامع، وقل لكم المتابع، وصرتم أعداء يضرب بعضكم بعضاً، وألقيت بينكم العداوة والبغضاء، وصار أمركم كما قال القائل: [من السريع]

إِنَّا وَمَا نَكُتُمْ مِنْ أَمْرِنَا

كالعير إذ قُدم للباضِع
أو كالذي يحسبها بعُلها
عنداء بكرأ وهي في التاسع
كنانرقها فقد مزقت
واتسع الخرق على الراقع

واجتمع بعد هذا هينمة الرعاع في وادي ضلع، وقوي لديهم المطمع، وأنهم يقتسمون البلاد، ويؤلفون الأجناد، ويسترجعون الملك إن عاد، وجعلوا جماع أمرهم إلى غالب بن محمد بن يحيى^(١)، وأنه يدعو إلى الخلافة، ويستدفعون به كل آفة، وكل منهم يعزم إلى بلاد، ويكون له فيها الإصدار والإيراد، وتكون له على سبيل الأقطاع، وصاروا كما قيل:
وتفرقوا فرقا وكل قيلة

فيها أمير المؤمنين ومنبر

وهي نزعة شيطانية، وأهوية نفسانية من شياطين الباطنية، وأعداء العترة الزكية ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، فاجتمع مع غالب المشؤوم أهل البغضة واللؤم، وطلع إلى جبل حضور، وعارض ذلك البيهس المصور، فاختل على السيد عز الدين بعض أهل البلاد، ومالوا إلى الأضداد، ودسوا إلى الأجناد، وأعدوا لهم العِدات، وفرقوهم بالخيالات، حتى تم لهم انفصال السيد المهام^(٢)، ورجوعه إلى حضرة الإمام %، ولم يتم لغالب في البلاد مرام، ولا حظي منها بحطام، وصار كما قيل:

(١) من ذرية الإمام القاسم بن محمد أحد الناكثين والباغين على إمام الحق يدعو إلى نفسه مرة ويعزها أخرى، استدعى الأتراك لينصروه لكنه لم يبق إلا اسبوعاً ثم عزله الباشا ثم أكرم الوالي التركي بنفسه بأن جعل نفسه حارساً على بوابته وأعطاه الباشا مقابل ذلك ناظوراً ليحرس به الباشا كما أفاد ذلك في حوليات يمانية وهلك سنة ١٣٠٢ هـ.
(٢) روى زيارة أنه كان وزيراً لغالب بن محمد في هذه الفترة، والأخبار فيه مضطربة عند المؤرخين.

صلى وصام لأمرٍ كان يقصده

لما قضى الأمر لا صلى ولا صام

وحين رجع السيد المذكور إلى الإمام أعمل الحيلة الأعداء في غزوه إلى هجرة سناع، وكنتموا أمرهم، وأبطنوا مكرهم، وكاتبوا من عرفوا أن في قلبه مرض، وأن له في مخالفة الحق غرض، حتى إذا أمكنتهم الفرصة سروا في ليلة إلى ذلك المحل وأخذوا القرية التي بقرب الدار التي سكنها الإمام وأخذوا [.....]^(١) التي يضرب بها في أوان العشاء، وأثاروا الحرب من ذلك المحل، وقد كانت الأطماع لاحظتهم فيما لم يمكنهم الله منه من القبض على الإمام، ولعل لهم مساعد على ذلك المرام، ولكن خيَّب الله آمالهم، وأبطل أعمالهم، فبقي الإمام على حربهم مدة ثلاثة أيام، ثم خرج منها كما خرج جده الصادق خير الورى من أم القرى، وكما خرج جده المتوكل على الله المطهر بن يحيى من قرية تنعم من جبال اللوز وقد أحاط به الملك المؤيد داود بن الملك المظفر الرسولي بأجنادٍ واسعة، وأمورٍ رائعة، فأرسل الله وله الحمد السحاب، غطت تلك الأودية والهضاب، فخرج الإمام المطهر %، من بين تلك الحيام ونجا بسلام.

[نكت أهل صنعاء لبيعة الإمام عليه السلام]

وما أشبه الليلة بالبارحة، فإن إمامنا % ما زالت أموره وسيرته وما يجري له من تنقل الأحوال شبيهة بسلفه القذة بالقذة، وما زالت هذه الامتحانات تزيد في رفع قدره، وعلو أمره، وارتفاع شأنه، وكلما أوقد الأعداء ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب الفساد، والحوادث صقيل الأحرار، والسيف لا يحمده أثره إلا إذا فتر بالنار جوهره، والمندل الطيب لا يعبق نشره إلا إذا ألقى في جاحم جمره،

(١) ما بين المعقوفين كلمة لم تظهر في الأصل.

فوصل مولانا سلام الله عليه إلى باب قصر مدينة صنعاء باب ستران، وهو يظن بأهلها خيراً، ويعتقد ثباتهم على طاعته، واستقامتهم على بيعته، التي تقلدت بها أعناقهم، وتطوقت بها رقابهم، وكان جماع أمرهم إلى أحمد بن أحمد الحيمي، وهو الكافل لإدراكها، والمهيمن على أهلها، فإذا هو قد خان ومان ونكت الأيمان، وتباعد عن الطاعة، وأخلف الوعد، ولم يلق مولانا منهم جميلاً، ولا إلى طاعتهم سبيلاً، فرجع عنهم معتضداً بالقوة الربانية، معولاً على المعونة الرحمانية، فرجع من باب ستران إلى عشة سعوان، ثم خرج منها ليلاً حتى أناخ ركابه وفوض أطنا به بمحلة (بوسان) من الجهة الأرحبية، فوصلها فلتلقاه أهلها بالإنصاف، وشملتهم نسائم الألفاف، وما برح فيها على حال جميل، ودعا إلى سواء السبيل.

[عاقبة النكت تظهر في الأعناب والأغنام]

وجرت له كرامات، وظهرت له آيات بينات أوضحت للعباد طريق الرشاد، منها أن فاكهة الأعناب من ذلك العام تعلقت بها عاهة لم يعرف وقوعها في زمن من الأزمان، ولا جرى ذكرها في دفتر ولا ديوان، وهي أنها تخرج على جاري عاداتها حتى تقارب الصلاح فيحدث فيها شيء يشبه الرماد، فيذهبها في أوان الحصاد، وتصير رماداً وتذهب نضارتها وتسود فرووعها، وتنقشف خلبها، ويضمحل ذلك الثمر حتى لا يبقى له أثر ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وذلك بلا شك عقوبة للناس لعدم قبولهم للحق، وإخلاصهم إلى الباطل، واستهانتهم بأولياء الله، وتعظيمهم لأعدائه، واستمرت هذه العاهة في الأعناب إلى حين رقم هذه السيرة في تاريخ سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف، مقدار اثني عشر سنة، فنسأل الله أن يقينا شرَّ عذابه، ولا

يؤاخذنا بذنوبنا، ولا بما فعله السفهاء منا.

وحين لم تؤثر هذه العبرة العظمى، والموقضة الكبرى، عقب عاهة الأنعام في جميع البلاد، وعمت الحاضر والباد، ووقع الموت في البقر، في البوادي والحضر، وملاّت جيفها البقاع، وحرّم الناس منها الإنتفاع، واستمرت هذه الآية، وإلى الآن لم يكن لها نهاية، وبهذه الآية إلى عاهة الأعناب ساءت أحوال الناس، وتكدّرت المشارب، وتنغصت المطالب، وقلت البركة في الأموال، وتكررت الحوادث، وعظمت الفتن والكوارث، وظهرت الجراد في جميع البلاد، وعطلت الضياع من الثمار، وأخلت منها الآثار، وتكررت في هذه الأعوام، وأثرت الغلاء في الطعام.

[عاقبة الذين منعوا الإمام عليه السلام من دخول صنعاء]

وأصاب الله الذين أرجعوا مولانا الإمام من مدينة صنعاء، وأراهم في نفوسهم قبح ذلك المسعى، فإنه كان على باب ستران الذي وقف مولانا الإمام بأعتابه، واستفتحه من حجاب، رجل يقال له علي بن لطف الجعراي، وهو الذي صنع الباب، واساء الخطاب، فرماه الله بالفالج، ولم يجد له من معالج، وهي عبرة للناظرين، وآية للمتوسمين، يسحب رجله، ويختلج عند مشيته، وكذلك عاقل أهل صنعاء أحمد الحيمي ألقى الله بينه وبين أهلها العداوة والبغضاء، فأخرجوه عنها بعد أن حاصروه في القصر، وشدّدوا في الحصر فذهب عنها وعزم إلى ناعق القرائع، ودجال الطويلة عند ظهوره كما سيمر بك فألقاه في الأغلال، وشدّد عليه في الفعال وأرجعه إلى سجن صنعاء، وبقي فيه إلى أن هلك^(١) بعد أن أصابه مرض طويل وتعوج شدقه، وكان هلاكه في السجن على تلك الحال، والذي جمع على الإمام إلى سناع، ومكر في تلك

(١) وذلك سنة ١٢٧٧هـ.

البقاع، بقي مدة يسيرة وسجن طويلاً في صنعاء، ثم أخرج من السجن وقتل شر قتلة، وما أفلح مقصده، ولا سره مقعده، وهو السيد علي بن حسين فارغ الملقب متبحر، وتلك عوائد الله في السابقين، وكفى بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٥١] .

وبعد استقرار مولانا % ببوسان ما زالت كلمته تعلو، وأمره ينمو، والله سبحانه يسهل له الأمور، ويلقي عليه محبة في الناس، فاهتدى به من اهتدى في تلك الديار، وصاروا للحق أعواناً وأنصاراً، وخلصت مودتهم، وصلحت عقائدهم، وسلموا إليه واجباتهم، وتعلموا ما يجب عليهم في دينهم من الصلاة والصيام، وإقامة الشرائع والأحكام، وترك الطواغيت والآثام، حتى خلص منهم جماعة صاروا للإمام بطانة وثقة يضعهم في معازل الإسلام، لا يخاف منهم مكر ولا خديعة، يصبرون على الشدة، واللأوى، ولا يخاف منهم ميل ولا زلل، وهذه من الكرامات الإلهية، والأمداد الرحمانية، وما برح % في الدعاء والترسل والإرشاد والتوسل، يرسل الدعاء إلى الأقطار، ويكاتب إلى من بعد في الديار.

[القاضي العلامة علي بن يحيى الشرقي]

فأرسل إلى الجوفين أولاً حي القاضي العلامة الورع الفاضل الزاهد، المحقق في الفروع والأصول، والمدقق في المعقول والمنقول، علي بن يحيى الشرقي الأنسي-رحمه الله، فبقي هنالك داعياً ومعرفاً حتى صلح به في تلك الجهات أكثرهم، وعرفوا ما يجب على المأموم للإمام، وتلقوا مدارك الأحكام، وعرفوا الحلال من الحرام، وسلموا ما يجب عليهم، وحمد أثره لديهم.

وهذا العالم كان من عباد الله الصالحين، وخلاصة أهل الدين، بقي مهاجراً في مدينة صنعاء مدة من الزمان، وأخذ فيها على جلة من العلماء والأعيان، وكان من خُصّص الشيعة، وبحور المعارف الوسيعة، الذين لا يميلون عن طريقة الآل، ولا يخالفونهم في جميع الأقوال والأفعال، حتى خرج الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم سلام الله عليه فكان ممن هاجر إليه وعول في منصب الإمامة عليه، وكان من إخوان حي العلامة الجهبذ شيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل القرشي روح الله روحه، وأجزل فتوحه، وملازمي حضرته وتلامذته ورفقائه في الطب، وتعلم من شمائله، واكتسى من فضائله، وبقي على هذه الوتيرة حتى وافاه الحمام في تلك الأيام.

وبعد رجوعه من الجوفين نفذ إليهم الفقيه العلامة الفاضل سعد بن عبد الله الصنعاني المتقدم ذكره في التراجم، وخلص منهم كثيراً، وصلح جمّاً غفيراً، ووقر الحق في قلوبهم، وأنسوا إلى دعوة أئمة الهدى بعد أن كانت هذه الأمور لا تخطر لهم على بال، ولا يفقهون فيها مقال، ولا يعرفون غير دول الظلم وزعماء الجور، فألقى الله سبحانه بركات هذا الإمام عليهم، وجاد بفضله وإحسانه بهدايتهم، حتى أني رأيت كثيراً منهم قد تفقهوا وعلموا ما يجب عليهم من الواجبات الشرعية، وحسنت صلواتهم، وصاروا يثابرون^(١) على الطاعات، ويتتهون^(٢) عن المحرمات، ويجاهدون في سبيل الله، حتى كان لهم أثر في الإسلام، وخطر في الوقائع التي ستمر في هذا السفر المبارك، وتلك بركات أهل بيت الرحمة، ومختلف الملائكة ومجتمع النبوة، فإن الله سبحانه جعلهم قوَّام الدين، وبَدَعَه بخاتم المرسلين، وختمه بعترته المطهرين.

وفي مدة بقاء مولانا ٥% في محلة بوسان بقي حي العلامة الجهبذ شيخ الإسلام

(١) في الأصل: يثابروا.

(٢) في الأصل: ويتتهوا.

القرشي رضوان الله عليه في قرية جدر داعياً ومذكراً، وهادياً ومبصراً، فصلحت تلك البلدة بحميد مساعيه، وجميل أياديه، وانقادوا لفعل الطاعات، وأقاموا الجمع والجماعات، وكان له حسن صناعة، وصبر على غلظة طباعهم، وتأليفهم وتقريبهم حتى أكمل الله له إصلاحهم، واتخذ لديهم مسكناً، ونقل أهله إليه، وأصلح كثيراً من أهل تلك الجهات، وعرف الحق من عرف، والإمام % لا يزال يكرر إلى الناس الدعاء والإرشاد، ويكتب من دنا ونأى في البلاد، ويعمل بما لأجله قام من إصلاح الفاسد، وإزالة المفسد، والبيان لأحسن المقاصد، وشيخ الإسلام -رحمه الله- كثير التردد إليه، لكونه بالقرب منه، وبينهما قدر فرسخ أو دون، وهما يمدان إلى الصواب يداً واحدة، شمسان في فلك، وجوهرتان في مسلك، وأجرى الله عليهما في تلك المدة خفي الطافه، وجميل إسعافه، وتواترت الخيرات، وتوالت الموادات ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠] .

[انتقال الإمام عليه السلام إلى كحلان تاج الدين]

وكان بقاء مولانا إمامنا % في بوسان مدة سنتين تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً، ثم هياً الله سبحانه له الانتقال إلى كحلان تاج الدين، وألقى الله في قلب متولي معقلها المحروس، وحصنها المأنوس، وهو الشيخ راجح العراشي أن يسلم ذلك الحصن إلى مولانا %، وقد كان تقدم قبله العلامة سيف الإسلام محمد بن قاسم بن محمد الحوثي الحسيني الذي تقدم ذكره في تراجم الأعيان إلى ذلك المحل متولياً وظيفه القضاء هنالك وداعياً إلى سبيل الرشاد، فوقع الخوض بينه وبين الشيخ المذكور متولي الحصن وأولاده على تسليم المعقل إلى الإمام، ونهوضه لتمام ذلك المرام، ووصل إلى الحضرة الحاج الفاضل العارف محمد بن مبارك صوفان، وهو من المحبين المناصحين الذين سبقت لهم العناية، وأجابوا داعي الحق في البداية، وقد سبق له ذكر في هذه السيرة وانبرم الأمر على نهوض مولانا الإمام % إلى تلك الجهة فنهض، تحفه السعادة، وترفه إلى المعالي لوامع الإرادة، في عصابة نافعة، وبطانة دافعة، ممن خلص إليه من قبيلة أرحب وتابع وأحب، فوصل إلى كحلان واطمأن به المكان، ورتع في رياض الإحسان، وصحبه شيخ الإسلام العلامة أحمد بن إسماعيل القرشي، ثم لحقه أهله، فلما استقر قراره، وتألف أنظاره، تسلم الحصن من ذلك الكافل، وطلع في أبراجه طلوع البدر الكامل، ورتب أدراكه، وصار بيد مَلَكِهِ، وأحدث فيه العمارة، وبنى قلعته، وصحح رفعتة، واستخرج مناهله، وكان من كراماته، وأوضح آياته، ظهور بركة الماء الواسعة في قصبته مما عمله من قبله ولم تكن تعلم، فتمت له المقاصد، وكملت المساجد والموارد، فبقي على حال جميل في وعظ وتذكير، ونظم وتدبير، ووفدت عليه الوفود،

وكثر الخيرات، وانسأقت الواجبات، وتيسرت النفقات، وعرف الحق أكثر تلك الجهات، وأنسوا إلى هذه الدعوة الميمونة، والإمامة التي هي بالحق والهدى مقرونة.

[معركة بيت قدم]

فحصل من أهل (بيت قدم) بلدة من جهة مغارب كحلان، مخالفة للسنة والقرآن، ومنعوا الواجبات، وسول لهم الشيطان الخلاف، وأغراهم بالإنحراف، ف وقعت المحنة التي شاعت وذاعت، وهكذا الدنيا دول، والحرب سجال، والدهر أذوال، وله الأسوة العظيمة، بصاحب هذه الدعوة الكريمة، فقد ابتلاه الله في البداية بغزوة أحد، واستشهاد خالص أصحابه وأعظم أحبابه، وتلتها وقعة أصحاب الرجيع في بني لحيان، استشهد فيها عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح حمى الدير، وأصحابه منهم خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق، ثم وليتها غزوة بئر معونة، قتل فيها القراء من أصحاب رسول الله ﷺ، رئيسهم المنذر بن عمرو الأنصاري، وفيهم عامر بن فهيرة، قيل: إنهم سبعون في رواية البخاري، وقيل: أربعون في رواية ابن هشام، وتلك قضية فيها تأسٍ لأهل الحق، ثم تكون لهم العاقبة ويد الله هي الغالبة.

وجملة هذه الغزوة إلى بيت قدم أن مولانا الإمام ٩٠٪، لما تيقن فسادهم، وتحقق عنادهم، اجتمع إليه عصابة من المؤمنين، قدر أربعين أو خمسين، فوجههم غزاة يقبضون حصن بيت قدم، فذهبوا في الليل ولم تكن لهم معرفة بتلك البلاد، ولا وقفوا لها في واد، فوصلوا إلى هذا الحصن المشؤوم المسمى بالأقمر في ظلمة الليل البهيم، فلم يجدوا فيه زاداً، ولا أنسوا في مدخراته عتاداً، ولم تثبت فيه أقدامهم، بل لما علم بهم أهل البلاد أقبلوا من كل واد، واجتمع الحاضر والباد، وأحاطوا بالمجاهدين، ووقع الحرب

عليهم من كل جهة، فلم يثبتوا في الحصن بعد أن قد كان في أيديهم، بل خرجوا إلى الهضاب وأنسوا إلى القفر اليباب، فقتل منهم قدر اثني عشر- نفرًا، منهم النقيب عائض بن محمد بن سعيد الجدري، والسيد عبد الله بن أحمد بن محمد بن صلاح الحمزي، من دار الشريف، من قرى وادي مسور خولان، وغيرهم من الأعيان، وهذا النقيب عائض الشهيد كان مشارفًا في الأدبيات وقول الشعر، وله لمسة في النحو، ومطالعة في التاريخ، وإشراف على الفوائد، استفادها بالمطالعة ومجالسة حي شيخ الإسلام العلامة أحمد بن إسماعيل القرشي رضوان الله عليه، قد شملته بركته وانتفع بسرّه، واستروح من عبقات نشره، حتى ساقته الألفاظ الإلهية إلى الشهادة، ورزق الحسنى وزيادة

وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فإنهم سعداء

وأخذت بعض أسلحتهم، وكانت هذه المحنة في سنة أربع وسبعين ومائتين وألف تقديرًا، ولم تنقص من جانب الحق بل ازداد الحق علوًا وقوة، ورفعته وسطوة ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبُّهُنَّ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦] بل ألقى الله الرعب والوجل، والخوف والفشل، على أولئك المفسدين واعتورتهم الفتن حتى إنهم دسوا الوسائط في بذل الطاعة، وإرجاع ما أخذوا على المجاهدين وأرجعوا بعض تلك الأسلاب، وتوقعوا هجوم العذاب، وسطوة الله فوق كل سطوة ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٧] .

ناعق حسين الهادي^(١)

وفي مدة بقاء مولانا ٥٠٪ في كحلان نجم ناجم الفتنة التي علا دخانها، ودجال الفتنة التي زخر طغيانها، وذلك في سنة خمس وسبعين ومائتين وألف، وهو أنه نعق السيد حسين بن محمد المعروف بالهادي من حصن القرائع بالطويلة من جهة بلاد كوكبان، وكان متعلقاً بالسحر والشعبذة وعمل النجوم، ولعله استعمل شيئاً^(٢) من ذلك، فاستطارت فتنته في البلاد، وأهرع إليه الحاضر والباد، وزعم أنه متمكن من الكيمياء وعمل الفضة وضرب ضربة مؤه على الناس أنها مما استخرجه من تلك الصناعة، وأنه ممن له يدٌ على الجان وهم له أعوان، فوقعت هذه الشبهة في قلوب العوام، وطار في يمن وشام، فثار الناس عليه، وانقادوا للنظر إليه، وساعت عندهم هذه الأكذوبة، وكان يموه على الناس أنه سيستخرج الكنوز، ويفك الرموز، ولعله عمل شيئاً^(٣) من السحر، حتى انجذب إليه الناس من كل أوب، وأقبلوا من كل صوب، وأرجف الناس، ودخلهم الوسواس، وكانت قصته شبيهة بقصة السيد إبراهيم المحطوري^(٤) الناجم في سنة عشر ومائة وألف بدولة المهدي محمد بن أحمد بن الحسن^(٥) صاحب المواهب، فإن فتنته استطارت في تلك البقاع، وملأت الرقاع، حتى

(١) قال زيارة في أئمة اليمن ٨٦: فقد كان البحث عن نسبه وتاريخ مولده ومشايقه في العلم وما يكون تعريفه به فلم يفد كل من سألناه. اهـ.

هذا أحد الذين بغوا على إمامهم وخرجوا عن طاعته وحسبك بتعريف الإمام ٥٠٪ له في رسالته الآتية وأمر بقتل العلامة محمد الشامي وهلك سنة ١٣٠٥ هـ بصنعاء.

(٢) في الأصل: شيء.

(٣) في الأصل: شيء.

(٤) ولد سنة ١٠٤٧ هـ ودعا بعد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل على الله إسماعيل.

(٥) كان مشعوذاً ساحراً وله قصص أوردها الشوكاني في البدر الطالع، وكان ظهوره عام ١١١١ هـ.

قتل في مدينة صنعاء.

وكذلك السيد محمد^(١) أبو علامة من السادة القواسم، ظهر في بلاد الشرف في دولة المهدي العباس بن المنصور الحسين، وعظم شأنه، واستولى على أكثر تلك الجهات، حتى قتله ابن حرمة من قحطان الشام، بدسيسة المهدي العباس، وهذا السيد حذا حذوهما، واتبع طريقهما، ولبس على العوام، واعتمد المخاريق التي تروج عند الطغام، وهو معروف بهذه السيرة مدة بقائه في مدينة صنعاء، يتوسم ما وقع منه في ذلك المسعى، وربما اعتقده بعض الجهلة، وموّه عليهم أنه سيقم ويقعد، ويحل ويقعد، فلما أبدى أمره أشاعوا ذكره، وكتبوا إلى الرعايا، وهولوا في القضايا، حتى سرت النار وأضرمت في بعيد الديار، وهكذا الباطل؛ يكون له ثورة ثم تضمحل تلك الصورة، والحق في إبانة يقل أعوانه، ويعادى صاحبه، ويندر متابعه ومصاحبه، وينكر من جاء به، ويكون ثقيلاً على أكثر الناس، ولا يعرفه إلا الأفراد ممن نور الله قلبه، وامتنحن لبه، فنظر بنور الله واستضاء بآياته، وعند التهاب هذه الفتنة وإمامنا % باقٍ في كحلان، في قلة من الأعوان، وربما أن هذا الناعم وأعوانه هموا بقصده وإرادة مناجزته فألقى الله في قلوبهم الرعب، وكتبهم بغيظهم ولم ينالوه بسوء، ولا طراً عليه منهم مكروه، بل ردهم خائبين، وبغيظهم محسورين، كما رد الأحزاب من حول المدينة المشرفة لم ينالوا خيراً بعد أن انتقل هذا المفتون إلى مدينة ثلا وهي بالقرب من كحلان، وأمير المؤمنين المتوكل على الله كاسمه متوكلاً على القادر القوي، لم يبال بأهل الضلال، ولا ارتاع لهذا الخيال، بل اعتصم بالملك المتعال.

وهذا الناعم لم يكن معروفاً^(٢) بطريق مرضية، ولا تعلق له بالمعارف العلمية، بل

(١) كان ظهوره سنة ١١٦٤ هـ.

(٢) في الأصل: لم يكن معروف.

هو من أهل الجهل البسيط والمركب، لا يعرف طريقة أئمة أهل الرشاد، ولا له التفات إلى مذاهب الأجداد، عرف بمخالطة أناس ممن يستحلون أكل الزكاة، ولا يتحرجون عن المحارم، وعمل لهم، وكتب للسادة المعروفين ببيت الأبيض في الأقطاعات^(١) التي استحلوا أكلها، وأخذ مما وليه وارتبك في هذه الأعمال، وجعلها معظم الأشغال، وهو مع ذلك من أهل الشعبة، يوهم المغفلين من الناس أن له اختلاطاً بالجان، وربما عمل أعمالاً^(٢) يروج بها دعواه، ويلبس بها نجواه، وهي من أعمال السحر، وأخذ الأبصار كما سمعنا من كثير ممن يعتقد، ويمشي على إرادته ومقصده.

وطريقة أئمة الآل واضحة على الشريعة النبوية لا يختلفون في السيرة، ولا يذهبون إلى هذه المخاريق المثبورة، بل يدعون إلى الحق وبه يعملون، ويرشدون الضالّ، ويدعون إلى العدل والتوحيد، ويعلنون الوعد والوعيد، وينشرون العلم الشريف، ويردون على أهل الزيغ والضلال والإلحاد، والتصوف الخارج عن نصوص السنة النبوية، والمباين لمدارك الشريعة المحمدية، بل هي الدعوة التي بسط الله في أقطار الأرض، والفطرة التي فطر الله عليها عباده ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

وهذا الناجم سلك طريقة من تقدم ذكرهم من أهل المخارقة والتلبيس والشعبة والتدليس، وهذه الطريقة لا بد أن يكون لها في بدو الأمر ضرام وقبول عند الطغام والأعوام^(٣) ثم تزول زوال الظل عن قريب، ويعرف صاحبها، وتزول فتنتها، وصاحب الحق يكون على قدم الصدق، وسلوك الجادة المعروفة، وينتهي عن البدع، ويزهد في الدنيا، ويرغب عن زينتها فيقل أعوانه في بادئ أمره، ثم تكون له العاقبة، ويكثر أعوانه، وتتضح طريقته.

(١) هكذا في الأصل، ولعلها الإقطاعات.

(٢) في الأصل: على أعمال.

(٣) هكذا في الأصل، ولعلها: والعوام.

وقد وقع في كلام الوصي المرتضى، والأمير المجتبي سلام الله عليه أن الفتن ينكرن مقبلات، ويعرفن مدبرات، وقد جرت فتنة هذا المفتون على هذه الوتيرة، ولم تحالف في هذه الصورة.

وقد أنشأ المولى أمير المؤمنين المتوكل على الله -سلام الله عليه- رسالة إلى الناس يحذرهم عن الاغترار لهذا الجاهل، ويبين طريقة أهل البيت النبوي، وينهى عن الميل إلى هذا الباطل الذي ارتفع دخانه^(١).

وعلى الجملة إن هذا الناجم بعد قوة فتنته ما زال أمره يضمحل، وتمويهاته تقل، وانتقل إلى صنعاء من ثلا، ثم إلى غيرها، وأموره إلى ضعف، واستبان للناس أن تلك المخاريق أكذوبة، والتمويهات أعجوبة، وأن أمور الجان والكنوز، خيال ورموز، وأمر محجوز، ووضح بهتانه، واضطر إلى القليل من المال فأعوزة الحال، وعند الإمتحان يكرم المرء أو يهان، وخلاصة الجوهر يظهر بالسبك.

ومن لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخطا

ولم يبق متشبث بأمره إلا من أعمى الله قلبه، وحجب بصره ولبّاه من الغوغاء الأغمار، يجعلونه سلماً إلى توهين الحق وعداوة إمام الزمان، من أعداء أهل بيت الرحمة، وهداة الأمة، وإلا فالأمر أوضح من شمس النهار، وأجل من ابن جلا، ولا يخفى إلا على أكمه لا يعرف القمراء، فأين هذا المؤسس الجاهل العامي، الصرف الغوي، ممن بسق في الشرف غصنه، وعلا في المعارف العلمية ركنه، واستضاء بأنوار الهدى والنور، وطلع بدرأ في معتكر الديجور، وتطلّع من علوم الشريعة المحمدية، وارتوى من لطائف السنة النبوية، وقطائف الطريقة العلوية، وسير الأئمة المرضية، من العترة الزكية:

(١) ستأتي في مجموع الإمام % القسم الثاني انظرها هناك.

فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي
 فيا عجباه!! كل العجب ممن لا يفرق بين التبغ والعرب^(١)، والدر والبعر، والفضة
 والمدر، هل على الأبصار غشاوة، وعلى القلوب رين وغباوة، أم طبع عليها فلا ترى
 ولا تعقل ولا تميز ولا تعدل، والله أبو العلاء المعري في قوله: [من الطويل]

إذا فآخر الطائي بالجود مآدر
 وعير قساً^(٢) بالفهاهة باقل
 وقال السها للشمس أنت خفية
 وقال الدجا للصبح لونك حائل
 وفاخرت الأرض السماء سفاهة
 وضاحت الشهب الحصى والجنادل
 فياموت زُرْ إن الحياة ذميمة
 ويانفس جدي إن دهرك هازل

وما بالعهد من قدم، ولمولانا أمير المؤمنين، أسوة حسنة بجده الأنزع البطين، فقد
 عارضه من لا يبوء بشسع نعله، ولا يساوي تراب حافور حماره، والدهر أبو العجب،
 والناس أتباع الباطل، وأكثرهم للحق كارهون، ونحن على موعود من الله لا يخلف،
 وعاده لا تتخلف بأن يجعل العاقبة للمتقين، والدائرة لأهل الدين، وقد ظهرت بدائع
 صنع الله، وعلت كلمة الحق القويم، وصارت في بيت عزها، وأوج شرفها، وأقر الله
 عيون المؤمنين، ومحق الكافرين، ونحن نستدل بالآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا
 الْكَافِرُ فَيَذَّهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

(١) كذا في الأصل.

(٢) في الأصل: قس.

وهذا السيد هو باق متردد في الجهة، لم يتجدد له توبة عن أعماله، بل مستمر على هذه المخاريق، ولكنه في هذه الأعوام قد سكن من فتنه الضرام، ولم يبق معول عليه من الأعوام، وهو في قلة وذلة، وحاله مضمحلة.

وهذا عارض في السيرة أجراه ذكر تأليهم على مولانا أمير المؤمنين %، وثباته عند التهاب نار تلك الفتنة، وصبره في كحلان، وهو في قلة من الأعوان، وهؤلاء الخصوم في أعداد كثير وجم غفير، ولكن يد الله العليا وصاحب الحق غلاب ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿[الطلاق: ٣]﴾، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٩] ومع بقاء مولانا إمامنا أمير المؤمنين المتوكل على الله % تلك المدة في كحلان اطمأن به المكان، وسرت عليه الألفاف، وامتد أمره إلى الشرفين وبلاد السودة، وعرف الحق الخواص منهم والأعيان، وجرت المكاتبة إلى من عليه المعول من أعلام الزمان، وصلاح بدعوته من أخذ الله بناصيته.

[قصائد شعرية واردة للإمام عليه السلام]

ونذكر الآن بعض الأشعار التي وردت عليه في تلك الأيام، متميماً للمرام من سيرة الإمام %، فمما قاله السيد العلامة شيخ العترة يحيى بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن محمد بن صلاح بن أحمد بن محمد بن محمد بن القاسم بن يحيى بن الأمير داود المترجم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم بن سليمان بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن القاسم الحرازي بن محمد بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين هذه الأبيات، قال رعاها الله: أنشأتها في شهر رجب سنة أربع وسبعين ومائتين وألف إلى حصن كحلان، وربتها على هذه الكلمات (مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله أيده الله) وجعلت في أول كل بيت حرفاً من ذلك وهي هذه نقلتها من خط يده: [من الطويل]

موارد عزَّ حظُّها يتجددُ

وأنوار سعد بشرها ليس يحدُّ

وأن دلالات القبول بدت لنا

تخبر أن الدهر باليُمْنِ مسعد

لقد زال ذاك النحس وانبلجت له^(١)

شموسٌ منيراتُ بها الناس يهتلوا

(١) في نسخة: لنا.

أتاح لي الرحمن بالوصل^(١) بعد أن

مضى - عنفوان العمر والباب موصد

نسيم الصبا هل عودة لتيّم

براه الجوى والشوق في القلب موقد

أحنُّ إلى تلك الربوع التي بها

ولوعي وشوقي دائماً يتأكّد

إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها

ويزداد بي شوقاً مقيم ومقعد

مورد ذاك الخد أضنى متيماً

عميداً قريح القلب لا زال معمداً^(٢)

يودُّ التلاني من حبيب ودونه

ظبا الهند يردي من يروم ويقصد

رضيت الهوى لي مذهباً صح فيه لي

حديث صحيح في التعشق مسند

أمرُّ على تلك الربوع التي بها

أليف لقلبي والصبابة تصعد

لأن بها قلبي الشجي مولع

وهامي لأهل اللهو مغنى ومعهد

(١) في نسخة: ذا الوصل.

(٢) في نسخة: منه مسهد.

ملاعب آرام الخمائيل دكّرت
 عميداً بماضي العمر والعيش أرغد
 يا عيشنا الماضي هل عودة لنا
 إلى ما مضى - يا عيش فالقلب موجد
 مزجت بهذا التشبيب مدح إماننا
 وقد عدت عما قلت والعود أحمد
 نتائج فكري هات صيغي فرائداً
 فهذا أمير المؤمنين المجدد
 يرق لرقّة^(١) لفظها كل منشئ
 وتزداد تيهاً حين تقرأ وتنشد
 نطهر أوساخ الكلام بمدحنا
 خير الورى من قام للحق يرشد
 أقام قناة الدين بعد اعوجاجها
 وأظهر سيفاً كان من قبل مغمداً
 لقد شهدت كل البرية أنه
 إمام جميع الناس والله يشهد
 مناقبه فاقت عناصره زكت
 فضائله جلّت والله أوحد

(١) في نسخة: لمعنى.

توقل شأو المجد مذار يافعاً
وصار على الباغين نصل مهند
وجرد سيف الحق لله قائماً
يقول لأهل الغي ويحكمم اهتدوا
كريم ودود للموالين راحم
عظيم على أعدائه متشدد
لقد صبح إجماع الأنام بأنه
المشار إليه ليس في ذا^(١) تردد
عساكره اليمن العظيم إمامها
ونور الهدى من خلفها يتصعد
له مدد من ربه كل حالة
ونصر وأملاك السموات تصعد
أيادٍ له من ربه خصّه بها
وفضل له من ربه متعدد
ليعلم ذو^(٢) الطغيان أن إمامهم
له كرسيّ رسول الله مدّيّ يد
أباد ذوي الطغيان بالسيف والقنا
وفي كل يوم لا تزال له يد

(١) في الأصل: ليس في هذا تردد، وما أثبتناه من نسخة أخرى.

(٢) في الأصل: ذي، وما أثبتناه من نسخة أخرى، إلا أن هذا البيت فيها مؤخر عن الذي بعده وهو الصواب فتأمل لأن الحروف مرتبة.

هو القائم المتوكل الفرد من غدا
يجدد هذا الدين ثم يشيد
إذا كان بعد الظهر أحمد مرسل
لكان هو المنعوت أو ليس يعد
يرى الغمر قولي ذا غلوا^(١) بمدحه
فهل كإمام العصر في الناس يوجد
دعا غير وإن ليس يشي عنانه
ولم ير غير الحق نهج ومقصد
همام وقور حاز كل فضيلة
عليه جميع الناس يشوا ويحمدوا
أيلا ثمي في مدح خير خليفة
لك الويل بل لا زال عمرك أنكد^(٢)
لأن فؤادي صار مغرى بوده
وفرض له الودّ الصحيح المؤكّد
أنظم فيه الدر مني^(٣) قلائداً
وفي ذارضى الرحمن من هو يعبد
هنيئاً لنا هذا إمام زماننا
عليه صلاة بعد طه تردد

(١) في الأصل: غلّو، ولعل ما أثبتناه الصواب.

(٢) في نسخة: لك الويل يا هذا ولومك مبعد.

(٣) في نسخة: سمطاً منضداً.

انتهت الأبيات.

قال: ومما قلته إليه أيده الله في شهر جمادى الأخرى سنة ثمان وسبعين ومائتين
وَألف: [من الطويل]

عميد برع الخل حيران هائم
وضرب شجٍ مضنى وللوصل عادم
متى أشتفى بالوصل يوماً وتنظفي
لوع وشوق في الضلوع سائم
يشوقني البرق الضحوك إذا شرى
وأسي للبرق الغور بالليل شائم
ويزداد ما بي من جوى وتدلّه
إذا ما شدى القمري وغنت حمائم
يؤرقني ذكرى حبيبي في الدجى
وأسي — عميداً للصبا كاتم
هيامي بليلى جَدَّدَ الوجد والأسى
ولال لذي شرب^(١) إذا ومطاعم
ومالي ذنب يوجب الهجر إنني
على البعد وصّال لها وملازم

(١) في الأصل: شرباً، ولعل ما أثبتناه الصواب.

سقى دار ليلى ديمّةً مرجحة
 وجاد رباها صيّب المزن ساجم
 وجاد الحيا المطال أرام رامة
 وربيع لسلع لم يزل فيه ناجم
 ولا زال يهمي واكف الجود بالحيا
 ربوعي التي في إثرها القلب هائم
 مغانٍ عرفناها قديماً وأصبحت
 منازلها قد بدلت والمعالم
 وفيها من الخود الرعايب بضّة
 بها يغتوي من كان في الدهر صائم
 إذا خطرت كالغصن فيه تؤود
 ترنحه ريح الصبا والنسائم
 سبت مهجتي بالجليد منها وبالرنا
 وفرع على الأمتان كالليل فاحم
 شغفت بها عصر الشيبية خلصة
 من العمر والأحداث عني نوائم
 ومن بعد ذا إني رفضت الذي مضى—
 وقلت مقال الصدق والبال ناعم

بمدح إمام العصر — حجة ربه
 على خلقه من صار بالعدل حاكم
 إمام الورى المتوكل القائم الذي
 نفى الجور والعدوان للبغي قاصم
 إمام عظيم الشأن والسرم من به
 تجلّى ظلام وانكشفن مظالم
 إمام له التقديم في رتب العلا
 ومن شادهذا الدين بالقسط قائم
 إمام كريم طيب الختم من حوى
 مناقب أذناها العلا والمكارم
 إمام الهدى جال الصدى مردي العدا
 محيب الندى يلقاك والوجه باسم
 حليف الندا بحر غدا فائض الجدا
 مزيل الردى لا يشي وهو واجم
 تقيّ تقي ناسك ذوا فراسة
 عليم يقول الحق للسرفاهم
 حفيّ رؤوف مشفق متلطّف
 حميم ودود للموالين راحم

شديد على الأعداء لله غاضبٌ
 حليمٌ لدى الأحداث للغيط كاظم
 هبورٌ شديد البأس يوم كريهةٍ
 غضنفرة عند اللقاء صارم
 صدوقٌ إذا ما قال قال بحكمةٍ
 وقورٌ لدى الهيجا همام مصارم
 حلاحل ذو صمت وسمت بزينة
 صبورٌ شديد الرأي يقظان حازم
 سما للمعالي وامتطاهما بهمةٍ
 له هيبة ينهد منها الصلادم
 جواد منيل لا يمل من العطا
 كلجة بحر جوده متلاطم
 فما لجوادٍ مفخر عند جوده
 له كل يوم للوفود ولوائم
 حلفت بر رب العالمين أليّةً
 ولا حانتٌ منها ولا أنا آثم
 بأن إمام العصر - أفضل من يرى
 كريمٌ إذا عدت هناك المكارم

فضائله جلت عناصره زكت
 أياديّه أغنت جوده متراكم
 ولو عاين الطائي حاتم جوده
 على أهل هذا العصر - ماجاد حاتم
 تسلسل من نسل الإمام مطهر
 إمام الهدى من ظللته الغمام
 وكم غيره يدعى له من أبوة
 هداة سراة في العلى لا يزاحم
 أئمة حق قدس الله سرهم
 بذكرهم يخلو الثنا والتراجم
 فأما إمام العصر - فهو زعيمهم
 وأزكاهم عندي وإن لام لائهم
 مجددهذا الدين بالقسط آمرٌ
 وشييده مذكّر للأمر ناظم
 أقام قناة الدين بعد اعوجاجها
 وأيقظ أمراً بعد أن كان نائم
 حمى الدين بالبيض المواضي وهكذا
 [على قدر أهل العزم تأتي العزائم]

بنى لبني المختار مجداً يشيده
 جواد المذاكي والقنا والصوارم
 له فتكات شاهدات بأنه
 إذا لم ترعه العضلات العضائم
 ولو كان في يوم السقيفة حاضراً
 لدى القوم فرداً كان للشر حاسم
 ولا كانت الشورى ولا أمر نعثل
 تلاها ولا كانت أمور عظام
 ولا كان في صفين تحكيم من غوى
 الألدُّ أبي موسى ولا عمرو حاكم
 أبوه علي ثم أحمد جده
 فيكفيه هذا الفخر والأم فاطم
 فقل لذوي الطغيان بتت فعالكم
 فما لكم شيء سوى الحق عاصم
 أتاكم إمام الحق شاهر سيفه
 فلا يشني عنكم وليس يسالم
 خليفة حقَّ قام لله داعياً
 ولبي نداءه أعرب وأعاجم

سيملاً أقطار البلاد عساكراً
 تدين له أنجادهما والتهائم
 وتأتيكم فرسان صدق لدى اللقاء
 وخيل كأمثال السعالي سواهم
 عليهن من آل النبي وحيدر
 مصاليت في الهيجا ليوث ضراغم
 وتغنم منكم ما ملكتم جنوده
 وتغلاً أهل الديار المغانم^(١)
 بعون الذي ما زال في الملك واحداً
 ومن هؤلاء أهل الحق بالنصر قائم
 وخزنها أمير المؤمنين فريضةً
 بمدحك إني الآن للضد راغم
 ويشهد فيها النظم بالود دائماً
 وسري وإعلاني^(٢) والله عالم
 لعام ثمان بعد سبعين أنشئت
 مع مائتين قبلها ألف لازم

(١) كذا في الأصل، ولعلها (وتغلاً من أهل الديار المغانم).

(٢) في الأصل: وإعلان، ولعل الصواب (وسري وإعلاني وما الله عالم).

وَدُمَّ عُمْرَ نَوْحٍ فِي سَعَادَةٍ تَبِعِ
 كَذَا السَّعْدِ طَوْلَ الدَّهْرِ لَا زَالَ خَادِمِ
 وَصَلَ عَلَى الْمُخْتَارِ وَالْأَلِّ مَا هَمَّتْ
 سَحَابٌ أَمْزَانَ وَهَبَتْ نَسَائِمِ
 انتهت.

وقال السيد المذكور: ومما قلته أيضاً إليه أيده الله في شهر جمادى الأخرى سنة تسع وسبعين ومائتين وألف وأرسلتها إلى الحيمة بعد المخرج المظفر المنصور إلى الحيمتين وما يليها، لما تقوت شوكة الباطنية في تلك الجهات، ولا بد ما يمر بك ذكر ذلك في غصون هذه السيرة في موضعه، وذكرنا القصيدة هذه جمعاً لأشعار السيد المذكور خشية الضياع وهي قوله: [من الطويل]

أَلَا إِنَّ وَجْهَ الْحَقِّ أَقْبَلَ مَسْفِراً
 وَيَابَ الْمَعَالِي بِالْفَتْوحِ مَبْشِراً
 وَهَذَا أَوَّانَ الْحَقِّ أَشْرَقَ نَوْرُهُ
 فَوَافَى إِلَيْنَا وَاضِحَ الْأَمْرِ أَزْهَرَا
 وَهَذَا دِلَالَاتٌ ^(١) مِنَ الْأَمْرِ سَاقَهَا
 إِلَيْكَ الَّذِي أَوْلَاكَ نَصْرًا وَمَفْخَرَا
 أَحْيِي الْهَدَى وَالْدِّينَ لَا زَلْتَ شَاهِراً
 لَسِيفِ الْهَدَى تَبْغَى ثَوَاباً مُوفِراً

(١) في الأصل: وهدي دلالة، وما أثبتناه ليستقيم الوزن.

لعمري لقد أحييت ميتاً من العلا
 وشيدت للإسلام ركناً مشهراً
 سبقت إلى العليا فأدركت شأوها
 وما ناله من لا يكون مشمراً
 أهنيك يا خير الأئمة بالذي
 أهني به سوحاً به أنت أخضراً
 لقد سعدت تلك المخاليف كلها
 بعد لكم فيها يكون مكرراً
 تتيه وتزهو حين وافى قدومكم
 إليهما على كل البلاد تبخترا
 وقد شقيت من قبل بالمارق الذي
 دهاها طغى فيها سنيماً وأشهراً
 نهنيك بالفتح الجليل أتاحه
 لك الله مذكراً لك رأياً مصدراً
 كذاك مخاليف تهني بملككم
 رباها وقد إغتاها من تجبرا
 بهتها أمور من روافض أبطنوا
 بها الكفر خوفاً منك أن يتظاهروا

فبادرتهم مولاي بالسيف جهرةً
وأرديت منهم من طغى وتكبرا
فصارت لكم تلك المخاليف نحلةً
خراجيةً فاصنع بما شئت أن ترا
فقد قرروا كل الأئمة أن ما
تملك أهل الكفر فهو تجبرا
ولم يخرجوا إلا بسيف أئمة الـ
— هدى من بني المختار والشرع قررا
تصير من أملاك الإمام جميعها
خراجية ملك له لن يعشرا
فحكم سيوف الهند وحرز ما حوى
حراز ودع من كان للحق مظهرا
وإن (حرازاً) فيه كل ضلالة
كذا الكفر في (صعفان) قام وأثمر
به من أعادي الدين من صار همه
لينكر معروفاً ويظهر منكرا
ولكن أسلاف الأئمة لم يزل
لهم غير عدلٍ سابق لن يؤخرا

وفي اليمن الميمون قد عمّ عدلهم
وصافي عذب العدل لن يتكدرا
وكم من مخاليف لصنعا تغيرت
أو امرها بل كل قطر تغيرا
عراها شئون من أمور كثيرة
بتغفيل من لا خير فيه بلا مرا
طغام من الأعراب تراعا رياضها
وتحكم بالطاغوت فيها تجبرا
فثبّ نحوها يا ابن النبي فأنتم
حماة لهذا الدين إن حاددت عرا
وأنتم جبال الله جل جلاله
وأنتم لكم إرث الخلافة في الورى
بحار علوم زاخرات مفيضة
جبال حلوم شامخات على النرى
فثب للمعالي وثبة حيدريّة
ورد صفوها لا تخش شيئا مكدرا
وحطّ مذهب اهل العدل بالسيف والقنا
وقد للأعادي عسكرا ثم عسكرا

وسل السيوف الصاديات لترتوي
 نجيع دم ممن عصى — وتجرّبا
 وحف رصاص كالبروق تخالها
 رعوذاً وفيها كامن الموت قلدا
 وداو عليل الدين بالسيف إنه
 مريض لأخلاط^(١) عرته تغيرا
 ليرجع ذو حق إلى نيل حقه
 وينقاد طوعاً ممن تعامى فأبصرنا
 بلى رجع الحق الذي كان ذاهباً
 إلى أهله والحمد لله مكثرنا
 بسعي أمير المؤمنين ولبيهم
 حليف العلى أعني الإمام المظفرنا
 عظيم بني الزهراء درة تاجهم
 مشيد العلى العضب الحسام المذكرنا
 فما حظيت كل العصور بمثله
 سمعنا به ممن مضى — وتأخرنا
 به قد أضاء الحق بعد خموله
 وأصبح نيران الضلال مدعثرنا

(١) في الأصل: لأخلاطاً، والصواب ما أثبتناه.

عليه سلام الله في كل حالة
سلام حكى في الختم مسكاً وعنبراً
فخذها أمير المؤمنين فريضةً
ولا ابتغي فيها جواباً محرراً
فحسبي لها منك القبول تفضلاً
وإن كان تركي النظم أولى وأجدراً
ولا زلت راق ذروة المجد دائماً
مطاعاً ولن تخشى وناً وتحذراً
وصلّ على المختار طه وآله
صلاةً وتسليماً يكون مكرراً
انتهت.

وقال أبقاه الله: ومما قلته مرثياً لسيدي العلامة، حليف الفضل والزهد والاستقامة، الأورع المجتهد المطلق، شرف الإسلام الحسن بن محمد بن مطهر بن علي بن الحسن بن الحسين بن صلاح بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن علي بن المهدي صاحب قبة العابد بقرية الجاهلي^(١)، وهذا السيد المذكور قد سبقت ترجمته في جملة التراجم في هذه السيرة، وهو المعروف بالدرواني الشرفي، بعد أن وصلت تعزيتته إلى الناظم من السيد العلامة الأديب عبد الرحمن بن محسن جحاف السابق ذكره، وذكر شيء من نظمه في شهر القعدة الحرام سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف، فقال مجيباً

(١) من مديرية (مبين) وأعمال محافظة حجة.

ومرثياً، واستطرد ذكر العلامة، الجهبد الكبير، شيخ الإسلام، أحمد بن إسماعيل القرشي - رحمه الله - لتقارب وفياتهما وهي هذه: [من الطويل]

مراجـل حـزن في الفؤاد تفـور
ورزءٌ لـه في الخافقين زفـير
تطاول ليـلٍ واعتراني وساوسـي
وبتُّ كـأنـي للنجوم سـمير
حليف سـهادٍ مكمـدٌ مـتملمـلٌ
كئيبٌ ووجـدٌ لا يُحـدُّ كـثير
وما ذاك من فقد الأجابة إذ نأوا
ولا حسن حال قد مضى - وسرور
ولا ذات دلٍّ إذ تـنتـت بمشـيها
رويداً ولا عيش هناك نظـير
ولست بمعمودٍ بسعدا وزينب
ولا دلّ ذات الخال حين تـزور
ولا أنا مشـتاقٌ لربـع وروضـةٍ
يُرى مأوئها عذب المذاق نمير
فوالله ما وجدني لهذا ولا لذا
ولا فوق^(١) أموال لـدي كـثير
ولكن أتاني من فريد زمانه
وجيه الهدى من بالكمال شهير

(١) هكذا في الأصل، ولعلها: ولا فوت أموال.

عهداً لتجديد المودة بيننا
 وفي ضمن ذاك الطرس صار يشير
 بخطب عظيم من وفاة محقق
 شهير غداً بالمكر مات جدير
 ولما فضضت الختم منه وشمته
 ثملت وطاش العقل وهو وقور
 وذاك لخطب مفزع كلّ عاقل
 تكاد ذوات الرجوع منه تمور
 وأرجف ذات الصدع أعظم فادح
 مهيل يردّ الطرف وهو حسير
 وذلك نعي العالم الفرد في الوري
 ومن كان بدرّاً في الأنام منير
 إمام ذوي التقوى رئيس أولى النهى
 إليه بنان العالمين تشير
 وأعني به نبراس آل محمد
 ومن هوّ بحل المشكلات خبير
 وجامع أشتات العلوم بأسرها
 لقد غار من كل الفنون بحور
 غطّ مطم أنواع العلوم جميعها
 وكشاف من كل الفنون ستور
 على مثله يا قوم لا تسأموا البكى
 وعن مثله فالقلب ليس صبور

فما أحدٌ في الناس بالغ شأوه
 لقد عزَّ أشباهه له ونظير
 فيا شرف الإسلام رزءك مفجع
 بكل الورى خطب ألم كبير
 فيا قلب لا تنفك بالحزن ذا جوى
 عليه فدمع العين فيه غزير
 سقى جدثاً واره وابل رحمة
 له كل وقت لا يزال يزور
 عليه سلام الله ما لاح بارق
 وما جنّ ليل أو أضاء سفور
 فكيف إذاً يحلوا لنا العيش بعده
 لقد صار حلوا العيش بعد مرير
 وبعد ابن إسماعيل مفخر عصرنا
 وقاض الورى بالعدل ليس يحور
 صفي الهدى الصمصام أحمد من غدت
 مناقبه في العالمين كثير
 يعاضد مولانا الإمام الذي به
 تجلت هموم وانشراح صدور
 فقد كان ركناً للأئام يشيده
 وكان معيناً ناصحاً وظهير
 مغدّى بحب الآل دأباً فإنه
 له متجر في الفضل ليس يور

جزاه إله العرش رضوانه غداً
 وروحٌ وريحان هناك وهور
 إليك وجه الدين وجهت ما ترى
 فقل لي لعاً لا زلت أنت شكور
 وأنت إمام النظم والشر والتقى
 ودونك في نظم القريض جريـر
 إليك نظامي يا أخا الفخر والعلا
 فسامح إذا عاينت فيه قصور
 ونسأل رب العرش عفواً فإنه
 رحيم لكل التائبين غفور
 وينصر—مولانا إمام زماننا
 ويخذل من ناواه فهو قدير
 وصلّ على المختار والآل إنهم
 بدوراهتداءً للأنام ونور
 انتهى نظم السيد الأديب، المصقع الأريب، أتمننا نقله في هذا المحل قصداً لاجتماع
 الفائدة، وعدم تفريقه لعرض يعوقه.

ذكر قدوم الإمام إلى السودة واستقراره بحصن المقعد

واستمر مولانا أمير المؤمنين في كحلان حتى عرض له غرض إلى سودة شطب، فقدم إليهم الرائد الأكبر، والنصير المظفر، والعلامة الأنور، شيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل بن صالح القرشي، يدعوهم إلى طاعة الإمام وهو يريد المرور من جهتهم إلى مقصد آخر، فحصل منهم معاكسة من دسائس أهل العداوة والشئان، وأبوا عن فتح الطريق، ووقعوا في المضيق، فأذنوا بنفس المرور في الطريق، فارتحل مولانا أمير المؤمنين % إلى بلد خمر^(١) في جهة بلاد حاشد، ونذب قبيلة حاشد للقدوم على السودة، حيث صدوه عن مقصوده، ولم يقوموا بحقوق شيخ الإسلام، كما يجب له من القيام، فاجتمع مع مولانا أمير المؤمنين جند واسع، ولم يكن له عن قصدهم مانع ولا دافع، فلم يكن من أهل تلك الجهة غير تلقي مولانا بالسمع والطاعة، وبذل الوسع والاستطاعة، فاستقر ركابه العالي في الحصن المحروس، والمعقل المأنوس المسمى بحصن (المقعد)، وهو معقل قديم، وأساس مستديم، أعى على الأروام، مع بسطة أيديهم في أقطار بلاد الإسلام، وتملكهم لتلك البلاد، واستفاضتهم على غورها والإنجاد، وكان هو حصن مدينة السودة المسمى بحصن (قرن الناعي) فيما مضى بيد السيد الهمام، سلطان الإسلام، المطهر بن الإمام شرف الدين %^(٢)، ثم في مملكة ولده غوث الدين بن المطهر، ثم استمر في أيدي الفقهاء بني المعافي بن عمر، وهم أهل بيت كثير، ومجد شهير، ومن بيوت الشيعة، وبحور العلم الوسيعة، واستمروا على نمط واحد في اتباع أهل بيت رسول الله، والتولي من جهتهم، حتى نشأ الأمير عبد الله بن

(١) بالقرب من مدينة حوث جنوباً تبعد عنها ما يقارب ٣٠ كيلاً.

(٢) السيد الهصور والليث المقدام صاحب المهابة والرياسة والشجاعة أخباره مشهورة وهو أشهر من أن يعرف، توفي رحمه الله سنة ٩٨٠ هـ.

يحيى ابن المعافا وتولى للأتراك، وارتبك في مخالطتهم، وعظم شأنه لديهم، حتى تولى على أكثر تلك المخاليف، ودعوه بأمر الأُمراء، واسترسل في عداوة حي الإمام المجدد المنصور بالله القاسم بن محمد سلام الله عليه، والقيام لمحاربته حتى وقعت الواقعة الكبرى، والنصرة الغراء، بغارب أثلة^(١)، فكان الأمير عبد الله من جملة القتلى هنالك، وبعد ذلك تضاعف منصب الفقهاء بني المعافا، واندرس ذكرهم، وخفي أمرهم، وخلت منهم الدفاتر، ودارت عليهم الدوائر، إلا أنه أحيأ ذكرهم في الدولة القاسمية الفقيه العلامة، بديع زمانه، وفصيح أوانه، عبد الحميد بن يحيى بن عمر المعافا^(٢)، كان من ملازمي حضرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم %، وله فيه غرر القصائد، ونخب الفرائد، ودرر القلائد، وهو أيضاً متطلع في العلوم، له شرح على الأزهار ومؤلفات أخرى، وهذا مستطرد من القول أجراه ذكر حصن المقعد.

فاستقر إمامنا أمير المؤمنين %، بتلك الديار، وبقي على تلك الطريقة في الدعاء إلى الحق، واثال عليه الناس، وتكاثرت الوفود، وصلحت تلك الجهة وأحبه أهلها، واعتقده من لم يكن يعرف حقوقه، وكان على حالة مأنوسة، وصلحت أمور، وانسدت ثغور، وفعلت أفلامه السود، مالا تناله بيض الصفاح، ولا الرايات والبنود، وبث الرسائل، وتابح الوسائل، إلى الجهة الظاهرية، والبلاد الصعدية، وجهات شهارة، والأهنوم، والشرفين، وحجة، والمغارب، من بلاد صاحب كوكبان، وكان له في تلك البلدان إخوان وأعوان، فتلقوا داعيه بالإجابة، وعرفوا من رأيه الإصابة، والدعوة المستجابة، فصلح أكثر أهل تلك الجهات، وسلموا إليه الواجبات، وعرفوا الحق، وانطبقت طرقة في عقولهم، وأن ولاية الواجبات إلى أئمة الحق، ولا يجزي الصريف إلا

(١) منطقة ووادٍ بالقرب من قفلة عذر.

(٢) عبد الحميد بن أحمد بن يحيى بن عمرو المعافا، كان عالماً، فاضلاً، بليغاً، شاعراً، أديباً، توفي بعد عام ١٠٥٠ هـ ودفن بالسودة، ومن مؤلفاته (شرح الملحة، وشرح الهداية).

بإذن منهم، فأبصر من نور الله قلبه، واستضاء بأنوار الهدى، وتجنب مسلك الردى، فلائت منهم القلوب، واتفق منهم المرغوب، وسلموا إلى من اجتاز بهم من المصدقين، وحصلت منهم فوائد، واعتقدوا الإمامة، ومع هذا فبعضهم من رعايا أهل كوكبان، ويسلمون إليهم ما اعتادوه، ولا يعتدون بذلك ولا يجتزون، بل يعدونها مغرماً وتقية ومدافعة لما قد وقر في قلوبهم من اعتقاد الحق وسلوك سبيله، وإثبات الهدى الذي وضح دليله، وهذا من كراماته %، التي لا تزال تتجدد، وبراهينه التي لا تجحد، كون قد صار الناس في هذا الأوان لا يعرفون طريق الرشاد لبعد العهد بقيام الأئمة، ولا عهد لهم بأن هذا الواجب العظيم هو الركن الأعظم، والسبيل الأقوم، المقارن للصلاة في الذكر الحكيم، والفريضة التي أجمعت الصحابة على تكفير من لم يؤدها إلى إمام زمانه، حتى سموهم مرتدين، وسبوا النساء والذراري، وقال قائلهم: والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.

وقال أمير المؤمنين علي % في رواية القوم: لأبى بكر: قَاتِلْ من فرق بين الصلاة والزكاة، فإنهما فريضتان اقترنتا في الذكر، ومع هذا إلا أن علماء السوء لا يزالون يشبطون من اعتقد وجوب تسليمها، بزعمهم أن لا يجب عليهم ذلك إلا حيث تنفذ أوامره، وذلك أن منهم من قد اعتاد قبض شيء منها لنفسه، ومنهم من أضمر البغضاء والحسد، وموافقة أهل العناد في توهين الحق ومعادات أهله، وإلا فهذه المسألة الحق فيها أوضح من شمس النهار، ورأي الإمام فيها ليس عليه غبار، والقول ما قالت حذام، وقد وقفت له على جواب^(١) حرره، عند بعض أهل الحضرة، الملازمين للنصرة.

ومن هذا القبيل ما ابتلي به إمام الزمان سلام الله عليه، أسوة لمن سبقه من الأئمة، وهي من البدع الشنيعة وذلك ما صار عليه كثير من الهاشميين من التكالب على

(١) سيأتي في مجموع الإمام % القسم الثالث انظره هناك.

الزكوات، والتناول منها على الوجه الذي لا يرضى به الله، وتجاسرهم على الاستقطاع منها وأكلها، والانتفاع بها من غير حلها، وتنزيل أنفسهم منزلة فقراء العرب، والتوصل إلى أخذها بكل ممكن سراً وجهراً، وطوعاً وكرهاً، ومن طريق الإمام ومن غير طريقه، مع أن قرائهم والمتفقيين منهم يقرأون في كتب الهداية أنها أعظم حرمة من الميتة، وأن المضطر يقدم الميتة ولا يأكل الزكاة، ويدرسون ذلك ويدرسون، ويسومون الإمام أن يعطيهم ويوفر حظهم منها، ويقرر أيديهم على الإقطاعات، ولا يكاد يخطر على بالهم أن ذلك من مسائل الإجماع، وأنه لا يتهيأ له وجه مساغ، ولا أن ذلك يصادم شرع جدهم الذي نالوا اسم الشرف ومعناه لأجله، وحازوا رتبة الرئاسة والجلالة لشرفه وفضله، وربما خرج بعضهم عن طاعة الإمام إذا منعه من هذا المحرم، ومال إلى الشقاق وجعلها من المطاعن في السيرة، والمعاصي الكبيرة، وهولوا بذلك عند الناس مع أنهم لا ينكرون أن تحريمها مما ورد في الشرع، وجاءت به السنة النبوية، والبراهين الجليلة، فهذه من الفواقير التي ابتلي بها أئمة الآل، وإمام زماننا % أعظمهم بلوى، لما قد وقع في مدة من تقدمه من الظلمة، من إرخاء العنان والجري في هذا الميدان، حتى صارت عادة شب عليها الصغير، وجُبِلَ عليها الكبير وصار إنكار ذلك عندهم منكراً واستحسانه معروفاً، كما قال بعض حكماء اليونان: للعادة سلطان على كل شيء، فصارت هذه المسألة كالمسنية، وعدوها أكثر منفرة لكثير من الهاشميين أهل الإقطاعات، حتى صاروا يجعلونها أصل طاعتهم، وأساس انقيادهم للحق، وربما شرطوها في البيعة للإمام، كأنها مما يلزمه من شرائع الدين، والشروط المعتمدة في الإمام وأنها لا تثبت إمامته، ولا تكمل زعامته، إلا بتحليل هذا المحرم، وإجرائهم على تناول هذا المطعم، وإلا شبوا النار وأثاروا الفتنة، وشقوا عصا المسلمين، واتبعوا غير سبيل المؤمنين.

وهذا إنما ذكرته هنا ليعلم من اطلع عليه اضطراب مولانا إمامنا %، إلى السكوت

عن مثل هذا مع كثرة أهل الشقاق، وتكاتف أهل النفاق، وتربص أهل العداوة والشقاق، وأعوان الحق في قلة وأكثرهم للحق كارهون، فربما تغاضى إلى حين، واستمهل في بعض مسائل الدين، حتى تقوى شوكته، وتعظم صولته، وتجري الأحكام على السنن الشرعي، والمنهج المرضي، بعون الله وتمكينه.

ولنرجع إلى سرد سيرة الإمام %، ومن عوارف الألفاف ولطائف الإتحاف، أن تيسر نقل ما أنشأه الإمام % من المعنى الذي تقدم ذكره قريباً جواباً على حي السيد العلامة محمد بن عبد الله المرتضى حاكم سودة شطب من قبله %، وقد استفتوا عن تحقيق مسألة ولاية الإمام في الواجبات على من لم تنفذ أوامره عليه، فأجاب بهذه الرسالة^(١) المفيدة، والكلمة الرشيدة أحببنا نقلها، فالمكرر أحلا، وفيها فوائد وزوائد كأنها ياقوت فصوص عقدتها، ونطاق بندها.

(١) ستأتي في مجموع الإمام % القسم الثالث انظرها هناك.

[إرسال الإمام عليه السلام لشيخ الإسلام إلى أهل صنعاء]

ولنعود إلى ما أردنا من ذكر سيرته %، ونشر عاطر ذكره الذي هو مسك الختام، فبعد أن طال بقاءه في حصن المقعد، وجه شيخ الإسلام^{هـ} إلى الجهة الصنعانية، فبقي في حوازا يلين ويشدد، ويقارب ويسدد، ويقيم واضح الحجج، ويرد العجرفة والحجج، تارة في بلد جدر وتارة في بلدة أخرى، وما برح يبعث الرسائل، ويقدم الوسائل، ويوضح الدلائل، حتى أثر في كثير من أهل الجهات، واعتقدوا الإمامة، وعرفوا الحق ومالت قلوبهم إليه حتى انقاد الكثير منهم ومن رؤسائهم، وطالبوا كبير أهل صنعاء ورئيسهم الشيخ محسن بن علي معيض، وبقية العقلاء في مدينة صنعاء بالدخول في طاعة الإمام %، فبقوا في قرب وتباعد، وتصويب وتصعيد، حتى أن أهل بلدة جدر تألبوا على قطع مسالك أهل صنعاء، ونهبهم في كل مسعى، وأخذوا طريقهم وأخافوا فريضهم فانقادوا ودخلوا في الطاعة، والتزموا أحكامه المطاعة، وخطبوا في مدينة صنعاء لمولانا %، وأشعروا بطاعته للخاص والعام، ونفذت فيهم الشرائع والأحكام، واطمأنت بهم الدار، وطاب القرار، وذلك في سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف، ودخلت صنعاء التي هي أم المدائن، وأطيب المساكن، وأجل الأماكن، في الطاعة الإمامية، والحوزة المتوكلية، وأنشأت البشائر إلى سائر البلاد، وأمن الحاضر والباد، ورجع الحق في نصابه، والأمر إلى من هو أولى به، وأعطى القوس باريها، ونزل الدار بانيها، وصدق عليها قول بن بهران شعراً: [من السريع]

وأصبحت صنعاء من عجبها ترفل في مستحسنات البرود

يقول من صار بها ساكناً إن نابه جور ظلوم حسود
جاري من الجور إمام الهدى أكرم من سارت إليه الوفود

ودخلها شيخ الإسلام طاب ثراه، وقرر أمورها، وأصلح الشأن بينه وبين أهلها، وانتظمت الأحوال، وخلت عن الأشغال، وطلب كثير من أهل صنعاء ومن حولها وصول مولانا %، ويكون بيده الزمام، وإليه الحل والإبرام، فرجع % إرسال سيف الإسلام محمد بن قاسم الحوثي السابق ذكره نائباً عنه هنالك، وانتقل % من بلاد السود إلى بلدة خمر، والرسائل مختلفة إليه، والتعويل من كثير من المحبين في انتقاله إلى صنعاء حتى أنه عوم^(١) إليه في هذا الشأن السيد العلامة محمد بن أحمد المطاع، وحي سيدي العلامة أحمد بن الناصر، وأجدوا في الانتقال، وعولوا على المساعدة في الحال أو في المال، ورأيه % الثاقب، ونظره القاضب، ينظر إلى العواقب، من وراء ستر رقيق، ويقوده التوفيق، إلى واضح الطريق، والراجع في نظره أن أمور صنعاء قد اضطربت في هذه الأوقات، واعتري أهلها الشتات، وصارت كالفحل الهادر الذي لا يركب ظهره، ولا يجزّ وبره، وأن الرأي الرشيد، والمنهج السديد، هو النظر في معقل منيع، وحصن مشيد رفيع قريب من صنعاء، مطلعاً على مائها والمرعى، يكون انتقاله % إليه والتعويل في القرار عليه، ويترك أهل صنعاء وشأنهم، ورضي منهم بالطاعة، والدخول في الجماعة، ويكون ذلك المعقل مهاجراً له ولأصحابه، ومن أحب أن يتتبه، وكان هذا الرأي هو الصواب، الموافق للسنة والكتاب، فجرت المقادير بالإسعاف بالمراد وتيسرت الأسباب، وتوجهت السعادة إلى الإسعاد، فوقع الخوض بين العلامة شيخ الإسلام، ومن له بالموالاة الإمام، على تسليم المعقل المحروس، والحصن المأنوس، حصن ذي مرمر إلى مولانا الإمام، ويكون فيه السكون وطيب المقام، ودارت المكاتبه،

(١) كذا في الأصل، ولعلها عزم عليه.

وترددت المخاطبة، حتى تم ذلك المرام، وقيل ادخلوا بسلام، وقد جرت أسباب وجري على من كان فيه واقعة من قبائل أرحب، تسبب فيها قتل وقتال، وذهاب أموال، وكان أهله على حذر من وثوب قرابة القتلى وطلبهم بالثأر، وتربص الفرص للمغار، فرضوا بأن يتسلم إلى الإمام، ويدفع عنهم شر أولئك الطعام، فأبرم الأمر حي شيخ الإسلام، وأرسل المستحفظين وهم أناس من بني حشيش يقال لهم بني القسامي، فوصل إليه إلى صنعاء من يرجع إليه الكلام، وتم ذلك المرام، بعون الملك العلام، وما هي إلا ألطف ربانية، وسعادة إلهية رحمانية، فأرسل شيخ الإسلام -رحمه الله- ورضي عنه إلى الإمام وهو ببلدة خمر وحقق له الحال وحثه على الانتقال، فجمع عصابة من المحبين، واجتاز ببلاد أرحب فصاحبه من أهلها وعقالها جماعة، والأمر في تلك الحال مكتوم، ولم يكن عند أكثر بني حشيش معلوم، كون أكثرهم للحق كارهون، ومن القبائل من عظم عليه تسليم ذلك المعقل، وتوسم أن دخوله في يد مولانا الإمام %، يرجع على مراده بالنقض، وأن يد الحق لا بد أن تعلو وتمتد، وصولة الإمام لا بد أن تشتد، وقد أنس أكثر أهل تلك الجهة إلى الاستبداد، واطمأنوا إلى داعي الفساد، فقوة دولة الحق مما لا يوافق أغراضهم، ولا يجري على وفق إرادتهم.

[دخول الإمام عليه السلام حصن ذي مرمر]

فسرى مولانا ٥٠٪ من بلاد أرحب والسعادة تسير قدامه، والظفر قرين أعلامه، وطلع الحصن في الليل وأكثر الناس لا يشعرون، ودخله عند شروق الشمس في يوم أضاء على الإسلام نوره، وعظم عند المسلمين سروره، فأذكر بقول المتنبي شعراً: [من البسيط]

دخلتها وشعاع الشمس متقدُّ

ونور وجهك بين الخيل ساتره

في فيلق من حديد لو قذفت به

صرف الزمان لما دارت دوائره

تمضي الكواكب والأبصار شاخصةً

منها إلى الملك الميمون طائره

قد حُزنَ في بشرٍ في تاجه قمرٌ

في درعه أسدٌ تدمي أظافره

حلَّوْ خلَّاتقه شوس حقائقه

تحصى الحصار قبل أن تحصي مآثره

تضيّق عن جيشه الدنيا ولورجبت

كصدره لم تبين فيها عساكره

إذا تغلغل فكر المرء في طرفٍ

من مجده غرقت فيه خواطره

تحمى السيوف على أعدائه معه

كأنهن بنوه أو عشائره

إذا انتضاها الحرب لم تدع جسداً

إلا وباطنه للعين ظاهره

فقد تيقن أن الحق في يده

وقد وثقن بأن الله ناصره

وحين استقر ركابه، واسفر في قصره حجابه، رتب إدراكه، واستولى على ملاكه.

[تأريخ حصن ذي مرمر ومن سكنه من الملوك والأئمة عليهم السلام]

وهذا المسكن العظيم، هو معقل قديم، ومستوطن ملوك طاب لهم فيه القرار، وعظمت منهم الأخطار، قيل إن أول من أسس بنائه ورفع مبناه أسعد تبع ذي كرب الملقب الكامل، وقيل إنه تقدم بناؤه على زمن اسعد وأنه من حصون التبابعة القدماء، وفيه من الآثار والبرك والأسداد والمدافن مالا يكاد يوجد في غيره من الحصون، فإن بعض تلك الأسداد اشتهر أنه لا يعرف له قعر، واختص بعضها بعذوبة مائه دون بعض، فحلا في المذاق، وعذب وراق، وقد استوطنه في الدولة الإسلامية آل يعفر أولاً ثم بنو حاتم بن أحمد اليامي وكان مستقر ملك السلطان الوحيد الكريم المطلق، الأديب المفلق، علي بن حاتم بن أحمد وكان يحارب دولة بني أيوب ومعتصم بذلك

المعقل مع خروج الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب، وكان يصالحهم تارة ويحاربهم تارة، ثم مع خروج سيف الإسلام الملك العزيز أبو الفوارس طغتكين بن أيوب، وقعت حروب عظيمة على ذي مرمر، وعند عجزه صالح السلطان علي بن حاتم على بلاد ترجع إليه حتى قال القاضي الرشيد بن الزبير المصري، الأديب المشهور، عند وصوله إلى السلطان علي بن حاتم للصالح إنه وجد في اليمن مدينة وبستاناً وحصناً وملكاً وبيت شعر لو لم يخرج إلا لها لكان قد حظي بطائل، فالسلطان علي بن حاتم فإنه يلحق بالملوك الكرام، والحصن ذي مرمر فلم ير مثله في الآفاق، في شام ولا عراق، والمدينة زبيد، والبستان صنعاء، والبيت الشعر قوله:

بسفك الدما يا جارتني تحقن الدما

وبالقتل تنجو كل نفس من القتل

ثم سكن هذا المعقل الدعاة بنو الأنف من دعاة الباطنية، فطال مكثهم فيه من بعد بني حاتم حتى حاصرهم الإمام المنصور بالله علي بن صلاح الدين محمد بن علي بن محمد حصاراً طويلاً، وجمع الجيوش، وألب الجنود، وبقي قدر سنتين في الحصار حتى أخرجهم منه، وصار في حوزة الأئمة، وبقي بعد بيت الإمام الناصر بن محمد، ثم ابنه المؤيد محمد بن الناصر، ثم في يد عامر بن عبد الوهاب حتى استولى على صنعاء، ثم استولى عليه الإمام شرف الدين %، ثم بقي فيه ولده العلامة علي المرتضى، ثم بقي فيه الأمير لطف الله ابن المطهر حتى استولى عليه الوزير حسن باشا، وبقي في يد الأتراك إلى خروجهم من صنعاء، واستولى عليه أولاد الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد %، ثم بقي في حصة الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن %، وبعد وفاة الإمام المهدي أحمد بن الحسن سلام الله عليه، بقي هذا المعقل عاطلاً عن الدولة، لانبساط الدولة القاسمية في اليمن، وأمانهم عن الشرور والمحن، وعدم المنازع، من القطر الشاسع، وأياس الدولة العثمانية عن جملة اليمن بعد تلك الحروب والوقائع، التي

شفت النفوس، وجلت عن القلوب كل بؤس، فبقي في هذا الحصن رتبة من أهل البلد المقارب، وكان لهم مقررات من الدولة، مقابل حفظه حتى جدده المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد، وبنى فيه أبنية نفيسة، وتردد إليه، وولع به مدة من دولته لا لغرض، وبقي فيه بنو القسامي حتى وقعت عليهم الواقعة من شخص من أرحب يقال الجمع ودخله وترسم على من فيه، فأعملوا الحيلة وخرجوا منه ليلاً، ثم عاملوا جماعة من بني حشيش ودخلوه على المذكور ليلاً، وثار الحرب، فقتل هذا الرجل وجماعة من أصحابه، واستولى بني حشيش على الحصن، وعاد لأهله فحصل معهم الخوف من أهل المقتول وكان ذلك سبباً في تسليمه لإمامنا أمير المؤمنين المتوكل على الله، أعاد الله من بركاته وأبقاه، ولما استقر ركاب مولانا الإمام بذلك المعقل الباذخ المناطق للسحاب، الكافل لجهة المشارق، وقذا كل عين مارق منافق، أذعنت النفوس، وانقاد النافر الشموس، وبلغ الأماني، وأرسلت التهاني، ممن بقي من أدباء العصر، وحسنات الدهر.

فمن ذلك ما قاله الفقيه الأديب أحمد بن جار الله الساكن بوادي السر-^(١) مؤرخاً

لصعود مولانا % ذلك المرتقى وهي قوله: [من المتقارب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]

لمن ذا المقام بذي مرمر

ومن ذا الذي قام فيه خطيب

أهو وارث^(٢) الفضل عن جده

فنعم الإمام ونعم الحبيب

(١) وادي من بلاد بني حشيش.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها هو الوارث.

ونعم المسمى له محسناً
 فناهيك بالأريحي الحسيب
 همام سرى ساعة المشتري
 ونجم المعادي له في المغيب
 فهل ساعدته ليالي السعود
 بها أغمض الله عين الرقيب
 هو العليم الفرد في علمه
 فماذا يقول الحسود المريب
 سيظهر عن ملكه مجده
 ليحزن قلب العدو المريب
 أمولاي قد جاتنا غارة
 على الدين في العام هذا الخصب
 فلا تخش من سحر ذي طلسم
 فطلسمه سهمه لا يصيب
 عليك التزام الدعا قائماً
 فربُّ السما للدعا مستجيب
 وحسبك من عامنا أنه
 كثير الأفاعي فكن كالطيّب

بتاريخه أودع الله لك

سميك نصراً وفتحاً قريباً

١٣٠ ٣٤١ ٤٩٥ ٣١٢

١٢٧٨هـ

انتهى التاريخ البديع وهو من الفال الذي كان نبينا ÷ يحبه.

ومما قيل في ذلك هذه القصيدة الفريدة للفقيه الأديب الشيعي يحيى بن ناصر

الداوي الكوكباني عافاه الله وهي قوله: [من الكامل]

طلعت كمثل البدر جنح الغيب

هيفاء تخطر في طراز مذهب

وبدت بوجهٍ أخجلت شمس الضحى

حسناً وفاقتهَا بشعرٍ أشنب

ما إن رأيت كمثلها في حسنِها

وغريب منطقها الفصيح المعرب

ترهبو بطرف فاترٍ قد زانه

منها تلفتها إلى المترقب

يامن حكى غصنُ الرياض قوامها

وخدودها كالنار ذات تَلْهُب

مُنِّي عليّ بزورة أحياءها

ويطيب فيها يا بشنة مشربي

قالت أتبغي وصالنا فأجبتها
 لا يستقيم وصال شخصٍ أجنبي
 قالت فأنت متيم في حب من
 لعبت به الأشواق أيّ تلعب
 قلت الهوى في القلب داءٌ ماله
 من مرهمٍ سوى اللقاء مجرب
 قالت حديثك كلّهُ قد زادني
 عجباً فأوضح من مُنّاك الموجب
 قلت انني صب لحبّ جماعة
 ملكوا فؤادي بالوداد الموجب
 قالت فهذا منك دعوى في الهوى
 فأبْنُ بصدقٍ في الهوى لا تكذب
 واكشف لنا ما في فؤادك من جوى
 قلت اسمعي ما قلتُهُ وتعجبِ
 إني أورّي بالتغزل غير ما
 أبديته من لوعتي وتلهب
 قلبي بحب الآل صار متيماً
 فبغـيرهم والله لم أتقرب
 فهمُ السفينة قد نجا ركاياها
 يا حـسرتاه على الذي لم يركب

ونجوم أهل الأرض يروى أنه
 ما غاب نجم أو يجاء بكوكب
 إني بحسبهم معنى شقيق
 أفديهم يا منيتي بأبي وبني
 قد يقبل الله المحب بفضلهم
 كرمًا ويصفح عن محبٍ مذهب
 بمحمدٍ ووصيه وفضله
 وابنيهما ويكل فرع أقرب
 فمن الفروع الطيبات إماننا
 وإمام كل مشرق ومغرب
 فهو الإمام المجتبي ذاك الذي
 ورث الخلافة عن أبيه عن أب
 ولقد رقى ذا مرمر فرقى به
 أهل التشيع في طراز المذهب
 كم من حصونٍ قد أئتمه منعة
 قد زاحمت نجم السماء بمنكب
 منح البرية ريناب وجوده
 واختاره من فرع بيت طيب
 أحيا شريعة جده بعزيمة
 وبهمة تسمولنيل المأرب

أسد إذا رام النزال وفارس
 أيضاً ورام فائق في المحارب
 حاز الشروط جميعها وأحاط بالـ
 ـعلم الشريف ونال أفخر مكسب
 يا أيها المولى الذي أخلاقه
 أزرت بيد في النظام مثقوب
 عطفاً على ذي لوعة وصباية
 ما زال يرغب في أماني أشعب
 طمحت به أفلاكه فغدت به
 حتى حكى في السير سير الكوكب
 فالقصد نحو المشرق الأقصى له
 والسير رأي العين نحو المغرب
 والقصد في سيري إليكم أني
 أوصيكم بالحزم يا نجل النبي
 صبراً أمير المؤمنين فأنت في
 زمن عجيب مثل جلد الأجر
 لك أسوة بمحمد خير الوري
 وبصنوه الكرار قاتل مرحب
 وكذا الحسين بكره في كربلا
 وشقيقه بالسهم مات يشرب

وكذاك زيد والأئمة بعده
 ذهبوا بهم ظلماً لأجل المذهب
 باعوا نفوسهم وفازوا بالذي
 قد أملكوه من وفور المطلب
 فاصبر فإن الله ناصر دينه
 وبه يهون كل أمر أصعب
 واسلم ودم في نعمة موصولة
 لعظيم نصرٍ — دأبهم لم تغلب
 وختامها مسك يفوح أريجيه
 فيه الصلاة مع السلام على النبي
 والآل والصحب الذين على الهدى
 ما البرق لاح بمشرق وبمغرب

القصيدة قال ناظمها: أنشئت في شهر القعدة الحرام سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ، ويتلوها هذه القصيدة البديعة، الرفيعة، البليغة، للسيد الأديب، البارع، اللبيب، عبد القادر بن أحمد بن محمد الناصر الكوكباني من أشرف كوكبان ذرية شمس الدين بن الإمام شرف الدين %، وقد جعل غزلها توجيهاً بتعاطي السيد حسين الهادي إلى منصب الخلافة وليس لها بأهل ولا كفؤ، ولا بعل ولا وجه يدي به في الترقى إلى هذا المنصب الأعظم، وهو ظاهر في غزل هذه القصيدة، ومخلصها في إمامنا أمير المؤمنين المتوكل على الله %، وهي قوله على وزن القصيدة الأولى وقافيتها:

ناديت سلمى ياسلياً معرب
 من شرقها ومحله في المغرب
 هل لي إلى وصلٍ سيُّلٍ واضح
 أحظى به أم لا فهل لا تقرب
 قالت تريد نكاح شمس بمشرق^(١)
 عند الضحى بالنطح وقت المغرب
 ذاستحيل يافتى فافهم إذا
 ورَّيتَ بالمثل الموافق واعجب
 قلت انني عشق السماع أصابني
 من قبل عرفان الحقيقة فاصحي
 أرجو النكاح فهل له من مدخل
 ترَضِي به نحظى بنسل طيب
 قالت فهل ولدت عقيم بعد أن
 أيست وهل يرجى لعنين صبي
 هذا محال ما تريد وإنما
 أنظر إلى الحسناء المليحة واططب
 لا ترج ماءً في السراب بقيعة
 إلا إذا حققت ماءً فاشرب

(١) كذا في الأصل.

أخشى تواصلني وتخبر منظري
فأريك بكرأكالعجوز الشيب
إن كنت ترضى بالعيوب جميعها
والا فـدعني في محلي عند ابي
قلت انصحيني في المقال فإنني
صدقت قول الزور غير مجرب
قالت وقيت الشرهاخذ ماترى
ودع البعيد لضره بالأقرب
إني أناسلمى فسل ماشئت من
نصحي أكلم سائلي بالأصوب
لا تقدمن على أمور جاهلاً
لما لها إلا برأي موجب
إياك تطمع في جهام^(١) سحابة
إلا إذا جادت بغيث صيب
هذا ولا تطمع ببرق إن سرى
فالمن قديأتي ببرق خلب^(٢)
لا تشتهي العذرا بشام وانت في
يمن بين في طراز مذهب

(١) الجهام: بالفتح هو السحاب الذي لا ماء فيه. تمت قاموساً.

(٢) البرق الخلب والسحاب الخلب: هو الذي لا مطر فيه. تمت قاموساً.

قد لا تفوز بحسنها ووصالها
 فانظر لنفسك غير أمر متعب
 إن الغزاة لا يرّجى صيدها
 إن جاورت قفراً للأسد وثّيب
 يخشى على صيادها من أسدها
 قد يظهر الليث الهزبر المختبي
 انظر إلى سابور إذ وافا إلى
 دار الأمير الفاتك المتغلب
 أدى إلى أخذٍ له ببلاده
 وانقاد وهو الليث مثل الثعلب
 ما ذاك إلا لاتباع هوائه
 والنفس تردى ذا الفطانة والغبي
 فاصغي إلى نصحي بسمعك لا تكن
 ممن يصدق نيل عتقاً معرب
 قد قيل أن الغول^(١) والعنقاء^(٢) من
 ما قيل في الأمثال وسواس اشعب
 كم غر قبلك من أناسٍ كاذب
 حتى غدوا من سحره في غيب

(١) الغول: بضم الغين من السعالي والجمع غيّلان وأغوال كل ما يغتال الإنسان فأهلكه فهو غُول. تمت قاموساً.

(٢) العنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم. تمت قاموساً.

قُلْتُ الَّذِي قُلْتِيهِ حَقًّا لَا امْتَرَا
 لَكِنْ بِمَاذَا أَنْتَ عَنِّي تَرْغَبِي
 قَالَتْ لِحَالِي ثُمَّ ضَعَفِي كَالَّذِي
 قَدْ صَارَ بَيْنَ مَصْدُقٍ وَمَكْذَبٍ
 لَوْ أَنَّ نَفْسِي زَرَّتْ الْمَقَامَ قِيحَةً
 كَانَ الْمَقَالُ لِي أَذْهَبِي لَا تَذْهَبِي
 دَعِ مَا يَرِيكَ ثُمَّ مَا يَعْنِيكَ قَدْ
 جَافَى الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ الْيَثْرِي
 إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْوَصْلَ مِنِّي فَاتْنِي
 بِالْوَصْفِ عَنْ مَوْلَى الْخِيُولِ الشَّزْبِ
 ذَاكَ الْإِمَامَ ابْنَ الْإِمَامِ وَمَنْ لَهُ
 الْفَضْلُ الْعَظِيمُ الزَّاهِدُ الْمُتَرَهَّبُ
 سَادَ الْأَوَّلَى جَادُوا فَسَادُوا وَالْأَوَّلَى
 شَادُوا بَنَاءَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ النَّبِيِّ
 أَكْرَمَ بِهِ مِنْ عَالَمٍ أَكْرَمَ بِهِ
 مِنْ فَاضِلٍ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ طَيْبٍ
 اللَّهُ يَحْمِيهِ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ
 مِنْ كُلِّ سُوءٍ فَهُوَ رُكْنُ الْمَذْهَبِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ
 مَا لَاحَ بَرْقٌ فِي الْمَحَلِّ الْمَخْصَبِ

انتهت هذه القصيدة، أوردتها هنا لاقترابها بمعارضتها فيما نحن بصده من سرد ما وصل إلى حصن ذي مرمر.

وللفقيه الشيعي يحيى بن ناصر الداوي وإن كانت مختلفة الوزن والبحر فذكرها يحسن هنا وهي قوله: [من الطويل]

ليهناً إمام الحق مجداً مؤيداً
وفتحاً ميناً بالبشارة قدغدا
فقد حلّ في ذي مرمر مرقياً
لنيل الذي قد رامه حين أصعدا
وذلك من منّ الإله وفضله
فشكر المن أعطى وحمداً لمن هدى
قد افتخر الحصن المنيع بفوزه
بخير إمام طاب فرعاً ومولدا
إمام حوى فضلاً ومجداً مؤثلاً
وعمّ الورى عدلاً وأولاهم الندى
حماه إله الناس من كل آفة
وبلّغَهُ إحياء سنة أحمد

ومن ذلك هذه الأبيات للفقهاء العلامة أحمد بن محسن الصعدي وإن كانت ركيكة وهي: [من المتقارب]

ظهر كوكبٌ رأس حصن منيف
أقام بن ذي مرمر للنصيف

همّام نشأ ليلة مظلمة
 فمن ضوئه إستفاد الضعيف
 إمام له الفضل عن جده
 لإحيائه دين طه الحنيف
 إمام الزمان وأربابه
 فنعم الإمام ونعم الشريف
 هو العلم الفرد في علمه
 على رغم من كان عنه يحيف
 فقد ساعدته ليالي السعود
 فنجم المعادي له لا ينيف
 أمولاي لا زلت في نعمة
 ولا زال فضلك غوث الهيف
 فقد قمت في الناس شبه الخطيب
 فمنهم خيىث ومنهم نظيف
 ولكن عليك الدعا قائماً
 فربي قريب محيب لطيف
 ولا تأس من طلسم ذي طلسم
 فلن تصب إلى العلاوي الظريف^(١)
 ختامي أصلي على المصطفى
 كذا الآل غرة نجوم الخريف

تمت.

(١) كذا في الأصل.

ومن ذلك هذه الأبيات للفقيه العارف أحمد بن ناصر المصلي تاريخاً وهي قوله: [من الطويل]

لك الحمد حمداً ليس نحصي - له عدا
لك الحمد حمداً لا نحدُّ له حداً
لك الحمد كم من نعمةٍ سقتها لنا
قَرَرْتَ بها عيناً ولاح بها سعدة
لك الحمد منها فتحك الدماغ الذي
بخير بني الدهر أتيت به مجداً
وفي الفتح تاريخ لذي مرمر أتى
يارب هيئ لنا من أمرنا رشداً^(١)

وفي بيت التاريخ منها زيادة على عروض بحر الطويل يغتفر لأجل التاريخ. انتهى
ما وجد حال رقم هذه.

وبعد استقرار مولانا الإمام بالمعقل المحروس طاب له المقام ودخلت المخاليف في
طاعته، وانقادوا لجماعته، ووفدوا إلى مقامه، وأذعنوا لأحكامه، وبقي على حال جميل،
ومجد أثيل، تلاحظه السعادة، وتنقاد له الأمور على وفق الإرادة، وبذلك انقطع يأس
المعارضين، وصاروا في حيز المأنوسين، والله الحمد رب العالمين.

(١) تاريخه هو: ١٢٨٧ هـ.

[الإمام عليه السلام وأحداثه مع الباطنية]

[استدعاء أهل الحيمتين للباطنية]

وفي خلال ذلك سَوَّلَ الشيطان لأهل الحيمتين من مغارب صنعاء، وهم من بلاد الزيدية، وأتباع العترة الزكية، أن يستدعوا طائفة الباطنية، الذين في حراز وينضافون^(١) إلى جنابهم، ويدخلون في طاعتهم، ويكونون من أحزابهم، وذلك لما اعتورتهم أيدي الظلم من جهات عديدة، وصاروا طعمة الطامع، وعظة المطامع، وتسلبت عليهم أناس من قبيلة بني جبر خولان الطيال وأسأوا الأفعال، وقطعوا طرقاتهم، وأبطلوا أسواقهم، وتملكوا بعض المعازل وجعلوهم في أيديهم، وربما وصلوا في كل عام برئيس ينصبونه ويقودونه إلى تلك الجهات، ويأخذون به أموال أهل الحيمة فأدى ذلك إلى حصول هذه المفسدة الكبرى، والفاقة العظمى، وأنهم يرضون بدولة الكفر، ويتصورون أنها لهم أصون، وفي ظلمهم أدون، فاستدعوا عينة المكرمي المتغلب على حراز ومكنوه من البلاد، وسلموا إليه الحصون والزاد، ورفعوا من في جهتهم من بني جبر، وأخرجوهم كرهاً، منهم محسن بن ناصر صبر الجبري كان في جبل عانز قد تجبر وتكبر، وظلم فأكثر، ومنهم من كان في حصن مفتح أخرجوهم واستصفوا البلاد، وجرت أحكامهم فيها على الحاضر والباد، وصارت دار حرب، وكانت من ديار أهل الإيمان، وعراص أهل السنة والقرآن، فحزن كثير من المسلمين بذلك الحادث الشنيع، والمكادث الفضيع، وحصلت الغيرة في كثير من أهل الدين، وكان معظمها عند مولانا

(١) الصواب ينضافوا وكذلك الأفعال بعدها ويدخلوا ويكونوا.

أمير المؤمنين، أيد الله به الدين، ولكنه في تلك الحال لا يتمكن من مناجزتهم لكونهم أولي^(١) قوة في الحال، وكثرة في الأموال، وبسالة في الرجال، وهذا المكرمي قد تمكن من بلاد حراز، وهي قطر واسع، كثير المنافع، يغل ثمره البر والطعام، وقد ملأ حصونها من الميرة والأزواد، وكمل له التأهب والإستعداد، ووراه رجال يام يعتقدون طاعته، وينقادون لدعوته، وهم أهل بسالة وشجاعة، وإمام الزمان في قلة من الأعوان، ولا بيت مال لديه مدخر للنوائب، والقبائل قد وهت شوكتهم، واستولى عليهم الإدبار، فهم في نهبهم لاهون، وفي غمرتهم ساهون، لا يرجعون إلى دين متين، ولا إلى مجد شامخ العرين، ولا يعرفون ما على المأموم للإمام، من الحقوق التي بني عليها الإسلام، بل صاروا متربصين أشبه حالهم بحال من أنبأ الله سبحانه بعظيم خطاياهم، وكبير تعجر فهم بقولهم ﴿فَآذِهِبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾

﴿المائدة: ٢٤﴾ .

[دعاء الإمام عليه السلام للجهاد ووصول بعض القبائل إليه]

فوقعت المكاتبه إلى برط وهم رؤوس همدان، وأهل النجدة والإمكان، وقبيلة ذو محمد فيهم من قد تملك في جهة اليمن الأسفل، وتكسب من ذلك وتأثل، فحصل الرجاء في جانبهم، ووقع الخطاب لهم في ذلك، والحث لهم على النصره، وكان في جهتهم في تلك الأيام بعض العلماء الأعلام، وهو الولد العلامة صفي الإسلام أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الكبسي عافاه الله فحث على هذا المرام، ودعاهم إلى الذب على الإسلام، والجهاد مع الإمام، فأسعدوا إلى ذلك المرام، وأشعروا بالقدوم، واتباع رضى

(١) في الأصل: أولو ولعل الصواب ما أثبتناه.

الحي القيوم، وخرجوا مجدين في الجهاد، وبذل النفوس والعتاد، وخرج صحبتهم العالم المذكور، فوقع لخروجهم موقع عظيم، وفرح المسلمون، وسر المؤمنون، وتصور الناس فيهم الفلاح، وتوسموا في أفعالهم الصلاح.

وإمامنا % في حصن ذي مرمر قد عرف من الناس الإخلاف، وأنهم قد جبلوا على عدم الوفاء وعرفوا بالمكر والجفاء، وأنهم لا يثق بهم باللزام، ولا تجري أمورهم على التمام، وقد عرفوا بإخلاف الوعود، ونقض الميثاق والعقود، ولم يطمئن إلى أقوالهم، ولا وثق بأفعالهم، فكثرت من أعيان الناس التعويل عليه، وتوجيه الخطاب إليه، وأنه يعزم صحبتهم ويجمع شملهم فلم يسعد حتى وصل عقابهم إليه وأخذ منهم العهود، وأكد البيعة والعقود، على الاستقامة في الجهاد، وإنفاق الأموال، والصبر في مواطن القتال، كون قد عرف أن العدو قد قوت شوكرته، وتمكنت بسطته، والحصون في أيدي الباطنية، والرعايا معهم، والمدد لهم متواصل بالمال والرجال، من داعيهم الذي إليه يرجعون، وعليه يعولون، وهو مقيم في حراز في قوة من الأموال، وتمكن من الرجال.

[دخول الإمام عليه السلام صنعاء مع أهل برط ومعركة الحيمة

مع الباطنية]

فلما عرف مولانا أمير المؤمنين % من الواصلين إليه التصميم وأجمع الموالي والمعادي أنها فرصة تنتهز، وأن الناصر قد وجد وتعين عليه الإسعاد، أجاب إلى النهوض وسارع إلى داعي الجهاد وأمل في تلك القبيلة الصلاح، وعزم على النهوض إلى مدينة صنعاء ثم منها إلى ذلك المقصد، فدخل صنعاء في أبهة وأجناد، ضاق بها الفضاء وحصل بها الرضى، وقد انخزل من ذي محمد طائفة يقال لهم البحور، وعزموا

اليمن معرضين عن هذا الشأن، بدسياسة من أهل البغضة والشنآن، فكان ذلك أول الوهن، عند أرباب الفطن، ثم توجه مولانا % بأولئك الأقوام وصحبته أجناد واسعة، حتى استقر ركابه بقرية يقال لها بيت عجل بالحيمة الخارجية، واستقر حي سيدي العلامة أحمد بن الناصر والسيد العلامة محمد بن أحمد المطاع بمحل يسمى قملان، وشرعت الأمور تنفضي إلى الإنتظام، وحصلت حروب حصل الظفر فيها للمجاهدين، والدائرة على الملحدين، ووالى بعض أهل الحيمة وهم قبيلة بني سليمان وطبلوا الأمان، وبقيت المطارح والحروب، وعرف كبيرهم أنه مغلوب، وأن ملكه مسلوب، وترادفت عليه الكروب، فدس إلى قبيلة همدان وكبيرهم عبد الله بن ناجي وهم يميلون إلى دعاة الباطنية، ويتتحلون مذهبهم الردي، وكفرهم المطغي، أنهم يفسدون الأجناد ويطمعونهم في الأموال، فدس هذا الطاغى ذلك إلى جماعة ممن في قلبه مرض، وله في توهين الحق غرض، ممن ظاهره مع الإمام، وباطنه معاندة الإسلام، فعرف الإمام ذلك فأمر بحبس كبير همدان فحبس، والمترسمين عليه من ذي محمد فتألب بعض قبيلته للفساد وتخطف المارين في الطرقات وظهر النفاق، وكثر الشقاق، وتخالفت الآراء، ولم يتوقف الأجناد على رأي مولانا أمير المؤمنين %، بل استبدوا بالرأي، وتفردوا بالتدبير، وكلما أمرهم بأمرٍ ظهر منهم الخلاف، وقابلوه بعدم الإسعاف، حتى أنهم أكرهوا مولانا على إطلاق الهمداني، فلما أطلق عمل الحيلة في إفساد الأجناد وأطمعهم في مال من جهة المكرمي، لكل منهم قدر معلوم، وجزء مقسوم، وأبرموا أمرهم إلى ذلك، فتحقق مولانا % ما هم عليه، وما قد أضمره من الخديعة، وأسروه من مخالفة الشريعة، فكتم % ما علمه، وأسر ما فهمه، وخفف من أثقاله مثل المدفع وغيره، وحملها في الليل وقوض خيامه، ونصب أعلامه، للعود إلى مستقر عزه، وأكد حرزه، فرجع بالسلامة والكرامة إلى صنعاء، ثم منها إلى ذي مرمر، وتفرق أولئك الخادعون

شذر مذر، وبطل ما قد كان وعدهم به المكرمي من الأموال ولم يظفروا بغير البوار والغدر وشؤم المآل، وعزم ذو محمد اليمن، وهو غاية قصدهم ومنتهى سؤلهم.

أصل مذهب الباطنية

وهذه الطائفة الباطنية التي قصد جهادهم وإجلاهم عن البلاد، أصل مذهبهم الإلحاد، وتعطيل الشرائع، وإنكار الصانع، واعتقاد دين المجوس، ينكحون بناتهم وأمهاتهم، ويتسترون ظاهراً بالإسلام، ويعتزون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ويتسمون إسماعيلية، ويموهون على جهالهم وعوامهم بالتشيع في أهل البيت الأقدمين فقط، ويعادون الأئمة من الزيدية، ويحاربونهم، ويلقون إلى عوامهم أن لهم إماماً مستوراً^(١) يتلقى عنه داعيهم الأكبر في إقليم الهند، ويشرع لهم شرائع تخالف دين الإسلام، منها أن الصلاة ركعتين ركعتين جميعها، ومنها أن الرسالة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب %، وأن جبريل غلط بها إلى نبينا محمد ﷺ ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]

ومنها أن الشريعة لها باطن وظاهر، وأنهم على باطنها، وأن العامة على الظاهر، والباطن عندهم هو التعطيل ومذهب المجوس.

وقد ذكر الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد %، أصل مذهبهم في رسالة له إلى أهل نجران، وأن أصله ميمون القداح، مجوسي أراد أن يدس المجوسية في دين الإسلام، فتظهر بالإسلام وخدم قبر الحسين السبط %، وما زال يعمل الحيلة في التخليط على المسلمين حتى أنه استدعى رجلين من أصحابه هما على رأيه وذكر لهما أن المسلمين فريقان شيعة وسنية، وأمر أحدهما بإظهار التشيع والدعاء إلى إمام مستور على

(١) في الأصل: أن لهم إمام مستور، ولعل ما أثبتناه الصواب.

ما تزعمه الإمامية من أن المهدي مستور في السرداب، وأنه يتلقى عن هذا الإمام ما يثبه من الشرائع والأحكام، ويلقيها إلى دعائه في البلاد وهي المجوسية المحضة، وإحلال البنات والأمهات، والعمل في الميارث والأحكام، بغير شريعة سيد الأنام، ومن اطمأنوا إلى جانبه وعرفوا أن قد صار منهم أبدوا له التعطيل، وأن لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب، وإنما ذلك تمويه على الأعوام.

وحكى حي الإمام القاسم % ما وجده في كتبهم من التصريح بالكفر البواح، وإنكار النبوة، وأنهم يشتركون من يساعدهم على مذهبهم الخبيث بالأموال، وسرى هذا المذهب في المائة الثالثة وانتشر في الأقطار، فإن عبيد الله المتسمي بالمهدي جد العبيدين الذي ملكوا مصر والشام وبلاد المغرب ظهر في سنة خمس وثمانين ومئتين بالقيروان، وقد كان قدم أبو عبد الله اليميني المتسمي بالشيوعي، قيل إنه من صنعاء اليمن، فدعا إلى طاعة إمام مستور حتى استجاب له كثير من أهل المغرب، واستولى على تلك الجهات، وقهر ملوك بني الأغلب، الذين كانوا ولاية تلك البلاد من جهة بني العباس، واستدعى عبيد الله المهدي فوصل وملكه البلاد، ثم ندم على تسليم البلاد إليه، وأراد أن يغدر به، ففطن عبيد الله لذلك فقتله هو وصنوه الأكبر، واستبد بالملك هنالك.

وظهر في جهة الإحساء في تلك المدة أبو سعيد الجنابي القرمطي، واستولى على البصرة وعلى أعمالها، وغلب أجناد بني العباس عليها، وبقي متمكناً حتى هلك، ثم ابنه أبو طاهر، وهو الذي قدم مكة في سنة ثلاث وثلاثمائة وقتل الحجاج يوم التروية بين الركن والمقام، وانتهب مكة وسبى منها، وأخذ كسوة البيت الحرام، واقتلع الحجر الأسود، وذهب إلى بلاد الحسا والقطيف، وبقي لديه قدر عشرين سنة، وبذل له المقتدر العباسي مالاً جزيلاً في إرجاعه فلم يسعد حتى كتب إليه عبيد الله المهدي وابنه القائم يلعنه ويسبه ويقيم عليه القيامة، وأنه حقق عليهم الكفر بأخذه فردده وقال: أخذناه بأمر

ورددناه بأمر.

ومنهم علي بن الفضل ومنصور بن حسن الذين ظهرا باليمن، أرسلهما ميمون القداح داعيين إلى ابنه عبيد الله، فاستولى منصور على مغارب صنعاء واستقر بجبل مسور^(١) بني المتئاب واستولى علي بن الفضل على اليمن الأسفل وقتل جعفر بن إبراهيم المناخي الذي ينسب إليه خلاف جعفر وأخذ البلاد وقوي أمره، وطلع البلاد العليا، واستولى على صنعاء ومخالفيفها، وأعجبته نفسه فدعا إلى نفسه، وخلع طاعة عبيد الله المهدي وأظهر الكفر البواح، وكان تارة يدعي النبوة، وتارة يدعي الربوبية، وكان يكتب إلى عامله بصنعاء أسعد بن أبي يعفر: من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها، علي بن الفضل إلى عبده أسعد ابن أبي يعفر، وهذا مما يدل على إنكارهم للشرائع، وتعطيلهم وإلحادهم للصانع.

وقد ذكر الحافظ الكبير محمد بن جرير الطبري في الجزء الآخر من تاريخه مادة في ظهور الباطنية في الشام واستيلائهم على الممالك يطول شرحها، وهذه السيرة مبنية على الإختصار، وقد استطالت مملكتهم في اليمن، فإن الداعي علي بن محمد الصليحي ظهر من جبل مسار^(٢) في جهة حراز في سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة، واستولى على اليمن جميعه سهله وجبله، وبلغت مملكته إلى الحرمين، وهو يدعوا إلى المستنصر العبيدي ملك مصر، واستمرت مملكة الصليحيين قدر مائة سنة، ثم بني زريع الهمدانيين ملوك عدن، ملكوا في أواخر دولة الصليحيين، واستمرت مملكتهم إلى أن خرج الملك المعظم توران شاة بن أيوب إلى اليمن في سنة تسعة وستين وخمسائة واستولى على عدن وقتل الأمير ياسر بن بلال المحمدي وزير بني زريع وكافل المملكة لابني الداعي عمران بن

(١) بنو المتئاب: بضم فسكون ففتح من قبائل حمير تقع منازلهم في جبل مسور، ولذلك نسب إليهم الجبل فيقال (مسور المتئاب) المعجم (١٦٤٩/٢).

(٢) مسار: بفتح حين جبل عال شامخ من جبال مديرية مناخة في حراز يعد أعلا جبل في حراز. المعجم (١٥٠٨/٢).

محمد بن سبأ الزريعي، وبقي مذهبهم في جهة همدان ونجران وحراز وجهة عراس من بلاد يريم الآن.

ولا يزال الأئمة من أهل البيت %، في جهادهم، وقطع مادة فسادهم، حتى تقلل هذا المذهب باليمن، وقد كان فشى، وظهر في أكثر اليمن الأعلى ولم يبق الآن إلا فيما ذكرنا من البلدان، وإلا في المزارح^(١) من بلاد العدين بجهة اليمن الأسفل، وإنما نبهنا على هذه المادة من كفرهم ليعلم أن مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله أيده الله بعزیز نصره، سلك مسلك الأئمة في جهادهم، وتصلب في أمرهم، حتى أنه وقع الخوض وهو في الحيمة على تسليم مال جزيل إليه منهم ويدخلون ظاهراً في طاعته، ويسالمهم على ما بأيديهم من بلاد المسلمين، ووصلوا إلى قدر عشرين ألف قرش يسلمونها إليه ويرتفع عنهم، وتوسط بذلك كبير همدان، فأبى مولانا % من ذلك، وتصلب في أمرهم واشتدت في ذلك عزيمة، وقويت شكيمته، وهو مع هذا في سعة خطاب، وكثرة أجناد وأصحاب، كلهم يطلبه المال، ويكثرون عليه في السؤال، ويطولون في المقال، ولا مدد عنده من بلاد، ولا قوة ولا استعداد، ولكنه رغب عن مسالمتهم، وتقوية أيديهم بإظهار صلحهم، وعف عن الخطام غيراً على الإسلام كما عف عن أموال الظلمة جده الإمام الأعظم نجم آل الرسول محمد، القاسم بن إبراهيم الرسي %، فقد روي في سيرته أنه كان في جبال الرس متخفياً خائفاً من بني العباس، وقد تقطعت أسبابه، وتقلل أصحابه، وأن المأمون عبد الله بن هارون العباسي دس إليه من يوصل إليه وقر سبع بغال ذهباً ويترك الدعاء إلى الخلافة، فرد ذلك المال وأبى أن يقبض منه شيئاً، وقد لاهه أهله حيث رأوا ما هو فيه من الخوف وعدم الناصر فأجاب عليهم بأنه قد رضي بأن يبات ليلة واحدة خائفاً منهم وبياتون خائفين منه خير من الدنيا وما فيها.

(١) المزارح: بفتح الميم والزاي ثم حاء مهملة مكسورة مركز إداري من مديرية فرع العدين، أعمال محافظة إب. المعجم (٢/٥٠٣).

وروي^(١) مثل ذلك عن الإمام الأعظم عيسى بن زيد، الذي يقال له مؤتم الأشبال سلام الله عليه، فإن المهدي محمد بن عبد الله العباسي بذل له مائة ألف دينار ويسكن من البلاد حيث شاء ويأمن منه، وهو في تلك الحال مختفي في الكوفة يسقي لأهل محله مستتراً حتى من أهله وقراباته، فلم يساعد إلى قبض شيء، وقال مثل مقالة الإمام القاسم الرسي %، فانظر إلى هؤلاء الذين خلصت لله قلوبهم، ومالوا عن متاع الدنيا، ورغبوا في الجزاء الأوفى، عند الملك الأعلا.

وقد جرى إمام زماننا على تلك الوتيرة، ووافق صلاح السريرة، وجرى على هذه السيرة. والحمد لله رب العالمين الذي جعل له لسان صدق في الآخرين، ومن بوجوده في هذا الزمن العاقل، وأحقه في أفعاله وأقواله بكرام الأوائل ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ بِإِذْنِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٧٣].

رجوع الإمام عليه السلام من الحيمة إلى ذي مرمر

وبعد رجوع إمامنا %، من الحيمة استقر في ذي مرمر، أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، في خير واطمئنان، وأمان وإيمان، يفد عليه أصحابه، ويتتابه أحبابه، ونعم الله عليه سابعة، وأياديه إليه بالغة.

ولنلحق في سلك منظوم هذا التسيير، ما عثرنا عليه من المنظوم في ممدحه، جمعاً لما يتعلق بسيرته %، وإن كان متفرقاً على اختلاف الأعوام، فالقصد حفظه في عقد هذا النظام.

فمن ذلك ما قاله السيد العلامة، الأديب الفهامة، المخلص اللبيب، ضياء الدين

(١) في الأصل: وري، والصواب ما أثبتناه.

إسماعيل بن المرتضى بن إسماعيل بن المرتضى المحطوري الشرقي القاسمي، وقد تقدم له ذكر في تراجم السيرة، ونظمناه في سلك أهل الوفاء وصلاح السيرة، فليراجع؛ هذه القصيدة الفريدة مادحاً بها مولانا إمامنا %، حال أن أرسل عاملاً على الجبر من جهة الشرف بفتح البلاد من بني مديحة وبني جُل، وقتل رجل من كبار أهل الشرف من بني السنيدار، وذلك في سنة سبع وسبعين ومئتين وألف، فقال السيد المذكور وأول بيت في القصيدة لأبي محمد الخازن، شاعر الصاحب بن عباد في قصيدة مشهورة بين أهل الأدب في براعة استهلالها في التهئة بمولود، وقد أحسن السيد المذكور الإفتتاح به وهو من أحسن المبادي: [من البسيط]

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا

وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

فتح بشهر كثير الخير عصمتا

من الذنوب أزاح الله ما فسد

شهر الصيام عظيم الفضل قد طلعت

شمس السعادة فيما قد خفى وبدا

والفتح وإني إمام العصر — ما لکننا

مولی الوری خیر من زکی ومن سجدا

والنصر — أقبل سروراً على ظفر

يؤم نحو إمام الخلق ما قعدا

ذاك الذي طاعة الرحمن طاعته
 يا حبذا طالعٌ مسترشدٌ رُشدا
 فنبّ ناكث عهدٍ خائنٍ ملق
 تبّا وسحقاً له من فاسق شرذا
 كم قلدت بيعة أعناق ذي فجرٍ
 فقللوا بعذابٍ شره قددا
 طوبى لكم معشر الأنصار إن لكم
 فضلاً وأجراً على من صام أو عبدا
 يهناكم الأجر فالتوفيق صاحبكم
 مع الهدى كل شخص منكم سعدا
 هذا هو الفخر لا قعبان من لبنٍ
 شيئاً بهاءٍ فصارا بعدا زبدا
 الأجر أجمع والفضل المبين مع الـ
 مجاهدين الذي ما خالفوا السددا
 جنات عدنٍ لمن في الله متبذلاً^(١)
 لنفسه مع إمام الحق معتمدا
 مولاي مولاي يا خير الوراء ويا
 مولى الأئمة من في الدين مجتهدا

(١) في الأصل: مبتذلاً.

هذي الفتوح بها شأن لمذكر
مكمل اللب من يعرف طريق هدى
وانظر إلى قوله سبحانه بصري —
ح الذكر قولاً صحيحاً محكماً أبدا
حتى إذا استيأس الرسل الكرام وظ —
نوا أنهم كذبوا أعطاهم المددا
فأبشر — بفتح إله واحد أحد
بر جواد كثير الفضل لن يلدا
فكم أيادٍ له في الخلق سابعة
لا ينقضي — وصفها حصراً ولا عددا
وأن أطفاه بالكل كافلة
وليس يدركها إلا امرئ زهدا
فيا ابن^(١) بنت رسول الله سيدنا
وخير داع إلى نهر الصفا وردا
أبشر — فربك مولى كل معتصم
به وناصر عبد جاء مستندا
ولن يخيب من بالله معتمداً
وناصباً نفسه لله مجتهدا

(١) في الأصل: فابن بنت، ولعل الثواب ما أثبتناه والله أعلم.

وقد تأسيت بالكبر الذي سلفوا
 في العزم والصبر حتى نلت ما وعدا
 فيا حساماً حسمت الشر قاطبةً
 بعون ربّ عليه صلح ما فسد
 يا أيها المحسن الميمون طائره
 خليفة الله فيمن قام أو قعدا
 لا زلت تطلع في برج السعادة في
 سماء نصرٍ بثوب المجد محتشدا
 عليك صلى إله العرش ما سجعت
 ورق الحمايم في أغصانها وشدا
 بعد الرسول وبعد الآل قاطبةً
 مع السلام فلا نحصي لها عددا
 وله عافاه الله قالها في سنة ست وسبعين ومئتين وألف وهي: [من الخفيف]
 عادك الله يا إمام الزمان
 في سرورٍ ونعمة وأمان
 نلت عيد الإفطار عيد كريمة
 منقذ من وساوس الشيطان
 ختم شهر الصيام إذ جاء بالبر
 وبالفضل والتقوى والأمان

فيه نلنا المنى من الخير والتقـ
 سوى وحسن الدعاء والإيمان
 وأحاديث مسندات صحاح
 مرويات عن جـدك العدنان
 ثم كم بعد من تلاوة آي
 بينات من محكم القرآن
 أه يا شهر طاعةٍ وترأويح
 وفضلٍ ورحمةٍ وأمان
 اسأل الله رحمةً وأماناً
 فيه مما أخافه وأعاني
 ذلك العيد عيد فطرٍ وفي ليـ
 لته يظفرون بالغفران
 نسأل الله أن يعيد علينا
 شهر صومٍ فيه رضى الرحمن
 وكذا أن يعيد مولى البرايا
 في نعيم من شامل الامتنان
 الإمام الحسام قدوتنا البر
 السخي الكريم ذا الإحسان
 فليالي شهر الصيام ذكرتني^(١)
 ما تناسيت في قديم الزمان

(١) هكذا في الأصل، ولعلها (فليالي الصيام قد ذكرتني) والله أعلم.

بليال قضيتها بخلالٍ

مع بدورٍ من الملاح الحسان
 ما أحيلا ذكرى مطالع أقمار
 حكمت في الجمال حور الجنان
 قد علاهن في العيون احورار
 والمنايا يباطن الأجفان
 يينهن التي غرتني بالحاظ
 شرت من لـوا حظ الغزلان
 عقدها ثم مقلتيها^(١) وماتنـ
 شـر من در لفظها الفتان
 كاللال المنظمت وكالأسهم
 مبرية وكالعيـدان
 وكذا الثغر^(٢) مع خضاب بنان
 ودموعي كخالص المرجان
 ياسميري إن كنت حقاً صديقي
 فاستمع ما أفيد من بيان
 في محيا خريدة تركتني
 في عذاب من الهوى وهوان
 غير أني أرجو سوانح الطاف
 تقيني من طارق الحدثان

(١) في الأصل: مقلتها، وما أثبتناه ليستقيم الوزن.

(٢) في الأصل وكالثغر، وما أثبتناه ليستقيم الوزن.

بمديحي ذو الفضل جوهره العصر —
 المرجى لمشكلات المعاني
 الإمام السبوق في حلبة الفضل
 ومسك الختام للأعيان
 من رقى رتبة الإمامة واستعلى
 بمعروفه على كيوان
 فعليه السلام في كل حال
 ومقام أيضاً وفي كل آن
 ذاك سؤلي ومطلبي ومرادي
 ومجيري من نائبات الزمان
 ذاك ابن الرسول من لا يهاب الـ
 — روع كلاً بملتقى الجمعان
 ذاك مفتي النظار في كل حال
 لرضى الرب لا لملك فان
 وعليه الصلاة بعد رسول الله
 والآل ماسرى القم — ران
 وله عافاه الله يمدح بها مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه وهي قوله: [من الطويل]
 إمام الهدى لازلت بالحق تصدع
 وللظلم عن كل المساكين تدفع
 لأنت أعز الناس مجداً وسؤداً
 وجوداً على مر الزمان موسع

يسير بك الركبان شرقاً ومغرباً
وذكرك في كل الأماكن يرفع
فذكرك أحلام من جنى الشهد مطعماً
وأذكى من المسك الذكي وأضوع
مقامك أعلا من رياض أنيقة
تنادي انظروا يا ناس حسني أو اسمعوا
كذلك به ما تشتهي النفس للذي
أتى وتلذ العين مرأى ومرتع
وفي فاتر الأجفان حلوقوامه
له من غصون البان شكل مربع
له من لحاظ الطبي قسم وحاجب
أنج وثغر مثل ما البرق يلمع
وخديحاكي الورد إن فاح نشره
بينان أو كالنجم في الشرق يطلع
وثغريغير الدير حسناً كأنه
عقود من العقيان في الجيد يوضع
وكم حاز من جمع المحاسن كلها
ملاعب فيها وهي للحسن مجمع
رمانى فأضمر بالسهم من الرنا
فما ثعل منها أحد وأوجع

فقلت له بالله زد لي فرق لي
 وأشفق وهو الظبي يعطي ويمنع
 فأرشفني من ثغره قرقفية
 ألد من الشهد المذاب وأنفع
 فلما خشيت الإثم والموقف الذي
 إليه جميع الخلق في الحشر يرجع
 رجعت إلى مدح الإمام الذي به
 غداً توبتي عند الذي لا يضيع
 إمام الهدى ذاك الذي ليس مثله
 من الناس ثانٍ بل هو الناس أجمع
 فسل عنه في كل المكارم تلقه
 كريماً عطوفاً ليس للخير يمنعه
 حلیم علیم كامل الرأي والحجا
 فصيح إذا رام الخطابة مصقع
 له فطنةٌ تبييه عن كل غامضٍ
 وتنوير قلب في العلوم مشفع
 توسمه يلدي لمابك موقفاً
 ويلدي فقيراً أنت أم أنت موسع
 صفوح عن الجاني رحيم لسائلٍ
 عطوف على من كان للحق يتبع

ووصول لكل المؤمنين موالى
 محب لأهل الدين صب مولى
 محب لأهل العلم مغرى بحبهم
 يحبهم حباً شديداً ويرفع
 شديد على الأعداء في كل موطن
 فلا يخش من بأس ولا يترزع
 له خلق أحلام من الشهد مطعماً
 وأعذب من ماء لذي الضر ينفع
 إذا جاءه المهموم ألقى همومه
 يعجل ما يهواه عطفاً ويسرع
 وبسطة وجهه للتزيل كأنه
 يحكمه فيما لديه ويوسع
 وكم من خصال في الإمام شريفة
 بها في الملائكة هو وتعلو وترفع
 فنسأل من أعطاه خيراً يمدّه
 بعمر طويل فهو للشمل يجمع
 ويحفظه من كل شر وفتنة
 ويكأله مما يخاف ويفزع
 عليه سلام الله في كل ساعة
 مدى ما يلوح البرق والورق تسجع

وفي ختمها صلى وسلم ربنا
على أحمد والآل ما الشمس تطلع

تمت.

وقال السيد المذكور عافاه الله، مادحاً لإمام الزمان % مع وصوله إليه إلى كحلان
تاج الدين في سنة ١٣٧٣ هـ: [من الطويل]

إليك أتينا يا إمام المكارم
ويا خير داع في الأنعام وقائم
أتينا نؤدي للزيارة حقها
فنحظى بأخلاق رياض نواعم
ونقضي - حقوقاً فرضها قد تأكدت
علينا وصارت عندنا فرض لازم
ولله أيام الصبا ما أسرها
وأعذبها عند العيد الملازم
تقضت فو العصر - الذي مر بالحمى
لقد صرت في خسر - بشيب اللهازم
تذكرت في عصر - الشيبية عادة
أطارت منامي بل وأوهت عزائمي
فما الشمس إلا من ضياء جينها
وما ظلمة الليل البهيم بفاحم

إذا نشرت من شعرها في متونها
 وأرخته إن نضت ثياباً لنائم
 وخد أسيل فيه نار وجنة
 وآس وورد ناعم أي ناعم
 وفي ثغرها ماء الحياة وليت لي
 إليه سيل فهو أقصى المغانم
 أيا لائمي دعني ولومك لي فلي
 عجائب لم تخطر على قلب واهم
 وقد كان لي بعض الليالي محدث
 لطيف خلا عن كل واشٍ ولائم
 سباني وألهاني وتيم مهجتي
 وصيرني ولهان بين العوالم
 فقلت له هل ترث لي في سالي
 وتعطي سؤالي ثم هل أنت راحمي
 أجاب فقل تسمع وسل تعط ما هو
 فؤادك فاحكم حكم أعدل حاكم
 فكدت من الأشواق عند جوابه
 أطيروا فلولا جبه كان عاصم
 فقلت شرباً من لما الثغر بارداً
 وأجني جنى ورد الخدود النواعم

ولي غير هذا أنت أدرى بسرّه
 وموقعه في سيري المتفاقم
 فتم مرادي وانتهى مطلبي الذي
 أشرت إليه ثم أرغمت لائمي
 إلى أن بدا ضوء الصباح وإنني
 على قلق من جرأتي وجرائمي
 فقامت أجز الذيل أطلب ملجأً
 يخلصني من موبقات المآثم
 فقلت مديح السيد الماجد الذي
 سما مجده فوق السها والنعائم
 إمام الهدى رب الندى جالي الصدى
 ميسد العدا بالمرهفات الصوارم
 جواد على العلات في كل حالةٍ
 فما جود مَعْنٍ بل وما جود حاتم
 ترى الناس أفواجاً إلى باب داره
 فرادى ومثنى عالمٌ بعد عالم
 فصيح فما أحلا حديث لسانه
 ومنطقه في أعرب وأعاجم
 فهيم رشيد ذو ذكاءٍ وفطنةٍ
 حلِيمٌ شديدٌ في الأمور العظام

له حسن أخلاقٍ كرامٍ شرائف
 كأزهار دوحٍ في رياضٍ نواعم
 وبسطة وجهٍ للخلائق كلهم
 لكل صديقٍ أو عدوٍ مسالم
 ومن بشره للضيف تلقاه ضاحكاً
 يقول له أهلاً بأفضل قادم
 فهذي خصال الخير فيه وكم وكم
 مكارم لا تحصى — لقاءٍ وراقم
 عليه سلام الله مآدر شارق
 وما غردت في الدوح ورق الحمام
 وفي ختمها صلى الإله مسلماً
 على أحمد والآل أهل المكارم

انتهى نظم السيد المذكور وهو كما ترى، وقد أحسن الظن فوجب حقه، وهو مع هذا ففيه ما يستحق أن يخلد في صفحات الأوراق ينظم مع فرسان السباق، ودلائل المحبة لإمام زمانه تظهر من نفسه ونتائج فكرته.

قدوم مولانا الإمام عليه السلام إلى بلاد عمران والصيد من بلاد حاشد

ولما طال استقرار مولانا الإمام %، بعرضات ذي مرمر، تكررت إليه المكاتبات من الجهة القبليّة، جهات حاشد وعمران وعيال سريح وأراد فتح بلاد عمران، وهي من أكثر البلدان أموالاً وثمرات، وأنعاماً وخيرات، وكانت في الدولة القاسمية عندهم عمدة البلاد يجعلون فيها كبار رؤسائهم ويقوونهم بالجند والمال، كونها من الثغور، وموادها كثيرة، وواجباته متسعة، حتى قيل إن واجباتها في بعض السنين تحصل مائة ألف قدح.

فخرج مولانا % من ذي مرمر، وكان من الأسباب أن أهل قرية جوب من بلاد عمران قتلوا رجلاً من كبار ذي حسين يقال له دهم الشايف، فأئكف رجال ذو حسين، وكاتبوا الإمام %، فعزم الإمام وقد كان الأعداء أخرجوا حسين بن المتوكل إلى ريدة لقصد المعارضة والتخريب، فأبطل الله أعمالهم ورجع خائباً، وكذلك ذوا حسين رجعوا بلادهم، فرجع مولانا إلى الدعاء وقصد بلاد حاشد، واستقر في قرية مهرة الفقهاء الشيعة بني الرضي، فقام الفقهاء بحقوقه هم وأهل جهتهم، وتلقوه بما يجب من الطاعة لأمره، وامثال رأيه، وبقي يحاول طاعة أهل عمران وعيال سريح والجبل^(١)، وهم منه في خوفٍ ووجل، قد ألقى إليهم شياطين النصبه وأهل البغضاء والعداوة للحق ما شوش خواطرهم، وباعدتهم عن الطاعة، ومولانا % على عادته

(١) يريد جبل عيال يزيد.

الكريمة، وسجيته العظيمة، يكرر إليهم الدعاء، ويلين لهم الخطاب، ويدعوهم إلى السنة والكتاب، ويعرفهم بما يجب عليهم لله ولرسوله ولأئمة المسلمين، ورؤسائهم يراوغون في الجواب، ولا يهتدون إلى صواب، قد ألفوا التفرد بمحصول البلاد، وأيسوا إلى الاستبداد، وتصوروا ما ألقى إليهم من جهته، وأنه إذا انقادوا لطاعته، ودخلوا في جماعته، أنس إليه الرعية، وخالطوه وتركوا مشائخهم وراء ظهورهم، وساقوا واجباتهم بغير واسطة المشائخ، فلا تبقى لهم عليهم كلمة ولا رئاسة، ويصير الزمام بيد الإمام، فباعدوا أصحابهم عن الدخول في الإمامة، وخوفوهم من ثبوت الدولة، ورسوخ الصولة، ولهجوا بأن لا تثبت دولة لديهم من دون سائر البلدان، ولا يقابلوا الأوامر بالإذعان، فلما أعياءهم وكثر عندهم، وعلم الإمام % أن الدعاء لا تأثير له فيهم استخار الله سبحانه وأذنهم بالحرب، واستدعى خيلاً من الجوفين، فوصل إليه قدر ثلاثين فارساً وكان حيي سيدي أحمد بن الناصر لدى سيدي المولى حفظه الله، والسيد العماد يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن يحيى بن مهدي بن الهادي الشهيد بزبيد بن علي بن الحسن -المقبور بالبياض من جهة مسور خولان- بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل بن يحيى بن محمد بن سليمان بن أحمد بن الإمام المعتضد بالله يحيى بن الإمام المختار لدين الله القاسم بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي لدين الله يحيى بن الحسين % الشامي اليحيوي، وهو من ملازمي مولانا %، وأهل محبته ومرافقته وملازمي بابه، رجل من أهل الكمال، يعد في فحول الرجال.

[معركة الإمام عليه السلام مع أهل عمران وجهاتها]

فجمع مولانا % رجال حاشد لحرب المفسدين، البغاة المتمردين، فوقعت الحروب الأولى في قرية المنجدة طرف قاع البون^(١) المعروف، ولم يحضر - من رجال حاشد إلا الصيد الذي الإمام في بلادهم حال بين أظهرهم، فوقعت الحرب وقد اجتمع من المفسدين جم غفير، فكانت أول النهار الهزيمة في جانب أصحاب الإمام %، ثم عادة الكرة على المفسدين والعاقبة للمتقين، وثبت الله أقدام المجاهدين، فرجعوا عليهم فهزموهم هزيمة قبيحة، وقتلوا منهم قتلاً كثيراً لم يعلم عددهم، وقطعت منهم الرؤوس، وسلبت النفوس، وأيد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، وهذه الحرب حضرها مولانا % بنفسه الكريمة، وبعد هذه اجتمع الأعداء من كل أوب، وأقبلوا من كل صوب، فتحزب الأحزاب، أعداء السنة والكتاب، أهل جبل عيال يزيد، وكل شيطان مريد، ممن أجاب صارخهم، واتبع ناعقهم، من أهل قارن، والمصانع، والسود، وبني قطيل، وعيال سريح، ومن أجاب صارخهم، من أهل وادي ضيان، وبلاد ثلا، وبني عبد، والغولة، هؤلاء المجتمعون على الخلاف ومفارقة الحق والبغي والفساد، وكان مقدارهم إحدى عشر ألف أو يزيدون، واقتسموا فريقين، فريق منهم في قاع جوب وفريق في جهة عقبات.

وكان قدوم مولانا وإمامنا أمير المؤمنين المتوكل على الله %، ومن نهض معه من قبيلة حاشد، وحضر هذه الواقعة السيد الرئيس الهمام أحمد بن قاسم بن أحمد بن المنصور صاحب شهارة في جملة أصحاب الإمام، ومن رؤساء بكيل النقيب رسام بن سنان الأرحبي، والقاضي حسين بن محسن العلفي من هجر أرحب أهل دار علا^(٢)،

(١) بفتح فسكون قاع فسيح يمتد من جنوب مدينة عمران إلى شؤابة ومساحته ٦٠ كيلاً تقريباً في عرض ستة كيلو مترات، وقرية المنجدة قرية كبيرة من مديرية خاراف محافظة عمران. المعجم (١/ ٢٠٥).

(٢) كذا في الأصل، ولعلها دار علي.

وشيخ خبة أرحب الشيخ راجح وغيرهم، والشيخ سعيد بن صالح جعفر الرجوي الأرحبي وقبائله أهل الرجو، هؤلاء من شيعة الإمام % من أرحب، والجميع حينئذٍ قدر خمس وعشرين مائة، بين صلاتي الظهر والعصر، ورتبهم مولانا % ترتيب الحرب، فكانوا ثلاث عصابات قبيلة خارف لهم الميسرة، وبني صريم وبعض خارف في القلب والميمنة، وهم في معترك القتال، وموطن النزال، ومقمة الأبطال.

[كرامة الإمام عليه السلام]

فقرب العدو مع كثرتهم من قرية المنجدة، فأشفق الإمام % وأصحابه من قربهم من القرية مع كثرتهم وخافوا دخول القرية بقوتهم فأخذ الإمام % ثلاث قبضات من التراب ورمى بها في وجوههم وقال: شأهت الوجوه، كما فعل جده المختار في غزوة بدر الكبرى، فوقعت الهزيمة العظمى، والوقعة الكبرى، في أعداء الدين، ومخالفى الأئمة الهادين، من عترة خاتم النبيين، فهزموهم هزيمة عظيمة، وفروا لا يدفعون عظيم^(١)، ولا يلوون على قتيل ولزيم، وقطعت منهم الرؤوس، ولاقوا الويل والبؤس، وكان عند الفاسقين يوم عبوس، وكانت القتل من المفسدين ثلاثين، ومن المجاهدين اثنان وعشرون، وأنزل الله نصره على وليه وابن بنت نبيه، وهبت ريح حمراء بعد رمية الإمام % بالحصى، فأنزل الله عليهم الذل وولوا مدبرين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

وبعد هذه الوقعة الكبرى، والنصرة الغراء، دخل أكثر أهل تلك البلاد في الطاعة وأذعنوا للأوامر المطاعة، واستقر الإمام % في تلك البلاد مقدار سنة، وحصل في

(١) الصواب: عظيماً.

أصحابه مرض حتى عم جميع من في مطرحه، وسلمه الله من المرض، وكان % يتفاقد المرضى بنفسه النفيسة، ويباشر ما يحتاجون إليه في بعض الأحوال، وتلك سجية الأئمة المرضية، من عترة خير البرية، فجزاه الله عن المسلمين والإسلام خير جزاء، فلقد أحيا ما اندرس من الشرائع، وأمات النكير والبدع والفضائع.

فتنة البليلى بصنعاء

وكان في مدة بقاء مولانا أمير المؤمنين في هجرة الصيد ثوران فتنة في مدينة صنعاء، وذلك في سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف، أنشأها رجل من أهل سوق الطعام يقال له علي بن محمد البليلى، وأهل صنعاء في تلك المدة معتزون إلى الإمام في ظاهر الأمر، يقيمون الخطبة باسمه، والأمر بيد الشيخ محسن بن علي معيض، وهو الكافل لإدراكها، والقابض لملاكها، وكان في تلك الليلة بروضة حاتم وعمالة المدينة إلى الفقيه علي بن عبد الله الأنسي، فلعله خاطب أهل سوق الحب بمفروق، وكرر عليهم الخطاب، وشدد في الحساب فثار أهل ذلك السوق وشيخهم الذي ذكرناه، وثار معه بعض العصارين على بيت العامل ورجموه وسلبوا خدمه، وأفزعوا حرمة، حتى أنه رمى بنفسه من طاقة مكانه الذي هو فيه إلى بستان مسجد موسى المعروف، وفر إلى القصر وقد انكسرت رجله كما بلغ، وبعد هذا تألب أكثر أهل صنعاء وعضدهم أصحاب الإمام عن غير أمرٍ لهم بذلك، ولكنهم ظنوا أن أهل صنعاء قد أجمعت كلمتهم على التبري من شيخهم المذكور، وأنهم قد خلصوا وأرادوا انفراد أصحاب الإمام بالحل والإبرام، فتألب قبائل الحواز من بني الحارث وسنحان وبني حشيش، وأبو جابر المشهور في قبائل سنحان مع أهل صنعاء، وحاصروا القصر وفيه أصحاب الشيخ محسن معيض وقد وصل من الروضة ودخل القصر من باب ستران المعروف وبقي الحصار على القصر، وأسقط في يد محسن معيض وأجمع مع أصحاب الإمام ومن إليهم أكثر أهل صنعاء ووضعوا عليهم قاعدة في طاعة الإمام وأنهم مؤتمين بإمامهم، مرجعين أمورهم إليه، وأكثرهم للحق كارهون، وقد بقي بعض منهم في الجهة الغربية مما يلي باب السباح لم يدخلوا فيما دخلوا فيه، وقد دارت المخاطبة من الشيخ محسن معيض على أن يترك أمر صنعاء إلى أصحاب الإمام ويسكن بيته وشرط غرامته، وكان

الخطاب في ذلك دائراً، وقد أعمل المائلون عن اصحاب الإمام الحيلة، وناقضوا أكثر من قد أظهر الانقياد في سلك أصحاب الإمام ومن تبعهم، وطلع أكثر عقال أهل صنعاء في الليل إلى القصر، وشددوا على محسن معيضة وأنه لا يساعد إلى مرام، ولا يجيب إلى ذلك الكلام، وأنهم معه أعوان، فلما أصبح خرج من القصر من باب ستران ومعه طائفة من العسكر، ودخل من باب السبحة، وتلقاه أهل صنعاء بالطاعة والتنصير وانشالوا عليه، ف قرب القبائل من صنعاء وخرجوا هاربين، وكذلك أصحاب الإمام خرجوا منها في ساعة دخول محسن معيضة ومولانا الإمام % باقي في هجرة الصيد، وقد كتب إليه أولئك الأعوان وكافة القبائل، وعزم سيدي أحمد بن الإمام الناصر - رحمه الله - وهم يحثونه على الوصول إلى صنعاء، فلم يسعد إلى ذلك ولا ساغ عنده، وكان % قد نظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، وأن هذا الأمر شواهدة إلى غير تمام، فأعرض عن الوصول، وأبى عن القبول، وما زالت آرائه الصائبة، وأنضاره الثاقبة، تمد إلى الصواب، فإننا قد تتبعنا كثيراً ممن يظن فيه الظان أنه تراخى فيه عن فرصة حصلت فينكشف عند المآل أن رأيه أصوب، ونظره أثق، ولأمر ما يسود من يسود، وحكمة الله أنفع فيمن يوليه أمور عبادته يلهمه النظر الدقيق، ويمده بالألطف والتوفيق، فإن هذه الفتنة أسفرت عن إضمار المكر من أكثر أهل صنعاء الذين اجتمعوا إلى سيف الإسلام وأصحاب الإمام، ويوافقونهم في الكلام، وبواطنهم مائلة إلى محسن معيضة ومن تبعه، فإنهم مع دخوله في شريعة يسيرة انشالوا إليه، ووجهوا الخطاب عليه، وكانوا له يداً وساعداً وأعظم قائد مساعد، ومع هذا فسيدي المولى أيده الله وشيخ الإسلام - رحمه الله - لم يصوبا انخراط من انخرط مع أهل صنعاء لعلمهما أن ذلك لا طائل تحته، وأنه منشأ فتنة، ولكن الله سبحانه جعل في طي قدرته في ذلك خيراً كبيراً لما سيمر بك في السيرة من الأسباب الداعية إلى قوة الحق وكثرة أنصاره.

[دخول حسين بن المتوكل صنعاء]

فإنه لما استقر قرار الشيخ محسن بن علي معيضا بصنعاء، واتخذها محلاً وربعاً، وقد تشوش خاطره من أصحاب الإمام، وتصور أن لسيدي المولى في ما فعلوه مرام^(١)، خلع هو وأهل صنعاء وأكثر أهل الجوار الطاعة وسولت له نفسه أن يعتزي إلى حسين بن المتوكل أحمد بن المنصور علي بن عباس وينصبه خليفة، ويمكنه من دخول صنعاء، فعزله أهل العقول، وبين له فساد رأيه أكثر الفحول، فجذ في مطلبه، ولج في مأربه، واستدعى حسين بن المتوكل فدخل صنعاء، ومكنه من القصر - وبقي فيه، وتسمى بالخلافة، وارتقى سنام الخلاف والمخافة، وتصور الأعداء أن يطفئوا نور الله، وقد تقدم لهذا حسين بن المتوكل ذكر في التراجم، وما هو عليه من فساد الباطن، وقوة الضغينة وشدة العداوة لشبيعة الحق وأتباع الهدى، وخلاصة أهل الوفاء، الذين عناهم الشريف العلامة المجتهد علي بن عيسى بن وهاس السليمانى - وهو بضم العين كما ضبطته - لما بلغه أن الشريف فليته أمير مكة آخر الهواشم الذين غلبوا على إمارة مكة أيام العبيديين ملوك مصر سجن جماعة من أهل اليمن الهدوية حجاج، فكتب إليه الشريف علي وهو الذي ذكره العلامة الزمخشري في خطبة الكشف أبياتاً منها: [من

الطويل]

علام تبقي في السجون عصاةً

على الحق وألوا جلدك المتخيرا

ولم يعدلوا حقاً بكم آل أحمدٍ

ولا أخروا إذ أحر الناس حيدرنا

(١) الصواب: مراماً.

فإن هذا المفتون الغمر، قد تصور في ذهنه عداوة فقهاء الشيعة، حتى أثار عنه أنه تحدث أنه إذا تمكن لا يبقى فقيهاً في الدنيا، وأنه سيقتلهم حتى يتمنى الناس وجود من يُعلّم الصبيان المكتب، فأركسه الله بنيته الخبيثة، ورد كيده في نحره، وخيب أمله، وأفسد عمله، فإنه لما دخل صنعاء وتسمى بالخلافة حصلت منه الكانية التي هي رمد جفن الدين، وكمد نفوس المؤمنين على حي الفقيه العلامة السالك في رضا الله بقية المدرسين في مدينة صنعاء الحسين بن عبد الرحمن الأكوع، وصنوه الفقيه محمد بن عبد الرحمن بغياً وعدواناً، وظلماً وبهتاناً، وقد تقدم ذكر ذلك على ضرب من التفصيل يغني عن الإعادة، فإنه بتلك القضية هتك منصب العلم الشريف، ودوي روض نهره المنيف، ووقع منه ومن نصبه تعدّي على من عرف في صنعاء بالتشيع ومحبة أهل البيت، والميل إلى إمام الزمان، وهتكوا من هتكوا، وانتهكوا من الحرم ما انتهكوا، حتى خافت الشيعة، وفر من يجد منهم ملجأً أو محلاً يأوي فيه إليه، ويحصن فيه عرضه.

وكان إمامنا ٥% بهجرة الصيد، فلما بلغه نكت أهل صنعاء وما وقع في جناب الشيعة وما صدر في جناب الأخوين من القضية الشنيعة، اغتار على الإسلام من فعال أولئك اللئام، المردة الطغام وعظمت عنده القضية.

وقد كان شيخ الإسلام العلامة الجهبذ القرشي، وحي الولد العلامة أحمد بن أمير المؤمنين الناصر، والأخ العلامة العزي محمد بن أحمد المطاع، حرضوا من بقي على العهد والميثاق من شيعة الإمام على الثبات والدوام، فكان شيخ الإسلام في قرية حزيز، وسيدي الصفي والأخ العزي في دار سلم، ومعهم الشيخ المجاهد الناصح المخلص محب آل الرسول صالح بن ناصر القوبري في طائفة قليلة من أصحابه، وأكثر أهل محله للحق كارهون في تلك المدة، فلما تفاقم الأمر وخشي الأصحاب من ميل الناس إلى الظلمة مع تكرار المكاتبة إليهم ممن في صنعاء، والترغيب والترهيب، وإرسال الوسائط

وبذل الرغائب، واختل أكثر المبايعين والمتابعين ودخل من دخل صنعاء، ونبذوا طاعة الإمام وراء ظهورهم، وقد كان أهل قرية بيت سبطان وشيخهم الشيخ علي بن أحمد قطران اعتزوا إلى الإمام وطلبوا أن يكونوا قطعه لشيخ الإسلام، واستمد رأي الإمام، فكان ذلك من الأسباب، فوصل إليهم شيخ الإسلام والأخ العزي محمد بن أحمد المطاع، وبقوا هنالك أياماً يكتبون مولانا الإمام ويحثونه على الوصول ويكررون الرسل، فلما وجد الأمر قد تعين عليه، مع أن أكثر الناس قد رجعوا في الحافرة، وخسروا خير الدنيا والآخرة، ووالوا أهل الظلم والفساد، وأنسوا من جهة الإمام، وقالوا صمي صمام، لا خلف ولا إمام.

[وصول الإمام عليه السلام إلى أرحب ثم إلى صنعاء]

فعند ذلك نهض مولانا ٥٠٪، إلى جهة بلاد أرحب وأقام في بوسان^(١) وحث أهل المحبة والوداد، على التجرد للجهاد، وإعداد اللهازم الجداد، وتجريد الصافئات الجياد، فاجتمع معه طائفة من المؤمنين، وعصابة من المحبين، وتجرد لرضا رب العباد، مع علمه أن أكثر الناس قد قلبوا ظهر المجن ومالوا إلى داعي الفتنة، ولكنه توكل على الله سبحانه وفوض أمره إليه، وعمل على بذل النفس في طاعته جل وعلا، فنهض من بوسان في جيش جرار، وفتية أحرار، كما قال الحماسي: [من البسيط]

قوم إذا بشر—وانادى وأيقظهم

طاروا إليه زرافات ووجدانا

ولا يسألون أخاهم حين يندبهم

للنائبات على ما قال برهاننا

وسرى من بلاد أرحب ليلاً، ووصل مطرح بيت سبطان، وكانوا قد أيسوا من وصوله وكادوا أن يتفرقوا كل إلى جهته، فحصل الفرح والسرور مع المحبين، والحزن والكرب مع المبغضين، وعند وصوله كفل إدراك القرية والحصن الذي أعلاها، والنوبة الشرقية التي أسفلها، ورتب ذلك من أصحابه الذين يثق بهم، ويركن عليهم، ثم رتب أدراك هجرة سناع وكفلها جميعها واستقر به القرار، واطمأنت به الدار، وألوت بالناكثين المصائب، وتواترت عليهم النوائب، وبطل تدبيرهم، وخاب سعيهم وغرورهم، واشتد عليهم الأمر وكادوا

(١) بوسان: بفتح الباء وسكون الواو من قرى أرحب شمال مدينة صنعاء.

يهلكون أسفاً، إلا أنهم أظهروا الجلد، وصالوا في البلد، وتشددوا على الشيعة والمحبين، واجتمع من الأعداء كل رئيس مخذول، وفاسق مغلول، وطامع أكول، وأعملوا المكائد، ونصبوا المصائد، و ﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يَتُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقد مالوا على أهل صنعاء، وأخذوا منهم مالا، وأنفقوا أموالهم لإطفاء نور الله، ومعاندة أولياء الله، وصدق عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُخْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

[وقائع بين الإمام عليه السلام وأهل صنعاء]

وكان وصول مولانا أيده الله إلى بيت سبطان في أوائل شهر رجب سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف، وأرسل إلى الجوفين فوصلت خيل جياد، وفتية أمجاد، وقطع مواد المفسدين، وألوا بهم من كل جهة، فخرج حسين بن المتوكل في بعض الأيام للتمشية، وسول له شيطانه مد شوط المسير إلى أن قارب الحفا المعروف، فخرجت عليه وعلى أصحابه الأجناد الإمامية ففروا فرار الأبق المريب، إلى حيث يعوي الذيب، وانقلبوا خاسرين، وقهقروا مدبرين، والحرب في آثارهم، والصوائح في أدبارهم، حتى دخلوا صنعاء في خزي ووبال، وذل ونكال، ثم دبوا للخرجة أخرى، وجمعوا من قدروا عليه من أحزاب الضلال، وقد كان وقع عليهم من أصحاب الإمام هزائم ونهب، وكمن بعض أصحاب الإمام أسفل جبل نقم فخرج أهل صنعاء قضهم بقضيضهم، ومن لديهم من قبائل بني جبر الذين استخدموهم، وأهل وادي الأجبار، وأهل دار سلم، وأصحاب الإمام الذين تلقوا هذه الواقعة قليلون قدر ستين نفراً، ولكن الله

سبحانه ثبت أقدامهم وقوى عزائمهم، فثبتوا ثباتاً عظيماً، وقتلوا من البغاة وردوهم خائبين لم ينالو خيراً وكفى الله المؤمنين القتال، ثم خرج المخذول مرة أخرى وأراد الوصول إلى قرب بيت سبطان لإظهار القوة، وإيهام السطوة، وأغار الأجناد الإمامية فولى البغاة الأدبار، وذهبوا إلى دار البوار وبئس القرار، ثم دبر أهل صنعاء وإمامهم المخذول تدبيراً ظنوا أنهم يظفرون بطائل، ويصلون إلى نائل، وهو أنهم استدعوا من علموا منه الميل إليهم وعداوة الحق من بني شهاب، وبذلوا لهم شيئاً من الحطام، وأبرموا أمرهم على طلوع قبائل بني جبر الذين استدعوهم واستظهروا بهم على حرب الإمام، يقفون في جبل عيبان فوق هجرة سناع وأهل صنعاء ورئيسهم ومن عندهم من قبائل الحواز يخرجون ويدخلون من أسفل سناع، وأولئك الطائفة من أعلاها، ووثقوا بذلك التدبير، وأن أخذها عليهم يسير، وأنهم سيستريحون من الإمام، ويأخذون مطرحة بسلام، فخرج أهل صنعاء بعد أن أرسلوا بني جبر ليلاً ووافقهم أهل البغاضة والسباب، من بني شهاب، وكان الإمام في ذلك اليوم في قلة من العسكر، ولا علم عنده ولا خبر، فلما وصل أهل صنعاء أسفل بلدة سناع ودخلوا بين أشجارها وهم بشرٌ كثيرٌ، وجم غفيرٌ، وجموع من تكسير، شعراً: [من الوافر]

وخيل لا يحزله طعينٌ

كأن قنا فوارسها ثمام

فلما علم الإمام % خرج في طائفة الحق وهم قليل قدر أربعين نفرأ، والذي في سناع حي سيدي أحمد بن الناصر وهو المحل من جهتهم، ونفذت الصواريخ إلى الشيعة من سنحان من طريق الإمام فاجتمع منهم عصابة انضموا إلى من كان بحضرة الإمام ووقفوا في وجوه الذين انحدروا من الجبل فقذف الله الرعب في قلوب المفسدين، فاستمروا راجعين، وولوا مدبرين، لا يلوي منهم أحد على أحد، والقتل والسلب في

أعقابهم، وبعضهم ضل عن الطريق وأخذ أسيراً، وقطع منهم رأس من أهل صنعاء، ولولا أن القوم قليل لأخذت جميع أسلحتهم كونهم أجفلوا إجمال النعام، قد استثقلوا ما عليهم من اللباس، وتغير منهم الحواس، واعتراهم الذل والإبلاس، شعراً: [من البسيط]

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم
إذا رأى غير شيء ظنّه رجلاً

[من كرامات الإمام عليه السلام]

وكانت هذه من كرامات مولانا الإمام وبراهينه التي سطعت في جبين الأنعام، فإننا سمعنا من كثيرٍ منهم أنهم رأوا الجبال والحوائط والقاع والسهل والجبل رجلاً وخيلاً، وأنها انسدت عليهم المسالك، وألوت بهم المهالك، وحسبوا أن كل صيحة عليهم، وكل رمية مسددة إليهم، وظنوا أن قد هلك أكثرهم مع أن غارة أهل حزيز وأهل دار سلم من أنصار الحق ما وصلت إلا وقد فروا ولم يظفروا إلا بآخر الواقعة، فهذه الكرامة مما يتوضح بها برهان إمام الحق، وأنه من الطائفة الذين نصرُوا بالرعب على الطريقة النبوية، والغزوات البدرية، وكم لهذه من نظائر وأشباه، ولكن على الأبصار غشاوة، وعلى القلوب رين وغباوة، فإن هذه الكرامة اشتهرت عند العدو والصديق والقريب والسحيق، وكما قال المنصور بالله % : [من الوافر]

فيالك موقفاً ما كان أسنى
ولكن مـرر في آذان ضـم

وصول أهل الشرفين ومتفق أهل ضلع معهم

وبعد هذه الواقعة وهي في شهر شعبان من سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف تتابعت الوفود، وتكاثر الجنود، ووصل إلى مولانا أهل الشرفين متجردون للجهاد،

متبركون بالإمام ٥٠٪، سامعون لدعوته، مجيبون لواعيته، وفيهم جماعة من الأعيان، وطائفة من أهل الإيمان، وسلموا ما لديهم من الواجبات، ووقفوا في حضرته، واستضاءوا بباهر غرته، وهم أهل محبة للحق خصوصاً لمولانا الإمام، فأقاموا لديه إلى أثناء شهر رمضان الكريم، وعزم بعضهم بإذن الإمام، وبعضهم تسامح في الإذن، وعزم من غير إذن ونفس الإمام عليهم غير طيبة، كونه قد عزم عليهم في البقاء، ولم يرخص لهم في العود في تلك الحال، وبلغ أنه خير عليهم ودعا على من تعدى أمره وخالف رأيه، فتساهلوا بحقه، وقصروا في طاعته، فعزموا حتى انتهوا إلى ضلع بلاد همدان، ودخلوا بعض مساجدها يريدون من يدهم الطريق، ويبلغهم قصد السبيل، فاثقال عليهم أولئك البغاة، وحصروهم في ذلك المسجد، ولم يجدوا إلى القتال سبيلاً، كونهم من فوقهم ومن تحتهم، وطلبوا الأمان وأخذوا أسلحتهم وأخرجوهم إلى الطريق، وقد فعلوا هذه الغدرة الشنيعة، والفضيحة الفضيعة، وسودوا وجه المروءة والإيمان، وتعدوا الطريقة الآمنة، والمسالك الساكنة، وباؤا بغضب الله، واستحقوا مقت الله، وأمنوا مكر الله، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون، فبعداً لهم وسحقاً وجدعاً وعقراً، لا فعلوا فعل كرام القبائل، ولا سلكوا نهج أهل الإسلام، ولا قوا بالأمان الذي نقضه خلاف الإيمان، وهم طائفة من الباطنية الملحدة المعطلين للشرائع، المنكرين للصانع، الذي ذكرنا إلحادهم، وبيننا فسادهم، فيما سلف قريباً في هذا الكتاب، أعداء الحق، وأحزاب الباطل، وإخوان الشيطان، وأهل الزور والبهتان، ينكحون بناتهم وأمهاتهم، فلا غرو أن يصدر منهم مثل هذا الفعل الخبيث، ولا تستنكر منهم إلا فعل المعروف، إذ هم أهل كل رذيلة، وأصحاب شر قبيلة، أقمأهم الله وأبادهم، وأظهر سيوف الحق عليهم، وطهر الأرض بدمائهم.

وقد قال في ذلك السيد العلامة الأديب عبد الرحمن بن محسن جحاف السابق ذكره هذه الأبيات، والبيت الآخر فيه تاريخ على قواعد المتأخرين وهي قوله: [من الوافر]

سلام طيبٌ أبداً يدام
 يخصّ إيماننا العلم الحسام
 مدى الأيام لا ينفك يوماً
 ويشمله وشيعته الكرام
 هو المختار من أبناء طه
 يقول الحق وانقطع الخصام
 إذا اجتمعت بنوا الزهراء يوماً
 وقيل من المفضل والمقام
 توسمت الملا في الآل طراً
 تقول هو المقدم والإمام
 ورحمة ذوا الجلال عليه ترا
 مدى الأوقات ما سجع الحام
 تطارحني شجاها ثم إني
 أبث لها وفي القلب اضطرام
 إذا جمدت مدامعها فعيّني
 سويهره وغرقى لا تنام
 لفعل أراذل الأوباش جمعاً
 شرار الناس لا كانوا وداموا
 هم شرّ البرية لا مرء
 دوام الدهر ما عاشوا لثام
 ألا يا صاح همدان أطاعوا
 هوامهم إنهم قوم طغام

وناموا عن نهار الحق حتى
 رأوا ليل الضلال دجى فقاموا
 فضلوا عن سبيل الرشدا
 سعوا في نهب من لهم المقام
 لقد جاؤوا بذنب ليس يعفى
 يذوب لفعله الصمّ الشام
 وظنّوا أنهم جاؤوا بفخر
 وعقباه هوان مستدام
 هم أصحاب طاغوت وفسق
 ومفسدة فلا لهم احترام
 ومهما قام داعي الحق يدعو
 سعوا للخذل لا كانوا وداموا
 وهذا دأبهم في كل وقت
 خباث عن هدى الداعي تعاموا
 لملكهم أتى التاريخ حسباً
 وقل لي قد يصيبهم الجنام

١٢٨١ هـ

انتهت. والله من ورائهم محيط، وهو عليهم قدير.

ومما قاله السيد المذكور عافاه الله مادحاً لإمام العصر - سلام الله عليه، ذكرته مع وجدانه فقلت: هذا إبانة وهو قوله: [من الطويل]

مضى - زمنٌ أدركت فيه مقاصدي

وجاورت قوماً بَصْرَوني مراشدي

فليتني لهاتيكَ الديار البعائد

وياليتهُ ذاك الزمان بعائد

كتمت هوى الأحاب خيفة لومي

ونار الجوى في القلب ذات ترايد

فباحث بأسراري دموعي بمقلتي

أخفى الهوى والدمع أعدل شاهد

جَفَوني وقاضي الحب يحكم بالهوى

بهجرٍ وصبٍ واعتماد تباعد

فياليت شعري هل أُسرُّ بوصلهم

كمثل سروري بالإمام المجاهد

أخو الفضل مولاي المسمى بمحسن

فلقياه عندي من أسر المقاصد

أتاني كتابٌ من ذراه مبارك

كثير المعاني الغرجم الفوائد

فصيرته لي رقية أي رقية
 بقي من طواري الدهر أو كيد كائد
 هو العالم النحرير والعلم الذي
 إلى ذاته تعزى جميع المحامد
 له كسب مجد واقتناء مكارم
 وأعزاز جارٍ ثم إكرام وافد
 وقد حاز كل المجد والفخر والعلا
 وحاز خصالاً ما اجتمعن لواحد
 فصاحة سحبان سماحة حاتم
 جمال بن يعقوب وفهم بن داود
 وصدق أبي ذرٍ وسطوة حيدرٍ
 وحلم الذي للبيت أول شايد
 وحكمة لقمان وعلم ابن مريم
 كذا أوبة السجاد أفضل عابد
 وزهد أويس ثم نجدة بيهس
 بلين طباع ثم طيب الموالد
 تملك بالإحسان منه غفائه
 وألهم أهل الشعر قول القصائد

ترى الناس أفواجاً إلى باب داره
 فكم قائم حول الإمام وقاعد
 همائم إذا لاقى العدة مكافحاً
 يذيق الردى والبؤس كل معاند
 حلیم على العاصين عند اقتداره
 عليهم ويعطي ماله كل قاصد
 شجاع حياة المجد رأس قناته
 كريم ميمت المال محيي القصائد
 أتى طالباً إعزاز دين محمد
 فهل فيكم يا قومنا من معاضد
 سجيته يقصي العصاة أقارباً
 ويدني مطيعاً من أناس أباعد
 فيا أيها المولى المكرم إنني
 حليف هموم كالجبال الرواكد
 لفقد جلس بالعلوم مذكر
 وكثرة دين وانتقاص عوائد
 إذا قل مال المرء لانت قناته
 وهان على الأدنى كيف الأباعد
 وما أهل هذا الدهر إلا معاشر
 قد اشتهروا طراً بنصب المكائد

فكم واحد يدي الوداد لسانه
وفي طيه البغضاء ذات تواقـد
فيقضي — بإظهار المودة حاجةً
ويرجع عنها إن ألمت شدائد^(١)
ويجعلها فخاً لنيل مأرب
وللمكر قد أخفى حبال صائد
فدم في ذرى العليا كريماً منعماً
إمام الورى واسلم على رغم حاسد
فربك أعطاك الفضائل كلها
عليك صلاة الله يا ابن الأماجد
انتهت.

[بعض الوقائع بين جيش الإمام عليه السلام وأهل صنعاء]

ولما تقوضت خيام شهر الله المعظم رمضان، وأسفر عن عيد الإفطار، وأهل صنعاء في ذلك الحصار، قد ألقى بهم الأدبار، وحق بهم الوبال والبوار، اجتمعت أجناد الحق، وأشياع مولانا الإمام للشمسية المعتادة ثالث شهر شوال المسمى يوم النشور، إلى الإمام % لعادة ألفوها، وقاعدة اتبعوها، في مدة الدولة القاسمية، واجتمع أحزاب الضلال، وأهل البغي والوبال، إلى صنعاء مع خليفتهم الذي عارضوا به ونصبوه، فخرج مولانا إمامنا المتوكل على الله %، إلى جهة صبر^(٢) الخولاني.

(١) في البيت إقواء فيتأمل.

(٢) بفتح الصاد وضم الراء من قبائل ضلاع همدان في شمال غرب صنعاء. المعجم (١/ ٨٩٦).

وخرج حسين بن المتوكل وأهل صنعاء وأحزابهم إلى الصافية العدنية، فلما تراءت الفئتان، والتقتا حلقتا البطان، أراد المخدول وجيله، أن يظهر النجدة والصولة، ويرهب على أجناد الحق بالجوالة، فقارب أصحاب الإمام وقد كانوا أرادوا الرجوع إلى المخيم المنصور، فأتار بعض المعاندين الحرب، وبرز في معترك الطعن والضرب، فرجعت الأجناد المتوكلية، وثار الحرب ودارت رحاها، واستطار لظاها، ورجع أخرها على أولها، فكان يوماً عظيماً عبوساً على الفاسقين قمطيراً، وكان المفسدون كثيرًا^(١).

وفيه من الرؤساء مثل أبي جابر المعروف، وعبد الوهاب بن مرج من رؤساء قبائل أرحب، ولكنه من أهل الفساد، والبغضاء والعناد، وأغار شيعة الإمام الذين بشعوب، فصادفوا بن مرج المذكور، فرماه بعضهم فوقعت فيه رصاصة، وأبو جابر وافقته الخيل فطعن طعنات وفر مرعوب الفؤاد، طائش الرقاد، وحققت الهزيمة في أعداء الدين، وحصلت الدائرة على المفسدين، وقتل السيد هادي العياني من أهل الروضة وهو من كبارهم، وكان شديد العداوة للحق وأهله، ومن يسرع إلى الحرب وإثارة الفتنة وإبداء العداوة، فهلك إلى غير رحمة الله، وقتل آخر من أهل الروضة يقال له حسين الفقيه، ورجلين من أهل صنعاء، وآخر من همدان، وانقلبوا صاغرين، وردوا بغيظهم خاسرين، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

ولم يقتل من المجاهدين أحد إلا جراحات يسيرة، وأيد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، وبعدها سقط في أيدي البغاة، وعلموا أن لا سبيل لهم إلى الخروج إلى مقارعة الحروب، والبروز إلى مواقف النزال، ومعترك الأبطال، واعتراهم الخذلان، وتتابع عليهم الأحزان، وصاروا في ذلة وهوان، وقوي المجاهدون، وكثرت الخيول

(١) في الأصل: وكان المفسدين كثير.

الصافنة من أهل الجوفين، فركضت في الطرقات، وبيتت الحرب عليهم وبات، وتقللت لديهم الأقوات، واعتراهم الشتات، وعلموا عاقبة النكث والخلاف، وصاروا على شفير التلاف.

وقد كان السيد محسن الشويح وأحزابه أقاموا بقرية عصر- مركزاً بزعمهم على أصحاب الإمام ودفعاً للمجاهدين عن قطع مسالك المفسدين، وكان في بعض الحالات يدخل إلى صنعاء لقبض النفقات والمقررات، فبلغ الأجناد المتوكلية التي بمطرح شعوب، وهم أهل بلدة جدر وبعض قبائل أرحب النقباء المجاهدين بيت العذري، والنقباء آل سنان، وبعض النقباء بيت الهجام، ومن حضر- معهم من أهل شعوب ومن الرتب فيه، وكمنوا في القاع الغربي مما يلي باب قاع اليهود ثلاثة مكامن في طريق عصر وهم يظنون أن الشويح ومن معه سيخرجون في ذلك اليوم إلى مطرحهم بقرية عصر فصادف ذلك اليوم خروج عسكر أهل الروضة المعتمين عند أهل صنعاء مظاهرين لهم على الخلاف، موافقين على الفساد، وفيهم شريف من ذهبان كان يترتب في الجهة القبلي من النوب التي في الدائر مقابلاً لشعوب، وقد كان في تلك الليلة كما بلغ يتكلم في جانب الإمام ٥٠٪، كما يعتاده الطغام، من السب والأذى، ووقع بينه وبين رجل من قبائل أرحب خصام، وهم يرمون بالبندق بأن قال له الأرحبي إن كنت شريفاً كما تزعم خرجت إلى القاع ولقيتني إلى هنالك، فأجاب أن من اعتذر فهو كذا.

فلما خرج أهل الروضة خرج صحبتهم، فصادف ذلك الرجل فارتميا بالبندق، فقتل ذلك الشريف المشؤوم، وصار إلى السحيق المذموم، في دار الهموم، وسلبت بندقه وهي من البنادق الغالية، وقتل ابن محمد الجحدري وابن شعلان السنحاني من أهل الروضة، ورجل من أهل بير العزب كان معهم، وأسر أربعة من أهل الروضة، من شياطينهم وأهل العداوة والبغضاء للحق وأهله، وسلبوا سلاحهم، وكان يوماً على

الكافرين عسيراً، وأهل الروضة هم رأس هذه الفتنة، وأساس كل محنة، فإنهم الذين أجمعوا مع محسن بن علي معيض في تلك الفتنة التي ذكرنا ودخلوا معه القصر- وألبوا واحتشدوا، ثم هم الذين كانت لهم العناية في دخول حسين بن المتوكل.

وهؤلاء أهل روضة حاتم هم رأس الشرور والمآثم، قد انهمكوا في هذه الأعوام على بغض الحق ومخالفة خلفاء الله في أرضه، واستحوذ عليهم الشيطان، وأغواهم بالخلاف والطغيان، وهم الذين أجمعوا على الشيخ محسن بن علي معيض وهو لديهم في إدخال حسين بن المتوكل صنعاء وتمليكه الأمر، معاندة منهم لأمر المؤمنين، ومضادة لأهل الدين، فلهذا أوقع الله بهم عقوبته، وصب عليهم سطوته، فإن في وقعة النشور كان القتل منهم، وفي هذه الوقعة كذلك قتل منهم من قتل وأسر من أسر، ونزل بهم العذاب، وتقطعت بهم الأسباب، وذاق محسن معيض عاقبة أمره.

[اختلاف محسن معيض وحسين بن المتوكل]

فإن الله سبحانه دق بينه وبين خليفته الذي عول عليه، وألقى مقاليد الأمر إليه، عطر منشم وهم فيه بالوقعة، وفعل ما اشتهر من الغدر به، فإنها لما توالى عليهم الوقائع، وترادفت الحروب، وتكاثرت الكروب، وأخذت منهم أجناد الحق بالمخنق، وضيقوا عليهم سعة البسيطة، وصاروا في أضيق حال، عدم حسين بن المتوكل القوات، وانقطع عليه ما كان يجريه له محسن معيض من صنعاء، فأراد أن يقبض عليه، ويستقل بالأمر، فأعد جماعة من أهله في القصر بعد رجوعه من صلاة الجمعة، واستدعى محسن معيض، وأمر بحبسه وأخذ بندقه وجنيته، فخرج الخبر إلى عسكر الروضة وهم حينئذ بالميدان، فصاح الصائح إلى أن بلغ أهل صنعاء فثاروا جميعاً، وأحاطوا بالدار، وتابعوا

الرمي إليها بالبنادق والحجارة، فسقط في يد حسين بن المتوكل ومن عنده من آل الإمام القاسم بن محمد، ودخلوا عليهم، وأخذوا سلاحهم، وأودعواهم الحبس جميعاً، وأمر حسين بن المتوكل بأن يخرج من صنعاء بعد أن أخذ له الأمان من محسن معيض، فخرج بأهله إلى الروضة في حسرة وندامة، وأهوال يوم القيامة، ذليلاً مدحوراً، حزيناً مقهوراً.

وهكذا من عاند الحق وسيله، وخالف الهدى ودليله، ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء، وخالف بين قلوبهم، وسلط بعضهم على بعض ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَاءَ﴾^{٢٥} **وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا** [الأحزاب: ٢٥] وهذا من براهين مولانا الإمام التي لا تزال تتجدد، وآياته التي لا تجحد.

وبعد هذه القصة استقل محسن معيض بأمر صنعاء وجنود الحق آخذة منها بالمخائق، لازمون له المضائق، وأمور أهل صنعاء مختلة، وحالتهم مضمحلة، وقد وإلى أهل شعوب ولديهم أجناد من قبائل أرحب وكل يبهس أغلب، وكذلك لديهم عسكر من أهل جدر ومن رؤساء حاشد الفقيه أحمد بن إسماعيل الرضي، والنجيب علي بن مثنى القديمي، وجماعتهم من رجال الصيد حاشد، وعليهم في أول الأمر حي سيدي العلامة الصفي أحمد بن الإمام الناصر - رحمه الله - ورضي عنه، فعرض المرض الذي أفضى إلى وفاته وهو هنالك، فحمل إلى سناع وأهله بها، فكتب الله وفاته كما تقدم في ترجمته السابقة.

فجعل مولانا الإمام على مطرح شعوب القاضي الرئيس الكامل الحسام محسن بن محسن بن إسماعيل العلفي القرشي من قرابة حي شيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل رضوان الله عليه، فبقي هنالك مدة، ثم أرسل الإمام القاضي حسين بن إسماعيل جعمان للقيام بهذا الشأن، فأعمل الفكر فيما يقرب أهل صنعاء للطاعة، وعامل جماعة

من العسكر وأهل شعوب، وجعل لهم جعلاً على أن يرتقوا إلى الدائر القبلي بين باب شعوب والخنادق القبلية، ففعلوا ذلك وقبضوا ثلاث نوب مما يلي الجهة المعروفة بسمرة، فلما بلغ أهل صنعاء ومن لديهم من القبائل سقط في أيديهم وعظمت عليهم القضية، واشتدت بهم البلية، فثاروا بأجمعهم وأغاروا قضهم بقضيضهم، وظنوا أنهم يخرجون من في النوبة والدائر، وأثاروا الحرب، وأقاموا سوق الطعن والضرب، فثبت أصحاب مولانا الإمام ٥٠٪، وأرسلوا ما في بطون البنادق فصبت على أهل صنعاء شأيب الموت الزوام، وألجأتهم إلى الإنزاع، وقد قتل منهم كثير، وجرح من جرح، وأصحاب مولانا الإمام في عافية وإنعام، لم يمسه سوء بمشيئة الله وعونه، فرجع أهل صنعاء في خيبة وخسران، وإدبار وخذلان، وثبت أصحاب مولانا الإمام، وسهلوا الطريق إلى مطرحهم في شعوب، فانسأقت إليهم الكفاية والمدد، وانقطع طمع أهل صنعاء عن خروجهم فصاروا في خوفٍ شديد، ووجلٍ ليس عليه مزيد، واستدعوا قبائل همدان، وجعلوهم في بيوت السائلة مقابلين لأصحاب الإمام.

وفي خلال ذلك تابع قبائل بني حشيش دعوة الحق، واجتمعوا على المناصرة، ووصل منهم عصابة إلى سنوان وقطعوا مسالك أهل صنعاء من تلك الجهة، فعظمت على أهل صنعاء المشقة، وبعدت منهم الشقة، وأدار جماعة من همدان ومن قبائل سنحان الخوض في الصلح، وأن أهل صنعاء يدخلون في الطاعة ويوافقون على الجماعة، فبقي الخوض يدور على هذه الرحى، وهم يقربون ويبعدون، وقد خامرهم الخوف والوجل، وعرفوا عاقبة الخطأ والزلل.

[استسلام أهل صنعاء ووصولهم إلى الإمام عليه السلام]

ولم يعلموا أن سجية إمامنا 9، كسجية جده سيد الأنام، في تأثير العفو عن الآثام، وعدم الرغبة إلى الانتقام، فانبرم الصلح بعد أيام، على دخول سيف الإسلام صنعاء نائباً عن الإمام، وبقي عاقل صنعاء الشيخ محسن معيض فيها على الأمان، فسوّل له الشيطان الفرار، ومفارقة الديار، وفرّ إلى روضة حاتم، ودخلت صنعاء وأهلها في الطاعة، وألقوا مقاليد أمورهم إلى الإمام، وخرج أعيان المدينة وعلمائها وقضاتها إلى حضرته بمحروس هجرة سناع، وأخذت منهم العهود، وألقيت في رقابهم العقود، وتطوقت بها الأعناق، وتحدث بانخراطهم في الطاعة أخلاط الرفاق، ودخلها سيف الإسلام محمد بن محمد بن قاسم بن أحمد الحسيني الحوثي، وأعوان الإمام مثل الولد العلامة محمد بن يحيى بن حميد الدين والياً على جزية اليهود وبيت المال، ووساطة بلاد البستان، والقاضي حسين بن إسماعيل جفمان متولياً على المخزان والوساطة، وصنوه محمد بن إسماعيل جفمان عاملاً على صنعاء، والقاضي يحيى بن جعفر متولياً على الوقف والنيابة في القضاء، واستمرت الأمور على هذا النمط.

[دخول الإمام عليه السلام صنعاء وذكر بعض النقباء الذين

جاهدوا معه]

ثم دخلها مولانا الإمام بعد ذلك بقدر شهر بأجناد يضيق لها الفضاء، وترك ما مرت عليه كأمس الذي مضى، فلما دخلها نظم أمورها وسد ثغورها، ورتب أدراكها ممن يثق به من خواصه الذين جبلوا على محبته، وعقدوا الضمائر بخالص مودته، وبقي قدر ستة أيام في القصر، ثم رجع إلى دار هجرته، ومستقر عزه ودعوته، هجرة سنع وبيت سبطان وأمور صنعاء منتظمة، والأوامر فيها نافذة، واليد قويّة، وأقبلت سائر

البلدان، بالطاعة والإذعان، والمكاتبة من كل مكان، وقيلت في ذلك الأشعار والتهاني ممن بقي من أدباء العصر، وقد تقدم ذكر قصيدة السيد العلامة عبد الرحمن بن محسن جحاف الهمزية، وصادف رقم هذا وما عندنا من القصائد البليغة التي ينبغي ذكرها غائبة عنا، ولا بد أن نلحقها مع التمكن منها وإن كان هذا موضع ذكرها.

[ذكر بعض النقباء المخلصين مع الإمام عليه السلام]

وكان في هذه الحروب، والوقائع التي أزال الكروب، جماعة من رؤساء القبائل، وقواد الجحافل، مقيمون بحضرة الإمام ٥% مباشرين لاسعار الحرب والصدام.

منهم النقيب المجاهد الصابر المخلص رسام بن سنان بن رسام من رؤساء قبائل أرحب من بني زهير، بل هو الرئيس الأعظم فيهم الذي إليه يرجعون، وعليه يعولون، وله محبة لمولانا الإمام، وإخلاص وعدم مشاحجة في حطام، وكذلك أولاد أخيه منهم النقيب عبد الوهاب بن راجح بن سنان، ومنهم صنوه النقيب المجاهد الرئيس الأعظم حسين بن راجح بن سنان له المقام الأكبر وكان في أجناد مطرح شعوب، ولهم جهاد وجلاد، ومصابرة وإسعاد.

[أولاد النقيب حسين بن علوان]

ومنهم النقباء الكرام أولاد النقيب علوان العذري من قبائل أرحب، سبق إلى الجهاد منهم النقيب حسين بن علوان، وكان له أثر عظيم، ومقام كريم، ورباط مستقيم، وتبع إخوته النقيب عامر بن علوان، وعبد الله بن علوان، وجاهدوا وصبروا، وآثروا واشتهروا.

[النقيب داحش بن صالح الهجام واخوته]

وكذلك النقيب داحش بن صالح الهجام وأصناه^(١) ممن جاهد وصبر، وجالد واشتهر، إلا أن النقيب عائض كان في الإبتداء معرضاً عن الحق مظاهراً للعدو، ثم أظهر التوبة والإقلاع، ورجع إلى الحق، وكذلك النقيب الكرام بيت مهدي النقيب جار الله بن مهدي، والنقيب علي بن عبد الله ممن جد واجتهد، وألب وحشد، وصبر على الشدائد والنكد.

[السيد علي بن هاشم الحمزي واخوته]

وممن له السعي الحميد، والجهاد السديد، السيد الأجل المجاهد المبجل علي بن هاشم بن إسماعيل الحمزي الساكن بمطرح سيان من جهة بلاد سنحان، له السعي المشكور، والجهاد الحميد المبرور، والجلاد الذي يشفي الصدور، ما من وقعة من هذه الوقعات الذي سلف ذكرها، وطاب عرفها ونشرها، إلا وهو المجلي في حليتها، المصلي في قبلتها، وأنفق على نفسه من ملكه، وأصناه أحمد، ومحمد، ويحيى ممن حضر- هذه المشاهد، وفاز بأحسن المقاصد.

[ذكر الشيخ محب آل محمد صالح بن ناصر القوبري]

ومنهم الشيخ المجاهد نصير الحق وظهيره، وحسن الفعل والسيرة، محب أهل البيت، وولي الحي منهم والميت، صالح بن ناصر القوبري شيخ قرية دار سلم، هو

(١) المراد اخوته.

أساس هذا البناء، وأصل غراس ثمرة الشكر والثناء، أخلص الولاء لآل محمد، ومشى على سبيلهم المسدد، وأنفق وأجزل، وأجاب منادي حيّ على خير العمل، ورفع راية الجهاد على رأسه، وأقام منار الحق على أساسه، وسقى روض السبيل الأحمدى، فبسق غراسه، نهج بهذا الشأن، وثبت على طريقة الإحسان، فلا يحول وإن حالت الجبال، ولا يزول مع من زال، قد نور الله قلبه للحق الممين، وامتحن لبه للطريق المستبين، فثبت ثبات شمام وبهلان، وقام مقام من ثبته الله على الإيمان.

[ذكر النقيب المجاهد أحمد بن يحيى الشاوش وأخوته حمود

وعلي ومحمد]

ومنهم النقيب الحاج المجاهد الصابر المناغر التائب أحمد بن يحيى الشاوش من قرية حزيز جهة سنحان، له الجهاد الأكبر، والمركز الأنور، والمنهج الرشيد، والسبيل السديد، وكان قطب رحاها، وغاية مناهها، وشمس ضحاها، ونجم سماها، مخلص النية، ظاهر الطوية، جميل الأثر، ثاقب النظر، وكذلك صنوه المخلص المجاهد حمود بن يحيى شديد المحبة أكيد الولاء والرغبة، من المجاهدين المخلصين وكبار أهل الدين واليقين، وأصنامهما الحاج علي بن يحيى، ومحمد بن يحيى من خلص الأنصار، وأهل المحبة والإيثار، والجهاد الموصل إلى دار القرار، ثبتهما الله على الدين، وهدهما إلى الصراط المستقيم.

[المجاهد الفاضل محمد بن أحمد سلامة]

ومن المحبين أهل الإخلاص، والساعين في طريقة الأسلاف، والمحبين لدعوة الحق من غير إخلاف، الحاج الفاضل، الشاب التقي الحلال، محمد بن أحمد سلامة من قرية الجبائرة بجهة وادي بقلان^(١)، من بني مطر، كان هذا الحاج ممن له أكيد المحبة، وخالص الرغبة، مجاهداً بالنفس والمال، كثير الإعانة بمسطاعه في غالب الأحوال، يؤثر رضا ربه، ويسعى بجوارحه ولبه، في إعانة مولانا الإمام %، بكل ما يقدر عليه، وتصل قدرته إليه، فبقي في مقام الجهاد، ينفق الطارف والتلاد، حتى أنجح الله مقصده، وأقر عينه، وأتم مأربه، فرحل إلى أهله بعد فتح صنعاء، وذلك في شهر صفر من سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف، فكتب الله وفاته بعد رحيله، وانتقل إلى رحمة الله مشكور الفاعل، حميد الخصال، رحم الله مثواه ووفر جزاه.

ومن هذه الطبقة الشيخ صلاح بن محمد المقرئ صاحب حدة، والشيخ علي بن أحمد قطران، الساكن ببيت سبطان، لهما عناية ومحبة، وجهاد ورغبة وإعانة وإنفاق، وطاعة ووفاق.

[حضور الإمام عليه السلام جنازة شيخ الإسلام القرشي رحمه الله]

وبعد استقرار مولانا %، في بيت سبطان، تواردت عليه الكتب من كل مكان، وكل يطلب يقدم ركانه العالي إلى جهته، ويتمنى ثوب دولته، وحصول صولته، فكتب مولانا % إلى أهل المشرق من حاشد وبكيل، واستدعى كل قبيل، وهم يعدون من

(١) بقلان بضم الباء وسكون القاف واد من مديرية بني مطر بالغرب الجنوبي من مدينة صنعاء ويضم عدة قرى. المعجم (١٨٦/١).

نفوسهم الإجابة، والمسارة إلى تلبية صوته، فرحل من بيت سبطان إلى مدينة صنعاء في شهر جمادى الأولى من سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف، ودخل قصرها منتظراً لوصول الأجناد فأخلف من قد وعد، ولم يصل إلا نفر من غنم قليلون لا يتم بهم ارتحال، ولا يغنون في هذا المجال، فكتب الله وفاة حي العلامة شيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل القرشي في قرية جدر في تلك الأيام، وأسرع إلى دار السلام، كما تقدم ذكره، فارتحل مولانا % من صنعاء لقصد حضور جنازته ودفنه والصلاة عليه، وقد عظم خطبه، وجل مصابه، وانهدت بموته أركان الشريعة، وهوت لمصرعه نجوم العلوم الوسيعة، وقد كانت حدث فتنة عظمى وداهية صماء، بين أهل قريتي جدر على دفن حي شيخ الإسلام كل فريق يريد أن يدفن في مقبرته، لولا حضور مولانا أمير المؤمنين %، لجدد بينهم الخصام، وأفضى إلى الحرب، وقام سوق الطعن والضرب، ودعيت نزال، وقامت الفتنة على ساق، فقيض الله حضور المولى %، ودفع الله بوجوده الشرور، وصلحت الأمور، فأمر بدفنه بين المقبرتين بعد أن قد كانت تقدمت الوصية من شيخ الإسلام بأن يدفن إلى جانب حي السيد العظيم عبد القيوم بن الإمام شرف الدين عادت بركاتهما، في القبة التي بقرب الجراف.

فراى مولانا % أن في ذلك جرماً لخاطر أهل بلدة جدر بنقله من محلهم، ورأى أن يستجذب خواطرهم بقبره في محلهم مع أن مولانا %، هو الوصي المفوض، وكان يعلم من شيخ الإسلام، جادت عليه سحائب الرضوان، أن قصده بالوصية الإتصال بأهل بيت النبوة حياً وميتاً، كما صرح بذلك في وصيته، ويعلم أيضاً أنه لا يخالف مراد إمامه سلام الله عليه، لا في الحياة ولا في الممات، فأمر بقبره في ذلك المحل، ويحق لمثل ذلك الجبل الراسي أن يستدفع بقبره البلاء، ويكون محله الأعلا، لعظم خطره في الإسلام، وحسن مقاصده الحميدة، ومساعية الرشيدة، وعظم أثره في الدين، وتمسكه بعثرة سيد المرسلين، رفع الله في عليين درجته، وصب عليهم شآبيب رضوانه ورحمته.

وبعد ذلك استقر ركاب مولانا إمامنا % في قرية جدر السفلى وأهلها أهل محبة ووولاء، ومعرفة بحقوق أهل بيت المصطفى، قد سبقت لهم المناصرة للحق، وكان أعظمهم أثراً، وأطيبهم خيراً، حي النقيب المجاهد الصادق محمد بن سعيد الشاوش، صاحب حي الإمام الناصر، وكان له السعي المحمود في قيام الإمام الناصر % ثم تمكن في قلبه حب الحق ودعائه، وملازمة أشياع الدين ورعائه، وأعرض عن ولاية الجور، ووقف في حزب المتقين، وناصر الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم، وحضر معه تلك الحروب والملاحم، فلما قام مولانا %، كان هو وأولاده من أعضاء الدولة، وأركان الصولة، واستشهد ولده النقيب عايض بن محمد في بيت قدم في الوقعة التي تقدم شرحها في محلها، واستمر أولاده بعد وفاته على تلك الطريقة، وسيل الحقيقة.

فرغب أهل ذلك المحل في بقاء مولانا الإمام لديهم وقراره بناديتهم، وكانوا أهل القرية العليا بعضهم مائل عن ذلك المقصد قبل وقوعه، فلما استقر مولانا %، واطمأن به المكان، ورأوا أخلاقه النبوية، وصفاته العلية، صفت منهم القلوب، وخلصت محبتهم، وسلموا ما لديهم من الواجبات، وحسن منهم الثبات، وصلحت النيات، وكانوا جنداً وعدة، وهم أهل نجدة، وكثرة رجال أهل سلاح وعتاد، ولهم هبة فيمن حولهم من القرى، لما قد سبق لهم من الجهاد مع الأئمة، والصدق في المواطن، وعند سكون مولانا الإمام تتابعت الأمداد، وكثرت المواد، واستقر مولانا % بأهله، وأهل صنعاء في بادئ الأمر مستمرين على الطاعة، والأوامر فيهم نافذة، وأمورها راجعة إلى ثقات مولانا % .

[دخول الباطنية بني أسعد من بلاد أنس ومعركة جيش الإمام معهم]

وحصل في تلك المدة تعدي من طائفة الباطنية على الجهة الأنسية، ولعل ذلك باستدعاء من أهل جهة بني أسعد من المخاليف الأنسية، فحصلت المكاتبات من مولانا الإمام إلى أهل البلاد، وأعظمهم رئاسة وقوة هو الشيخ المهام محسن بن علي بن محسن راجح في جبل الشرق، فكرر مولانا % الرسائل، وتابع الوسائل، وأوضح لهم الطريق، وأرشد إلى التوفيق، فقام بذلك المهم الشيخ محسن المذكور، وجمع الأجناد، وحشد أهل البلاد، وأعد المؤنة والزاد، وتقدم إليهم عن رأي مولانا الإمام فيمن أجاب من البلاد، وعصابة من خولان، ودارت رحى الحرب، وأوقع فيهم وقعتين قتل فيهما من الباطنية وأحزابهم قدر ستين نفراً كما بلغ، ثم أذعنوا بعدها للصلح، والخروج من الجهة الأنسية على جُعل وقع الصلح عليه، وأخرجوا منها أذلاء خائبين ﴿لَعَنَ يَتَالُوا خَيْرًا﴾ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا [الأحزاب: ٢٥] وأنزل الذين كفروا من صياصيصهم وقذف في قلوبهم الرعب وكان الله قوياً عزيزاً.

[فتنة حسين الهادي ونكت أهل صنعاء]

وفي مدة بقاء مولانا % في جدر سؤل الشيطان لأحزاب الطغيان، وأهل البغضة والشنآن، أن يثيروا الفتنة، وقيموا المحنة، واجتمعوا إلى السيد حسين الهادي بوادي ضلع همدان، وعارضوا به الحق المبين، ونصبوه سلماً إلى أغراضهم الفاسدة، ومقاصدهم المكاسدة، يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم، مع أن منهم من قد أكد الأيمان، وأعطى صفقة يمينه بالبيعة لمولانا %، بل جميعهم فبعثوا الكتب، وأعظموا في الفرية والكذب، فلم يرفع أكثر الناس إليهم رأساً، ولا رسخ لزورهم أساساً، فما

برحوا يعملون الخيل، ويديرون الرأي في وجوه الغدر والميل، وبرقهم خلب، وسحابهم جهام، وسيفهم كهام، وهم إلى خلل وزلل، وبطلان في العمل، فلما كان ثامن عشر شهر شوال من سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف نكت أهل مدينة صنعاء ودسوا إلى عاقلهم الشيخ محسن بن علي معيضي وهو في روضة حاتم نازح عن وطنه، متخلي عن سكنه، أن يعمل الحيلة في أقرب وسيلة تكون لهم إلى النكت ذريعة، وإلى الرجوع في الحافرة سريعة، بطراً للنعمة، واستعجالاً للنقمة، فقد كانوا في سلوان وأمان، وعدل وإحسان، ما نعموا من مولانا أمير المؤمنين إلا عفوه عن جرائمهم، وإغضائه عن عظيم مآثمهم، وتطلبه لما يصلحهم، ويستجذب قلوبهم، ومسارعة إلى ما يوافق مطلوبهم، فوقع من بعض أهل شعوب ترقب فرصة في الباب الذي إلى جهتهم، وكان حافظه رجلاً منهم يقال له صالح بن حسين شندق قد غفل عن الحراسة، وتساهل بالحفظ، فوثب منهم جماعة على الباب، وأخذوا منه بالأسباب، وأهل صنعاء قد تقدم منهم ما يشعر بفساد النية، وخبت الطوية، وفي صباح تلك الليلة دخل محسن معيضي من الخندق القبلي فقابلوه بالطاعة، ولم يقيم في وجهه أحد، ولا قرحت إليه بندق، بل ظهر منهم الفرح والسرور معاندة لأولياء الله، ومضادة لدينه، وما نعموا من مولانا الإمام إلا العفو والإحسان، وانحاز أصحاب الإمام إلى القصر، وسارع مولانا ٥٠٪، إلى إمدادهم بالزاد، وتقويتهم بما أمكن من العتاد، وحشد إليهم شيعته، وأرسل جماعة من أهل قرية جدر فلم يثبت كثير منهم حق الثبات، بل صار رأيهم إلى الشتات، واختلفت آرائهم فظهر ضعفهم، وانخدع من انخدع منهم بجعالة يسيرة، وصفقة صغيرة، ولم يثق منهم أهل الأمر بالطاعة لما رأوا منهم من كثرة الخلاف، وأكثرهم للحق كارهون، وإلى جانب الباطل مائلون.

فوقع الصلح على خروج أصحاب مولانا الإمام على الإعزاز والإكرام، فخرج سيف الإسلام ومن صبحته من أهل جدر إلى حضرة مولانا ٥٠٪، فلما استقر محسن معيضي بصنعاء توسم في نفسه أن ريحه صادفت إعصاراً، وأن مولانا الإمام لا يغضي-

على هذه القضية، وكانت هجرة سناع وبيت سبطان بيد مولانا %، وأدراكهما بيده، وفيهما رعيته، [فحاول] ^(١) محسن معيضم وأهل المكر والطغيان، أن يتم لهم عمولة، أو يجدون إلى أحد المحليين وسيلة، فأعجزتهم الحيل، وعيت بهم العلل، وقد احتفل مولانا أيده الله بترتيب أدراكهما، وحشد إليهما عينة كافية، وعصابة وافية، فبقي الخوض كذلك حتى أجمع مولانا % بالإرتحال إلى ذينك المركزين، ومراغمة الناكثين، وإقامة سوق القتال، والأخذ عليهم بالخنق، وجمع جنود الحق.

[وصول الإمام عليه السلام إلى هجرة سناع وحصاره لصنعاء]

وارتحل % في ثامن شهر القعدة الحرام من سنة اثنين وثمانين في جند واسع، وحشد نافع، فوصل هجرة سناع، فلما شاع وصوله وذاع، وملاً الأبصار والأسماع، ضاقت على الناكثين الأرض وأسقط في أيديهم ووجلوا وفشلوا، وشرع مولانا % في ترتيب الحصار على أهل صنعاء، فأرسلوا يطلبون الصلح والهدنة حتى يديروا الرأي في الدخول في الطاعة، ويراجعوا دينهم، فعوّل المتوسطون وهم من حزب مولانا %، في قبول ذلك المطلب، والإسعاد إلى ذلك المأرب، فأجاب مولانا % إلى الهدنة في أيام العيد.

وعقب ذلك وصول خيل جياد، وفتية أمجاد، من همدان الجوف فأغاروا مع وصولهم، ووقعوا فيمن وجدوا، والهدنة إنما انعقدت على الحاضرين مع الإمام، وبقي الحال على ذلك حتى انقضت مدة الهدنة، فدار الخوض في انخراط أهل صنعاء في الطاعة الإمامية، وحسنت منهم الطوية، وأعلنوا بالتنصير، وأقاموا الخطبة، والتزموا الأحكام، بعد أن قد كانوا قد أدخلوا السيد حسين الهادي، استدفاعاً لشر- المخالفين،

(١) في الأصل لم تظهر هذه الكلمة وما أثبت هو المراد من السياق.

كون عاقلهم الشيخ محسن معيوض مع بقائه في الروضة قد كان دخل في جملتهم، والتزم ما دخلوا فيه، فأراد أن يخرج من عتبهم ويستكفي شرهم، مع أنه قد كان طلب الصلح ومال إلى جانب الإمام، ولكنه خشي العواقب، واشترط على أولئك المنافقين بقاء من نصبوه مدة معلومة، ويخرج من صنعاء إلى غيرها، فبقي قدر شهر أو زيادة، فألحَّ عليه أهل صنعاء في الخروج، وقد أعييت عليه المذاهب، وانسدت وجوه المطالب، وصار في حيرة الأشقر يوم ذي حيلة، إن تقدم نحر، وإن تأخر عقر، مع أنه قد عرف أن أهل صنعاء ورئيسهم قد انبرم بينهم وبين الإمام ٥٠٪، الصلح على الدخول في طاعته ٥٠٪، وصار أمرهم في تمام، وخرج في شهر صفر من سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف قريح العين، دامي الجفنين، يعرض على كفيه، ويلطم خدعيه، قد ضاقت به الأرض، وانسد طولها والعرض، وهكذا من التجأ إلى غير الله، وعاند الحق، وركن إلى الظالمين، فقد سبق في هذه السيرة ما اعتمده هذا المفتون من المخاريق، وشرحنا أمره على التحقيق، وبعد خروجه تمت طاعة أهل مدينة صنعاء، واستمرت اسماً ووضعاً، واستقر ركاب مولانا أمير المؤمنين ٥٠٪، بمحروس بيت سبطان، وتارة بهجرة سناع.

[تجديد البيعة من أهل صنعاء للمرة الثالثة وعمارة الإمام عليه السلام

لقصر بيت سبطان]

وخرج إليه الأعيان مثل شيخ الإسلام القاضي حسن^(١) بن حسن الأكوع، والسيد الأجل عبد الله بن أحمد بن الإمام الذي جعلوه من قبل نائباً في صلاة الجمعة، والعامل الفقيه علي بن حسن بن محسن الأنسي، وعقال مدينة صنعاء وبايعوا، وأخذت منهم العهود، وأكدت العقود، وأبقى مولانا أيده الله كلاً على وظيفته،

(١) القاضي العلامة حسن بن حسن بن محمد بن عبد الله الأكوع، ولد سنة ١٢٣٨ هـ، أخذ العلم عن علماء عصره واستجاز منهم وتولى الفتوى بعد دخول الأتراك سنة ١٢٨٩ هـ وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ بالروضة.

وطابت النفوس، وزال البؤس، وتجدد بعد ذلك عزم مولانا أيده الله على عمارة القصر- السعيد، والمعقل المشيد، قصر السعادة وبناء العز وطبق الإرادة، بأكمة بيت سبطان إلى النوبة الشرقية، وجد مولانا 60% في عمارته، وتوالت الإعانة من المحيطين وتيسرت الأمور، وارتفع المعمور، وظهر فيه أنه بناء قديم، ومعقل عظيم، من مآثر حمير الأولى، وعمائر أولئك الملأ، وظهرت فيه البرك والمآثر، واستمرت فيه العمارة إلى الآن حال تحرير هذه السطور، وأرغم الله بهذا البناء أنوف الأعداء، وضائق عليهم الأرض بما رحبت، وكأنما عمر في قلوبهم، ووضع فوق رؤوسهم، وأسس في حوباء نفوسهم، كونه في محل يقل وجود مثله في الأقطار، وينزر بقاء معقل يضاهيه في سائر الديار، تحف به الأنهار، وتلوي به الشار، وتقاربه الأشجار، ومع هذا فهو قريب من مدينة صنعاء بمقدار فرسخ، فبناه من نتائج السعادة، ولوامع الحسنى وزيادة، جعل الله السعادة كامنة في ساحاته، والنصر والإقبال ملوية من جميع جهاته، فهو بناء مؤسس على التقوى من أول يوم، ومستقر عز للدين بريء عن اللؤم.

وفي أثناء هذه السنة جرد مولانا إمامنا 60% صادق العزيمة لفتح البلاد اليمنية، وحصلت المكاتبات إلى جهة حاشد وبكيل، وحثهم على الجهاد، وإعمال اللهازم الحداد، وفتح البلاد، وأرسل إلى ثقاته في جهة المشرق في حشد رجال بكيل، وتأليهم من كل قبيل، فعزم الولد السيد العلامة، الرئيس الصمصامة، محمد بن حسين عامر المقدم ذكره في هذه السيرة، وعزم صحبته الفقيه العارف المجاهد أحمد بن جار الله السلال إلى جهة برط، وجدوا واجتهدوا في الدعاء إلى ذلك المرام، وعضدهم على ذلك الولد العلامة الجهبذ الكبير صفى الدين أحمد بن محمد بن محمد الكبسي مقدم الذكر، وهو حينئذ مهاجر في جهة برط، فوعظ وذكر، وأوضح وأظهر، وأعذر وأنذر، بلسان يفلق الصخر الأصم، وبيان يفصح سحبان ويترك قساً في لسان الأعجم كما قيل شعراً: [من الرمل]

ومقام صالح فرجته
 بلسان ويان وجدل
 لويقوم الفيل أوفيا له
 زل عن مثل مقامي ونزل

بلسان أحلى من العسل، وأمضى من السيف والأسل، وقد نور الله قلبه، وهدى لبه، وأخلص نيته، وأحسن طويته، لرعايته حق إمامه، وملاحظة تشييد مقامه، فبقوا في تلك الجهة في تحشيد وتجنيد، وتحريض وترغيب.

[إقامة الإمام عليه السلام حد الحراية وحد السرقة]

وعرض في تلك الأيام القبض على رجلين من قرية المحبشي من جهة بلاد سنحان يقال لهما ولدي علي إسماعيل، كانا يقطعان السبيل، ويسعيان في الأرض فساداً، قد اشتهر قبح أعمالهما، فقبض عليهما أهل محلها، وأوصلاهما حضرة مولانا ٥٠٪، فاستوضح شأنهما حتى تقرر عليهما حد الله، وما نطق به كتاب الله بالإقرار منهما، وقيام البرهان الواضح الذي لم يبق معه شك ولا ارتياب، فأمر مولانا أيده الله بقطع أيديهما وأرجلهما من خلاف، وأمضى فيهما ما أمر الله سبحانه بلا خلاف، وتلف أحدهما بعد ثلاثة أيام، ووقع لذلك موقع عند اللصوص والدعار، وانحسمت مادة الأشرار، ولإقامة الحدود أثر في النفوس، ولأمرٍ ما شرعها الله لأهل الإسلام، وأمر بها أئمة الحق من العترة الكرام، والله الحمد رب السماوات والأرض، على وجود الحجة العظمى في العصر، إمام الزمان، وحسنة الأوان، وقد كان قبض رجلان سرقا ما يوجب القطع، أحدهما سرق من قريتي جدر، والآخر من سيان سنحان، فقطعت أيديهما بشرع الله الشريف، بحضرة الإمام والحمد لله.

[ظهور غالب من الروضة وخروجه إلى برط ورجوعه خاسراً]

ولما علم أهل البغي والعدوان، والبغضة والشنآن بإجابة رجال ذو^(١) غيلان، وتهيئهم للخروج إجابة لدعاء مولانا الإمام %، قامت عليهم القيامة، وخامرتهم الحسرة والندامة، وتطلبوا كل حيلة، تكون لهم إلى إبطال ذلك المسعى وسيلة، واجتمعوا في الروضة إلى غالب بن محمد بن يحيى، وسولوا له أن يدعي إلى الإمامة، ويخرج إلى جهات جبل برط منكفاً لديهم وداعياً لهم إلى نفسه، ونقموا بأباطيل افتروها، وزخارف وضعوها، يقدحون بها في سيرة الإمام % وينسبونه إلى مخالفة شريعة سيد الأنام، وجاءوا بإفك عظيم، وبهتان أثيم، وأكاذيب تسود صحائفهم وتخرجهم عن الدين، وأعانهم على ذلك بعض من يدعي الإمام بالمعارف العلمية، وهو كما ضرب الله مثله في كتابه، مثل الحمار يحمل أسفاراً، وجعلوا مع المذكور تلك الأباطيل، يمؤّه بها في المحافل، ويشيعها عند القبائل، فعزم ذلك الأحق وانخدع بغرورهم، وانخرط في مطلوبهم وقد ارتفعت رؤوس المعاندين، وهدرت شقاشقهم، وظهرت بوائقهم، وتحذثوا بالمحالات، وأشاعوا تلك المقالات، فأبى الله سبحانه إلا أن يتم نوره، ويظهر أمره، ويعين من توكل عليه، وألجأ أمره إليه، ويجعل كلمته العليا وكلمة الذين بغوا السفلى، فإن هذا الأحق لاقى مشاقاً في طريقه وهلكت جماله وخيله، وقابله من لقيه بها بين له فساد رأيه، وضعف عقله حتى وصل جبل برط فاستجار ببعض ذو محمد^(٢)، وأراد أن يروج أفعاله ويصدق مقاله بتلك الزخارف الكاذبة، والأباطيل الخارجة، فأبرزها في المجمع، وألقاها إلى المسامع.

(١) ذو غيلان: قبيلة كبيرة من بكيل وهم فرعان ذو محمد، وذو حسين، ويسكنون برط. المعجم (٢/ ١١٩٣).

(٢) ذو محمد: أحد فرعي قبائل غيلان من بكيل وتنقسم إلى خمسة أقسام فيقال (أخاس ذو محمد) وهم خميس ذو زيد،

وذو موسى، وآل صلاح، وآل أحمد بن كول، وآل دمينة. المعجم (٢/ ١٤٣٤ / ١٤٣٥).

فانتصب في مقابلتها الولد العلامة، الجهيد الفهامة، أحمد بن محمد الكبسي، ودعاة الإمام وهما الولد العلامة المجاهد محمد بن حسين بن عامر، والفقيه العارف محمد^(١) بن جار الله السلال، وبينوا لمن قد كان انقذ في قلبه زناد الشبهة والغرور، فساد تلك الموضوعات التي هي كالهباء المنشور، فما برح ذلك المغلوب، يحاول تمام ذلك المطلوب، حتى اتفق له اجتماع بالولد العلامة أحمد بن محمد الكبسي، فحصلت بينهما محاورة أفضت إلى الخصام، وحصل من عبد بن عبيد الأحق سل سلاح، وإرادة فتك وجراح، فجعل الله ذلك سبباً عاجلاً في قطع مادة فساد، وسل سخيمة عناده، وثار حمية الرؤساء على ذلك العالم الجليل، فأخرجوا غالب عن بلدهم مقهوراً مكبوتاً محسوراً، وذهب في غير طريق، ولقي كل مضيق، قد خاب أمله، وبطل عمله، وأخفق مسعاه، وذم قبيح مسراه، وخسر دنياه وآخرته، ورجع إلى الروضة بفضيحة قبيحة، مريض في بدنه وقلبه، عادم ماله وكسبه، وهكذا من عاند الحق ونكث الأيمان ومال إلى البغي والعدوان.

وبعد خروجه من برط، عرف النقيب، المجاهد، الرئيس، الأعظم، المخلص، الأكبر، السعيد، الأنور، جمال الدين، علي بن محسن بن علي بن عبد الله الشايف أن الأعداء أرادوا معاندة الحق، وتوهين الدين، وإبطال سعيه، وتبسيط أمره، فجد واجتهد، ونهض نهضة الأسد، وحشد وجند، وصوب وصعد، وحمل رجال ذو حسين فأجابوا داعيه، ولبوا مناديه، واثالوا إلى رايته، وأسرعوا إلى طاعته، وقام بمقامه النقيب علي بن سعيد الشعبي، واعتقد الجميع في دعاة الإمام، وأفاض الله عليهم الإنعام، وتواترت الأمطار، وصلحت الثمار، وانعقدت عزائمهم، واشتدت شكائهم.

(١) كذا في الأصل، والصواب: أحمد بن جار الله كما تقدم.

فخرجوا في تاسع شهر جمادى الأخرى من سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف، وتابعهم أشراف الجوف، حتى اجتمعت عصابة نافعة من خيار الرجال، وخلص الأبطال، خيلاً ورجلاً، وسرّ المؤمنون، وقرت العيون، وجذلت القلوب، وزالت الكروب، فوصلت تلك العصابة التي هي للدين نصاب، وللحق أعتاب، إلى صبر الخولاني.

ونفض مولانا الإمام % إلى لقاءهم، وقد كان سبق الأمر الشريف من مولانا %، على جهة الإيجاب، وتوخي الصواب، لمولاي أخي مخدومي العلامة الصدر الحافظ الكبير بدر الإسلام محمد بن إسماعيل بن محمد الكبسي- أبقى الله غرته، وحرس مهجته، بالتصدر لوساطة بابه، وألقى الأمور إليه، وعقدتها بيديه، فحاول الاعتذار، وأراد حط هذا التكليف عن عاتقه، فلم يعذره مولانا %، ولم يجد مخلصاً عن ذلك اللزام، فدخل في ذلك قاصداً لرضاء الله والجهاد في سبيله، وإعانة إمامه، وتشيد مقامه، فتوجهت الأمور إلى رأيه، فقام بتلك الأعتاد ونفض في ذلك المرام.

[خروج الإمام عليه السلام إلى بلاد أنس]

وجد عزم مولانا % على الحركة السعيدة إلى الأصقاع اليمنية، فنهض % في يوم الجمعة ثاني وعشرين شهر جمادى الأخرى من صبر الخولاني وقت صلاة الجمعة وصلّاها بعد أن تقوضت أطنابه، وجد في سفره وهياً ركابه، فوصل إلى قرية حزيز وأهلها من شيعته وأهل مودته، فتلقوه بأجمعهم وعقروا جملاً، وأعدوا من الإحسان جُملاً، وعزموا عليه في المبيت هنالك مع أنهم كانوا لا يلبثون لعارك، فطال ما اجتاز بهم الملوك في الدولة القاسمية في تلك القوة والصولة، وكمال الدولة، ولا يطمعون في دخول قريتهم والمبيت لديهم، مع ما هم عليه من العزة والكبرة والنجدة والعسرة، ومع إمامنا لانت قلوبهم للحق، وذلت للدين، حتى صاروا من أشياع الهدى وأنصاره، وشعار أمير المؤمنين ودثاره، وذلك ببركة حي شيخ الإسلام العلامة الزاهد صفي الدين أحمد بن إسماعيل القرشي برد الله مضجعه، وأنس مهيعه، فإنه اتخذ بلدتهم دار وطن، واطمأن بها وسكن، فأقبلت قلوبهم إليه، وعولوا في إقامة دينهم عليه، وحسنت طريقتهم، وحمدت أخلاقهم، وتم مراده فيهم، وهذه من كرامات مولانا الإمام %، وحسن مساعي شيخ الإسلام، فاستقر مولانا % تلك الليلة، وقاموا بضيافة حفدته وأجناده، وخواصه وأحفاده، وفي اليوم الثاني جد في سفره إلى مقصده فالتقاه أهل القرى التي اجتاز بها في الطريق بالعقائر، وتبع الأول منهم الآخر، فما مر بقرية من سنحان إلا وصل أهلها، وقابل بالطاعة شكلها، حتى دخل وادي وعلان وهو من الجهة الروسية وهي أقطاع إلى المولى إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن، وقد سبق إليها الأخ العلامة محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن إسحاق في اليوم

الأول، وعامل البلد صنوه العلامة الصفي أحمد بن عبد الرحمن، فتلقى مولانا %، ولقي أهل عمله، وقاموا بها يجب من العقائر والكفريات ومؤنة الأجناد، من الأعراف والزاد، وفعلوا ما يجب من الإكرام وما هم له أهل من الإنعام.

وفي اليوم الثاني: أخذ مولانا % في السفر، وقضى ذلك الوطر، فرافق الأخ الصفي إلى أطرف حد في ولايته أعلا نقيلاً يسلمح^(١) وانحدر مولانا % حتى وصل قرية النقيلاً^(٢)، فتلقوا بالطاعة بعد أن هم مولانا % ومن معه من الأجناد بأخذهم لما تثاقلوا عن اللقاء، فسارعوا إلى المطلوب، ووصل بعدها قرية ضاف^(٣) فتثاقل كبيرهم الشيخ عامر حسين عن الوصول فلم يعذر، فوصل فأمر به واسطة كل خير الأخ العلامة بدر الدين إلى الحبس، فوقع العناد، من بعض الأجناد، فجد مولانا % ورد وجه جواده، فشرع في الحملة عليهم، فسقط في أيديهم، ووصلوا مرعوبين.

فأمر مولانا % بحبس شيخهم عامر حسين واستصحابه في جملة أهل ركا به، وعزم مصحوب السعادة، سليم من الغير، حتى استقر بمطرح معبر^(٤).

وفي اليوم الثاني: انتقل إلى دار الإمارة، التي هي في الأصل من بناء الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد سلام الله عليهم أجمعين، وكان قطانها من السادة آل المتوكل المقطعين في مخلاف جهران^(٥)، وكانت قد

(١) بفتح فسكون فكسر نقيلاً مشهور يطل على قاع جهران من الشمال يبعد عن صنعاء جنوباً نحو ٤٥ كيلاً. المعجم (٨/ ١٩١٠).

(٢) قرية النقيلاً: تقع في أسفل نقيلاً يسلمح وهي من المناطق الأثرية. المعجم (٢/ ١٩١٠).

(٣) ضاف: قرية في علو قاع جهران الواقع شمال مدينة ذمار ومن أعماها وهي قرية قديمة ورد ذكرها في بعض كتابات المسند. المعجم (١/ ٩٣٥).

(٤) معبر: بفتح الميم وسكون العين وفتح الباء مدينة وسط قاع جهران من أعمال محافظة ذمار اختطها في القرن الحادي عشر الهجري الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل بن الإمام القاسم"، وهي اليوم عاصمة مديرية جهران. المعجم (٢/ ١٥٧١).

(٥) جهران: بفتح فسكون ففتح حقل واسع يمتد من أسفل (نقيلاً يسلمح) باتجاه ذمار إلى القرب منها تبلغ مساحته حوالي ١٦ ألف هكتار، ويضم عدة قرى من أعمال محافظة ذمار. المعجم (١/ ٣٦٥).

تشوشت خواطرهم، وارتاعت مرأيدهم، في ابتداء وصول مولانا %، فلما وصل زعيمهم السيد عبد الله بن أحمد، ورأوا من أخلاق مولانا الإمام % ما ليس يعهد، مالت قلوبهم إلى المحبة، وخالص الوداد، وصاروا من الأعوان من تلك البلاد، وجدوا في إصلاح الفساد، وجعل مولانا % عمالة ذلك المخلاف إلى السيد الجليل عبد الله بن أحمد المذكور، وأقبلت تلك القرى بالطاعة، وأسرعوا إلى الدخول في الجماعة، وانساق منهم أمداد، من الغنم والزاد، وكان الشيخ الأجل حسين بن عامر سعد بن مفتاح البخيتي من معاونين والمقرين، فصلح من صلح على يده، وألقى مقاليد أموره إليه.

ولما صلح جزيل أهل جهران الأعلى، وسلخوا الطريقة الفضلى، وقع الإستعجال لطلب أهل جهران الأسفل، ونفذت إليهم الرسل، فتناقلوا عن الطاعة والإنقياد، وركبوا كاهل العناد، فرجح النظر الثاقب لمولانا % توجه الأجناد إليهم، وتوجه بهم مقادمة مولانا %، وهم مولاي الأخ العلامة بدر الدين محمد بن إسماعيل بن محمد الكبسي ثبته الله على الحق القويم، والولد السيد العلامة المجاهد محمد بن حسين بن عامر مقدم الذكر أولاً فأنتهى مسيرهم إلى القرية المسماة قبة حثيث^(١)، وقد أنس أهلها إلى الفساد الخبيث، فقدم أصحاب الإمام إليهم الإعذار، وألزمهم دخول طائفة من الأجناد للضيافة لديهم ومعرفة طاعتهم، فنفروا عن ذلك المطلب، وأبوا إلا الأسنة مركب، وقالوا صمي صمام، لا خلف ولا إمام، وتحصنوا في ديارهم، وتحزبوا في قرارهم، فحملت عليهم الأجناد، وألوت بهم الأسنة والصعاد، فأخذوا محلهم قهراً، وكان عاقبة أمرهم خسراً، ودخلت طائفة من الأجناد من سورهم عنوة، وظهرت عليهم السطوة، فأخذوهم أسرى في الأغلال، وغنموا البيوت والأموال، واستولوا

(١) قبة حثيث: قرية واقعة برأس نقيل (المصنعة) في ضوران آس من أعمال محافظة ذمار وهي تنسب إلى العلامة الفاضل محمد بن يحيى حثيث من أعيان القرن الثامن الهجري. المعجم (١/٤١٦).

على جميع ما في تلك القرية من طعام، وما حوته من الأنعام، وعند ارتحال الأجناد عنها أحرقت القرية وحمل بابها إلى [المطرح العيد]^(١) بمعبر، ثم إلى قرية النقيل فوصل أهل القبة إلى شريف المقام، وبايعوا ودخلوا في الطاعة. فأمر مولانا % بإرجاع الباب إليهم، وأذعنت النفوس.

[وصول أهل ضوران إلى الإمام عليه السلام ومبايعتهم له]

وزال البؤس، وتمكن الرعب في النفوس، فوصل بعد ذلك أهل مدينة ضوران^(٢) ومن اشتملت عليه من الأعيان، وآل الإمام القاسم %، الساكنون بذلك المكان، ونقباء حاشد وبكيل أهل الجبل، القاطنون بذلك المحل، راغبون في الطاعة، داخلون في الجماعة، وبايعوا جميعاً وتعهدوا وأكدوا وجدوا واجتهدوا، واطمأنت القلوب، وفازوا بكل مطلوب، وفيهم القضاة والعلماء، ولم يكن من قبل وصولهم قد التزموا لإمامة، ولا يعرفوا ما يجب عليهم من سماع الواعية التامة، جهلاً بحقوق مولانا الإمام %، واستجماعه الشرائط التي شملتها دواوين الإسلام، فرجعوا إلى مدينتهم، وأقاموا الخطبة والجمعة، وعرفوا الحق القويم، ومشوا على الصراط المستقيم.

(١) كذا في الأصل.

(٢) جبل مشهور في آنس وهو المعروف بالدامغ وفي سفحه الشمالي تقع بلدة ضوران وهي هجرة علمية مشهورة سكنها الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودفن بها، وكذلك ولده المؤيد بالله والمهدي لدين الله أحمد بن الحسن وتشكل مديرية من أعمال محافظة ذمار. المعجم (١/ ٩٥٠، ٩٥١).

[وصول مشائخ أنس والحداء إلى الإمام عليه السلام]

ووصل بعض مشائخ أنس إلى المخيم المحروس، وبايعوا وشايعوا، واستقرت الأمور، وصلاح أكثر الجمهور، ووصل رؤساء جهة الحداء^(١) منهم الشيخ حسين بن عامر مفتاح، وبنو حيان من بني زياد، وسلموا ما عليهم من الواجبات، وحسنت منهم النيات، وكانوا من قبل لصوصاً يعترضون الطرقات، ويتتهبون المارة، فصلاح حالهم بعد أن عرفوا إمامهم وحسن مقامهم بعد أن تناهوا عن الفساد، وصلحت الأغوار والنجاد، واستمر صلاح السابلة، ومرت فيها الذاهبة والقافلة، ببركة مولانا %، ثم لما كمل صلاح مخلاف جهران، وتمت طاعتهم في كل مكان.

[دخول الإمام عليه السلام بلاد أنس]

أجمع رأي مولانا الإمام % على دخول الجهة الأنسية وإصلاح أمورها، وسد ثغورها، إذ هي أقرب البلاد، وأول ما يهتم بصلاحه عند الحاضر والباد، وهي من بلاد الزيدية قطر واسع، وبلد جامع، فيها منافع جمّة، ومصالح مهمة، إذا تم صلاحها وكمل افتتاحها، صلح ما ورائها من الأعمال وحسن في غيرها الابتداء والمآل.

فتقدم ركابه المنصور، وعقد لواء المنشور، وتقدم إلى مطرح المنشية، في عصابة مغنية، وجحافل وألوية، فلما استقر ركابه، ووضع في ذلك المكان أطنابه، وصل أهل الجبل بجند كثيف وجمع منيف، وتلقوا الأوامر بالسمع والطاعة، وانساق الكفريات،

(١) الحداء بفتح الحاءين قبيلة من مذحج وتنقسم قبائل الحداء إلى عدة فروع وتقع منازلها في جنوب شرق دمار وتشكل أيضاً مديرية من أعمالها. المعجم (١/٤٢٩).

وسلمت الواجبات، ونفذت الأوامر الشريفة إلى مشائخ البلاد بالوصول واستعجلوا بالرسل والسيف مسلول.

فوصل مشائخ مخلاف بني عصين ومشائخ مخلاف ضوران من بني غيلان، ومشائخ مخلاف حمير، ومشائخ مخلاف ابن حاتم، وبقي بعض المخاليف قد ألقوا مقاليد أمورهم إلى الشيخ محسن بن علي راجح، وكانت مكاتبته متصلة، ومودته مقبلة، وقد قدم من يثق به من خاصته، وأودعهم ما يشعر بطاعته، وأنه على أهبة الإستعداد لوصوله الحضرة الشريفة، متمسك بالطاعة المنيفة، وأن تلك المخاليف المتأخرة في حيز طاعته، وأنه كافل أمورهم، وحامل طاعتهم.

وكان في مرام مولانا % أنه سيسارع في الوصول، ويقارب ما هو المأمول، فتثاقل في ذلك الوقت، وكان نية مولانا % إذا وصل أن يوجه إليه عمالة البلاد لاختباره، وكونه من أهل القوة واليسار، وقد عرف أحوالها، ومارس أعمالها، فلما أبطى وصوله وكان مشائخ البلاد ونقباء العسكر يحثون على دخول البلاد لنجاز حقوقها، وتعجيل مفروقها.

فولي أمر العمالة الفقيه علي عبد الله الأنسي، وأجمع الرأي على ارتحاله بجميع العساكر إلى مطرح أسلع^(١) ومنه يوجه الأوامر إلى البلاد أجمع، والمخيم الإمامي ينتقل إلى مدينة ضوران، فنهض سيدي المولى وكافة العسكر، فتوجه بهم العامل المذكور وصحبته السيد العلامة محمد بن حسين بن عامر مُقدم على الأجناد، واستقر بالمطرح المذكور، وسيدي المولى أمير المؤمنين استقر بضوران.

(١) قرية من منطقة (السُّلَف) من مديرية ضوران آنس وأعمال محافظة ذمار ويقام بها سوق مشهور تقصده قبائل آنس. المعجم (١/ ٦٤).

[زيارة الإمام عليه السلام لمشهد الأئمة المتوكل على الله إسماعيل وولده

المؤيد بالله والمهدي أحمد بن الحسن عليهم السلام]

وفي ثاني يوم وصوله زار المشاهد المقدسة، والمباني التي هي على التقوى مؤسسة، فزار أولاً مولانا سلطان الإسلام، المجاهد في رضا الملك العلام، الحسن بن القاسم صاحب الجهاد والملاحم، وفي ثاني ذلك اليوم ارتقى إلى المعقل المحروس، والجبل الرائع المأنوس، المشرف بالمشاهد المباركة، فزار مشهد مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل وولده الإمام الزاهد المشهور المؤيد بالله محمد بن إسماعيل عليهما سلام رب العالمين، ثم طاف الجبل جميعه، ونظر في مصانعه وإدراكه، وصار بيده ملاكه، وبعدها أرسل الشيخ محسن بن علي راجح ولده علي بن محسن فوصل الحضرة الشريفة وتقلد بقية أعمال البلاد، مثل مخلاف المنار وجبل الشرق، ومخلاف بني قشيب، ونفذ من الحضرة لذلك، وسيدي المولى حفظه الله ونصره استحثة العسكر في الإنتقال إليهم بعد أن توجهت طائفة منهم على قرية ظليم من مخلاف حمير لما ثاقل أهل المخلاف من حمير وبني خالد وبني فضل عن امتثال الأوامر فأخذوا تلك القرية أخذة رابية، ولم يبق لهم باقية، واستولوا على ما فيها من الحبوب والأنعام، والأسلحة والطعام، ولم يقتل من العسكر نفر واحد، ولا جرح منهم صادر ولا وارد.

فألحوا على مولانا في الوصول إليهم، فارتحل من ضوران إلى بيت الصغير بالقرب من مطرح أسلع، ثم انتقل إلى قرية ظليم وانفتحت البلاد، وأطاع الحاضر والباد، وبقي الخوض في تحصيل مواد العسكر والمشاخ في الحضرة، ورهائنهم في الحبس، والرعية في الطاعة، فسول الشيطان لبعض نقباء العسكر على مفارقة المركز المنصور لا لسبب، فارتحل أولاً أحمد مثني الأعوج من قبائل نهم بمن معه، ثم أزمع قبائل أرحب على

الإرتحال، فأز مع الشائف على الإرتحال برحيلهم.

وموافقة جيلهم، فلما رأى سيدي المولى حفظه الله أن البقاء بعد ارتحال العسكر لا ثمرة له ولا فائدة فيه توجه ركابه القيد^(١) في يوم الثلوث ثالث شهر رمضان الكريم قافلاً على تلك البلاد، معتصماً بالله سبحانه متوكلاً عليه بعد خذلان الأنصار، وميلهم إلى الأدبار، وعوائد الله عنده جميلة، وعوارفه جزيلة، وهو غير مكترث بما دهم من الحوادث، وعزم مصحوب السلامة حتى استقر بقرية حزيز.

[رجوع الإمام عليه السلام إلى قرية حزيز]

وبعد انتهاء الحال في التسيير، إلى ما جرت به المقادير، وتفرقت الأقوام وفعلوا فعل اللثام، كما قدمنا شرحه، ودللنا على واضح صبحه، عاد مولانا ٥٠٪، تحفه السعادة والإكرام، من الجهة الأنسية بمن صحبه من المحبين حتى استقر ركابه، وقوض من السفر أطنا به، بقرية حزيز قريبة من مدينة صنعاء، واتخذها محلاً وربعاً، وأحسن الله بأهلها صنعا، فإنهم أهل محبة وإيمان، وثبات في الأديان، استقر لديهم شيخ الإسلام العلامة القرشي محمود الأثر، طيب الورد والصدر، فأصلح الله على يديه سرائرهم، وأطاب كامن ضمائرهم، وصاروا شيعاً لمولانا الإمام، ومن خلص المحبين للمقام، كما تقدمت الإشارة إليه.

وهي قرية في جهة بلاد سنحان على طريق المارة من جهة اليمن الأسفل وسائر البلاد، فرغب أهل هذه المحلة في بقاء الإمام لديهم، وحولوا له بناديبهم، والتماس بركته وسره، وسطوع نبيه وأمره، فاستقر هنالك، وكان بقاءه في ذلك المحل رأي سديد^(٢)،

(١) كذا في الأصل ولعلها العتيد.

(٢) الصواب: رأياً سديداً ومنهجاً رشيداً.

ومنهج رشيد، وأقبل الناس إليه بالطاعة، واثال القريب والبعيد إلى السنة والجماعة، وأهل الجهة الأنسية تمت طاعتهم واستمروا على الإئتيم، والطاعة والإلزام، ووصل منهم إلى المقام من وصل، ولننقل في هذا المحل ما تعقب من الأشعار، وما لحق من الأخبار، وما صدر في هذا العام من الحوادث، ونجم من العبر والكوارث.

فمن ذلك أن طائفة الأتراك، رماهم الله بالهلاك، أرادوا الإستيلاء على شامي تهامة المصاقب لبلاد الشرفين، فتقدم باشتهم^(١) المخدول، ولواهم المحلول، وعاث في تلك البلاد، وقبض من نسائهم ورجالهم، وعطل محالهم، فأرجف المرجفون في جهة الشرف، ووالاه من في قلبه مرض وعن الحق انحرف، فوصلت قصيدتان أولهما للسيد العلامة الأديب عبد الرحمن بن محسن جحاف، وثانيهما للسيد العلامة الجهبذ قاسم بن أحمد زيد حاكم هجرة حوث من جهة حاشد، فقال السيد عبد الرحمن والله دره، قوله: [من الكامل]

أرأيت ناجمةً بليلاً مظلم
وافت فأشجت كل حرٍ مسلم
شرساء بل صما يحق لمثلها
أن تسكب العبرات جوداً بالدم
تلك التي فيها الورى سيان لا
فرقان بين مؤخر ومقدم
حار اليب بها وطاش مخافة
قلب المجد ذي الثبات الأعظم

(١) يريد الباشا زعيمهم.

والناس في التهويل وافق بعضهم
بعضاً لهذا الحادث المتعظم
أو ماترى الأثر كقد هدوا إلى
أرض الأفاضل بالفعل الأعجم
هم قاصدون بكل حصن مغنماً
وبمكرهم يخشى بلوغ المغنم
ويل لمن لم يكثرث من فعلهم
وهُمُ البغاة أولوا الفساد الأوجم
يا للإمام المتقى من أحمدٍ
المحسن المتوكل المتقدم
حامي حمى الدين الحنيف بسعيه
ليث الكنائب في الوطيس إذا حمي
الفاضل الأواه والمولى الذي
هو نقمة الباغي وغيث المعدم
سمحت به للمسلمين كرامةً
أيدي الزمان فياله من مغنم
أين الفوارس من سلاله هاشم
القائمون على الصراط الأقوم
إن أرغبوك لك الرغائب نحلةً
أورهبوك فلا نجامن مهزم

أين الجناحين الذين هم هم
أهل الجمائل في الوغى المتحطم
أين الأولى من حاشد أهل الوفا
أين الأماجد من سلاله معصم
الصائلون بجدهم وبمجدهم
بين الأسنة والعجاج المظلم
أين الأولى من أرحب فهم الملا
القائمون على الوفاء الأقدم
الباذلون نفوسهم ونفيسهم
في كل معضلة بعزم أحزم
وكذاك حولان الطيال ونهمهم
واندب بنبي جبر بشر وانظم
واندب سحاراً يالههم من معشر—
فهم الملا أهل الجمائل تستمي
والحارثيون الكرام كذاك سن—
حان ووادة وكل معظم
وقبائل الشرفين أهل الجود وال—
جودات كم من فارسٍ بطلٍ كمي
يا من دعوت الآن قوموا وانفضوا
فالحق لازم كل فرد معلّم

قوموا بجِد وانهُضوا وتقدموا
 بجحافل وفوارس وقواصم
 أعِدُّوا سراعا في جهاد عدوكم
 إن قمتموا فالدين غير مهمم
 أبأؤكم قد شمرنا وتمجدوا
 بلغوا إلى العليا محل الأنجم
 حتى أبادوا المجرمين ولم يروا
 من حرب أرباب الخنا من أقوم
 قوموا على الدين الخفيف وجاهدوا
 القوم الطغام وكل ذمير مجرم
 واحموه بالبيض الصوارم والقنا
 والمشرفية والخيل والقُحَم
 وينادق مثل الرعود تصاعقت
 تسقي معاندكم كؤوس العلقم
 لا تحملوا عارا وتأبوا مفخرا
 أعلوا النفوس مراتبا لم تثلّم
 يارب نصرأ فالخفيف قد اغتدى
 بك مستجيرا بالنبى الأكرم
 فيحرمة التزييل عجل نصره
 وبحرمة الييت العتيق وزمزم

ثم الصلاة على النبي وآله

ما غردت ورق الحمام بترنم^(١)

ويتلوها جواب السيد العلامة العلم قاسم بن أحمد زيد الحوثي أبقاه الله وهي

قوله: [من الكامل]

أهلاً بنظم من فهم مصقع

ثبت الجنان مسدد المتكلم

ييدي به ما هاله من ذكر عز

م الترك أهل الفسق والنظر العم

إذ يمموا أرض الجبال بجهلهم

والجهل يوقع في السيل المظلم

في مستهل نظامه ما لفظه

كالدر قد نظمت بسلك منظم

أرأيت ناجمة كليل مظلم

وافت فأشجت كل حر مسلم

مستنجداً ياماننا وبقومنا

أهل الحفاظ كل شاك ضيغم

نظماً يهز به جبال حبالنا

كم من همام في اللقاء مصمم

(١) كذا في الأصل وفيه زحاف على الوزن ولعلها (ورق الحمام).

مهلاً وجيه الدين يا ذا الهمة الـ

ـعلياء يانسل الليوث البسم

يكفيك حرفاً من حروف قصيدة

يأتيك بحرٌ مائج المتلطم

ماذا يروم الترك نالهم الخزا

من أسد غابات الجبال الشمم

تبأ لهم ماذا السخافة فيهم

راموا غياصة بحر موتٍ ملهم

سنحت لهم همم البهائم فارتجوا

نيل الشوامخ فارتموا في مرتم

ما كان يكفيهم وراهم مرتعاً

حتى أرادوا الرعي فوق الأنجم

وندبت للأعجام كل قبيلة

مهلاً حماك الله من متهمم

يكفيك بعض من قبائل حاشدٍ

أو غيرهم في كل أمرٍ معظم

أما بنوا الأعجام لا تحسبهم

إلا جزائرٍ جازرٍ متلمم

إن كان أشعب قال قوموا انجدوا
 فلسوف تلقاهم شعوب المتهم
 ولسوف نسقيهم كؤوساً مرة^(١)
 ما الصاب فيها ما عصارة علقم
 ولنغنم سـيوفهم ورمـاحهم
 ويروا أقل القوم من لم يغنم
 وَلَيَعْلَمَنَّ إِذَا سَفَاهَةً رَأَيْهِمْ
 إن هبَّ نحوهم كـمأة التـوأم
 ولنملين الخبت لحم ضيافة
 منهم لوحش والطـيور الحوم
 ولنرسلن إذا أردنا غارة
 نحو التـهائم عادة المتقدم
 لا يأمـن الأتراك ثورة ثائر
 تذر النوائج تحت كل مخيم
 قد طال ما عاثوا بكل محلة
 للظلم عاقبة المحل المـوخم
 ظنوا رعاة الحق في مشاغل
 عنهم فلجـوا في انتهاك محرم

(١) في الأصل: بالجر كؤوس مرة، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

أكلوا البنادر غاصيين لحقنا
ما إن لهم فيها كحبة سمسم
نحن الأولى نصرهوا الشريعة لا هم
وبنا استقام الدين لا بالأعجم
فينا الشرع والتورع والتقوى
والأحوطية في الفعال الأسلم
فينا المناقب والقواضب والقنا
والروم نحكم رميها نحو الرمي
نحن الأسود الباذلون نفوسنا
في نصرته الدين الحنيف القيم
فينا حماة الدين حتف المعتدين
الواردون الموت عند المصدم
كم قد قتلناكم أسرناكم متيّا
كم رجعنا حائزين المغنم
فينا الأئمة لاحق عن سابق
من لدن خير الرسل خير متمم
الأمرون الخير والناهون عن
نكروكم من عادل في المقسم

فانظر نظرت الغوث مناغارة

شعواء تلمع في العجاج الأفتم

واسمع فصيح القول فيما قابلت

أحجار عقلي در لفظك واحلم

تمت.

ولما وصلت القصيدتان إلى الحضرة الإمامية، والعقوة السامية، وقد تفضل الله سبحانه بوصول الأخبار بإيقاع بني مروان^(١) وأسلم^(٢) بطائفة الأتراك، واجتاحهم الهلاك، ووقعوا في حبال واشترأك، وكفى الله المؤمنين القتال، وأنزل بأعداء الدين النكال والوبال، وقع الجواب عن مولانا ٥٠٪ من راقم هذه السيرة ونحن في رباط الجهاد بقرية ظليم^(٣) من جهة حمير من بلاد آنس وهي قوله: [من الكامل]

طلعت كلمع البارق المتبسم

وسرت تجوب بجنح ليل أدهم

هيفاء في حسن الشباب وحلة الـ

حسن الغريب وميله المتنعم

أبت القصور ووافقت مسرى الظبا

في سفح وجرة والعقيق وأسلم

(١) بني مروان من قبائل تهامة الشامية منازلهم في مديرتي (حرض) و(ميدى) من أعمال محافظة حجة، ولهم معارك حاسمة ضد الأتراك. المعجم (١٤٩٦/٢).

(٢) بنو أسلم بفتح فسكون ففتح إليهم ينسب جبل أسلم شمال غرب حجة وهي مديرية تضم عدة قرى. المعجم (٦٥-٦٤/١).

(٣) ظليم: بضم الأول وفتح الثاني وسكون الثالث بلدة في جبل ضوران بالشمال الغربي لمدينة ذمار. المعجم (٩٧٨/١).

خوذُ رعت حب القلوب وفرجت
 كدر القلوب كثوب خزٍ معلّم
 أبكار أفكارٍ تغارٍ لحسنها
 درر البحور وباهيات الأنجم
 من عالمي ذا العصر - بل شمسِي - فخار
 الدهر بل بحريّ نوالٍ مفعم
 قمرين في فلَكٍ وروضي ناظرٍ
 جريابشوط بلاغة في توأم
 برعافلاقسّ وسحبان الأولى
 يقفان إلا في الخضيض الأسلم
 ما الدر في العقد النظيم إذا اتمى
 زهر السوالف ما للذيذ المطعم
 عجز الفرزدق والكميت وجرول
 وغدا زياد في لسان الأعجم
 جلى وجهه الدين في ميدانه
 وجرى على سنن المقال الأقوم
 وجرى على منواله علم الهدى
 فعدا مصلٍ في مجال الأدهم
 مستجلدين لغارة مشحونة
 شم الأنوف وكل صقرٍ قشعم

من غلب همدان بن زيد نصرته الـ
 —حق المبين لمنجدٍ ولستهم
 شقوا بصفين الصفوف وأرغموا
 أنف ابن هند وابن عاصٍ المجرم
 ورعوا حقوق المصطفى ووصيه
 وسموا على سنن السيل القيم
 ولهم مساعٍ جمّةٌ ومكارم
 مَعَ آل طه في محل الأنجم
 رفعت من الدين الحنيف منارةً
 وشفّت قلوب المؤمنين بمرهم
 والقاسم المنصور طاب قراره
 وسقى ثراه من الرواعد مسجم
 لمّادعاهم دعوةً علويةً
 لبّوناده بكل أبيض محذم
 فسطا على الأتراك سطوة فاتكٍ
 فنفاهم ورماهم بالصّيلم
 وبنوه أرووا كل وإد بالمدّا
 في ريمّةٍ وبأنود ويسنم
 ولنا إليهم عودةٌ مهديّة
 في عصبة خضرا وجيش مرغم

لولا التصدي للجهاد وشغلنا
 لرأوا أسواق خيلنا في المهجم
 فليرقبوا منا جلاداً صادقاً
 وكماة حرب في الحديد المعلم
 ويرى علوج الترك في يوم الوغى
 طوفين من عتبان طير حوم
 ورجال موت من بكيل لا ترى
 سبل الفرار ولا تلوذ بمعصم
 والله قد أسدى إلينا نعمة
 كبرى يعظم شكرها للمسلم
 وأتاح للأعداء سيف عصابة
 من يعرب وعصابة من أسلم
 وكفى شرورهم العباد فأبصروا
 قلل الجبال شبيهة بجهنم
 وعسى يريح الله أرض تهامة
 بالغز من آل النبي الأعظم
 ويزيرهم أساد حرب من ذرى
 همدان في زرد الحديد المحكم
 ويزيرهم ما كان في أسلافهم
 من آل طه في الزمان الأقدم

صلى الإله عليهم وجزاهم

خير الجزاء ونيل فضل أدوم

وعلى النبي وآله واصحابه

صلى إذا سجع الحمام وسلم

انتهت هذه القصائد، وهي كما ترى في الرقاب قلائد، وفي الإحسان موائد، والله سبحانه بفضل العظم يصدق منطوقها ومفهومها، ويقر عين إمامها ومأمومها، بالنصر والظفر، وبلوغ السؤال والوطر، لإمام الزمان، والغرة في ذرية سيد ولد عدنان، ويمضي في الخافقين راياته، وفي الرافدين آياته، ويجعل النصر من خدامه، والإقبال في إقدامه وإحجامه. [من البسيط]

آمين آمين لا أرضى بواحدة

حتى أضيف إليها ألف آمينا

ومما رفعت به ألسنة الأقلام، وسحمت به بواخل الأيام، منظوم القاضي العلامة شرف الإسلام، الحسين بن إسماعيل بن حسين جعمان، مما قاله مهتئلاً لإمامنا عادة بركاته، وحمدت صفاته، بعيد النحر في سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف وهي قوله: [من الكامل]

دين النبي زهت له أعلام

ونسيمه بهجت بها الأيام

والنور منها صار ثوباً شاملاً

وبه عفت عن أرضنا الآثام

والنور في روضاته متضاحكاً

راقبت به البرهات والأعوام

وتشعّعت أنوارها فبهها اهتدى
 في أرضنا العلماء والأعوام
 وعمود دين الحق أضحى ثابتاً
 بقواعده ثبتت لها أحكام
 وشريعة المختار في كل الدنا
 والأرض قد نفذت لها أحكام
 ولنص يحيى بن الحسين سوابق
 يعلو بها ما نصت الأحكام
 ونوافح الأخبار قد كثرت بها
 أفرادها حتى غدت أعلام
 والنصر للإسلام قد رفعت له
 في كل ناحية لنا أعلام
 وشواهد شهدت بها أهل النهى
 أخبار دين محمد أعلام
 وبساط دين الله أضحى واضحاً
 كالأرض أثبت ميدها أعلام
 بسجية نبوية وعزيمة
 علوية يعلو لها الإفحام
 ومكارم حسنية وفصاحة
 للمفلقين غداً بها الإفحام

وخصال خير جمعت فبحولها
 حاموا جميع الناسكين وهاموا
 ووضاحة للحق والدين الذي
 مافيه لا وهم ولا أوهم
 خير السجايا جمعت في كعبة
 مفتوحة ما حولها إحرام
 قدر حبت بالزائرين فلم تجد
 في سوحها منع ولا إحرام
 في حضرة قد زانها مولى الورى
 من حرمة للمسلمين حزام^(١)
 من قام يدعو بالشرعية معلناً
 لتزول عنا بدعة وحرام
 من رد عقل المكرمات بأسرها
 من بعد أن طاشت لها أحلام
 من أوضح الشمس المنيرة للهدى
 من بعد أن كانت بنا أحلام
 مولى الأنعام أبو محمد الذي
 من سعيه للدين قام مقام
 بلدرنشا في آل أحمد سيد
 قمرهمام متقى قمقام

(١) في نسخة: من حزمه للمسلمين حزام.

هو ساعد الإسلام والكف الذي
قد زانه في المعصمين سلام
صلى عليه الله بعد محمد
وبنيه يتبع ذي الصلاة سلام
ياسيد آل الكرام ومن همو
بدء خير مقالنا وختام
بمقامك الإسلام حط رحاله
وله يوت طنبت وخيام
هتيت عيد النحر واليوم الذي
لك فيه كل الخير والأنعام
وله الثاربي على نيل الهدى
والحمد إذ حلت لنا الأنعام
واسلم ودم ترقى على دوح العلا
متعافياً ما تدرس الأنعام
انتهت وهي جواب على قصيدة العلامة الوجيه عبد الرحمن بن محسن جحاف،
مهنيئاً لإمامنا بعيد الإفطار وشهر الصيام، في التاريخ المذكور وهي: [من الكامل]
سعدت بفضل قيامك الأيام
وسمت برفع سمائك الأعلام

وافتر ثغر الدين عن شنب المنى
 واستر عن فرج بك الإسلام
 وتعطرت بشذاك أنفاس الهنا
 في الأرض منك سهولها وأكام
 وتزينت بوجودك الأعصار والـ
 أقطار والأمصار والأقوام
 إذ قمت لله احتساباً مخلصاً
 وقصدت أن تحيا بك الأحكام
 وافيت والإسلام أطلال ووجـ
 هـ شريعة الطهر الشفيع ظلام
 والحق أبعد ما يكون مثاله
 والعدل جور والحلال حرام
 والجبت والطاغوت قد رفعت لها
 رتب وفيها الحل والإبرام
 والقتل أيسر كل فعل صادر
 من فاعل قد أهدرت أجسام
 والأمر والنهي اللذان أتى بها
 الذكر المبين كأنها أحلام

فوقيت سنة أحمد بدع الجها
 لة والضلالة والهوى الظلام
 لازلت منصوراً على الأعداء تـ
 دعاً في الأنعام خليفة وحسام
 وجزاك ربك كل خير دائماً
 وعليك منه تهيئة وسلام
 هنيئ شـهر الصوم والعيد الذي
 وافي وفيه الفوز والإنعام

انتهت.

وللسيد العلامة عبد الرحمن بن محسن جحاف المذكور أولاً مهنيئاً لمولانا الإمام
 بشهر محرم، مفتاح سنة أربع وثمانين ومائتين وألف، وهي قوله: [من الكامل]
 أهلاً بخطط إمامنا المتوكل
 العالم العلم الحسام الأنبـل
 القائم العدل النية الماجد الـ
 أواه في الليل البهيم الأيـل
 أهلاً به وبمن أتى من عنده
 لا زال في النصر العزيز من العلي
 يا مرجباً مهما تهب نسائم الـ
 فتح الأغـر الأنور المستقبل

يا خير من شهدت له آثاره
 بالفضل والآثار لم تنزلزل
 يا ذا المحامد لا عدتمك قائماً
 فينا لتكشف كل أمرٍ مشكل
 وليهتدي بضياء نورك والهدى
 عن خبط عشواءٍ لبيل الأجهل^(١)
 شرفت بك الأيام إذ ألبستها
 حلاً من التقوى فلم تتحلل
 وإليك مني يا حبيب نصيحة^٢
 والنصح خير هدية المترسل^(٢)
 صبراً على جور الزمان وأهله
 صبر الحسام بكف ليثٍ أبطل
 وحذارٍ من كيد العدو فللعدا
 سمٌ كسم الأرقم المتصلل
 إن العدو وإن يريك^(٣) صداقةً
 فالحق مدعمورٌ بصدر الأغدل
 واغلظ على الأعدا وكن من غدرهم
 حذراً فأخذ الحذر رأي الأكمّل

(١) في نسخة: عن خبطنا العشوا لبيلٍ أجهل.

(٢) في نسخة: المتوسل.

(٣) في الأصل: يريكم، وما أثبتناه من نسخة أخرى.

واجعل رسولك إن بعثت إلى العدا
 حب المشطب والرماح الذبل
 فلذاك أنفع مرسل لن ير حا
 عوناً لكل ممجد ومفضل
 واعلم هديت وما أخالك جاهلاً
 إن الرسول يبان عقل المرسل
 وتهن بالشهر المحرم إنه
 شهر الكرامة فتح أمر مقفل
 مفتاح باب النصر والفتح الذي
 ترجو من المولى النصير المفضل
 والحمد لله الحميد وصل يا
 رب العباد على النبي المرسل
 والآل والأصحاب أهل الصدق من
 وإلى حبيب الله والدنا علي
 فهو الموفق بالولاء مخلداً
 في جنّة بين النعيم الأجل
 من كان متبعاً لنصي ثابت
 فيه جلي ليس بالمستجهل
 يوم الغدير غدا المشفع خاطباً
 بخلافة الكرار عالي المنزل

إذ قال هذا العهد قد أوثقتَه
 فيه وكان الله فيه موكلي
 فبداهم ما كان من تحويله
 بحصول حقدٍ في الصدور مؤصل
 من يوم بدرٍ كان بدء حصوله
 والله يشهد أن والدنا الولي
 فلكل^(١) ما قد نال آل محمد
 من محنةٍ ومصيبةٍ لم تنجل^(٢)
 فلذلك السبب الذي فيه العنا
 يوم السقيفة أصل كل محصل
 صبراً بنبي المختار إن أماننا
 لمقام فضل^(٣) عند رب أعذل
 يارب وفقنا لحسن ختامنا
 وعليك في كل الأمور توكلي

تمت.

ومما قاله القاضي الأديب الفهامة، النجيب شرف الإسلام، حسين بن إسماعيل
 جغمان أبقاه الله، هذه القصيدة النفيسة، مهتئاً نتاج فرسي مولانا الإمام % في ليلة
 واحدة، وهي ليلة الجمعة بفرس ومهر وهي قوله: [من الطويل]

(١) في الأصل: فكل، وما أثبت من نسخة أخرى.

(٢) في نسخة: من محنةٍ في مخرجٍ أو مدخل.

(٣) في نسخة: فصل.

نتيجة شكل العاديات الأصايل
 وفضل كنان الموريات الأمائل
 وعز مقيم في نتاج لواحق
 وخير عميم جاء عن خير قائل
 سعادة ربي بالطلائع أقبلت
 بخير إمام في العلا والفضائل
 دلائل خير واسع ومكارم
 لك ابن رسول الله يا خير عامل
 بذاك أتى الجمعان والجمعة التي
 بليتها قد أنتجت خير صاهل
 هما وإله العرش للدين عزة
 وللعز رأس رافع غير سافل
 تهن أمير المؤمنين بشائراً
 ومن عقبها تأتي جميع الفواضل
 وصلى عليك الله بعد محمد
 مع الآل ماتتلى كرام الفواضل
 وسَلِّم والتسليم منه سلامة
 فدم في نعيم الله يا خير واصل

تمت.

ومما قاله السيد الأديب العارف عبد الله بن يحيى المعروف بالخاشب من ذرية السيد
العظيم سلطان الإسلام الناصر للدين المطهر بن الإمام شرف الدين وهي قوله في
قطعة يسيرة: [من الكامل]

أرجُ شملت النصر—من نفحاته
ونسيم فتح هف في صبواته
ووميض برق خلت قطر سحابه
فتحاً يسيل الخير من هضباته
حدس صدوق لا أشك وإنني
مترقب لجناس من ثمراته^(١)
نور نظرت به وقست بسالف
خلفاً عرفت الرشدي لمحاته
شمس بدت لما توفر نورها
غاب الهلال وأض عن هالاته
يا محسن يا واحد الدهر الذي
هلكت قرون البغي من دعواته
معك اليد العليا لأنك متقي
مع محسن والنصر—من آياته

وللفقيه الأديب الشيعي الحاج الفاضل عماد الدين يحيى السداوي الكوكباني
الساكن بمدينة شبام كوكبان وقد تقدم له ذكر، وذكرنا شيئاً من نظمه فيما سبق من

(١) كذا في الأصل، ولعلها مترقب لجناسه.

السيرة، مؤرخاً لهذا العام عام أربع وثمانين ومائتين وألف ومادحاً للإمام % قال عافاه
الله: [من الكامل]

لُذْبالذي دَلَّ الأئام إلى الهدى
وغدا حمياً شافعاً لهم غدا
ويساكن النجف الغري وطفه
وكذا الذي قد ذاق سِماً للعدى
وبفاطم وبآلهم سفن النجا
وإمام عصر — بالكمال تفردا
وإذا مسحاب النائبات تراكمت
وخشيت عند وقوعها سهم الردا
فادع الإله بحقهم متوسلاً
واجعل إمام جميع ذاك محمدا
يأتيك عام بالبشائر معلناً
بالخير والفرج القريب لنا بدا
ويعم أقصى الأرض فضل شامل
وتنال في التاريخ عزاً أرغدا
١٢٨٤هـ

[معركة الإمام عليه السلام مع بعض قبائل همدان ووفود بعض القبائل إليه]

ولنذكر في هذا المحل ما تجدد من السيرة، بعد انتهائنا إلى ما انتهينا إليه، في أيام إقامة مولانا % بقرية حزيز، وصل إلى سوحه الرحيب، وربعه الخصيب، جماعة من همدان، بعد صدور مكاتبة من شيخ حسيب، الشيخ أحمد بن قاسم الأسد، نافراً من عبد الله بن ناجي الهمداني، وقد كان داخلاً في جملة، منخرطاً في صحبته، فوقع النفور من المذكور، لأمرٍ أوجبت، وقوادح تجدد، فأراد الإنخراط في طاعة الإمام، وأن يلقي إليه الزمام، واستدعى العساكر فرجع مولانا % أن يليي صوته، ويشد عضده، وأرسل القاضي العلامة سعد بن محمد الشرقي إلى جهة بلاد أرحب، لحث العساكر، وحشد الأجناد، فاجتمعت إليه عصابة نافعة، وثلة دافعة، فتوجه بهم تلقاء مطلبه، وقصد بهم نجاح مأربه، واجتمع إليهم من قبائل همدان، من سعد ببخته القران، وكان من الأعوان، فتوافرت الأجناد هنالك، وضايقوا من بقي مضمحل الخلاف، وأخذوا منهم بالمخائق، وسدوا عليهم وجوه الطرائق، وتوجهوا ذات ليلة إلى قرية يقال لها بيت صبر، وبها رتبة من همدان، الذين استمروا على الخلاف والعدوان، فصالت عليهم أجناد الحق، واضطربت نار الحرب، وحملت الأجناد على القرية، وأضرموها بعض بيوتها بالباروت، واستولوا على من فيها قتلاً وأسراً، وقتل من أجناد الحق قدر ستة أنفار، والبغاة مثل ذلك، وقطعت منهم رأسان وصلت حضرة مولانا % وقام الشيخ المذكور بأود المجاهدين، من جميع ما يحتاجون إليه وفعل فعَل الأجواد، ووفر لهم الزاد

وتابع العتاد وهم الآن في رباط الجهاد، طالبين الإزدياد.

ووقع لبقاهم موقع في قلوب الباطنية، ووجلت قلوبهم، وقذف الرعب في قلوبهم وعسى يدل الله الإسلام والمسلمين، ويعلي كلمة الحق المين، واستمرت في هذه الأيام عمارة الحصن العيد^(١) المسمى قصر الخوار بيت سبطان، وكثرت الوفود، واثال الناس على مولانا أمير المؤمنين، لفصل الشرائع والأحكام، وقواطع الخصام، وأعطى الله مولانا % الصبر على اتساع نطاق الأشغال، وتوفر الواردين في كل حال، وهو يعطي كلاً حقه، ويوفيه مستحقه.

وقد عَنِّي أن أورد في هذا المحل قصيدتين رعف بهما القلم، وصاغهما الفكر القاصر، إحداهما معارضة لهذه الأبيات، أوردتها بعض العلماء بجهة صعدة، يعرض فيها على الإقبال على الحق، ومظاهرة إمام الزمان، وأرسلها إلى الحضرة فتاب عن مولانا %، بعض من شمله المقام، في المعارضة الآتية يعقبها وذلك قوله: [من الطويل]

أقيموا بني الزهرا سلاله هاشم
وسلُّوا النصر الدين بيض الصوارم
فما النصر إلا هكذا ليس غيره
وما العز إلا تحت ظل القشاعم
وما قام دين الله إلا بفتية
أباحوا النعش الدين ضرب الجماجم
وخاضوا بحار الموت شرقاً ومغرباً
وكل كمي في الكريهة حازم

(١) كذا في الأصل ولعلها (العتيد) والله أعلم.

تراهم أسوداً لا يهابون معشراً
 ويرجون عند الله محو الجرائم
 فحتى متى لا يعرف الحق مبصراً
 وسحقاً لمن أضحي أسير المآثم
 أفيقوا عباد الله من سكرة الهوى
 وقوموا النهي المنكرات العظام
 فمن سيم خسفاً بعد ما قام قائم
 وداع إلى مولا له رب العوالم
 فقد باء بالعصيان واتخذ العمى
 دليلاً إلى هتك الحجا والمحارم
 ألا فانفضوا بالصدق لله ربكم
 رقيب عليكم بالسراير عالم
 وَمَنْ طَلَب الدُّنْيَا الدِّينَةَ أَعْرَضُوا
 فطاعة رب العرش خير الغنائم
 وإن سبقت مران^(١) بالنصر—أولاً
 وقهر عدو الجاهالة غاشم
 فلا جرم فالله يختص من يشا^(٢)
 إذا ختمت يوماً بحسن الخواتم

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها فلا جرم إن الله.

فيا آل يحيى نجل يحيى الذي دعا
 ويا كل من ينمى إلى آل قاسم
 وكم من إمام دوخ الأرض أمره
 ودانت له كرهاً بلاد الأعاجم
 بلنجا وجيلان وأقطار ديلم
 وفي يمن والشام وأرض القواسم
 ويا شيعه تعزى إلى زيد الذي
 أذاق العدى كأس الردى بالملاحم
 أعدوا لأعداء الإله جحافلاً
 تشابه موج الزاخر المتلاطم
 بكل ضروب لا يرى الموت سبةً
 إذا كانت الأرواح عند الغلاصم
 وآخر طعان وثوب غشمشم
 كسوب لمجد مرتدٍ بالعظام
 وثابت قلبٍ للرماية محكم
 سيد جنان أريحي ملازم
 فلا العزم يدني الموت من كل مقدم
 ولا الجبن منجٍ للذليل المسالم
 لنا أسوة بالمصطفى ووصيه
 وآل تحلوا بالتقى والمكارم

فما وهنوا حتى أبادوا الذي عصى—

وأصبح دين الله ثبت الدعائم

فحيهم باب النجاة ونصرهم

على كل من يغى عليهم وناقم

وصلى إلهي كلما لاح بارق

على أحمد والآل خير الخواتم

تمت.

ولما وصلت هذه الأبيات، ولم تكن في أعلى طبقات البلاغة، ولكننا أثبتناها لملائمتها للمقام، وقد عارضها جامع السيرة هذه، جمل الله حاله، وأحسن مآله، بهذه القصيدة وهي قوله: [من الطويل]

دعا من دعا للدين أهل العزائم

وأشدد حتى لاح نور المعالم

وأهدى نظاماً طاب معنى ورقه

وأحسن في إرشاده للعوالم

وأبلغ في تحريضه ودعائه

وحث الكرام الصيد من آل فاطم

على نصره الشرع الشريف ونعشه

بصم القنا والمرهفات الصوارم

وإنّا بحمد الله قد جد جدنا

وخضنا غمار العضلات العظام

سل السفح من غربي أزال^(١) وجمعه
 يخبرك عنا عن كبار الملاحم
 وإننا أقمناسوق موتٍ عننت له
 رؤوس الأعادي في رقاب القماقم
 أقمناسطراد الخيل خمسون جمعة
 نصول على أهل العناد بجاحم
 تقصّصت على نصر الإله وعونه
 بتدمير حزب البغي أهل الجرائم
 فصار بها الدين الخفيف ممنعاً
 عزيزاً وأخزى الله أهل المظالم
 وسل ماجرى في البون يخبرك ناطقاً
 وما جاهل يدري الأمور كعالم
 نصبنا لهم سمر العوالي وزرقها
 وخضنا غمار الموت في كل قائم
 فطارت رؤوس المارقين وعطلوا
 محاربهم واستعصموا بالهزائم
 وسل جمعنا بالحيمتين وحرّبنا
 وأننا أقمنالدين بعد التفاقم
 فلو شايعتنا غلب همدان برهةً
 وأشياع يحيى بن الحسين بن قاسم

(١) أزال اسم لمدينة صنعاء.

ووافوا إلينا بالصوارم والقنا
 تلوح وخيل صافيات القوادم
 لقمام بنا الدين الحنيف وطبقت
 أوامرنا في نجدها والتهائم
 ولكنهم مالوا عن الدين رغبةً
 وصاروا إلى بغى وهتك محارم
 فلا عالم يدعو إلى الخير جهدهُ
 ولا عاقل يدعو إلى خير قائم
 فإعلماء الدين هل حل عندكم
 تقاعدكم عن سعي أهل المكارم
 وإني ألاقى العضلات بأسرها
 فريداً وأنتم في لذيذ المطاعم
 وهل كان هذا واجباً صح أصله
 خصصت به في الشرع بين العوالم
 أيبنوا بما تتلون من علومكم
 فما جعل الرحمن عنراً لكاتم
 ولا تكتموا ما أوجب الله نشره
 وما نقل الحفاظ عن خير خاتم
 فإن عقاب الله لا شك واقعُ
 وما لكم عن أمره جد عاصم
 فبين يديه موقف وصحيفةُ
 يحاسب فيها كل غمر وعالم

وإني خصيمٌ للبرية عن يدٍ
 لدى من أقمنّا شره خير حاكم
 وعند رسول الله أحمد جدنا
 نخاصم من في شرعنا غير قائم
 فلم لا تكونوا حجةً في دياركم
 لتطهير ما أنكرتموا من مآثم
 وتستنهضوا من كان للأمرنا هض
 وليس عن السعي الحميد بنائم
 فقوموا بهذا الشأن إن كان قصدكم
 قيام الهدى واسعوا له سعي حازم
 ومن كان منكم للرئاسة صالحاً
 طلبتم له إذنّاً عن العيب سالم
 ولا تجعلوا للجاهلين ذريعةً
 بقولكم هذا لنا غير لازم
 وكان عليكم أن تقوموا جميعكم
 ولا تجعلوا في الدين عنراً لناقم
 فإن صراط الله في الدين واضح
 وبينانه ركناً رفيع الدعائم
 فقد قام دين الله واستوضح الهدى
 ولم يبق في الدنيا مجال لظالم
 وأشياع زيداً صبحوا في أزمنة
 تقصر — عنها رتبة المتعاضم

وغصت بطلاب العلوم جوامع
الديار التي قد أحكمت بالعزائم^(١)
مدارس علم الآل تشهد أننا
على الحق قمنا لا لجمع الدراهم
ولا رغبة في رتبةٍ وذخائرٍ
تزول قرياً مثل أحلام حالم
ولا فخر في ذابل نبوح بنعمةٍ
حباها من هولنا خير راحم
ونسأله إتمام نعمته التي
أفاض علينا في الذرى والمناسم
وصلّ وسلّم كل ما ذرّ شارق
على جدنا المختار من آل هاشم
وعترته القافين في الشرع إثره
إذ الطير غنت في الغصون النواعم

تمت.

ومما قاله السيد العلامة الأديب الوجيه عبد الرحمن بن محسن جحاف السابق ذكره
وقد أثبتنا من أشعاره فيما سبق كثيراً وسلكننا ترجمته فيما مضى - من التراجم وذلك
قوله: [من الكامل]

وافى جواب العالم الرباني
وإمامنا من مدنا بأمانني

(١) في الأصل: أحكمتها عزائم، وما أثبت تظنيماً.

جاء الرسول به فأرج نشره
 أرجاءنا بالروح والريحان
 أضحي لنا يا صاح عند وصوله
 طرب المحب ونشطة النشوان
 ورفعت به مني بأعلا موضع
 لجلالة المولى أمير زمان
 أهلاً به وبمن أتى من عنده
 لا زال منصوراً بكل مكان
 وألذ ما يجد الصديق من الوفا
 عند البعاد تفقد الإخوان
 كتفقد المولى الإمام فلم يكن
 ذا غفلة عنّا ولا نسيان
 وشواهد المتودين قلوبهم
 جنود مجندة لذي إيمان
 يا مرحباً أهلاً بخط إيماننا
 مولى الهدى الداعي إلى الدينان
 ابن الرسول وعالم المنقول والـ
 معقول والحامي حمى الإيمان
 ذاك الذي أحيا شريعة جده
 ومحاشريعة شرعة الطغيان

صلحت سريره فأصلح شأنه
 والله يعلم نيته الإنسان
 الله يعلم حيث يجعل سره
 وهو العليم بجملة الأكوان
 فرع زكى شرفاً لطيب أصوله
 ومن الأصول طيابة الأغصان
 من عصية علوية حسنة
 ومديهم قد جاء في القرآن
 كم حاز من علم وفضل باهر
 وملائح تسموا على كيوان
 وسماحة ورجاحة ونباهة
 وتواضع للخالق المنان
 وعبادة ونجاسة وزهادة
 ووفاء دين كامل الأركان
 ووفاء عهد لم يخن في عهده
 أبداً وما عهد على خدعان
 قد قسم الأوقات بين عبادة
 ودراسة للعلم والفرقان
 لا ينظر الدنيا إذا زانت له
 وتزينت إلا بعين الشاني

وهو الإمام المتقى من أحمدٍ
 هو نقمة الباغي وغوث العاني
 الفرد مولانا الإمام المحسن الـ
 ممتوكل السامي على الأعيان
 هو صدرهم ذكراً بآخر حكمة
 لله فيه حكمةٌ ومعاني
 فغداً فتى متصلاً متعقباً
 ناهيك من متعقبٍ بزمان
 يأبى الحادي المهمل قلوبه
 يطوي فيافي القفر والبلدان
 ترجي قلوبك مسرعاً متفتناً
 في سيرها من مرقل وأواني
 تفري متون الأرض كل غديّة
 وعشية في جملة الأحيان
 إن جدّ عزمك للعلوم وترتجي
 تحصيلها مجموعة الأفيان
 فاقصد مقام العالم المولى الذي
 أربى على العلماء في الأزمان
 فهو العليم بها كما علمت به
 إن الفتى أصل لها والثاني

فمقامه فيه السكينة أسكنت
والعلم والتقوى وجوده هاني
فهناك حاوي أصلها وفروعها
ومبين الإشكال بالإتيان
وهناك وإبل بحرها وزينها
وفنونها بل غيها الهتان
وتقوز بالأثمار من ثمراتها
من روضة الأزهار أصبح جان
من عالم أروى بوابل علمه
كل البلاد بجوده في الآن
فأنالنا منه الشفاء بعلمه
وشفى الأنام ففاز بالرضوان
ويصول بالكشاف كشافاً به
رحض المشبه عاكس القرآن
قد حلَّ شبهة من رأى برواية
عكس المحكم قاصد العدوان
هو فتح باب أيه أعني المرتضى—
باب المدينة والدا الأعيان
وحكى عليه جده في بهجة
في العلم والتقوى وجوده يان

ياسيد الآل الكرام وعالم الـ
 إسلام يا ذا العرف والإحسان
 وافيت والإسلام مغلوب وفعل
 الجور محبوب مع الإدمان
 والحق أغلق عنه باب صفائه
 مُذْقام فتح الجور والطغيان
 والجبت والطاغوت قد رفعت لها
 رتب برفع الصوت والإعلان
 والأمر والنهي اللذان هما على
 كل الوري فرضان قد تركان
 وتصعد العبرات من أهل التقى
 من أجل ذا بحرارة النيران
 والناس كالأمواج يلطم بعضهم
 بعضاً على بعضٍ بكل مكان
 وكذلك حكام الشريعة قد غدوا
 يبدون نوح تواكل النسوان
 يكون فقد الشرعة اليضا كما
 يكون فقد الأهل والأوطان
 فَبِكَ الشريعة أشرقت أنوارها
 والحق أضحي ساطع البرهان

فجزاك ربك كل خير في غدٍ
 ولسوف تعطى الأجر من ديّان
 يا أيها البدر الذي شاد الوري
 وسعى إلى العليا بغير توانٍ
 إنسان عين الناس أنت ولم تدع
 لسواك إلا صورة الأبدان
 قسماً بمن بعث الرسول مبشراً
 للمؤمنين ومنذر الخوأن
 وبمنزل القرآن مشتملاً على الـ
 إعجاز والأحكام والتبيان
 وبقالب الإصباح عن ذي غيب
 في ليلةٍ ومدير الأكوان
 وبصادق الوعد الوفي مبشراً
 للمؤمنين بنصرة الإيمان
 إني لأجلك ناصح ومسددٌ
 وملازم أبداً ثنا حسان
 مع أنني لم أعتمد بمداخلي
 إلا امرء خالٍ عن النقصان
 وإليكها عناء بنت قريحةٍ
 جاءتك ماشية على استحسان

تحتال في برد الكمال تبختراً
تهوى المقام بسنة الأبدان
تبغي الصداق وقد جعلت صداقها
منك القبول وإن قبلت كفاني
عزت على خطأها لصداقها
الغالي الذي قد زاد في الأثمان
فاستر عليها أسطراً من شيق
شاقته حسن شمائل الإحسان
أطربت ندماني بإطرابي بها
يا حذا الإطراب للخلان
واعذر أباك إذا أتاك نظامه
في ضعف قافية وسقم معاني
فالذهن وإه والقريجة قد خبت
والقلب في هم وفي أحزان
أصبحت في بلد فلا شيخ به
عرف المعاني والبيان هداني
كلا ولا عرف العروض يمين لي
كيف الروي والنحو بالميزان
لكن مولاي الحسام مستر
والستر أشرف خصلة الإنسان

أنا واحد النفر الثلاثة حقهم
 أن يرحموا الحوادث الأزمان
 مثير أقل ومرشد مستجهل
 وعزيز قوم ذل للحدثان
 واسلم ودم في عز مجدل تزل
 في نعمة غرّاب رغم الشان
 والنصر والإقبال لا برحامعاً
 فبما تشاء عوناً من الأعوان
 ثم الصلاة مع السلام مضاعفاً
 تغشى المشقق صفوة الرحمان
 نور الوجود محمد ذي السجدة
 العظمى الرفيعة في الدنو الداني
 والآل والأصحاب أهل الصدق من
 وإلى وصي المصطفى العبدان

انتهت. ويتلوها قصيدة للمذكور جعلها رداً على بعض السفهاء المبغضين أهل
 البطالة فأجاب السيد المذكور وأطاب، والله دره وذلك قوله: [من الطويل]

أتى نظم فحشٍ فهو للقلب مؤلم
 كليم وبعض القول كالسيف يكلم

بيت له في القلب مناقوادم
 فأرقني والناس حولي نوم
 يهيم بسحر الفكر لما سمعته
 فؤادي إذا السهار ناموا وهو موما
 أتى من سفیه العقل لا غرو إنه
 هو القارة المعروف إن كنت تفهم
 يذم إمام العصر لا شك أنه
 من الحاسد القالي أغش وأظلم
 ولا غرو إن فار الإناء بهائه
 ومن تحته نار الغضا تتضرم
 وبعض معادات المعادي غيضة
 بلا علة ينحي عليها فتحسم
 كآدم إذ عاداه إيليس عامداً
 وليس له دخل عليه ولا دم
 كفى المرء داء أن يكون عدوه
 لسيناً ومن ذا من أذى الناس يسلم
 مشى في طريق الذم فخراً بظنه
 عناداً وبغياً ساء ما يتوهم
 فتبت يده كيف يعزى إلى فتى
 له شرف والشأو أعلا وأعظم

وتبت على فيه زرارة ما على
 ولا نهشل فيه يسوح معجم^(١)
 قواعد فخر للفخار قديمة
 تأخر عن أدنى مداها المقدم
 لهذا أمير المؤمنين أساسها
 وفيها لأهل البيت مشوى وملزم
 هو القائم الحامي الشريعة محسن
 إلى من أطاع الله والحق أقوم
 بدا في سماء العلم شمساً منيرة
 لطيف به من أهله الغر أنجم
 وليث هصور يتقي جيشه به
 وطيس الوغى والجوب النقع مظلم
 علا في العالي حلّ أرفعها علا
 وشيدها إذ أوشكت تنهدم
 صبا قلبه بالمجد والمجد دمية
 وما مهرها إلا بمعترك دم
 ومن خطب العليا وأرخص مهرها
 تعزّز ومن ذا غير ذي العزم يعزم

(١) كذا في الأصل.

ومن رام نيل المجد شاو فؤاده
 حسام وخطي وطرف تحمحم
 ومن يك مَع مولاه في كل حالة
 يكن معه عوناً نصيراً ويعظم
 ومن عز بين الناس نفساً عزيزة
 يعز ويلقى الله وهو مكرم
 ومن نصر الرحمن حقاً فإنه
 هو الظافر الميمون وهو المعظم
 مدحت إمام العصر قصداً لنصره
 على من بدا بالذم والسلم أسلم
 ومدحي له يرعى حقوقاً أكيدة
 وينبي على مكنونها ويترجم
 وفيه ثناء زان في النذب ذكره
 لباني المعالي لا كم من يتحلم
 إذا لم يكن في الأرض بالحق قاضياً
 يقيم حدود الله من ذاك يحكم
 فسحقاً لمن غاب المقدم في الورى
 يرح وهو عار من حلا الخير معدم
 أراد يسد الباب بعد انفتاحه
 ومن سد باب الخير ما قط يسلم

مديحي لولاي الحسام مدوم
 وعند ختامي للنظام أسلم
 سلام كزهر الروض صافحه الصبا
 وراح برّيان نشره يتسم
 سلام كمثل الدر وهو مفوّق
 ويخجل منه الدر وهو منظم
 كأجنحة الطاووس حسناً وبهجة
 يدلّ له ودّ أكيد مسلم
 وبالله إني ما حييت لو أمقّ
 شمائله الحسنى محبّ متيم
 ولست بناس ذكر أخلاقه التي
 حلت فهي شهداً تمثلت فهي عندم^(١)
 إذا صح لي من قلبه الود صادقاً
 ظفرت فلا آسى ولا أتدم
 فإلى ماء سوى النيل مأرب
 ولو أنه استغفر الله زمزم
 ويحائز الغايات آياتك التي
 سبقت بها مشهورة ليس تكتم

(١) كذا في الأصل.

وخير قلدوم بعد فتح مبشر —

من الملك المولى له الحمد يلزم

وهنيت شهر الصوم يا خير صائم

على السنة البيضاء تقوم وتعم

وصلى على خير البرية أحمد

وعترته من هم أمان وأنجم

تمت.

ومما ورد من تلقائه وطاب نظمه وأبياته قوله:

أهلاً بخط إماننا المتوكل

العالم العلم الحسام الأنبيل^(١)

انتهت.

ولما كانت هذه الأبيات قد اشتملت على نصائح بليغة، ونكات بديعة، صبت في معارضتها إلى السيد المذكور ما هو كالجواب، وهو كرجع الصدى في القفر الياب، وهو قولي ولم يبلغ إليه ذلك: [من الكامل]

يا برق شق ظلام ليل أليل

مذلاح في متن السحاب الهطل

أذكيبت في الأحشاء نار صباية

لا تنطفئ بغزير دمع مسبل

(١) كرر المؤلف هذه القصيدة وقد قدمها قبل عدة صفحات فرأينا حذفها لتقدمها نصاً في ص، وأوردنا منها البيت الأول فقط للتبيين.

ليس الصبابة شأن مثلي لا ولا
 أصبر إلى ذاك الغرام المشعل
 لانت قناتي للعنول ولم أزل
 صعب القياد بكل أمرٍ معضل
 شغفي بكسب المكرمات وروضة الـ
 أدب الوريث ونيل مجد أنبل
 أصبوا إلى داعي نزالٍ إذ دعا
 داعي الصدام وثار غيم القسطل
 ويروقني العلم الشريف وأهله
 ومجالهم في كل فضل أفضل
 وسلافة النظم الذي يروي الصدا
 في مدح مولى الأئمة^(١) المتوكل
 من سيد أرباب مقولته على
 قس الفصاحة والصرع وجرول
 من آل جحاف الذين تخيروا
 أعلا الفضائل في الرعيّل الأول
 فجزى وجيه الدين في ميدانهم
 سبق الجياد إلى رفيع المنزل
 فسرت نسيم اللطف في كلماته
 وتضوعت فيها أريج المنديل

(١) كذا في الأصل، ولعلها: الأمة.

طابت وطاب قرارها فسمت بما
 أملت على أوج السماء الأعزل
 أهدي النصائح لا عدمننا نصحه
 كالبدل في جيد الغزال الأحمل
 أهلاً بها وبمن أتت من سوحه
 تختال بين تسرع وتمهل
 مسكية النفحات في أعطافها
 طب العليل وبغية التأمّل
 وصفت مشاربها وكان مزارها
 روض المشوق ونزهة المترسل
 كرر على سمعي سلاف نظامه
 فهو الشفاء لكل داءٍ مقفل
 واهدي السلام كما تضاحك نظمه
 كالدر حسناً أو كروضٍ مخضّل
 أو كالسحاب تساقطت حباتها
 من مستهل دموعها في مجول
 وصل الصلاة على النبي وآله
 في كل حين كالفرات السلسل
 تبقى مع التسليم مهما رددت
 ورق الحمام هديرها في المنزل

انتهت.

[ونذكر] هذه الأبيات ونجري فيما نحن بصده من سيرة إمام الزمان، على جواب هذا السؤال، الذي تعدى فيه المجيب عن صواب المقال، وهو قولنا: [من الطويل]

أَلَا فَلْيُرَثِّ الدِّينَ مِنْ كُلِّ شَاعِرٍ
وَيَكِي عَلَى أَرْكَانِهِ وَالْمَآثِرِ
عَفَى رَسْمِهِ وَاللَّهِ وَانْهَدَّ رُكْنُهُ
وَعَطَّلَ مِنْ بِنْيَانِهِ كُلَّ عَامِرٍ
فَلَا عَالَمَ يَهْدِي إِلَى سَنَنِ الَّذِي
يَزِينُ الْمَعَانِي قَوْلَهُ بِالتَّوَاتُرِ
بُلَيَّْابٍ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْحَقَّ وَالتَّقَى
وَلَا يَرْعُوِي مَنْ غِيهِ فِي الْأَوَامِرِ
إِذَا قِيلَ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
تَمِيزَ عَنْ غَيْظٍ وَحَقْدٍ مُخَامِرٍ
وَسَلَّ لِسَانًا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ
عَلَيْهِ وَبِالْأَفِّ بِطُونِ الْمُقَابِرِ
سَيَسْأَلُ عَنْ إِسْرَافِهِ وَعَقْوَقِهِ
وَمَا نَالَ مِنْ أَهْلِ التَّقَى وَالبَصَائِرِ
وَيَأْتِي صِرَاطُ اللَّهِ وَهُوَ مَطْوُوقٌ
بِمَا كَسَبَتْ كَفَاهُ مِنْ غَيْرِ سَاتِرِ
فَيَسْأَلُهُ الرَّحْمَنُ عَنْ سُوءِ فَعْلِهِ
وَعَنْ قَوْلِهِ مِنْ مَفْضَعَاتِ الْجَرَائِرِ

فبين يديه موقف وصحيفة
 يبين فيها سر أهل الضمائر
 في العباد الله هل كان فعله
 من الدين أو من موبقات الكبائر
 وهل كان هذا فعل داع إلى الهدى
 على الحق في إirاده والمصادر
 وهل حل سب المسلمين وبهتهم
 ورميهم بالمعضلات الفواقر
 وهل كان من شرط الإمامة عندكم
 مناقضة الأحكام عند الشاجر
 وأخذ خطام المسلمين وملكهم
 على واجب بين الغريمين دائر
 فإن كان فيما يدعيه مصداقاً
 وفي زعمه داع إلى خير غافر
 ويلزم أحكام الإمامة صادقاً
 بأعبائها بين الخمسين ظافر
 فمن شرطها زهدٌ صحيح وعفة
 عن الطمع المذموم بين الأكابر
 ومن شرطها الإقدام في حومة الوغى
 إذا صالت الأبطال بين العشائر

وبذلاً له أجوداً وحسن تورع
 وزهد عن الأخذ الوبي لوافر
 فما كنت في هذا ولا ذامك ملاماً
 لدعواك حتى تدعي في المحاضر
 ولا كنت في شأن السياسة ناهضاً
 بتدبير رأي في العواقب طاهر
 وكل صديق كان منك موثقاً
 لنصحك في كل الأمور موازر
 يسل على الأعداء سيفاً ويتهى
 إلى غاية عزت على كل ماهر
 أتيت له من سوء رأيك نفثة
 تهون منه كل عزم مثاغر
 فعاد عدواً كل من كان صالحاً
 وعاد خراباً رعبه غير عامر
 ومدت إلى الإفساد أيدي عنيقة
 وأنت لها في الإتهام غير كاسر
 فلبت إلى سوء الفعال عقارب الـ
 ففساد وقد أرغمت أنف المناصر
 فلما دهاك الخطب واشتد موقعاً
 وضقت به ذراعاً لدى كل صابر

تبرمت بالأمر الذي قد لبسته
 وألقىته طوعاً لى كل حاطر
 وقلت مراراً لى فى رغبة
 ولا أنافى هذا المقام بأمر
 وبالطالقانى وابن يحى أخى التقى
 لنا أسوة بالطيبين الأطاىر
 وقولك هذا كان منابسمع
 ومرأى ففى الإنكار فعل المكابر
 فمذ خطه الأعلام عنك تطايرت
 شرارة غيظ منك بين المنابر
 سللت لساناً يشهد الله أنه
 عليك وبالأ عند نشر السرائر
 وأضرمت فى أقطارنا نار فتنة
 لهاهب فى أرضنا غير فاتر
 وما جعل الرحمن عنراً لقاعد
 عريض وساد الظهـر بين الستائر
 يقلب جنباً وادعاً بين أهله
 يميل على أصحابه والأصاىر
 دع المجد والعلاء والفخر والتقوى
 لراقٍ إليها فى رفيع المنابر

إلى واحد الدنيا ومستتبط الهدى
 إلى الرأس من نسل النقاة الأكابر
 إلى الراكب الأهوال والصابر الذي
 تحمل أعباء الأمور الجوائر
 إلى الأبيض الماضي الحراز الذي دعا
 إلى كل خير طائل غير قاصر
 إلى المحسن الفرد النجيب بن أحمد
 إلى خير داع في الأولى والأواخر
 إمام هدى يمشي مع الحق حيثما
 مشى ويزين الدست بين العساكر
 ويحتقر الدنيا احتقار مجرب
 بلا طمع في جمعها والتكاثر
 ولا واهناً إن نار خطب تسعرت
 يخوض لضأها عند حر الدوائر
 يقيم بها من رأيه حد صارم
 يروع المعالي وقعه في المناحر
 يرى رأيه ما لا ترى عين غيره
 ويفري به ما ليس يفري بياتر
 حلیم فلوزالت جبال يلملم
 وثلان في حال يضيق لناظر

لما كدرت من حلمه صفو شارِبٍ
 ولا سفهت من رأيه حمل طائر
 تنقل في الأبراج كالبدْرِ فاستضاء
 بأنواره السمار جَنح الدِياجر
 وكان له من رحمة الله نظرةٌ
 سماويةٌ قادت له كل نافر
 فقامت قناة الدين وارتفع العلا
 وصار بعيد المرتقى غير دائر
 وغصت بطلاب العلوم مدارس الـ
 بلاد وصارت كالرياض النواظر
 ومذهب يحيى بن الحسين تطاولت
 مبانيه يتلا في الضحى والظهائر
 ودانت لمولانا الإمام جوامع الـ
 عباد وصافته بطون الدفاتر
 ووالاه مابين الصعيد وصعدةٍ
 إلى ريمة الفيحان وأرض المعافر
 إلى الشرف الأقصى إلى حقل يحصب
 إلى كل قطرٍ بالمحاسن عامر
 فلا زال في المجد الأثيل بسعيه الـ
 جميل على الأعدا يصول بضامر

ودام له المجد المنيف وعلمه الـ
 شريف على أصالها والبواكر
 ولا زال محروس المقام مبلغ الـ
 مرام قرير العين من كل ناظر
 وصل على خير الأنام وآله الـ
 كرام دواماً في الضحى والهواجر
 يطيب مع التسليم في كل حالة
 ويشملنا من فضلها كل وافر
 انتهت القصيدة.

ونتمم نقل ما وقفنا عليه من نظم السيد عبد الرحمن بن محسن جحاف عامله الله
 بخفي الألفاظ مما قاله مهنيًا ومادحاً لمولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله بشهر رمضان
 الكريم وهي قوله: [من الكامل]

شهر المساجد قد تلاً لأ نوراً
 وافاك قدام الفتوح بشيرا
 يأيها المتوكل المولى الذي
 قد قام الله العليم نصيرا
 شهر الصيام أذاك وهو مبشّر
 يا ذا المعالي إنك المنصورا
 فاسجد لربك واقرب شكرآله
 يا حبيذا عبداً يكون شكورا

وفى لسان الحال يعلن أنه
 قد طاب أياماً وطاب شهورا
 أنت الكريم ابن الكريم أرومة
 من رام شأؤ علاك عاد حسيرا
 إنسان عين الدهر أنت ولم تدع
 لسواك إلا الشكل والتصويرا
 ياسائلي عن محسن زره تجدد
 بحرأ عظيماً في العلوم خطيرا
 عرج به تنظر إلى بدر سما
 شأؤاً وحلماً لا يرام كـبـيرا
 وانزل بساحته تل ما تبتغي
 عفواً وتلقى روضةً وغديرا
 إن تلقه تلقى المكارم صورة
 والجود شخصاً زاهياً منشورا
 ومكارم الأخلاق طبعاً راسخاً
 فيه وليشأ في النزال هــورا
 مولاي دم لا زال فخرك مشرقاً
 بسناك يز هو منبراً وسريرا
 ذنبى لطول البعد عنك عقابه
 فيه ليكفيني بذاك سـعـيرا

لا طيب للـدنـيا إذا لم أجـتـلي
 وجهاً على بدر التمام منيرا
 إن غاب غاب قرار عيني وحشة
 وإذا دنى مني أعيش قريـرا
 قسماً بمن شق الجمال وصاغه
 ليذيب أكباداً له وصدورا
 وبفالق الإصباح عن غرر زهت
 حسناً ومغطش شعرها^(١) ديجورا
 وذوائب منها القلوب ذوائب
 لما غشين أهلة وصدورا
 وبمن أدار الحاجين مقوساً
 ومقدراً نونينها تقديرا
 نونان قد خطأ بنور أسود
 عجيبي متى كان السواد منيرا
 وبمن سقى بالغنج نفس لواحظ
 يرددن فتكاً أذيردن فتورا
 يرنبهن خرائد كالخور من
 غرف الجنان سفرن عينا حورا
 وبمن سقى روض الخدود مفجراً
 ماء الشباب لربة تفجيرا

(١) في الأصل: شعرها، ولعل الصواب (شعرها).

فرنى سنأواهتز حسناً مبدعاً
 يام الشتا يحكي الريع ثغورا
 وبصائع شق العقيق لثغره
 بين الشفات وزانها تصويرا
 يفتّر عن درّ نضيد مدمعي
 أضحي على منضومه مشورا
 يجري عليه سلسيل ختمه
 مسك وكان مزاجه كافورا
 وشرابه نفس فرق وخمرة
 بعموده فيه ففاح عبورا
 يفتّر عنه كالوميض تألقاً
 قمر به غدا عقلي مقمورا^(١)
 قسماً لعمرى لم يخامر بره
 حنثٌ وحلفي لم يزل مبرورا
 إني إليك لشيئاً أنال لم أزل
 من بعد بعدك مكمداً محسورا
 لكن هي الأقدار ما المصاها
 رداً ومن ذا يدراً المقدورا

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: قمر به عقلي غدا مقمورا.

يا ذا المعارج إن أتحت لشمنا
 جمعاً تجدني حامداً وشكورا
 يسرّ وعجّل جمعنا في نعمة
 وسلامة فلقد سألت قديرا
 وامتنّ وأشرح باللقاء صدورنا
 ولنأفيسر في الدنو أمورا
 مولاي إن لك الزمان مكرم
 وعدو مجدك خائفاً مذعورا
 وكفأك غائلة العدو وكيده
 وكفى بربك كافياً ونصيرا
 واستر عليها أصدراً من شيق
 أضحى لبعذك صدره مصدورا
 ثم الصلاة على المشفع ما شدا
 طيرٌ على غصن الشبام هديرا

انتهت والله هذه السلافة التي هي كالماء رقة وعذوبة، وكالروض نضارة بالوسمي مصحوبة، وعند انتهاء ما قد أشرنا إليه من التسيير وشرحنا في هذا السفر الخطير، تمالأ جماعة من سكان صنعاء على الغدر بكافل حوزتها، وحامي جوزتها، الشيخ الرئيس الهمام الحسام محسن بن علي معيض وهو في هذه الأيام معتز إلى مولانا الإمام % قد صلح منه الحال، وحسن منه الفعال، وتمالأ هؤلاء الغوغاء الطغام على الفتك به والاستقلال بأمر صنعاء، ولعلهم قد دسوا إلى بعض المشاققين أنهم سيعتزون إليه ظاهراً وباطنهم الانفراد، ومعلومهم الاستبداد، ففما خبرهم إلى مولانا الإمام فحذر الشيخ الحسام من كيدهم، وأشار إليه بحسم مادة شرهم.

[أمر الإمام بقيام حد الحراية]

وقد كان الشيخ محسن بحث عن أمرهم، وأن كبيرهم الذي إليه جماع أمرهم، رجل يقال له عبد الله بن يوسف حويدر، فلما تيقن الشيخ محسن أمرهم، واستوضح مكرهم، أرسل جماعة من أصحابه يأتوا بابن حويدر فأنثالت العامة إليه، وأجلبوا بقضهم وقضيضهم عليه، وهدموا بيته الذي سكنه وأخذوا ما فيه، وجاءوا به إلى المذكور فأودعه السجن ورفع حقيقته إلى مولانا % بمن ماله على ذلك المرام فرجح سيدي المولى حفظه الله إيصالهم إلى حضرته، وكان هذا عبد الله حويدر قد تكرر منه النكث والخلاف، واعتمد الشقاق والنفاق، وفعل أموراً تغضب الخلاق، ونكث العهود الأكيدة، والمواثيق الشديدة، مرة بعد أخرى، واستحق القتل بسابق إجرامه، ومتكرر آثامه، مع أنه كان مشهوراً لفعل المحرمات، واعتناد المقبحات، فلما وصل به الموكلون إلى الحضرة الإمامية بمحروس قرية حزيز، أمر مولانا بضرب عنقه، وقطعت عن الحياة علقه، وأراح الله العباد من شره، وذاق عاقبة مكره، وكان يحاول الرئاسة على أهل صنعاء والتصدر في مقام عاقلهم المذكور كما قيل شعراً:

ومامن هالك في الناس إلا

ورأس هلاكه طلب الرئاسة

ولما قتل المذكور سكنت الفتنة، وزالت المحنة، واستقرت الأمور، وأذعن الجمهور، ووقع لذلك موقع في الصدور، واستقامت الشريعة المطهرة وكان مرجعها حضرة الإمام %، ونفذت الأحكام، مطابقة للمذهب الشريف، والقول الفصل المنيف، زبدة أقوال عترة المصطفى، والذهب المصفى، والإبريز الخالص المنتقى، المتصل سنده

بصاحب الشريعة، عن بحور العلم الوسيعة، وهذا سر الانتماء إلى أئمة الحق، وأمان الخلق، وشهداء الله في أرضه، وعماد أوامره وفرضه، وقرناء الكتاب المبين، وذرية خاتم النبيين، وسيد الوصيين، وقد أحيا الله بقيام هذا الإمام طريقتهم المرضية وسيرهم العادلة، فأقام عمود الإسلام، وفرق بين الحلال والحرام، وأقام أود الدين على قدم، ونما فرعه وتم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبمننه تكثر البركات.

[حوادث بسبب نكث العهود]

ولنذكر في هذا المحل ما تكرر من الحوادث، وتجدد من الخطوب والكوارث، في هذه الأعوام ففيها عبرة لمن اعتبر، وتذكرة لمن تبصر، وعظة لمن نظر وتفكر، وقد تقدمت الإشارة إلى شيء منها في أعطاف هذه السيرة ولكنني أحببت بسطها لتكون تاريخاً في الزمان، وموقضة لمن تأخر به الأوان، ونظراً لمن أبصر بعقله، وحذر موبقات فعله، فإنه لما قام الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم % ودعا الناس إلى الحق وكرر الدعاء وخذله الناس في آخر الأمر واعتزل في هجرة دار علي بلد أرحب وقد أكد على الناس العهود، وكرر العقود، ثم قام مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله صاحب هذه السيرة ودعا إلى الدعوة النبوية، والسيرة المرضية، وطريقتنا العترة الزكية في سنة إحدى وسبعين واثنى عشر مائة، ووقع من الناس الثاقل عن طاعته والتعود^(١) عن إجابته وقصده العدو إلى هجرة سناع كما تقدم ذكره، وخذله الناس وأغلق أهل صنعاء دونه الأبواب، وأعلنوا الأذية والسباب، وصب عليهم ربك سوط عذاب، وسلبهم فاكهة الأعناب، وشرعت فيها عاه^(٢).

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب (القيود).

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب (عاهه).

[حادثة الأعناب]

في سنة اثنين وسبعين واثنى عشر مائة وهي من عجائب ما حدث لم يتقدم حصولها في العصور الأول، على تعاقب الأيام والدول، ولا جرى لها رسم في السير والأخبار، ولا رسم في الدفاتر والأسفار، وهو أن العنب يخرج في إبان الربيع على صفته المعروفة، وقواعده المألوفة، حتى يقارب الصلاح، فيحدث في حبله وعنقوده شيء يشبه الرماد فيذهب ماؤه، ويسود عنقوده، ويذهب ما فيه من اللب ويبقى على هيئة الأضافر ويضمحل بالمرّة، وأهله ينظرون إليه لا يتفنعون به وربما رأوه في اليوم الأول صالحاً فيصلح للأكل فيصبح كالصريم لا عين ولا أثر، فسبحان رب السماوات والأرض القادر المعطي المانع، المنبت الزارع، ومن ذلك أن هذه العاهة تكثر في المواضع التي يجود أعنابها في العادة، ويرتفع أثمارها، بخلاف المواضع الدنية الردية التي أعنابها في العادة ضعيفة، فربما حصل فيها بعض الثمرة، وكذا إذا كثر الماء فيها زاد فسادها وأعظم، فإذا أعتني في إقامتها وأقيمت الإقامة التامة كثر فيها الرماد، واستولى عليها الفساد، وإن أهملت صلح بعض الثمرة فيها، وكذا إذا ارتفعت شرعتها ففي العادة يحسن كرمها وتزداد أعنابها، ومع حدوث هذه العاهة يكثر فسادها، ومهما انخفضت قلّ ذلك فيها، وهذه آيات بينات، ومواعظ موقضات، تشبه ما حكى الله عن قوم سبأ في كتابه ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ جَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٧] فانظر إلى صنع الله بأهل المعاصي، واستمرت هذه العاهة من سنة اثنين وسبعين إلى حال رقم هذه السطور، وقلعت غروس الأعناب، في أغلب الجهات، وانقطع الزبيب، وارتفع سعره، وقل وجوده، حتى صار كالأموال العزيزة في جهاته التي كان يباع فيها بالتافه اليسيرة ويزيد سعره على سعر الشعير، ذلك تقدير العزيز القدير.

[حادثة البقر]

وفي سنة تسع وسبعين واثني عشر مائة ظهرت عاهة أخرى في البقر، عمت جميع أقطار اليمن، وابتدأت في جهة بندر عدن، وجهة لحج وأبين، ثم سرت في أرض اليمن، سهلها ووعرها، ونجدها وغورها، كان يتدي فيها المرض وتدي آذانها ويسيل لعابها ودموعها ويبقى بعضها ثلاثة أيام وإلى ثمانية أيام وتهلك، فهلك منها الكثير واستولى عليها الهلاك في كل بلدة وبعضها يعم جميع ما فيها، وبعضها يبقى القليل منها، حتى عدت في بعض الجهات، وربما تضحل في بعض القرى، ويستأنفون شراها بأغلا الأثمان، ثم تبقى أياماً ويعود ذلك المرض والهلاك فيها، حتى تنفذ وقد تبقى بعض الجهات سالمة عن هذه العاهات ويبيعون بالأثمان الغالية، فتصل إلى من اشتراها ويعرض لها هذا المرض فتهلك وتبقى تلك الجهة التي سلمت أنعامها قليلاً ثم يصلها ما وصل غيرها فإن الجوفين استمرت سلامة البقر فيها واستكثروا منها حتى كان الفرد منهم يملك مائة بقرة ويزيد عليها حتى إذا كان في هذا العام عام أربع وثمانين واثني عشر مائة ماتت الأكثر منها، وهلك في أسرع وقت، حتى بلغ قدر ما هلك إلى عشرين ألفاً، كما سمعنا من الواردين منهم إلى الحضرة الإمامية.

لوجوب اتباع أهل البيت عليهم السلام وجزاء من خالفهم

وهذه آيات باهرة، وعقوبات قاهرة، أوجبها إعراض الأمة المحمدية، عن إجابة واعية العترة الزكية، بعد البلاغ والإبلاغ، وتكرير الدعاء إلى جميع الأصقاع، وتعميم كل البقاع، فلم يجب إلا القليل، ولا أرعوا إلى إيضاح الدليل، وبيان السبيل، بل أعرضوا بجانبهم صفحاً، وطووا عن الحق كشحاً، وقالوا صمي صمام، لا خلف ولا إمام، وبخلوا بالواجبات الشرعية أو صرفوها في غير مستحقها ونكلوا عن الجهاد،

وتربصوا الدوائر فصب الله عليهم المصائب، وكرر النوائب، وهم عن التذكرة معرضون، ولجانب الحق مبغضون، فحصلت هذه الزواجر، وكان الشأن مثل ما أصاب قوم فرعون لما كذبوا الرسالة، وتمادوا في الضلالة، أرسل الله عليهم العاهات، وكرر فيهم الآيات، فأرسل الجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات، وعصات متصلات، وكلما رفع الله عنهم عذاباً عادوا إلى طغيانهم، وركبوا كاهل إنكارهم، فیرسل الآية الأخرى، حتى إذا عظم عنادهم، وطمّ فسادهم، أغرقهم في الیم، واجتاح أصلهم وملکهم، وأورثها من آمن بالرسول واتبع السبيل، وهي دعوة واحدة، وسبيل الأئمة في هذه الأمة سبيل الأنبياء في بني إسرائيل فقد انقطعت الرسالة بموت محمد ÷ وما بقي إلا الأئمة من عترته المطهرين، الذين يصدعون بدعوته، ويدعون إلى إحياء ملته، ويحضون على إقامة شريعته، فمن اتبعهم نجا، ومن خالفهم ضل وغوى، ومصدق ذلك الحديث المشهور المتلقى عند الأمة بالقبول «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى» وغيره من الأحاديث الدالة على وجوب اتباعهم ولزوم جماعتهم وقد نعى الله على قوم نبي الله موسى قولهم ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] فأصابهم بعذاب من عنده.

[حادثة الطاعون وموت العلماء]

أما التيه والرجز وهو الطاعون فإنه وقع هذا الرجز في زماننا هذا وتكرر فحصل في سنة ست وسبعين في الأمصار الكبار، مثل صنعاء وذمار، وتواتر في غيرها من الديار، ثم ارتفع إلى سنة اثنين وثمانين واثنى عشر مائة وعاد في صنعاء وبلادها وكثير من المدن، وأفزع وفجع بموت من بقي من علماء الزمان، وفضلاء الأوان، وذابت بقيتهم أدراج الرياح وكانت هذه أعظم المصائب، وأجل النوائب، والفاقرة العظماء، والداهية

الصماء، التي أبكت العيون، وأثارت الشجون، فإنها تعطلت المدارس، وخلت المجالس، من حجج الله في أرضه أدلاء الشريعة، وبحور المعارف الوسيعة، الذين بهم يستضاء في ظلم المدهمات، ويهتدى مداحض المشكلات، فعظم بهم المصاب إذ موت العلماء ثلثة في الدين، ونقيصة في شريعة سيد المرسلين، نسأل الله أن يجبر هذه المصيبة ببقاء إمام الزمان، لتحيا الشرائع والأحكام، ويقيم مدارس المعارف للأنام، وقد فرغنا من تراجم العلماء فيما مر في هذه السيرة المباركة إن شاء الله.

حادثة انتشار النجوم

ومن الحوادث الباهرة، والآيات الظاهرة، وانتشار النجوم في شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثمانين واثنى عشر مائة في الجهة البائية وتكاثر ذلك على حد خارج عن العادة، فإنها انتشرت مثل المطر، واختلف انتشارها من الغرب إلى الشرق والعكس، وبقي من نصف الليل إلى أن غلب ضياء الصباح، واستترت عن الأبصار ونظر ذلك الجم الغفير من الناس، وهذه آية باهرة كثرت قبل بعثة نبينا محمد حتى فرع لها كثير من الناس وأعظم من فرع لها أهل العقول والرأي من العرب، وكان عمر بن صلاح الثقفي من أذكر العرب رأياً فسأله بعض رؤسائهم عن انتشار النجوم، والرمي بها على حد غير المعهود.

فقال: انظروا فيها، فإن كانت التي ترمى بها من العالم التي يهتدي به الناس في معاشهم وأوقات مزارعهم، فهو والله طي الدنيا وذهاب هذا العالم، وإن كانت من غيرها من الكواكب فهو لأمر أراد الله فانظروا ما هو، فكان ذلك علم للبعثة النبوية، وظهور الشريعة المصطفوية، وبطلان عبادة الأصنام، وظهور التوحيد والإسلام، والله الحمد كثيرا بكرة وأصيلا.

وذكر السيد أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي في اللآلئ المضيئة أن ذلك وقع قبل

خروج الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد % من جهة برط إلى وادعة وما حصل بعد ذلك من الوقعات الكبار في الأتراك وغلب كلمة الدين، ونحن نرجو أن هذا الحادث في هذا التاريخ من علامات ظهور الحق وعلو كلمته، وبسطة وطأته، وقوة دولته، والتصرف لمن بيده أزمة الأمور، الواحد الفرد القدير.

[حادثة ظهور الجراد]

وما حدث في هذه السنين ظهور الجراد، وقد كانت انقطعت مدة من الأعوام قدر خمس عشر سنة، ولم تظهر في بلد من البلدان حتى كانت سنة ثمان وسبعين واثنى عشر -مائة فظهرت وتكرر ظهورها في كل وقت ثمرة، واجتاحت الثمار، في أغلب الأقطار، وترددت على الأشجار، في وقت خروجها مع الكثرة الخارجة عن العادة، وتأثر عنها الدبا وهو نتاجها في بعض المحلات، وتكاثر واستولى على الثمار في هذه الديار، ووصفت منه العجائب التي فيها عبرة، لمن كان له فكرة، وكان غالبه في الجهة التي تعتاد الأعناب فأكل أصول ثمرته، وانقطعت في السنة الثانية عن الثمر وهذا أمر مستفيض.

حادثة الرجفة والقعاقع السماوية

وفي سنة ثمان وسبعين سمعت أصوات راجفة عظماء، وقعاقع تشبه الرعود في جهة الغرب، وسمعت في جميع الجهات، كل جهة تظن أنه في التي تليها فيسألون من بينهم فيخبر بأنه سمع مثلما سمع وهلم جرا، حتى انتهت إلى تهامة، فظنوا أنها من خلفهم ووردت أخبار الله أعلم بصحتها أن ذلك عذاب في أرض الحبشة التي تقرب من بحر القلزم إلى جهة اليمن وأنها هلكت قرى بذلك والله أعلم وأحكم، وقيل إن هذه القعاقع والرجفات في الهوى وهلاك القرى في الغرب والأصوات التي تشبه المدافع حادثة أخرى والله أعلم.

حادثة خروج الرماد والحريق

ومن ذلك أنه حصل في هذه السنة المذكورة أنفأ، نزول رماد في الأرض غشي- البقاع، وغمر الأصقاع، وعلق بالحجارة تخالطه لزوجة كالأصماغ، التي تكون في بعض الأشجار، وحصلت ثمرة القياض حتى إذا قاربت الحصاد وقد بلغت أوقات الحر ومضت أيام الشتاء فحرق المزارع، واسودت واضمحل الحب في سنبله ولم يبق له لب، وذهبت الثمار مع تكاثرها في تلك السنة وتوفرها أولاً، حتى أن حصادها وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمر الله ليلاً، وأنزل بها عذاباً وويلاً.

فذلك مما اجترحه الأنام، من موبقات الآثام، ومخالفة أئمة العترة الكرام ومنع الواجبات، وصرفها في غير أهلها، وقائم العترة الكرام، يكرر الدعاء إليهم، ويصدع بالبلاغ في ناديتهم، ويقيم الحجة، ويوضح المحجة، فلا وربك ما نجحت فيهم العبر، ولا قادتهم إلى الهدى ثاقبات الفكر، بل طبع على قلوبهم وأعرضوا بجانبهم، ومنعوا الزكوات عن من ولاه الله أمرها، بقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ...﴾ [البقرة: ١٠٣] إلى آخر الآية، وقد أجرى الله العادة بحدوث العاهات، مع منع الزكوات التي هي مطهرة الأموال ونهاها، وقد حدثت فيها عاهات آخر فتارة يظهر دود سود يسمى في لسان العامة (الجُرْمِي) فتأكل البر والشعير وأكثره في الشعير، وتارة يظهر حيوان آخر على هيئة الخنافس في ثمرة الشعير فيجتاح الثمار، وقد تكررت في هذه الديار، ولم يحصل من الناس اعتبار، ولا ارعوا عن الغي والضلال، بل يزدادون حرصاً ووبالاً ﴿صُمُّ بَكْمُ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

[بعض معتقدات الباطنية]

ومن الحوادث العضاء، والدواهي الكبرى، ظهور طائفة الباطنية الملاحدة المجوسية المزدكية، في مغارب صنعاء واستيلائهم على حراز والحيمة، وتمكن دولتهم فيها، وقد تقدم إثبات رسالة مولانا الإمام % قريباً وخروجه عليهم إلى جهة الحيمة فيما سبق، وهؤلاء الطائفة من طوائف الكفر البواح، والإفك الصراح، يتظهرون بالإسلام ويخالفون ما تواتر عن سيد الأنام، ويدعون أنهم من فرق الشيعة وأصل دينهم المجوسية، وقد كشف أئمتنا % أستارهم، وبينوا حقيقة أخبارهم، مثل الإمام المهدي ^(١) % في الملل والنحل، والإمام المنصور بالله القاسم بن محمد % في رسالته إلى أهل نجران أظهر فيها مكنون أستارهم، وأنهم معطلين ^(٢) للشرائع، منكرين للصانع، وأن أصل دينهم المجوسية، وأنهم أرادوا دس المجوسية على المسلمين، حيث أعوزهم مغالبة المسلمين وقتالهم، وقواعد الإسلام بالحجج والأدلة العقلية لكثرة المتكلمين، والعلماء المبرزين، في ذلك الزمان، فرجعوا إلى الحيلة في التلبيس، وأظهر دعائهم التوجع لأهل البيت، وأنهم غصبوا حقهم ويدعون إلى إمام مجهول العين والأثر، مغمور الاسم والخبر، ويجعلون في كل قطر من الأقطار دعاة إلى مذهبهم الخبيث، ويلبسون على عوامهم بهذا المذهب، ويسلخونهم من الإسلام، بمخالفة ما تواتر كتاباً وسنة في الصلاة والصيام وتقديمها على أوقاتها، والصلاة ركعتين ركعتين، وإخراجهم جلود الضان وقصرهم الصلاة عليها، والوقوف في الحج في بطن عرنة التي نهى النبي ﷺ عن الوقوف فيها، ويرقونهم إلى درجات في الكفر فيزعمون قاتلهم الله أنى يؤفكون أن الله تعالى أرسل جبريل إلى علي % فغلط جبريل بالرسالة وأعطاها محمد، وإذا قويت

(١) هو الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى % .

(٢) الصواب: معطلون للشرائع منكرون للصانع.

شوكتهم أظهروا الكفر البواح، وأحلوا المحرمات، ونكحوا البنات والأمهات، وتركوا الواجبات الشرعية، وأظهروا مكنون سرهم من مذاهب المجوس ودعاتهم وأهل النظر فيهم واعتقادهم التعطيل وبعضهم يذهب إلى مذهب الثنوية وأن لهم إلهين السابق والتالي.

[ابتداء ظهور الباطنية]

وظهور مذهبهم في المائة الثالثة لعله في خمس وستين ومائتين كما ذكر الحافظ الكبير محمد بن جرير الطبري في تاريخه، وكان ابتداء ظهورهم في الحسا والقطيف، ثم استولى أبو سعيد الجنابي على البصرة وقوت شوكته وعظم أمره وجهز عليه المعتضد جيشاً عليه العباس بن عمر العنوي فقتل الجيش جميعهم أسرهم وضرب أعناقهم القرمطي المذكور، وأسر مقدمهم العباس بن عمر وأطلقه فقال له: اذهب إلى صاحبك فاخبره بما رأيت ثم هلك أبو سعيد المذكور.

[أخذ الباطنية للحجر الأسود]

وولو بعده ابنه طاهر وهو الذي أوقع بالحاج يوم عرفة، وقتل منهم ألفاً وأخذ ما على الكعبة من الأستار والآلات، وأخذ الحجر الأسود اقتلعه من موضعه، وذهب به إلى البحرين، وبقي لديه قدر عشرين سنة، وبذل له الخليفة المسمى بالمقتدر من بني العباس أموالاً عظيمة في رد الحجر الأسود، فلم يسعد حتى كتب إليه عبيد الله المتسمي بالمهدي من القيروان أنك حققت علينا الكفر بفعلك وأقام عليه القيامة ولعنه وسبّه

فأرجعه بعد عشرين سنة وقال أخذناه بأمر ورددناه بأمر، وفي ذلك القرن كثر ظهورهم، واستولوا على كثير من بلاد المسلمين، ففي اليمن علي بن الفضل، ومنصور بن حسن، وفي العراق أبو سعيد الجنابي وابنه في المغرب أبو عبد الله السيفي الصنعاني استولى على أرض القيروان يدعوا إلى عبيد الله المهدي جد العبيدين الذي ملكو مصر والشام والحجاز واليمن، واستمرت مملكتهم قدر مائتي سنة وزيادة إلى سنة أربع وستين وخمسمائة فأزالها السلطان الأعظم صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي الكردي، وخطب لبني العباس في أيام المستضي أبو محمد الحسن بن المستنجد يوسف، وخطبهم في الإسلام عظيم، فإنها استمرت هذه الدعوة الخبيثة في اليمن وفي أرض العجم منهم أهل قلعة الموت في خراسان طائفة يقال لهم الحشيشة، يعتقدون طاعة ملوكهم فيأمرهم بقتل من أرادوا من الملوك، فيذهب في طاعة سيده ويبقى أعواماً حتى يتمكن من قتل من أمره سيده بقتله، فيقتله أو يقتل دونه، حتى اشتهر ذلك من فعلهم وصار الملوك يطلبونهم من ولي أمرهم إذا أرادوا قتل من ينازعهم في مملكة ويأخذ صاحبهم بهم الأموال الواسعة، وقد فتكوا بجماعة من الخلفاء والملوك في ذلك العصر.

ومنهم دعاة الصليحية باليمن فإن الداعي علي بن محمد الصليحي كان في جبل مسار من جهة حراز قد أخذ هذا المذهب عن عامر الزواحي لما تفرس فيه النجابة، ورأى فيه علو الهمة، اجتذبه إلى مذهبه، وأعطاه أموالاً قد كان جمعها من أهل مذهبه، وأوصى له بكتبه فأنهمك في الكفر وتطلع في هذا المذهب الخبيث، وكان يحج بأصحابه على طريق السراة خمسة عشر سنة ثم أظهر الدعوة في جبل مسار، واجتمعت عليه همدان مع أبي حاشد الهمداني فالتقاهم إلى صوف ما بين الحيمة وبلد بني شهاب فقتل من همدان ألف قتيل، وركب أكتافهم، وعظمت صولته وقويت دولته، وطوى اليمن

وملك من مكة إلى عدن، ثم استمرت مملكته وهو يدعو إلى المستنصر العبيدي إلى سنة ثمان وخمسين واربعمائة فقتله سعيد بن نجاح الأحول في وادٍ يقال له الدهيم ويثر أم معبد من المخلاف السلياني، وقد كان أراد الحج فعزم في أبهة ملوكية، وسافر بملوك اليمن الذين أخذ مملكتهم وبني الصليحي لثلا يغيروا على ابنه المكرم أحمد بن علي كونه استخلفه على المملكة، فخرج سعيد بن نجاح من وادي زبيد بسبعين نفر ليس معاهم سلاح إلا جريد النخل في رؤوسها مسامير حديد، وكان الصليحي قد أخذ مملكة زبيد على أولاد نجاح، فهربوا إلى بهلك فعاد سعيد هذا إلى وادي زبيد مستخفياً فعامل هؤلاء السبعين على قصد الصليحي مع سفره إلى مكة، وكان مع الصليحي خمسة آلاف عبد من عبيد نجاح بالحرايب على الخيل، وأخذهم من زبيد فوصل سعيد الأحول المذكور إلى مخيم الصليحي ودخل بأصحابه في جملة المطرح ثم قصد خيمة الصليحي ففتك به وبأخيه عبد الله بن محمد فقام معه عبيد أبيه الذين في مخيم الصليحي، فاستولوا على جميع ما في المخيم من خيل وخيام وذهب وفضة وسلاح وأثاث، وأخذ ملكاً عظيماً، وأسر ملوك اليمن وبني الصليحي الآخرين، وزوجه الصليحي أسماء بنت شهاب وأخذ رأس الصليحي وجعله في عود مظلة الصليحي ورجع إلى زبيد، فقال الشاعر العثاني في ذلك شعراً: [من الكامل]

بكرت مظلتـه عليه فلم تبت

إلا على الملك الأجل سعيدها

ما كان أقبح وجهه في ظلها

ما كان أحسن رأسه في عودها

سود الأراقم قابلت أسد الشرى

واهألفرط أسودها من سودها

[ذكر من جاهد الباطنية من أئمة آل عليهم السلام]

وهذا عارض من القول، أجراه ذكر الباطنية الملاحدة أقماهم الله، وكان أئمتنا % القائمون في اليمن مشغولون بجهادهم على تعاقب الأعصار، فأولهم الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين % وقعت بينه وبينهم حروب عظيمة في صنعاء وفي البون وفي الظاهر، ثم ولده الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى x وهو الذي دمرهم كل مدمر، ووالى عليهم القتال وكرر، وقتل منهم في (نغاش) قدر سبعة آلاف، وفي (المصانع) قدر اثني عشر مائة.

ثم الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني وأولاده وأولاد ولده جعفر الأمير ذو الشرفين محمد بن جعفر وصنوه الشريف العلامة الفاضل القاسم بن جعفر فإنها أقاما سوق حرب يشيب لها الأطفال، ويضيق عندها كل مجال، وحاصروا بني الصليحي في صنعاء بعد أن أخذوا عليهم أكثر البلاد، وقتلوا منهم في جبل ذري مقتلة عظيمة مقدار ألف قبل ذلك، حتى خرج بنو الصليحي إلى اليمن.

ثم الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان قتل منهم يوم الشرزة خمسمائة وأسر خمسمائة إلى وقعات أخر، ثم الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة قتل منهم كثيراً وأخرجهم من جملة حصون من اليمن، ثم الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن علي بن محمد قتل منهم بالمنقب قدر ستة عشر مائة، ووالى عليهم القتال حتى أخذ حصونهم ودمر دعائهم، ثم ابنه المنصور علي بن صلاح الدين أخرجهم من بقية الحصون مثل ذي مرمر والفصين وكوكبان وبكر والعروك، ثم الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين وولده المطهر فإنهم استولوا على ما بقي بأيدي الباطنية من الحصون في حراز وغيره.

وقد جرى إمامنا خليفة العصر، والحجة البالغة على أهل الدهر، على هذا المنوال، وصار قذى في عيون هؤلاء الملاحدة، يحاول إخراجهم وجهادهم في كل حال، بعد خروجه إلى الحيمة وما زال يبعث الرسائل، ويكرر الوسائل، إلى المسلمين في إيجاب جهادهم، وإيضاح عنادهم، والناس في غمرة ساهون، وعن الحق معرضون، ولا بد أن ينجز الله وعده، ويعز جنده، ويجعل العقابة للمتقين، فقد وعد الله هذا الدين بالظهور على الأديان، ووعدته لا يخلف، ولكنه يبتلي المؤمنين، ثم يكون لهم العقابة.

حادثة نجوم حسين الهادي

ومن هذه الحوادث وإن كان قد تقدم لها ذكر فيما مضى - على سبيل الاستطراد والجملة، فذكرها هنا أنسب في سلوك الحوادث الجارية في الزمن الأخير مع قيام مولانا إمامنا صاحب السيرة % نجوم ناجم الطويلة السيد حسين الهادي في سنة خمس وسبعين واثني عشر مائة فإنها فتنة استطار شرارها، وعظم ضرارها، وقبحت آثارها، وهذا السيد كان متعلقاً بالشعبذة والمخاريق وإظهار الأمور البعيدة عن الأذهان التي لا يتصور وقوعها، ويدعي الدعاوي الباطلة، التي هي عن البرهان عاطلة، وأن له مصاحبة للجان، وأنهم ينصرونه، على عالم الإنسان، وأنه مطلع على كنوز الأرض وسيستخرجها من معادنها، وهي أكاذيب لا حقيقة لها، وقد انكشف ستره، وظهر خبره، وصح للناس أمره، وأنها أكاذيب من أفعال الدجاجلة الذين أخبر عنهم صاحب الشريعة المطهرة، والظاهر من أموره التشبث بالأسحار، واستمدادها ممن له فيها يد، فإنه اشتهر أن بعض اليهود المعروفين بهذه الدخيلة الكفرية، كان يكثر الدخول إليه، وله ميل في هذا الشأن حتى أنها حصلت تلك الفورة في الأرض والرعب

الذي داخل كثير من الناس، حتى انثالوا إليه من كل أوب، وأقبلوا إليه من كل حذب، وهو يعدهم إخراج الكنوز ويوهم أن له يداً في الكيمياء وتحصيل الفضة، وضرب ضربة من الفضة حصلها من أيدي الناس، وكان يوهم أنها من صنعته أو من تحصيل الجان، فوقع لذلك موقع في الأذهان وأرجف العامة وتخيلت في عقولهم مخيلات، واختلف من اتصل به صورٌ صوروها لكل من ورد إليه، فكان الواردون يخبرون بأنهم شاهدوا منه أخبار بمغيبات من أحوالهم، حتى وقعت فتنة عظماء ومحنة دهماء، لا ينظر فيها إلى موافقة الشريعة، ولا إلى ما وافقها، فحذا فيها حذو السيد إبراهيم المحطوري والسيد محمد أبو علامة وكانت أموره جارية على ذلك النمط، مجعولة على الجهل والغلط، لا يفرق فيها بين الحق والباطل بل يخطون فيها خبط العشواء ويعملون على ما تجر إليه الأهواء.

وكان مولانا إمامنا % في هذه الفتنة مقيماً في حصن كحلان تاج الدين صابراً محتسباً لم تهله هذه الفتنة، ولا حركت من وقاره بل كان يواتر الرسائل، يحذر من الاغترار بهذه المخاريق ويبين للناس ما يجب على العلماء وأئمة الحق من البيان، وإيضاح البرهان، حتى أظهر الله سبحانه سواتر هذا المخرق الكذاب وعرف جزيل الناس أنه إفك صراح، وكذب بواح، فزهد الأكثرون وعلم الجم الغفير أنها مخاريق لا حقيقة لها.

وقد أوضح البيان، وصرح بما عليه هذا المفترى من البهتان، الأخ العلامة المحقق النظار، المدقق الفهامة شرف الإسلام الحسن بن عبد الوهاب بن حسين بن يحيى بن إبراهيم الديلمي مقدم الذكر في التراجم السابقة جادة عليه سحائب الرحمة والرضوان، فإنه أنشأ رسالة في أمر هذا الناجم أوضح فيها بطلان أمره وحقيقة أكاذيبه، وخرج أفعاله من الشريعة المحمدية، وأنه من أهل الفتن المضلة، والمحن

المضمحلة، أحببت إثباتها في هذه السيرة وإن كانت طويلة ففيها فوائد يقل وجود مثلها في غيرها، وذلك من تقييد المسائل العلمية وإثباتها في ديوان يحرسها عن الضياع، وللقيام بحق مؤلفها لكونه كان بيننا وبينه من الإتحاد والألفة والصحة ما يوجب القيام بحقه، وقد جعلها منظومة بليغة وشرحها شرحاً كاملاً وهي قوله:

رسالة
در النادي في الكشف عن خبث حسين الهادي

تأليف
السيد العلامة الحسن بن عبد الوهاب بن حسين بن يحيى بن إبراهيم
الديلمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين، اللهم أنت المرتجي، وإليك المفر والملجئ، نشكوا إليك فساد الزمان، وفقد السلطان^(١)، وتسلب أهل الجهالة والعدوان، وإعلان ذوي المعاصي بالفسوق والعصيان، حتى لم يبق للإسلام أثر إلا أنطمس، ولا معلم إلا انتكس، وزين الباطل، وأصبح جيد الحق عاطل، وأنكر المعروف، وصار المنكر مألوف^(٢)، وغلب أمر العامة، وكثرت عن أنبيائها الطامة، شعراً:

وأصبح الناس في هرج وفي مرج

من دونه هرج بغداد من التتر

فيا من إليه يرفع الشكوى، وبرحمته يدفع البلوى، صلّ على محمد وآله واكشف عنا المهام، واكفنا شرّ الطوام، يا ملك يا علام.

وبعد..

فإني حررت هذه الأبيات تذكرة لأولي الألباب، وإرشاداً لمن يحاول جادة الصواب، ممن يعقل الخطاب، في الكشف عن حال الباغي العادي، الملقب بحسين الهادي، فهو لعمرى هادي الضلالة، وداعي الجهالة، قد تصدى لمنصب ليس بأهل لأدنى منه، بلا منقبة حواها، ولا لمزية علاها، إلا ما عرف به من الكذب والزور، وممالات ذوي الكفران والفجور، فقلت هذه الأبيات معلقاً عليها ما يترجم عن معانيها ويكشف للنظر فيها عن مبانيها راجياً من الله الجليل أن ينفع بها مسميها، ويرشد إلى طريق الحق

(١) مراد المؤلف وفقد المناصرين والأعوان للسلطان وليس السلطان؛ لأن الإمام موجود وهو صاحب هذه السيرة، وقد بايعه المؤلف وكان من أنصاره، وما ألف هذه الرسالة إلا نصرة للإمام % لأن حسين الهادي هذا قام معارضاً

للإمام فليتأمل.

(٢) الصواب: مألوفاً.

قاريها ومعلميها، مستعيناً بمن له الحول والقوة، وسميتها بـ(در النّادي في الكشف عن خبث حسين الهادي) فقلت:

صروف دهرٍ أرّتنا أيّما عبر

ومعضلات رمت عن أقوس الغير

(صروف الدهر) تقلبات أحواله ونواديه، جمع صرف، و(الدهر) اسم لما بين النشأة الأولى والأخرى، و(أرّتنا) من الرؤية التي هي المشاهدة، و(إيما عبر) يعني عبراً عظيمة جمع عبرة بكسر العين المهملة ما يتعجب منه، و(المعضلات) جمع معضلة هي الشدة والمضيق، و(رمت) من الرماية، و(أقوس) جمع قوس، و(الغير) جمع متغير بكسر الغين المعجمة فهما بمعنى التبدلات والتحويلات، ومعنى هذا البيت نوائب دهرٍ أسهدتنا العبر، وهذه أمور معضلات ذات شدة ترمينا عن أقوس من القدر، وبين العبر والغير الجناس المصحف، وإسناد الآراء^(١) إلى العبر، والرماية إلى المعضلات مجاز عقلي، والغرض المسوق له الكلام، والتعجب والتهويل من أحوال الدهر، وشدة تصاريفه ونوائبه، وما صار الناس به من الأمر الفضيع، والحال الشنيع، بمصير الأمر في غير أهله.

(١) المراد الرؤية، من قوله في البيت: «أرّتنا».

[بعض علامات الساعة]

ففي الحديث عن النبي ﷺ «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة» وهو من أحاديث الصحاح، وفي حديث أبي هريرة عند^(١) أحمد بن حنبل وغيره «إن ما بقي من الدنيا بلاء وفتنة» وفي حديث أبي هريرة في صحيح البخاري وغيره وسنن ابن ماجه «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتكثر الفتن ويكثر الهرج» وهو القتل، وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم في المستدرک عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي» والمراد من الحديث التحذير من الوقوع في الفتنة والتورط فيها، وأنه يجب البعد عنها وتوقيها، وأخرج أحمد ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم بما لا تسمعون أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلنكم ولا يفتننكم» فعلى كل مؤمن مجانبه أهل البدع والسفاهة وعدم الرضى بأقوالهم وأفعالهم والتحذير منهم، وإلا كان عليه مثل أوزارهم وأن الراضي بالمنكر كفاعله، قوله:

يا للرزايالقد أرسيت بكلكلها

فينا وألقت جران العي والحصر—

(الرزايال) جمع رزية وهي المصيبة، (وأرسيت) وقفت وأقامت، (وكلكل) الشيء صدره وما يعتمد عليه، وفينا وبكلكلها يتعلقان بأرسيت (وألقت جران العي والحصر) ألصقت باطن رقاب العي والحصر كالناقة التي تمكن باطن عنقها من الأرض عند

(١) في الأصل: عن، والصواب ما أثبت.

القعود والسكون إليه، والعبي عدم الإهداء للشيء والعجز عنه، وعبي المنطق هو الحصر، والنداء هنا لله تعالى على سبيل الاستغاثة به من المصائب والشكاية بما نالنا منها وأنها قد وقفت بنا واطمأنت إلى البقاء والسكون، وجرد منها شخص أرسى بكلّك له وألقى بجران عيه وحصر، الذي لا يهتدي معه إلى غير الحالة التي صار إليها فنحن نكره من أجلها القرار ونطلب الفرار لاضطراب الزمان، وعموم البلاء والامتحان، والله در القائل شعراً: [من الخفيف]

باضطراب الزمان يرتفع الأنس

نذال فيه حتى يعم البلاء

وكذا الماء راكد فإذا حرك

ثارت من تحته الأقياء

وقوله:

وانحل عقل عقول فهي طائشة

عن الهدى لم يميز الصفو عن كدر

هو معطوف على ما قبله من وصف الشدة وهو أنه قد بلغ من تفاقم المصائب وعظم الشدائد أن انحل عقل العقول من الناس فعقولهم لانحلال عقولها طائشة أي خفيفة عن الثبات والإناءة في تعرف الحقائق، والوقوف على الحق لما ران عليها من صدأ العوائق، بحيث لا تميز بها الصفو من الكدر، ولا الغث من السمين، وبين قوله انحل وعقل الطبقات لأن العقل ما يعقل الحيوان أي يكفه عن أن يشرد أو يند، ومنه اشتق العقل لأنه يعقل صاحبه عن الوقوع فيما يضره أو يهلكه في معاشه أو معاده، وبين عقل وعقول الجناس المشتق والهدى يطلق على إراءة الطريق الموصل إلى

المطلوب، وعلى نفس الاتصال إليه، وضعوا الماء^(١) العيش خالصة عن شوب الأكدار والمكدرات.

ومعنى البيت أن العقول قد سلبت الانتفاع بما يهديها الصواب، وبقيها سوء الحساب، فهي خابطة خبط عشواء، وربطت سبيل الغي والإغواء، لا تميز بين الحسن والقيح، ولا تفرق بين معتل القول من الصحيح، لميلها عن طلب الهدى، والانخراط في سلك من لا يصلح به الاقتداء، وقوله: [من البسيط]

مسلوبة نظر الإنصاف قد عمهت

وأشبهت بخلاف فاقده الثمر

نقضي — لخالكة سوداء مظلمة

بنيرات شعاع الشمس والقمر

وتلحق المرّ بالحلو اللذيذ ولا

ترى لمسكية فضلاً على قذر

ولا اللطيف وإن رقت لطافته

خيراً لجسم كثيف مثلهما الحجر

فيه تكميل وتزليل^(٢) لما قبله، وبيان أن سبب سلبها نظر الإنصاف بين الأمور فهي للتعلم حقيقة الشيء في نفسه لتلحقه بنوعه وجنسه هو عمها^(٣) وذهاب نور بصيرتها الذي بسببه تدرك الحقائق، فإن أدراك^(٤) إِبصار البصائر إنما يكون بواسطة الاستعانة

(١) كذا في الأصل، ولعلها وضعوا ماء العيش.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها تدليل أو تذليل.

(٣) المراد: عاها.

(٤) كذا في الأصل، ولعلها إدراك.

بنور العقل الفعال، فهو من فيض نور ذي الجلال، كما أن عيون الأبصار لا تدرك المحسوسات إلا بواسطة الأنوار الجعلية فهي لعدم انتفاعها تشبه شجر الخلاف التي لا ثمر لها، فلهذا تجدها تقضي أي تحكم للأشياء بخلاف ما هي عليه بل يلحق الشيء بضده فتقضي للحالك السواد المظلم بنور شعاع الشمس والقمر، وهذا غاية ما يكون من الجهالة والعماية عن الحق، فمتى بلغت إلى هذا الحد لم يبق لها مجال للانتفاع بها في التمييز بين الأمور، وملكت لكل شيء بما فيه، فتلحق مُرّ الطعم بالحلو اللذيذ ورائحة المسك برائحة الأقدار، واللطيف من الأجسام كجسم الهواء والملك والجان بالجسم الكثيف البالغ في الكثافة متتهاها كجسم الحجر، ولا تغاير بين هذه الأشياء ولا تميز بعضها عن بعض، وهذا الأمر ليس ببعيد فإن فساد الآلات الحسية يوقع في مثل هذه الأمور وزيادة، قال أبو الطيب المتنبي:

ومن يك ذافم مرمريض

يجد مرأببه الماء الزلالا

وقال الأبوصيري - رحمه الله -: [من البسيط]

لا تعجبن لجهولٍ راح ينكرها

تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رميدٍ

وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقال أبو علا المعري:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته

والذنب للعين لا للنجم في الصغر

وغير ذلك، وقد اشتملت هذه الأبيات على أنواع من البديع من العلو والطباق والمقابلة والتشبيه وحسن التعليل، ثم أشار إلى إرداف الحجة بقوله:

والله قد ضرب الأمثال تذكرة

لمن له فكرة تهديده للنظر

فقال لا يستوي حي بميتهم

ولا يقاس بأعمى العين ذو البصر—

والظل ليس كمثلي للحرور ولا

ذو العلم كالجاهل المعداد في البقر

هذا ولم يعلموا فقدانها فلذا

لا يستفيدون برهاناً لمتصر—

قد ضرب الله الأمثال للناس في القرآن وما يعقلها إلا العالمون من ذوي الأفكار السليمة، والأفهام المستقيمة، المنورة بنور الحق، الناضرة في الأسباب والمقدمات بما يقضي إلى الغرض المطلوب وبيان صحته وفساده فقال تعالى: ﴿... وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ﴾ [النور: ٢٤] وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢٥﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٠-٢٢] المعنى لا يستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، وظل الجنة ونعيمها، وحر النار وحميمها، وما يستوي الأحياء من أحياء الله بنور الإيمان، بمن مات قلبه بالكفر، قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وكذلك لا يستوي العالم بالجاهل المعداد في الأنعام، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] وقوله هذا ولم يعلموا يعني هذا الأمر من عمى العقول، وعدم الانتفاع بها ثابت،

والحال أن أهلها يعلمون أنها مسلوقة النظر، فلذا لو أقيم عليهم البرهان والحجة لما قبلوه ولا أصغوا إليه، ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

واعلم أن عقل الإنسان هو الكبريت الأحمر، والكنز الذي لا يحسد فضله ولا ينكر، وأن بكماله وتنويره يبلغ بصاحبه عقوة العز الباذخ، ويقتعد به ذروة الكمال الشامخ، وأنه السلم وشرط فأنهما من الكتاب والسنة^(١) وأقوال الحكماء ما يطول ذكره ويكثر كثره، وكفى بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرؤ: ٩]، و﴿إِنَّمَا نَحْنُ آلَ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ أَلْعَلَّمْتُمَا﴾ [فاطر: ٢٨] والمراد بالعلماء هنا العلماء بالله لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩] وفي حديث النعمان بن بشير الحديث المشهور وهو قول النبي ﷺ: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبها لا يعلمها كثير من الناس فمن توقي الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه وإلا كان كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل شيء حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الإنسان مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب % فجعل مدار أفعال الجوارح صلاحاً وفساداً على صلاح القلب وفساده، وهو محل العقل كما نص به القرآن لقوله تعالى: (أم لهم قلوب يعقلون بها)، والحواس الباطنة وإن كان محلها الدماغ فهي كالآلات له.

[من كلام أهل الحكمة]

ومن كلام أهل الحكمة قولهم: العلم أحسن خلة والعقل أحسن قنية، العلم أفضل خلف، والعمل أكبر شرف، ولا سمير كالعلم ولا سيف كالحق، ولا عون كالصدق، وقولهم الجهل مطية، من ركبها زل، ومن صحبها ضل، ومن الجهل صحبة الجهال،

(١) كذا في الأصل.

ومن المحال مجادلة ذوي المحال، حسن الأدب، يرفع دُنات النسب، من لم يعلم لم يسلم، الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والنسب، عالم معاند خير من جاهل مساعد، الجهل بالفضائل من أقبح الرذائل، من صاحب العلماء وقر، ومن صاحب السفهاء حقر، أصل العلم الرغبة وثمرته العبادة، وأصل الزهد الرهبة وثمرته السعادة، العقل أقوى أساس، والتقوى أفضل لباس، الجاهل يطلب المال والعقل يطلب الكمال، إلى غير ذلك مما يطول ذكره ويفوت حصره، والله القائل شعراً:

إذا كنت ذا علم وعقل مع التقى

فقد حزت كل الخير في الدين والدنيا

وقوله:

قد استخفهم داع أتى خرفاً

منمقاً لهجين القول والهذر

منكر الأصل لا يُدرى أبوه ولا

من قبله في مرور الدهر والعُصر—

مُجَبَّل جاهل غمر مسنفه في

آرائه الكن نكس ثم ذو خور

مبخلٌ ليس يندي كفه أبداً

فماله في صنوف الفضل من أثر

هذه الأبيات عندها ذكر المخلص وهو ذكر من سبق الكلام من أجله فقوله (قد استخفهم): أي قد صيرهم خفاف الأحلام لما روج من زخرف القول الذي ليس له أصل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤] و(الخرف) جمع

خرافة الكذب من القول وأصله أن رجلاً من عذره يسمى خرافه اختطفته الجن وبقي معهم مدة ثم عاد إلى قومه فكان يحدث بما رأى مما لا تقبله عقولهم فكذبوه وقالوا حديث خرافة، وقوله: (منمقاً) حال من أتى خرفاً، و(التمنيق): التزيين والتحسين و(هجين القول) المطرح المعيب واسم للرجل الذي و(الهذر) كثرة الكلام في الخطأ والباطل وتنكير أصله عدم معرفة أبيه لأنه كما اشتهر دخل صنعاء تيمناً في سن الطفولة وربى في دار درويش من دور بيت إسحاق بن المهدي، وإذا لم يعلم أبوه لم يعلم من فوق أبيه من أجداده و(العصر-) بضمين كالحبك جمع عصر الزمان بعد الزمان والقرن بعد القرن و(المخبل) الناقص العقل، ويقال أصابه خبل أي جنون، والجهل عدم علم الشيء بالمرّة وهو السفه، أو علم الشيء على خلاف ما هو به وهو المركب والغمر -بكسر العين المعجمة- الجاهل، والغامر الخامل وضد العامر من الأرض بالعين المهملة، و(المسفه) الموصوف بكثرة السفاهة وهي الجهل أيضاً و(الآراء) جمع رأي وهو النظر في الأمور وتديرها يعني أنه فاسد الرأي فيما يدبره من الأمور، و(النكس) بكسر النون وسكون الكاف الضعيف، و(الخور) بحركتين ضعيف القلب، وقوله (مبخل) موصوف بكثرة البخل، (فليس يندي كفه) أي ليس يعطي أحداً شيئاً فهو كما قيل شعراً: [من الكامل]

لو أن قصر ك يا ابن هندٍ مختلٍ

أبدًا يضيق به أفضاء المنزل

وأذاك يوسف يستعيرك إبرة

ليخيط قد قميصه لم تفعل

فمن كان متصفاً بهذه الصفات الذميمة كيف يصلح للإمارة أو يلقب باللقاب الإمامة، شعراً:

أسماء مملكة في غير موضعها
كالهر يحكى انتفاخاً صولة الأسد

أو كما قيل : [من المتقارب]

لقد لعبت خائبات الظنوني^(١)
بأحلام قوم وألباهـ
وراموا الخلافة في زعمهم
فما سرقوا غير ألقابها

وما أحقه بما قيل : [من البسيط]

لو كنت في مائتي ألفٍ وكلهم
مثل المزرقن داود بن همدان
وتحتك الريح تمضي— حيث تأمرها
وفي يمينك ماضٍ غير خوان
لكنت أول فرار إلى عدن
إذا تحرك جيش من خراسان

فمن هذه صفاته كيف يصلح خليفة المسلمين، ويلقب بأمر المؤمنين، إن هذا هو الضلال المبين، ولم أفتر عليه حرفاً مما ذكرت من صفاته، بل فيما أهملت ما هو أطم وأعظم فإننا لله وإنا إليه راجعون، لقد أصيب الإسلام وأهله بأعظم الفواقر، ورمي من الدواهي بأقبح الشراشر، فإن من هذه صفاته لا يصلح لتدبير أمر نفسه فكيف بتدبير أمور المسلمين والإسلام، ولقد رفعت إليه حدود شرعية قطعية فأضاعها وطوى

(١) كذا في الأصل، والصواب يحذف الباء (الظنون).

شرعها، فمن أعظم المخازي متابعتة ومشايعته واعتقاد إمارته، ولا عجب على العامة فهم أتباع كل ناعق، وحفدة كل مارق، إنما العجب ممن يتصف بالعلم والعقل كيف يغتر به ويسكت عن النكير عليه ولا يُعرّف الناس حاله، ويكشف عن فضيع زوره ومقاله.

وقد كنت أتأنس إلى ذكر ما يروى من الخرافات التي تروى لأهل حمص وأن في الشام من يشبه بأغمار أهل اليمن ثم وجدت في القاموس ما معناه أن حمص بلد بالشام نزها جماعة من اليمن فكانت الغباوة والحمق مختص بعامة اليمن أصالة وفرعية، فإن أهل الهند وإن روي عنهم ما يقدح في خفة أحلامهم إلا أنهم^(١) في مسائل العقائد وهي أمرٌ لا يسلم منه كل فريق كما حققه الجاحظ في رسالته، وقد أجمع أهل العقل في جاهلية وإسلام على اختلاف الملل، وتباين النحل، أنه لا يصلح القوم فوضى بلا سراة يهدونهم السبيل، ويقفون لهم خير قبيل، وخصوصاً مرتبة الإمامة في الإسلام، ومنصب الخلافة التي إليها تنتهى الزعامة في الأنعام، فعلى تدبيرهم تدور رحى الإسلام، وعلى أساس دولتهم تبنى الأحكام، وتدابيرهم تأمن الأمور، ويصلح الجمهور، وتنحسم مادة الضرر والشرور، فإن منزلة السلطان من قومه منزلة القلب من سائر الجسد، فبصلاحه وانتظام حاله صلاح العالم وانتظام أحواله، وبفساده فسادهم، كما أن بصلاح القلب صلاح سائر البدن والأعضاء، وصدور الأفعال تامة كاملة، وبفساده فسادها، حتى قال بعض الصالحين: لو أعلم لي دعوة مستجابة لما خصصت بها إلا السلطان، فقليل له: ولم ذلك؟ قال: لأن بصلاحه صلاح الأمة، وقد كان في غابر الزمن لا يرون أن يقوم بالإمارة والملك إلا من هذبت أخلاقه، وكملت إنسانيته، ومن لم يكن قد بلغ تلك الدرجة مع استحقاقه الملك بالوراثة كما جرت به عادة القياصرة والأكاسرة صرفوا الهمم إلى العناية بشأنه، ووكلوا به من يرقيه أعلا معارج الكمال الإنساني.

(١) في الأصل: أنه، ولم يظهر المعنى.

روي أن بعض ملوك الفرس هلك وخلف ابنه في نحو السبع أو التسع السنين فتولى التدبير له موبذ موبذان ومعناه بلسانهم وزير الوزراء، ثم أنه وكل بحضرة ذلك الصبي جماعة من أهل الحكمة والعلم يلازمون مجلسه، ليلقوا عليه من المعارف ما يهتدي به في سلوك مقصده، ويفيضوا عليه من أنوار عقولهم ما يستوضح به السبيل، ويتعرف به دقيق الأمور والجليل، فلم ينفكوا من ملازمة حضرته إلا بعض الأيام فاستأذنوا للدخول عليه فحجبهم عنه فرجعوا إلى الموبذان وشكوا عليه ما كان منه من احتجابه عنهم، ومنعهم الدخول عليه، فركب إليه الموبذان فلما شخص بين يديه.

قال: اعلم يا بني أنك مترشح للملك وتدبير أمر العالم ولا يصلح لهذا الشأن إلا من صفت أخلاقه عن كدورات الغي والتفاهة وإني وكلت بحضرتك جماعة ممن أثق بحكمته، ووفور عقله، ليهذبوا من أخلاقك، ويفيضوا عليك من أسرار الحكمة ما تكمل به، وتصير أهلاً لهذا الشأن، فأجابه الصبي بعد أن حمد الله وأثنى عليه.

ثم قال: أما من ذكرت من الحكماء فإني حجبته عن الدخول عليّ لإساءتهم الأدب في مقامي.

قال: وما كان من إساءتهم الأدب.

قال: تضاحكوا في مجلسي ولا ينبغي في مواقف الملوك ذلك.

فقال له الموبذان: يا بني قد والله كملت وكمل عقلك ثم وضع التاج على رأسه وفوض إليه التدبير، فانظر في وفور عقل هذا الصبي ومعرفته بصواب الأمر وحسنه من خطئه وقبيحه، وعناية الموبذان بما فعل من إلزام من ذكرنا بملازمته، واعترافه بأن هذا الأمر لا يصلح لذوي الجهالة والسفه، يقضي من ذلك العجب مما نحن فيه من التخبط في الأمور وارتكاب المحذور.

وكانت اليونان لا يولون عليهم إلا من انتهت إليه الرئاسة في الحكمة ويلقبونه بطليموس، ومعناه حكيم الحكماء بلغتهم، وسيأتي لمعة من أخبار الملوك وما كانوا عليه من صفات الكمال وشرف الخلال.

[شروط الإمامة]

ثم اعلم أنه قد أجمع علماء الأمة ممن يعتد بقوله على وجوب نصب إمام للمسلمين، تدور على نصب أو امره ونواهيه رضى الإسلام، وتقام بدولته الحدود وتنفيذ الأحكام، وجعلوها قطيعة، ولذا عدوها من مسائل الأصول، وانعقد إجماعهم في الجملة على أنه لا بد أن يكون ذلك المنصوب قد جمع شروطاً يصلح معها أن يكون إماماً للمسلمين، فمنها العلم والأمانة وإليهما يرجع أكثر الشرائط الباقية، وفيما حكاها الله سبحانه من يوسف عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام في خطابه لعزير مصر ﴿أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] فعمل استحقاقه الولاية بالعلم والأمانة على ما ولي، ومن ذلك ما صرح القرآن من خطاب النبي ﷺ بقوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨] فإنه صريح في اشتراط الأمانة في الأئمة والولاية في تحريم العدل والإنصاف وإمضاء الأحكام الشرعية على السنن القويم، ولم يمش على طريقة العدل من جهل الكتاب والسنة وأقوال العلماء خصوصاً وعموماً بل لا يعدل إلا من رسخ قدمه في علم الشريعة، وكان ذلك مع تقوى، تحمله على المشي - على قانونها المرضي، ومنها كونه قرشياً لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «الأئمة في قريش» فإنه خبر في معنى الأمر، ولذا احتج به المهاجرون من أصحاب رسول الله ﷺ على الأنصار عقيب موته ﷺ عند تناول كل فريق للخلافة ولأمره ﷺ بطاعة قريش.

وأما اشتراط كونه ذكر، فلقوله ÷: «لن يفلح قوم ولّوا قومهم»^(١) امرأة» وكونه شريف المنصب أن الخلافة تخلف النبوة في إمضاء الشريعة والأحكام وإنما تبعت الأنبياء من أشرف قومها بل قد اعتبر هذا أهل الجاهلية وسائر أهل الملل، ولذا كتب النبي ÷ إلى هرقل بقوله عظيم الروم، وأما من اشترط كونه علويّاً فاطمياً فلأنه من صميم قریش بل أعلاها وأولاها بقربه من رسول الله ÷ وقد فضل الله آل كل نبي على غيرهم بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿آل عمران: ٣٣، ٣٤﴾ وقوله: ﴿أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٣) [النساء: ٥٤] واستخلف موسى أخاه هارون، وأخذ عليه مراعاة النظر في الأصلح ومجانبة الفساد وأهله بقوله ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤) [الأعراف: ١٤٢] فأين تجد بهذا الرجل السفية شيئاً من هذه الشروط بل هو كما قيل: ما فيك من جدك النبي سوى أنك لا ينبغي لك الشعر، وهذا إن صح نسبه أو كما قيل: [من مجزوء الكامل]

خليفة في ققــــــــــــــــص بــــــــــــــــين وصيف وبغــــــــــــــــا

يقول ما قيل له كــــــــــــــــما يقول البيغــــــــــــــــاء

وقول الآخر شعراً: [من الطويل]

شكى الناس قدماً ما لقوا من زمانهم

وما نالهم معشار معشار ما فينا

ألم يك داعينا هو الدال عينا

وهارينا لا شيء من أجل هارينا^(٢)

(١) كذا في الأصل، والصواب: أمرهم، كما في الرواية.

(٢) كذا في الأصل.

ثم عقب ذكر مساوي ذاته انظم إليها من المساوي الخارجة فقال:
 وإنما هو دجال له فئة
 من البواطن ذات الكفر والأشر
 ومن يهود فدايعه الذي نشر
 راياته بالطيال السود في زمر
 وليس ينفك في حلٍ ومرتحل
 عن اليهود ذوي البهتان والبطر
 يؤلفون له سحراً وشعبذة
 وليس ينفع مقدور من القدر
 الله أكبر لا نفع ولا ضرر
 إلا بما شاء من نفع ومن ضرر

(الدجال) الكذاب و(الفئة) من يرجع إليهم ويلوذ بهم، و(البواطن) فرقة من فرق الكفر تظهروا بالإسلام وأبطنوا الكفر، وأصلهم مجوس يعتزون إلى ميمون القداح كان أول ظهوره سنة ست عشرة ومائتين وكان له أخ فأسلم على يد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وانقطع إلى العبادة والنسك، حتى استمال جماعة من الشيعة عماء من المتوجع بما نال النبي ﷺ من القتل والتشريد فتكثف سوادهم، واحتذيت سبيلهم، وتوقدت جمرتهم، ثم ظهر لجماعة خبث سرائرهم فهم بهم الجماعة بالفتك، فانقلوا إلى العراق ثم مات ميمون القداح وكان له أخ وخلفه ابنه محمد بن ميمون وعضده جماعة من أهل العراق يعرفون بالقرامطة، فانتشرت دولتهم وبعثوا الدعاة إلى الآفاق، فمن دعائهم في اليمن علي بن الفضل القرمطي وحسين بن منصور ونزل بنجران وفتن

قبائل يام، ومن دعائهم من نزل المغرب وأقام دولة العبيدين، ومنهم إسماعيل شاة دخل الهند وكان له دولة وهو أخير الظهور، وجملة القول فيهم أنهم الإلحاد وصرح الكفر، ولكنهم يدينون عامتهم بأمور يحملونهم على العمل بها تستراً وهم^(١) يفترقون إلى سليمانية وداودية، وسليمان وداود أخوان أبناء قطب هما اللذان مهّدا لهم قواعد على شفير هار من الهذيان التي دلت على نقصان عقولهم وفساد أفكارهم، ولولا قذارات ذكرها لأوردت منها أشياء للتعجب من حالهم وقد أغنى من ذكرهم ما هو مصرح به من عقائدهم في الملل والنحل.

وقوله (ذات كفر) أي الجحود للصانع الحكيم، و(الأشر) الكبر والخيلاء، والمراد بكبرهم عن قبول الحق و(من يهود) يعني وله فئة من يهود فداعيه الذي ظهر بالطيال السود يعرف بهذا الاسم وهي من أعمال خولان العريض، ثم في بني جبر بن سعيد وهو بطن من خولان، وكون من ذكر فئة له، أما الباطنية فلا يزال يكاتبهم ويراسلهم حتى الآن وهو بجبل ضوران أرسل جماعة من أهل الجبل إلى الداعي الذي بحراز يستمد منه وصول جماعة من أصحابه فلم يجب لذلك خوفاً على أصحابه مع كونه متهماً باتحاده بهم في العقيدة نعوذ بالله من الجهل وأهله، وأما اليهود فموالاته لهم ظاهرة بينة منها ما ذكرنا من أنه دعا إليه اليهودي الذي ظهر في الطيال ونشرت فيها أعلامه ثم خييه الله وعاد إليه إلى قرية القابل طريداً، ثم عاود مرة أخرى كان فيها حتفه والحمد لله، ثم هو لا يزال يصحبهم في الخط والترحال والخط والمرتحل لزعمه أنهم يسحرون له الناس، ويجذبونهم لطاعته ووصفهم بالبهتان أي أنهم ذو بهتان وهو الزور والباطل لما في حديث عبد الله بن سلام لما أسلم ولم يعلم اليهود بإسلامه فقال يا رسول الله إن اليهود لم يعلموا إسلامي وإنهم قوم بهت إذا علموا إسلامي قالوا عليّ الباطل فأرسل إليهم واسألهم عني فأرسل إليهم فلما وصلوا إليه سألهم عن عبد الله بن سلام ما تقولون فيه؟ فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، فخرج إليهم عبد الله بن سلام وكان قد غيب

(١) في الأصل: وهو، وما أثبتناه لعله الصواب.

شخصه فقال: يا معشر اليهود اسملوا فإنكم تعلمون أن رسول الله حقاً وإني قد أسلمت وآمنت به، فقالوا: شرنا وابن شرنا.

وقوله: يؤلفون له سحراً أي يجمعون له تائم ورقي يتوصل بها إلى ما يزعم أنها تفيده في طلب الرئاسة شعراً:

وليس ينال الملك بالسحر والرقا

ولكننا نيل الرئاسة بالمجد

[معنى السحر وحكمه]

والسحر اسم لما لطف مأخذه، ورق نظر ناظره، والشعبذة في خفة عمل اليد والتعمية، ولذا يبلغ السحر إلى أن يأتي بما يخرق العادة فلذا احتيج إلى الفرق بين السحر والكرامة والمعجزة، والحاصل أن السحر مقدور لأحاد الناس بواسطة تعلمه بخلاف الكرامة والمعجزة، وتختص المعجزة بأنها ما قرنت بقصد التحري، والسحر على أبواب وضروب وأنحاء مختلفة، ولا شك أنه كفر وأن فاعله كافر، وكذا طالبه والمجعو من أجله، فقد لعن رسول الله ﷺ في الربا آكله وموكله وكاتبه وشاهده، وكذا لعن في الخمر عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه.

وقوله: وليس ينفع مقدور من القدر إشارة إلى أن السحر من مقدورات الناس وليس ينفع من قدر الله فالله أكبر من أن يقع في ملكه مالا يريد إلا على طريق الابتلاء، فهو النافع الضار، والواحد القهار، فهذا الرجل الذي صار الكذب والزور دينه، وذوي الكفر والبدعة معتمده، كيف يعتزى إليه، أو يعول في شيء من أمور الدين والدنيا عليه.

[تحريم الكذب]

وقد ذم الله الكذب وأهله في قوله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] وفي آية اللعان ﴿وَالْخَمْسَةُ أَن لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور: ٧] وفي الحديث «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» الحديث أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود.

وأخرج مسلم والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر» وأخرج أحمد ومسلم عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة كذايين فاحذروهم» وأخرج أحمد والطبراني في الكبير والضياء عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال: «في أمتي كذابون دجالون سبعة وعشرون منهم أربعة نسوة وإني خاتم النبيين لاني بعدي» وروي «أن بين يدي الساعة ثلاثين دجالاً آخرهم المسيح».

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ويحدثون البدع» قال ابن مسعود كيف أصنع؟ قال: «تسألني يا ابن أم عبد كيف تصنع؟! لا طاعة لمن عصى الله» وما أصدق الحديث الذي أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده وابن ماجه في سننه والحاكم لعله في المستدرک من حديث أبي هريرة في هذا الرجل وفي زماننا الذي نحن فيه ولفظه «سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن

(١) العائل: الفقير، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً﴾ أي فقر ومجاعة.

ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويضة. قيل: يا رسول الله وما الرويضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة» قال في النهاية: الرويضة تصغير الرابض وهو الرجل التافه كما فسر الحديث يعني العاجز الحقير.

ثم أشار إلى شيء من دعاويه الكاذبة، وقوله:

وكم أتى بأباطيل يروجها

فيدعي الكيمياء في الشعر والعنبر

وتارة يدعي كشف الكنوز له

ليستحق به الإقدام بالغر^(١)

والجنّ كم يدعي إثارة طاعتهم

له وماثمة من جنّ لمذكر

أين الكنوز؟ وأين الكيمياء؟ ولم

نرى لها منذ دعواهن من أثر

قدوس هذا^(٢) التمكين فاعتبروا

بأنه عالقة في البدو والحضر —

على التكفف لم ينفك عنه ولا

قضى — له الرزق إلا منه في البشر —

أعني أن من أباطيل هذا الرجل الذي يفترها، ومثالبه التي يجترها، ما يزعم أنه يتمكن من صناعة الكيمياء، التي عجز عن دركها الأذكاء، حتى أنكر الصنعة والتدبير

(١) كذا في الأصل، والصواب: (ليستخف به الأقدام) كما سيمر بك في شرح الآيات.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: (هذا هو التمكين) كما سيمر بك في شرح الآيات.

بعضهم كالحسن بن سيناء من فلاسفة الإسلام وزعم أنه لا طريق إلى تكونها إلا في المعادن التي تتكون فيها بالصنعة الإلهية، وبعضهم يثبتهم فمنهم من زعمه في تدبير الشعر وهو الحجر المكرم بزعمهم، ومنهم من زعمه في تدبير العذر وهو جمع عذرة، وهي الأزبال وهم جماعة من سفهاء الأحلام، وبعضهم في تدبير الكبريت إلى غير ذلك مما وسمهم بالعي، وقهقر عنه كل ألمعي، فكيف يكون فهمها لذلك الرجل الذي أملينا عليك صفاته، وتارة يدعي أنها تنكشف له الكنوز، وتحلل له الرموز، كل ذلك يستخف به عقول الجاهل، والأفدام جمع فدم الجاهل الغمر وقد فعل فقد أعتقد صدق مقالته جل العوام بل كلهم بل سرى إلى بعض الخواص ممن حقق^(١) عقله، ومنها دعواه طاعة الجن له وما ثمة من جن يطيعون له، فما زال كل من يقرب منه كل من توسم فيه أدنى معرفة في الأسماء والروحانيات ممن ليس عنده شيء فلو كان له معرفة وتمكن استغنى بها عن الغير، ومذكر أصله متذكر أدغمت التاء في الدال أي لمن تذكر وفهم ونظر في صحة الأمور وفسادها.

وقوله: قدوس هذا هو التمكين هو على طريق التهكم به، ولذا أعقبه بما يكذب دعواه وأنه لم يزل عالية على التكلف للناس في البدو والحضر - حتى كأنه لم يقض له الرزق إلا من أيدي الناس من قبل ومن بعد، ولو كان كما زعم من تمكنه من تلك الأمور لكان مستغن عما في أيدي الناس بل من حقه أن يفيض عليهم من سببه وأن يعتفف^(٢) عن السؤال وعييه كما أشار إلى بيان كذب دعواه فقال:

لله در أزال زيلته ————— فله ————— م

تكن له بمقام آخر العمر

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، والصواب يعتفف.

نفته عنها طريداً بعد ما فتكت
بعصبة تبعته من ذوي النكر
فلم تفده دعاويه ولا شهدت
له بغير شفيع في المقال زري

يقال لله در كذا يعني لله خير، وأزال اسم لمدينة صنعاء اليمن وهي من أساميها القديمة وهي أم مدن اليمن وقاعدة ملك جباله أول من اختطها^(١) سام بن نوح بعد الغرق وهي في الإقليم الأول، عرضها وهو بعدها عن خط الاستواء أربعة عشر درجة ونصف فلذلك كانت إلى الاعتدال أقرب خمسة الشكل في الموضع الهندسي وهو أقرب الأشكال الهندسية إلى المسدس الذي هو أعدها مطلقاً والتكلم على خواصها ليس هذا محله، وعلى الجملة فلم يبلغ حسن ثراها، وطيب رباها، بلد من بلدان اليمن.

و(زيلته) مضعف أزاله عن المكان أقصاه عنه، والإسناد إليها من مجاز الحذف إذ المراد أهلها على حد قوله تعالى: ﴿وَسَقُلْ آلَ قَرْيَةٍ﴾ [يوسف: ٨٢] وقوله: فلم يكن.. إلخ، أي ليس ينبغي أن تكون له دار مقام لشرفها وعلو مرتبتها أن يليها مثله، وقوله: نفته عنها بيان لكيفية زواله عنها بأنهم طردوه بعد ما فتكوا بعصبة انضمت إليه من أحواز صنعاء قبيلة من بقايا الفرس يسمون بني بهلول، وذلك أنه غرهم على عادته ووعدهم الفتح والنصر والظفر، فاجتمع منهم معه جمع وأقبل بهم نحو صنعاء يزعم أنه لا يحل رحله إلا في وسطها فخرج إليه جماعة من أهلها، وعصدهم آخرون من أهل شعوب، فأذاقوهم حرَّ شعوب، وهزموهم هزيمة فاضحة، وقتل منهم جماعة ينيفون على العشرين، ثم ولوا مدبرين لا يلوون على أحد، ونجا بنفسه، فنزل بوادي ظهر، ثم بقرية القابل مستجيراً فأووه ولم يحسنوا، ففي الحديث «من آوى محدثاً لم يقبل الله منه صرفاً

(١) في الأصل: أول من أخط خطها، والمراد أول من اختطها كما أثبتناه.

ولا عدلاً» رواه في معالم السنن للخطابي.

وقوله: فلم يفده دعاويه .. إلخ، يعني أن الحالة التي صار إليها من الضعف والوهن والطرد له والإبعاد والإيقاع به والانتزاع لرئاسته توجب أن يظهر عندها ما يدعيه من التمكن من المحال ليوسع به مضيق المجال، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، فحين لم تفده دعاويه شيئاً كانت مبادئه تكذبه، وزوره وافترائه عند من له أدنى عقل يميز به بل ظهر من حاله الخوف والوجل، وأنه استجار برجل من مشائخ بلاد سنحان ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

يا للمدارس عن أربابها اندرست

لفقد ذي مقول كالصارم الذكر

أين الترسل في هذا المقام وأين

الكشف عن منهج للسالكين سري

بل أين أرباب أبواب العقول لقد

خابت وأخفق مسعاها عن الوطر

فهل سمعتم بشخص توجه على

تلك الصفات التي أمليت في السير

لم يتق الله من يأت القبيح ومن

يرضاه مثل الذي يأتيه في الوزر

(يا للمدارس) ندبة ونعيه لها خلوها عن أهلها الذين يصلون بالحق ويظهرونه للناس ولا يكتُمونه، كما أوجبه الله عليهم، وخصوصاً في الأمور العظام، فيما يعود على

هدم قواعد الإسلام، وظهور البدع والطوام، و(المدارس) مكان الدرس يعني قراءة العلوم وإفادتها واستفادتها والعمل بمقتضاها فكان من حقهم أن يترسلوا بمعنى محرروا الرسائل ليكشفوا بها عن منهج الحق الذي ما سواه باطل، و(المنهج) الطريق، و(السالكون) المارين به، ووصف المنهج بالسري أي الشريف لأنه لا شراف^(١) من طريق الحق، والمعنى أنه كان يجب على العلماء البيان والإيضاح، والبوح والإفصاح، عما هو الحق وما هو الطريق إليه الذي به شرف الدين والدنيا ومجانبة أهل البدع والمعادين، بل كذلك كان يجب على ذوي العقول النظر فيها هو ثمرة العقل وهو التمييز بين حسن الأمور وقبيحها ليتركوا الباطل ويحذروا عنه، و(اللب) محض العقل وخالصه، ثم وصفها بالخيبة لعدم الانتفاع، و(إخفاق مسعاها) اضطراب مطلبها وفواته عن بلوغ الوطن^(٢) المطلوب منه ثمرة العلم والعقل.

[وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

وقد ذم الله الأخبار من بني إسرائيل في عدم البيان لما نزل على نبيهم وتوعدهم على ذلك فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ نَمَّا قَلِيلًا ۖ فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وقوله فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبِّ وَالْطُّغْيِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١، ٥٢] وقال في علماء هذه الأمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِمَّا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

(١) كذا في الأصل، والمراد: (لا أشرف من طريق الحق).

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب (الوطر).

الْكِتَابِ^١ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿البقرة: ١٥٩﴾ وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿البقرة: ١٧٤﴾ ولعن بني إسرائيل لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله عز اسمه ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ^٢ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٩﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿المائدة: ٧٨، ٧٩﴾ فين أن وصفهم بالعصيان والتعدي هما لعدم التناهي عن المنكرات.

وقال في هذه الأمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ﴿آل عمران: ١١٠﴾ فين أن سبب خيرتهم على سائر الأمم هو أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ومع الإيمان بالله عز وعلا، وعلى الجملة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قواعد الدين التي عليها يقوم بنيانه، وتثبت أركانه.

والأحاديث بذلك في كتب السنة طافحة، من ذلك ما أخرجه أحمد والترمذي والحاكم في المستدرک والضياء في المختارة وغيرهم عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي فنهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسوه في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله على قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، لا والذي نفسي بيده لنأطرنهم على الحق أطرا».

وأخرج مسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيوان».

وأخرج أحمد ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له حواريون من أمتة وأصحاب يأخذون بسنته ويقيدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة من خردل» وأخرج الترمذي وحسنه عن حذيفة بن اليمان وهو صاحب رسول الله ﷺ^{هـ} عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهعن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ثم تدعون فلا يستجاب لكم» وأخرج أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي لا يغيرون عليه وهم يقدرن إلا أصابهم الله بعذاب منه قبل أن يموتوا» وعن أبي بكر الصديق قال: «يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿يَتَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ﴾ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم» [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه وشك أن يعذبهم الله بعذاب من عنده» أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

وأخرج ابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين قالت: دخل علي رسول الله ﷺ فعرفت في وجهه شيئاً فتوضأ وما كلم أحداً فلسقت بالحجرة لأستمع ما يقول فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال: «أيها الناس إن الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهو عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم وتسالوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم فما زاد عليهن حتى نزل من منبره» وأخرج الشيخان في صحيحهما عن زينب بنت جحش قالت: قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «نعم إذا ظهر الخبث» يعني المعاصي، وأخرج الأصبهاني عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن قائلها وترد عنهم العذاب ما لم يستخفوا بحقها، قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها؟ قال: يظهر العمل بالمعاصي فلا ينكرون ولا يغيرون» وأخرج الأصبهاني أيضاً عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيها الناس مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم» إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يمنع رزقاً ولا يقرب أجلاً وإن الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء، والأحاديث في ذلك واسعة جداً، ومن لم ينفعه القليل لم ينتفع بالكثير، ف فيما أوردناه كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فقد علم بهذا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين، وفرض على كافة الموحدين، وأعظم الوجوب على العلماء الذين هم حملة الحجة فأى عذر لهم عند الله ورسوله في تركهم عن الإبلاغ والكشف والإيضاح للعامة، وقد كان السكوت ممن يؤثر الدنيا على الآخرة عند إقبال الدنيا وثقته بها، فكيف وقد ولت مدبرة، وكشرت عن أنيابها، ورمت بالفقر والحاجة ذيابها، ومع ذلك فلا مخافة عليهم من الإعلان بالحق، ولا تقية فقد سلب الله الأمر كل من يحاوله فلا سبب للسكوت إلا الجهل والتجاهل، وعدم المراقبة والخوف لله سبحانه، اللهم إنا نبرأ إليك من كل مالا يرضيك أنت حسبتنا ونعم الوكيل، من كل آفة ومخافة يا من بيده أزمة الأمور، وهو على كل شيء قدير، اجمع قلوب عبادك على ما تحب وترضى، يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، ولم يكف هؤلاء المتصفون بالفقه والمعرفة بسكوتهم عن ارتكاب منكر هذا الداعي، حتى رفعوا من شأنه ولقبوه بأمير المؤمنين، وحسنوا للناس طريقته، اللهم غفرًا غفرًا، فلقد أعظموا في الدين معصية وكفرًا.

[التحذير من النفاق وشهادة الزور وعلماء السوء]

أخرج الطبراني في الكبير والبزار من حديث عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أتخوف عليكم من بعدي منافق عليم اللسان» وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط والصغير من حديث علي كرم الله وجهه في الجنة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لا أتخوف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً أما المؤمن فيحجزه إيمانه وأما الكافر فيقمعه كفره ولكني أتخوف عليكم منافقاً عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون» وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة «أول ما تسجر النار بثلاثة أحدهم العالم الذي لم يخلص في علمه ولا يرد به وجه الله» وأخرج الطبراني في معجمه الكبير عن الوليد بن عقبة عن رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أناساً من أهل الجنة يتطلعون على أناس من أهل النار فيقولون: بما دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل» فاسمع موقع هذا الحديث في استحقاق من فعل خلاف ما يقول النار، فكيف من لم يفعل ولم يقل، بل كيف حال من يقرر الكذب والزور، وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي بكر قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر.. ثلاثاً، الإشرak بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وقول الزور، وكان متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» وفيما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة وغيره من حديث صريم بن مالك قال صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال عدلت شهادة الزور الإشرak بالله ثلاث مرات ثم قرأ ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴿[الحج: ٣٠، ٣١].

وأخرج ابن ماجة والطبراني والحاكم وغيرهم عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «لن

نزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار» فتبين بهذا أن على كل عالم وعاقل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يسكت عنهما مع القدرة على ذلك، وأن تاركهما تارك ركن من أركان الدين يستوجب به غضب رب العالمين، والخلود في النار مع الكافرين، وأنه متى قد أبلى العذر ونصح وأنذر وأعذر فقد خرج عن العهدة وحمل الوجوب من بلغ إليه، وفيما حكى الله عن طائفة الحق من بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا^١ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِمُ اتَّخَذْنَا آلَ الَّذِينَ يَهْتَوُونَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥].

وأخرج أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحقرن أحدكم نفسه.. قالوا: وكيف يحقر أحدنا نفسه يا رسول الله؟ قال: يرى أمر الله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله عز وجل يوم القيامة ما منعك أن تقول في كذا وكذا فيقول: خشيت الناس، فيقول الله تبارك وتعالى فأنا كنت أحق أن تخشاه» وورد الأمر من النبي ﷺ بذكر أولي المعاصي بما فيهم للحذر منهم ومجانبتهم، أخرج أبو يعلى وغيره عنه ﷺ قال: «اذكروا الفاجر بما فيه كيما يحذره الناس» وفي بعض رواياته «لا غيبة لفاسق» وروى ابن أبي الدنيا من طريق الحسن البصري مرفوعاً «ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم، المجاهر بالفسق، والإمام الجائر، والمبتدع».

وقوله في الأبيات فهلا سمعتم.. إلخ، الخطاب لذوي العلم والعقل يعني هل سمعتم فيما تعلمون من سير الملوك والأئمة والأمراء بأهل زمانٍ من الأزمنة المتقدمة قد ولوا أمرهم، من صفاته كصفات هذا الرجل التي أمليناها سابقاً والاستفهام للاستنكار أي ليس الأمر كذلك.

[صفات الملوك]

فإن كل من اشتهر بالرئاسة في جاهلية أو إسلام، على اختلاف ملل الكفر ونحل الإسلام، وإن نُقِمَ عليه في بعض صفاته فإن له صفات يمدح بها، وينوه بذكرها، دينية أو دنيوية، فلقد كان ملوك الروم وملوك الفرس وغيرهم بالصفات التي يعزّ نظيرها في ملوك الإسلام حتى كانت تهديهم عقولهم إلى خير الدنيا والآخرة، ولقد طبق ذكر صفاتهم الآفاق، ومليت الكتب بما سودت الأوراق، ونحن نشير إلى شيء من ذلك يستدل به على وفور عقولهم، وعلو همهم، فمن ذلك ما كتبه أزد شبر ابن بابك مما جعله رسماً يحتذي به ملوكهم، ومن يخلفه من عقبه وذكر الكتاب ابن أبي الحديد مستوفاً، ونحن نذكر مضمون ما أشار إليه لطوله فكان مفتحة قوله: اعلموا أن الملك والدين توأمان فالدين أسُّ والملك حارس، فما لا أسُّ له مهدوم، وما لا حارس له ضائع معدوم.

ومنه أن الملك لا ينبغي له أن يفرغ عن النظر في التدبير وأن يبادر غيره إلى فعل ما يمدح به كي لا يصرف الناس عنه ذلك الغير حتى يتصف بصفات الكمال، وأنه لا ينبغي للملك أن يغضب فإن الغضب مذلة، وأن ينفق تارة حتى يقال مسرف، ويمسك حتى يقال مقتر، وأن يبادر الفرصة حتى يقال طائش، ويستعمل الأناة حتى ينسب إلى العجز، كل ذلك بحسب ما يقتضيه الحال، وأنه لا ينبغي له أن يخلف الوعد، وأن يكتم السر، فلا يبيده إلا عند إمضائه، وأن يقرب البريء ويدينه، ويُقْصِي المذنب ويبعده، ويثيب المحسن ليزداد في إحسانه، ويعاقب المذنب لينزجر إن لم يره للعفو عنه أهلاً، ولا يواخذ بالزلة.

ومنها في صفة الملك أنه ينبغي أن يكون كاملاً غير سخييف العقل، ولا فائل^(١) الرأي، ولا جبان، ولا بخيل، ولا مطعون عليه في الدين، ولا ناقص الجوارح إلى آخر ما ذكره.

ومنها ما كتبه أرسطا طاليس للإسكندر وقد أمره أن يجعل له مرسوماً يتخذه قدوة في تدابيرهِ وتصاريهِ وأوامره ونواهيهِ، فكتب إليه مجيباً عن استمرار ذلك بقوله: أما بعد فإنه لا قوة بالمنطق وإن احتشد الناطق فيه واجتهد في تثقيف معانيهِ، وتأليف حروفهِ ومبانيهِ، على الإحاطة بأقل ما تناله القدرة من بسطة علو الملك، وسمو ارتفاعهِ من كل قول، إبرازهِ عن كل وصف، واعترافهِ لكل طناب، وقد كان تقرر عندي من مقدمات أعلام فضل الملك في مهلة سبقت وبرز شأوه ويمن نفسه إذا دب إلى حاسة بصري صورة شخصية واضطرب في حسن سمعي حسن لفظ أيام كنت أودي إليه من تكلف تعليمي إياه ما أصحت قاضياً بالحاجة إلى تعليمهِ منه ومهما تكن مني إليه فإنه عقد مردود إلى عقلهِ مستنبط من علمهِ، إلى أن قال في نصيحته: وأن للكل تربة لا محالة قسمة من الفضائل، وأن لفارس قسماً من النجدة والقوة، وإنك إن تقتل أشرافهم تخلف السفل وتورثهم منازلهم ولم يبتل الملوك ببلاء أعظم من تسلط السفل، فاحذر كل الحذر من أن تمكن لتلك الطبقة، واعتمد إلى من عندك من ملوكهم، فوزع بينهم مملكتهم، واجعل ذلك باسمك ورسمك وأنه لا بد أن ينشأ بينهم من الضعف والمنافسات ما ينسيهم الحقْد عليك، وتضطربهم إلى طاعتك، ويتقرب كل فرد منهم إليك، بما ترى له الفضل على غيره، إلى آخر كلامهِ تركناه اختصاراً.

وقد ألف العلماء للملوك كتباً ورجعوا لهم حكماً وأمثالاً فيما يصلح به الملك ويدوم، ولا دوام إلا لله سبحانه، فمنها لأهل الهند أول ما وضعوا في ذلك كتاب كيلة ودمنة فإنه مبني على رعاية الحكم والأمثال التي يتوصل بها إلى حسن السياسة، وقوام

(١) فائل الرأي: ضعيفه.

الرئاسة، وأخبار عبد الوهاب، وكذلك وضعوا الشطرنج وجعلوا معرفته وأحكامه طريقة منبه على أن سعة الملك لحسن التدبير والنظر، وكذلك النرد للفرس، ومن ذلك كتاب الساطم والباغم وما اشتمل عليه من الأمثال والحكم وهو لابن الهبارة، ومنها كتاب سراج الملوك، وكتاب نصائح الملوك لحفيد ابن الجوزي، وكتاب العقد الفريد في نصيحة الملك السعيد لمحمد بن طلحة، وكتاب سر العالمين للعلامة الحجة محمد بن محمد الغزالي، وغير ذلك مما يطول ذكره، ويعظم حصره، وقد كانت عقولهم لكملها تهديهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

فما روى حفيد ابن الجوزي في نصائح الملوك بإسناده عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل ممن كان قبلكم في مملكته فتفكر فعلم أن ذلك منقطع منه، وأنا هو فيه قد شغله عن عبادة ربه، فخرج ذات ليلة من قصره فأصبح في مملكة غيره، فأتى ساحل البحر وكان يضرب اللبن ويأكل ويتصدق بالفضل، فلم يزل كذلك فنا خبره إلى ملكهم فأرسل إليه ملكهم أن يأتيه فأبى فأعاد إليه الرسول فأبى وقال: ماله ومالي فركب إليه فلما رآه الرجل ولى هارباً فلما رأى ذلك الملك ركض في دابره فلم يدر به فناده يا عبد الله إنه ليس عليك بأس فأقام حتى أدركه فقال: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا فلان بن فلان صاحب ملك كذا وكذا تفكرت في أمري فعلمت أن ما أنا فيه منقطع عني وأنه قد شغلني عن عبادة ربي فتركته وجئت هاهنا أعبد ربي عز وجل، فقال: ما أنت أحوج إلى ما صنعت مني، قال: ثم نزل عن دابته فسيبها ثم تبعه فكانا جميعاً يعبدان الله عز وجل فدعوا الله أن يميتهما جميعاً فماتا جميعاً، قال عبد الله بن مسعود فلو كنت برميلة مصر لأريتكم قبريهما بالنعث الذي نعت لنا رسول الله ﷺ.

قصة ملك آخر رواها في نصائح الملوك أيضاً بالإسناد إلى بكر ابن عبد الله المزني قال:

كان رجل من ملوك بني إسرائيل قد ولد كثيراً من الأولاد، وكان إذا كبر ولده أخذ عليه ثوبي صوف ثم ذهب في السياحة فلما كبر سنّه وقد بقي له ولد فقال لأهل مملكته: إني أخشى أن يلحق هذا بإخوته وقد كبر سني وأريد أن يخلفني في المملكة فما الحيلة، قالوا: نعمر له قصرًا ونجعل له حائطاً فرسخاً في فرسخ فنحبسه فيه، ففعلوا ثم بقي فيه ذلك الولد ما شاء الله أن يبقى فقال: إني أريد الخروج فخرج في أبهة من جنده حتى انتهى إلى الحائط وقال: لا بد من الخروج فعرض على أبيه فقال: أجمعوا له كل لهُو ففعلوا وبقي سنة، ثم ركب في السنة الثانية حتى انتهى إلى الحائط وقال: لا بد من الخروج فعرض على أبيه فقال: اخرجوه فخرج فإذا هو برجل مبتلى فقال: ما هذا فقالوا: مبتلى، فقال: اخرجوني فخرج فرأى رجلاً قد شاخ سنه وأصابه الهرم فقال: ما هذا الذي أصابه؟ فقالوا: شاخ سنه وأصابه الهرم، قال: كلنا يخافه، قالوا: نعم، فقال: أفٍ لعيشكم ثم عاد فمكث حولاً فقال: اخرجوني فأخرج فإذا هو بسرير يحمل فقال: ما هذا الذي يحمله الناس؟ فقالوا: رجل مات، فقال: ضعوه فوضعوه فقال: اقعدوه فقالوا: لا حياة به، فقال: كلموه، فقالوا: هو لا يتكلم، قال: فأين تذهبوا به؟ قالوا: نحفر له في التراب ثم يدفن فيه، قال: ثم ماذا؟ قالوا: ثم يبعث فيحشر مع الخلائق إلى رب العالمين، فإن كان صالحاً صار إلى الجنة دار النعيم التي لا يموت فيها ولا ينعص، وإن كان عاصياً فالإلى عذاب جهنم مخلداً فيها، فألقى نفسه من ظهر فرسه حتى سال دمه فردوه إلى أبيه وقد كاد ينزف دمه فقال: يا أبتِ إن هذا آخر الدهر بيني وبينكم ثم أخذ عليه طميرين ولحق بإخوته.

قصة ملك آخر من الكتاب المذكور وبالإسناد إلى عون بن عبد الله بن عيينة قال: حدثت عمر بن عبد العزيز بحديث وقع منه بموقع حديثه أن ملكاً ممن كان من قبلنا بنى مدينة وشيدها ثم صنع طعاماً ودعا الناس إليه وقد جعل على أبواب تلك المدينة

ناساً يسألون كل من خرج، هل رأيتم بها عيباً؟ فكل من خرج يقول: ليس بها عيب، حتى كان آخرهم خروجاً رجلاً من دخل تلك المدينة فسألوها هل وجدت بها عيباً؟ قالوا: نعم عيين اثنين، فأمسكوهما حتى أتوا بهما الملك فأخبروه بما قالوا فسألهما ما عيبها؟ قالوا: إنها تخرب ويموت صاحبها، قال: صدقتما، فهل تعلمان داراً لا تخرب ولا يموت صاحبها، قالوا: نعم الدار الآخرة، فترك ما كان عليه وذهب وكان قد صحبهم مدة ثم ودعهم فقالوا له: هل رأيت من شيئاً تكرهه؟ فقال: لا، ولكننا تعرفاني، فانصرف عنهما.

قصة ملك آخر من الكتاب المذكور قال: كان امرئ القيس الكندي وهو غير الشاعر المذكور طويل المصاحبة للهو واللذات، كثير العكوف على اللعب، فركب يوماً إما إلى الصيد وإما إلى غيره، فانقطع عن أصحابه، وإذا هو برجل جالس قد جمع عظاماً من عظام الموتى وهن بين يديه يقلبها فقال له الملك: ما قصتك أيها الرجل وما بلغ بك ما أرى من سوء الحال، وشنوف الجسم، ونهوك البدن، والانفراد في هذه الفلاة فقال: لأنني على جناح سفر بعيد وبني موكلان مزعجان يحدوان بي إلى منزل ضنك مظلم القعر، كربه المنظر، ثم يسلماني إلى مصاحبة ومجاورة الهلكى، تحت أطباق الثرى، فلو تركت بذلك المنزل مع جفائه وضيقه ووحشته وإرتعا أحناش الأرض من لحمي وعصبي، حتى أعود رفاتاً، وتصير أعظمي رماماً، ما كان للبلاء انتهاء، وللشقاء نهاية، ولكنني أدفع بعد ذلك إلى صحبة الحشر، وأرد هول موقف الجزاء، ثم لا أدري إلى أي الدارين يؤمر بي فأني حال يلتذ به من كان هذا مصيره، فلما سمع الملك كلامه ألقى نفسه عن فرسه وجلس بين يديه وقال: أيها الرجل لقد كدرت عليّ صفو عيشي، وملك الإشفاق قلبي فأعد عليّ بعض كلامك فقال له الرجل: أترى هذه العظام الرمة بين

يديك قال: نعم، قال: هذه عظام ملوك غرتهم الدنيا بزخرفها، واستحوذت على قلوبهم بغرورها، فألهتهم عن التأهب للموت حتى فاجأتهم الآجال على بغته وأخذلتهم الآمال، وسلبتهم النعم ثم هي الأبدان تنشر وتحشر، ثم يؤمر بها إلى أحد الدارين، ثم لم يُرَ للرجل بعد فراغه من كلامه أثر وتلاحق أصحاب الملك به وقد انتقع لونه وتواصلت عبراته، فركب معهم وهو مختل الحال، حتى إذا كان الليل نزع ما كان عليه من اللباس، ولبس ثياب السياحة وخرج تحت الليل فكان آخر العهد به.

قصة ملك آخر من الكتاب المذكور، تنازع ملكان من ملوك اليمن فغلب أحدهما صاحبه وقهره وأسره، فقتله واستولى على ملكه، ثم توجه إلى دار مملكة عدوه وتلقاه الناس، وهيئت له السرر وزينت له القصور فيبناه على مسيره إذ عرض له رجل ينسب إلى الجنون فأنشده قوله شعراً: [من الطويل]

تمتع من الأيام ما كنت عائشاً

فإنك فيها بين ناهٍ وأمر

فكم ملك قد رُكِّم الترب فوقه

وعهدي به الأمر فوق المنابر

إذا كنت في الدنيا بصيراً فإنها

بلاغك منها مثل زاد المسافر

إذا أبت الدنيا على المرء دينه

فما فاته منها فليس بضائر

فقال له الملك: صدقت، ونزل عن ظهر فرسه وفارق أصحابه ورقى الجبل فكان آخر العهد به، فبقت اليمن شاغرة أياماً حتى عقد الملك لمن اختاروه له.

قصة ملك آخر من الكتاب المذكور وبالإسناد إلى عبد الواحد بن زيد قال: كان في بني إسرائيل عابد لم يكن له إلا جبة صوف، وقربة يستسقي بها لنفسه فلما حضرته الوفاة أوصى أن يكفن في جبته، وأن يسلموا قبرته للملك فقيل له في ذلك فقال: إني أكره أن أحمل في القيامة شيئاً فأعطوها الملك ليحملها مع ما يحمل من أموال الناس، فلما مات كفن في جبته ورفعوا إلى الملك خبر الوصية فقال الملك: هذا العابد عجز عن حمل القربة وأنا حملت من الدنيا ما حملت، فأخذ عليه طمرين وأخذ القربة وترك الملك وساح وترهب حتى مات.

قصة ملك الخورنق: وهو أنه نظر من أعلا قصره فرأى ما يعجب الناظرون به من خيل وخول وأموال ورياض وغياض، فقال جلسائه: هل ترون أحداً أعطي ما أعطيت؟ وكان فيهم رجل من حملة حجة الله على العباد إذ لا يخلو الزمان من قائم لله بحجة كما قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في الجنة فقال: أيها الملك إنك سألت أفتأذن لي في الجواب؟ قال: نعم قل، قال: أرايت ما أنت فيه شيء لم تنزل فيه، أم شيء صار إليك ميراثاً من غيرك وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك من الغير، قال: كذلك هو، قال: فإنما عجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً ثم تتركه أبداً وتكون غداً مرتهناً بعملك، فقال له الملك: أيها الشيخ فأين المهرب وأين المطلب؟ فقال: أما أن تقيم في ملكك وتعمل فيه على ما أساءك وأسرك، ومضك وأقرّك، وإما أن تضع تاجك عن رأسك، وتلبس أطمارك، وتعبد ربك، في هذا الجبل، حتى يأتيك الأجل، قال الملك: فإذا كان السحر فافزع عليّ بابي فإني مختار أحد الأمرين فإن اخترت البقاء في الملك كنت أنت وزير لا أعصيك في أمر فيه خير، وإن اخترت الترهيب كنت رقيقاً لا تخالف، فلما كان السحر قرع عليه فإذا هو قد وضع تاجه ولبس أطمار سياحته، فخرج

إليه وذهبا ولزما العبادة حتى وافاهما الأجل، وإلى قصته أشار عدي بن زيد وقوله شعراً: [من الخفيف]

أيها الشامت المعير بالدهر أنت المخلد الموفور^(١)
 أم لديك العهد الوثيق من الأيام أم أنت جاهل معذور^(٢)
 من رأيت المنون أخلدن أم من ذا لديه من أن يضام خفير
 أين كسرى كسرى الملوك أنوشروان أم أين قبله سابور
 وبنو الأصفر الكرام ملوك الأرض لم يبق منهم مذكور
 وأخو الخطر^(٣) إذ بناه وإذ دجلة تُجبي إليه والخابور
 شاده مرمرأ وجلله كلساً فللطير في ذراه وكور
 لم يهنه^(٤) ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور
 وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوماً والمهدي^(٥) تذكير
 سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرض والسدير
 فارعوا قلبه فقال وما غبطة حي إلى الممات يصير
 ثم أضحوا كأنهم ورق جف فألوت بها الصبا والدبور

وقوله في الأبيات: لم يتق الله من يأت القبيح إلى آخره دليله ما قدمناه من استحقاق الأحبار من بني إسرائيل اللعنة لرضاهم بأهل المعاصي، وقوله: «لا يحل لعين

(١) في الأصل: الموفر ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) في بعض النسخ: مغرور.

(٣) في نسخة: الخضر.

(٤) في العقد الفريد: لم يهنه.

(٥) في العقد الفريد: وللهدي.

ترى الله يعصى حتى تغير أو تنتقل» ثم أشار إلى تكذيب العامة في اعتقاد فضله بزعمهم، وأنه أنحس النحوس في أهل زمانه فقال:

طوس شؤم على أهل الزمان فكم
بدت له عجر فيه على بجر
مذقام قام معه الشر في مزن
كالموت في القحط والآفات والعبر
فأي منقبة فيه فليس له
إلا المثالب ذات البؤس والضرر

(طوس) رجل من التابعين كان يضرب به المثل في الشؤم فيقال أشأم من طوس وهو أول من غير في الإسلام، روى عنه قال: كانت أمي تسعى في النميمة في نساء الأنصار، ولدني في الليلة التي مات فيها رسول الله ﷺ وفطمني في الليلة التي مات فيها أبو بكر، وبلغت الحلم في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب، وتزوجت في الليلة التي قتل فيها عثمان، وولدي غلام في الليلة التي قتل فيها علي كرم الله وجهه في الجنة، فمن مثلي يعني في الشؤم.

ويقال أطمع من أشعب وهو رجل من موالى عبد الله بن العباس^٤، قيل له: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة لي رأيت خضرة قوس قزح وكانت بسطح البيت فوثبت إليه تظنه مرجاً^(١) إن أمي كنت إذا أتيتها برزق لا يمكن أن أفاجئها بذكر ما صار معي خوفاً أن يذهب قلبها من الفرح ولكنني أقطعه حروفاً إذا سألتني فأقول دال وراء وهاء وميم في تقطيع درهم، وكان له في نفسه نوادر كان إذا سمع بزفاف عروس

(١) والمراد: مرعى.

إذا سمع الصغير ذهب إلى منزله وفرشه وكنسه وأسرجه فليل له لم تفعل كذا فقال: أطمع أن يغلط بزفاف العروس إليّ، ويقال أجب من صافر وهو طائر إذا سمع الصغير سقط ميتاً، ويقال الأم من مادر وهو رجل كان مشهوراً بالبخل فإذا استقى في حوض لإبله سلح فيه لئلا يسقي أحد بعده، ويقال أكذب من سجاح وهي التي نشأت في أيام مسيلمة الكذاب ثم تزوجته، ويقال أحق من هبنقه^(١) وهو رجل عربي بلغ من حمقه أنه جعل على نفسه طوقاً لئلا يلتبس على نفسه بغيره فاصبح يوماً وقد أخذ الطوق من عنقه رجل آخر وكان نائماً فجعله في عنقه فلما استيقض رأى طوقه في عنق الرجل الذي أخذه فقال هذا أنا فمن أنا.

وقوله: فكم بدت أي ظهرت له عجر على بجر يعني عيوب على عيوب في مدة ظهوره، وذلك أنواع الكذب والتفنن فيه وتناقض كلامه وما هو عليه من الصفات الذميمة، ومن جملة عيوبه أنه مذ قام بهذا الأمر الذي ليس له بأهل اقترن بقيامه أنواع الشر من أنجاس الرعية بعموم البلاء، كل ذلك عقوبة لهم من الله بغلوهم فيه حتى زعموا أنه يعلم وساوس الصدور، وأنه مصدق فيما يدعيه، ومع هذا فلم تصدق واحدة فيما نسب إليه، واعتقدها العامة على الجملة فقد قرب أن يتخذوه إلهاً خصوصاً في أول ظهوره، وقد انكشف بحمد الله كذبه لكثير ممن له أدنى تمييز، واقتران الشر- بظهوره ظاهر لم يخفَ على أحد، منها شدة القحط المستمرة من عند ظهوره إلى أن وهت شوكته وخبت جمرته، ثم بسط الله تعالى النعمة فلما نجم شره، ونعق ناعق مكره، عاد بعوده القحط والموت، ولقد ظهرت في أيامه من الآيات والعبر ما لم يسمع بها في الأزمنة الماضية، منها ما سمع من أمثال أصوات المدافع والرعود في جميع الجهات في غاية صحو السماء، وعدم الغيم حتى ظن أهل كل بلاد أنه مخصوص بجهاتهم، ومنها

(١) هو هبنقه القيسي.

نزول مثل الرماد من السماء عم جميع جهات اليمن، ومنها موت البقر حتى كادت أن لا يبقى منها شيء.

ومن عجائب العامة أنهم مع ذلك يتوسلون به بالعزائم والرقى لدفع ما نزل بها، ولم يعلموا أنه سبب ما نزل بهم من المصائب عقوبة لهم، وأعجب منه أنه لا تقع عزيمة على بقرة أو ثور إلا بادره الحمام، وهم مع ذلك لا يترعون عن غيهم ولا يرجعون عن طغيانهم، وما أشبه هذا الأمر بما يروى من خرافات حمص وهو أنه ورد إليها طيب كَحَال بزعمه وعينه في غاية المرض لا يكاد يبصر بها، فاجتمع إليه جمع من أهل حمص لأخذ الكحال منه، فوقف عليه رجل مصري ورأى ما بعينه من الداء فقال: يا هذا ما أحوجك إلى مداوات عينيك، فالتفت إليه الشيخ فقال: اسكت فلا معرفة لك إن هذا المرض الذي أصاب عيني وأنا يومئذ بالعراق وأنا الآن بحمص، فقال من حضر صدق الشيخ، هذه أمور العامة وطريقتها وعاداتها في عدم الفهم والتمييز بين الحق والباطل، وقوله فأني منقبة.. إلخ، أي ليس لهذا الرجل منقبة أي صفة يمدح بها، إلا ما يعلمه العقلاء من المثالب، وهي جمع مثلبة وهي ما يذم بها فمناقبه مثالب عند من له تمييز وفهم، ووصف مثالبه بالبؤس والضرر، والبؤس الشدة والعذاب جمع بؤس ويطلق على الداهية من الأمور، ومنه المثل العربي (عسى الغويرا بؤسا) يعني أن مثالبه غير منقصرة على ذاته بل متعددة بالضرر وأنواع العذاب إلى غيره، مما أملينا عليك ثم أشار إلى طريقة الحق ومنهاج الصدق، الذي ما سواه رد على صاحبه، وهي الطريقة النبوية وسيرة الخلافة العلوية فقال:

هل قام خير عباد الله كلهم

إلا بوحي من الآيات والسور

وحين لم يستجبه المشركون ثنى

بالسيف فالسيف فراج لمعسكر

الاستفهام في معنى النفي والمعنى ما قام رسول الله ﷺ إلا مصحوباً دعاه الناس بالقرآن المنزل على قلبه من الآيات والصور الدال على صدق ما جاء به، لإعجازه العرب العرباء، ومصاقع الخطباء، حتى علم أنه من عند الله لما لم يمكن في قدرتهم الإتيان بأقل سورة منه، ورسول الله ﷺ من جملة العرب لا يقدر أن يؤلف من الكلام إلا ما يؤلفونه، إذ البلاغة فيهم قدر مشترك، واستغنى بصفته بأنه خير عباد الله عن التصريح باسمه العَلَم، لأنه لا يتوجه أن يتصف به غيره وكونه خير عباد الله لأن أمته خير الأمم لما صرح به التنزيل، ويلزم خيرته نبههم على سائر الأنبياء لأن شرفهم إنما كان به، وقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» في حديث أخرجه الترمذي وابن خزيمة في حديث طويل في الشفاعة وهو من حديث أبي سعيد الخدري وكونه صفوة الله أعني من خلقه يشير إلى حديث «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى من كنانة قريش واصطفى قريشاً من بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فأنا صفوة الصفوة من خيار الخيار %» أخرجه مسلم والترمذي من حديث واثلة، والوحي ما يقع للأنبياء بطريق إرسال الملك أو ينفث في روعه أو يراه في منامه.

وقوله من الآيات، هي (من) البيانية والآيات جمع آية وهي المترجم أولها وآخرها توقيف، وكذا السورة إلا أنها اشتملت على ثلاث آيات فصاعداً، وقوله: وحين لم يستجبه المشركون أي حين لم يطيعوه، ويتبعوا ما جاء به من القرآن ثنى بالسيف أي دعاهم مرة ثانية بالقوة والغلب، وقوله: فالسيف من وضع الظاهر في موضع المظمر لتفخيم شأنه، ولذا وصفه بقوله فراج وهو اسم فاعل للمبالغة في كثرة تفرجه للخطب المعتكر، أي المشتد المختلط اعتكر الجيش اختلط، واعتكر الليل اشتد سواده، وذلك أن النبي ﷺ لبث في مكة ثلاث عشر سنة على الأصح يدعوهم إلى الله تعالى، فلم يتبعه إلا

من شد ثم هاجر إلى المدينة، وأقبل نحو مكة في السنة الثامنة من هجرته في عشرة آلاف مقاتل، فدخل مكة عنوة وأسلم أهلها طوعاً وكرهاً، ولم يبق خلاف وذلك ما أودع الله في الحديد من البأس الشديد، كما صرح به القرآن المجيد، في قوله عز اسمه: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] ولما دخلها رسول الله ﷺ وقتل من قتل وسكنت سورة الدهما جمع أهل مكة فقال: يا أهل مكة ما ترون أي فاعل بكم قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم فقال ﷺ: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فسمي مسلمة الفتح الطلقاء، ثم توجه رسول الله ﷺ نحو الطائف في اثني عشر ألفاً، منهم ألفان من الطلقاء ثم التقيا بجيش هوازن ومن انظم إليهم بوادي حنين، وكان ما كان مما حكاه الله سبحانه وتعالى استيفاء الفتح وما قبله وما بعده محله كتب السير، ثم أشار إلى طريق الأئمة من الآل، على سبيل الجملة إذا التفصيل يفتقر إلى تسويد أسفار، وغرضنا التنبيه على سبيل الاختصار فقال:

وكل من قام من آل النبي فقد

مشى على نهجه في الورد والصدر

حتى انتهت عند مولانا المؤيد من

طابت إمامته في الخبر والخبر

يعني وكل إمام قام بأعباء الخلافة، من آل النبي محمد ﷺ فإنه قد كانت سيرته وخلافته على نهجه -أي طريقة جده- في تحري الحق ومراعاة الكتاب والسنة، في تحليل وتحريم، في فواتح خلافتهم وخواتمها، وهو المراد بقوله: في الورد والصدر؛ لأن الورد بمعنى الورد على الشيء، والوصول إليه، والصدر الرجوع عنه، ولم تنزل هذه طريقتهم وعاداتهم على طريقة واحدة، إذا مات منهم سيد قام صاحبه:

نجوم سماء كلما انقض كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبه

حتى انتهت الخلافة والإمامة، كل ذلك يعلم من دلالة سياق الكلام مع التصريح بقوله من طابت إمامته في الخبر أي في اختبارها ومعرفة تفاصيلها في كل إقدام وإحجام، ونقض وإبرام، وفيما نما إلينا من خبرها، وأراد بالمؤيد محمد بن إسماعيل بن القاسم بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين وعن المؤمنين فقد انتهت عنده الخلافة، وودعت عند وفاته الكافة، فمن ولي بعده ملوك بين عادل وجائر من أبناء الإمام القاسم -رضوان الله عليه-.

اعلم أن أول من ظهرت شوكته، وتفرعت دوحته، في قطر اليمن من أئمة الآل هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم، فهو الذي ظهر ظهور الشمس والقمر، وانتشرت فضائله في الأسود والأحمر، فهو رأس أئمة الجهاد، وشحاك ذوي الكفر والعناد، كانت له في جهاد القرامطة الغوية نيف وسبعون وقعة، كلها كانت الدائرة له عليهم، وكان يُعدّ في نفسه جيشاً فقد يقاوم في الحرب الألف فما فوق، ومع ذلك فعلمه الذي يعول عليه علماء الزيدية أصولاً وفروعاً.

وأما عبادته لله وخوفه إياه ومراقبته له فأمر يعجز عن تعبيره اللسان، ويفوق الحصر والبيان، وكان يتفقد أحوال الناس بنفسه، ويمشي في أسواقهم، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويمشي في حاجة الضعيف، واستقصاء مناقبه وكراماته قد سودت بها كبار الأسفار، وتلاّأت في مطالع المجد بأشعة الأنوار، وعلى هذه الوتيرة قد سلك من بعده من الأئمة الكرام، إلى إمامة المؤيد بالله فيه ختمت^(١) الإمامة، وقوضت خيام

(١) ينظر في كلام المؤلف هذا، فالإمامة لن تختتم أبداً وإن كان بعض الفترات خالية من قيام الإمام لأن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً وإما خائفاً مخموراً كما قال أمير المؤمنين ٩٠٪، وقد روي مرفوعاً، وقد ظهر من الأئمة الأخيار كثير بعد الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام المتوكل إسماعيل كالإمام أحمد بن علي السراجي، والإمام إسماعيل الكسبي -المغلس، والإمام الناصر عبد الله بن الحسن، والإمام أحمد بن هاشم، والإمام المؤيد بالله الحسين بن علي المؤيد، والإمام محمد بن عبد الله الوزير، وآخرهم في وقت المؤلف الإمام المتوكل على العزيز الرحيم المحسن بن أحمد، فهذا لم تُختتم الإمامة بإمامة المؤيد بالله، ولعل المؤلف يريد أنها ختمت الإمامة من أولاد الإمام القاسم بن محمد، والله أعلم.

الزعامة، فلقد اشتهر عنه من العدل والزهد في الدنيا، والرغبة عنها ومراقبة ربه ومحاسبة نفسه وتفقد أحوال الناس، حتى كان تارة يحمل على ظهره الشريف، نفقة الأرملة والضعيف، ولقد وقفت على وصفيته فقضيت من ذلك العجب، وذلك أنه ما زال يتذكر جميع إيراداته وإصداراته مع كل فرد فرد من الناس أيام خلافته فما شك أن عليه فيها تبعة أو مناقشة وصّى بالاستحلال من صاحب القضية أو رضاه بشيء من خالص ماله، حتى في بعض تنافذه، وحتى في محاوراته ومخاطبته للناس.

وعلى الجملة فقد أفردت سير الأئمة، وذكر شيء منها يطول به الكلام، فكل إمام ينظر في حسن سيرته وكراماته يظن أنه لا يبلغ أحد ثناه:

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

ثم أشار إلى ما جعله ختماً لهذه الرسالة فقال:

أعاذنا الله من سوء الجهالة لا

شيء أضر من الجهال إن تثر

بالوهم قد صدقوه كيف لو ظهر

الدجال فيهم بسحر بين الأثر

إذا لبوا جميعاً صوت ناعقه

وأهرعوا نحو نار به بلا حذر

عذراً إليك إلهي من صنيعهم

فكن لنا ناصر يا خير متصر

واختم لنا بجميل العفو منك وجد

بالنصر للدين بالمرضي في البشر

الجهل قد تقدم ذكر حقيقته وهو أنه عدم العلم، أو علم الشيء على خلاف ما هو به

وهو من أعظم المصائب والفواقر، وبه يفتن الشيطان، وعنه ينشأ الكفر والفسوق والعصيان، وقد مثل الله الجاهل بعدة أمثال فمنها ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤].

ونزل بوجود حواسهم بمنزلة عدمها فقال ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ هِيَ وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ هِيَ وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ هِيَ وَهُمْ أَصْغَارٌ لَا يُفْقَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال: ﴿كَمَثَلِ الْإِنْعِقِ إِذْ يُنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، فكل فتنة في الدنيا والدين فرأسها الجهل أو التجاهل.

روى أهل التفسير في قول الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

إن عامة بني إسرائيل ثاروا فقتلوا ثلاثة وثلاثين نبياً فهاهم ثلاثة وسبعون صديقاً فقتلوه معهم، فهو ما أشار إليه بقوله لا شيء أضر من الجاهل إن تثر منهم قتلة الأنبياء، ومنهم منابذة الأصفياء والأولياء من أهل الحق، وبهم تقوم الفتن، وبهيجهم تعظم المصائب والمحن، وبتحزبهم وتجمعهم تخرب الدول، وبعجرفة طباعهم تنهدم أركان الدين، ويظهر سلطان المعاندين، أعدانا الله من شرهم إنه القادر القهار العزيز الجبار.

وقوله: بالوهم قد صدقوه، يعني العامة اتبعوا هذا الداعي وصدقوا كذبه بلا برهان ولا حجة في صحة ما يدعيه على الإطلاق، أعم من أن يكون سحراً أو كرامة؛ إذ لا وجود لواحدة منها عنده إنما هي تمويهات وتزويرات، ولتوهم صدقه تابعوه وشايعوه على أن من له أدنى فكرة تهديه، أو قطرة ترشده، إذا تتبع جميع ما ينسب إليه من عند أول ظهوره إلى يومنا هذا لم يجده قد صدقت له واحدة من دعاويه.

ومن أعجب العجائب أنها تظهر للعامة الكذبة التي تشيع في جميع الأقطار، وينقلها الجمل الغفير، ثم تنكشف لكل فرد أنها لا أصل لها فتتبعها كذبة أخرى فيشيعونها ويعتقدون صدقها، ولا ينظرون إلى ما لا نهاية له من الكذبات أنها غير واقعة، فهذه شأنهم، أما هؤلاء الأنعام تمييز، فإن الأنعام تهتدي بعد تكرار الأمر لديها إلى تمييزه على ما هو به.

وقوله: كيف لو ظهر الدجال الموعود بظهوره آخر الزمان، وله سحر بين الأثر، عظيم الصورة، كما وردت به الأخبار أنه يأمر السماء تمطر فتمطر، ويأمرها أن تقحط فتقحط، وكذلك يأمر الأرض أن تنبت فتنبت، ويقترح عليه إحياء أموات فيحييهم، وله جنة ونار^(١) وكلما يأتي به تخيل لا وجود له في نفس الأمر إلا في رأي العين، فلو ظهر هو في هؤلاء العامة لما خالفه أحد بل قد يتبعه من يعد نفسه في الخواص، أعاذنا الله من شرورهم وكفانا مهمات الدارين بحوله وطوله، والدجال هو أحد الآيات التي تظهر بين يدي الساعة، وهي الست الآيات العظام، أولها المهدي المنتظر، وثانيها الدجال، وثالثها عيسى بن مريم ينزل إلى الأرض ويطلب الدجال فيكاد يذوب خوفاً منه ثم يقتله، ثم طلوع الشمس من مغربها، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة وهي آخر الآيات وهي التي أشير إليها بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]، ومعها الطابع تطيع المؤمن مؤمناً والكافر كافراً لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب، هكذا ورد به الخبر عن المصطفىؐ، ثم يكون بعدها النفخ في الصور وهي الصعقة الأولى، ثم الأخرى للبعث والنشور، أعاذنا الله من أهوال يوم القيامة.

(١) الله أعلم بصحة هذه الأخبار، ولعلها من الروايات الإسرائيلية؛ لأن الله تعالى لا يعين الظالم على ظلمه بإيجاد كرامة أو معجزة أو خرق عادة تؤيد كذبه، وحاشا أن يكون ذلك من عند الله تعالى.

وقد وردت في صفة الدجال والتحذير منه أخبار صحاح، منها حديث تميم الداري وهو حديث طويل استوفاه في صحيح مسلم، ومنها فيه أيضاً وفي غيره ما روي أنه ابن صياد، وجاء أنه من يهود أصفهان، وقد يمكن الجمع بما ورد من تعددهم وأنهم ثلاثون، وبأن ابن صياد لحق بأصفهان وأنه منظر؛ لأنه لم يعلم موته بل فقد، وكونه معدوداً من يهود أصفهان لأنه ينصره سبعون ألفاً منهم كما ورد به الحديث.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى تقول الحجر وراه اليهودي يا مسلم هذا يهودي وراي فاقتله».

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبي اليهود من وراء الشجر والحجر فتقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله يا هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرق فإنه من شجر اليهود».

وأخرج الترمذي والحاكم في المستدرک من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل أمتي بالمشرکين وحتى تعبد الأوثان وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي».

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثون كلهم يزعم أنه رسول الله».

وجاء في صفة الدجال أنه أعور العين اليسرى كأنها عنبه طافية.

وفي بعض الروايات كأن عليها ظفر، وأنه مكتوب بين عينيه كافر، حروف مقطعة، وأنه يقرأها كل من يقرأ ومن لا يقرأ.

والأحاديث في ذكر خروجه والإنذار به والتحذير عنه، وذكر مدته وما يكون من أمره واسعة جداً ليس هذا محل لإيرادها.

وقوله: إذا للبوا إلى آخره التلبية الإجابة، والناقص المصوت للأنعام عند زجرها كما يفعل الراعي للغنم أو الإبل والبقر، وأهرعوا أي أسرعوا إلى إجابته وقصدوا نحو مجلسه الجامع، بلا حذر من فتنته ولا مخافة لله سبحانه في مؤاخذتهم بذلك.

وقوله: عذراً إليك، مصدر محذوف الفعل أي نعتذر إليك عذراً ونبراً من فعلهم وصنيعهم للذي لا يرضيك، فكن لنا عليهم ناصراً بأن تجعل لنا عليهم سلطاناً يضطرهم إلى إجابة الحق وترك الباطل، يا خير من انتصر به واستعين بحوله وقوته، واختتم أعمالنا وأقوالنا بجميع العفو منك، وهو العفو الذي لا مناقشة معه للحساب، وجد علينا بنصرك الذي وعدته عبادك المؤمنين في قولك وهو القول الحق ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقولك: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وقولك: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وقولك وأنت أصدق القائلين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

اللهم فانصر- الحق والمحقين، وابطل الباطل والمبطلين، وانصر- شريعة سيد المرسلين، واقمع رؤوس الظالمين، وفرق شمل المعتدين، واهلك أعداء الدين، ومشاق الإسلام والمسلمين، يا خير الناصرين.

اللهم وعجل لنا بسلطان حق نقيم به الأود، وتلم به الشعب، وتنير به الحجة، وتوضح به سبيل المحجة، إنك على كل شيء قدير.

تم ختم هذه الرسالة بالحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله.

لما لم يصرح بذلك في أولها في النظم تبركاً وتيمناً وكونها في حكم الكلام الواحد
سوغ الإتيان بذلك في جملتها؛ لأن الكراهة في خلو الكلام عن الحمد لله والصلاة
والسلام على رسوله خلواً بالمرة.

فقال:

والحمد لله ختماً والصلاة مع التسليم تغشى النبي والآل كل سري

يعني لأن كل ثناء على سبيل التعظيم فهو مختص بالله سبحانه؛ لأنه المنعم المتفضل بجميع
ما شأنه الثناء عليه ومن أجله، وختماً مفعول اختتمها مقدراً، والصلاة بمعنى الرحمة
والتشريف من الله سبحانه للمصلي عليهم، وتغشى تعلو وتلابس، والنبي الالام للعهد
الخارجي والمراد محمد، وآله أهل بيته أو قرابته الأذنون وما عداه من التفسير ساقط.

ووصف بقوله كل سري أي تخص كل شريف منهم شرفه بالدين والفضل لا شرف الدنيا.

والحمد لله رب العالمين حمداً يستغرق المحامد، بكل لسان حامد، والصلاة والسلام
على من به الختام وآله الأئمة الأعلام إلى يوم الدين. آمين اللهم آمين.

انتهى نقل الرسالة الموسومة ببدر النادي للسيد العلامة الشرفي - رحمه الله - تعالى،
وبتمامها فقد كمل الجزء الأول من السيرة الإمامية المولوية المتوكلية نفع الله بسر مولاهما
وأعاد من بركاته.

وكان الفراغ من نقلها ضحى يوم الأحد ٧ شهر ربيع الثاني من شهور سنة ثمان

وعشرين وثلاثمائة بعد الألف ١٣٢٨ هـ

بمحروس حصن الموشح من بلاد حجور الشام ختمها الله بالحسنى وجعل الأعمال
خالصة لله.

سيرة الإمام المتوكل على الله

المحسن بن أحمد بن رسول الله

المسماة

بـ (النفحات المسكية بالأسانيد القوية في الإجازات المتوكلية

والسيرة الإمامية المطهرية)

تأليف

مولانا العلامة الشهير الحافظ المدقق النحرير المجتهد الجهبد الكبير شيخ الآل

الكرام عز الدين والإسلام

محمد بن إسماعيل بن محمد الكبسي

(الجزء الثالث)

تحقيق

عبد الرحمن محمد محمد المتوكل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقتي

حمداً لمن كور أنوار الهداية، في معارج البداية والنهاية، وجعل معجزة النبوة المحمدية متكررة في العصور بواضح الرواية والدراية، وأظهر أسرارها في أئمة الحق المبين، بسر قول جدهم النبي الأمين، «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين» ويَبَيِّن هذه الطائفة العالية بتخصيص العترة المطهرية بقوله «إني تارك فيكم ما أن تمسكنم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» ثم خصص طائفة الحق بأئمة الهدى الذين هم محل الاقتداء بقوله «لا تزال طائفة من أمتي تقتاتل عن هذا الدين وتنفي عنه شبه المضلين» وما هذا معناه في أمهات سنة سيد المرسلين.

ونشهد أن لا إله إلا الله شهادة الإخلاص من صميم القلب وخلوص الاعتقاد، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى سبيل الرشاد، صلى الله عليه وعلى وآله رعاية شريعته على مرور الآياد، فإني لما تصديت لسرد السيرة الإمامية المتوكلية، التي جرت على السنن المرضية، فوجدت آثار أعلام العترة الزكية، وأضاءت أنوارها في الأقطار الدانية والقصية، وأشرقت شمسها وأفهارها في المشاهد الدينية، وخلطتها بسرد الإجازات السنية وتراجم رجالها من السلسلة الذهبية، من أعلام العترة المرضية، وأشياعهم الذين تمسكوا بعلومهم الشرعية، والأدبية، وفرغت من هذا المطلب، وأنجح الله المأرب، حسب الإقتراح الإمامي، والمطلب السامي، شعراً:

وقلت لنفسي—عاودي المطلب الذي

بدأت به في الخير والعود أحمد

ولكنه غاب عني ما أجريت من شوط القلم، ولم أتحقق الغاية التي أرخيت إليها العنان، وَوَقَفْتُ بها مطية البيان، لكوني عند رقم هذا في رباط الجهاد، وفي محل الغربة

عند اشتباك جبال الجلال، صحبة الركاب العالي الإمامي في نحور الملاحدة المعطلة الجاحدة، فرقة الباطنية الذين تغلبوا في هذه المدة على الخيام وأخذوا من أقطارها بالزمام، وصاروا قادة لأهل الحطة، وهي من خطط بلاد الزيدية، وما انتهت إليه من السيرة الإمامية في سفر قد كمل تجليده، وتم تخليده، وصار في عارية بعض أولياء مولانا الإمام، والأم التي لم تتجلد للتنقل في الأسفار نازحة عن هذه الديار في ظفير حجة وقد نقلت في كرايس بعيدة المنال، عسيرة الإنتوال، فاتكلت في النقل على ما وقع في الخيال، وأرتمت في الوهم في الحال، فليعذر من جمعه بالسيرة الإمامية الحظ الأوفر في قابل الزمان، وليصلح ما يتقصّه من نقص أو زيادة على الكمال فقد أوضحت في الاعتذار، والتنصل عن الاتصال بعدم الاقتدار.

فأقول: لما استقر بقاء الركاب الإمامي أعلا الله شأنه في محلة حزيز المعروفة على ما أسلفنا ذكره، وكررنا نشره في سلوات وأمان، وسكون وإطمئنان، وارتفع منار الشرائع والأحكام، واثال الناس لقطع مواد الخصام، وصارت الحضرة الإمامية مرجع الخاص والعام، ومقر معضلات الأحكام، وبقي الأمر في غاية الانتظام، والأمور جارية على السداد، وعرف الخلق طريق الرشاد، وصلحت كثير من البلدان، وصاروا للحق من الأعوان، وانساقوا الواجبات من أناس لم يعتادوا الانقياد إلى جانب الحق ولا عليهم يد قادرة فيما سلف من الدولة ولا قريب عليهم فيما مضى بصولة، وانتشرت بركات إمام الزمان، إلى نازح البلدان، ووصلت مكاتبات خولان الشام، وجهات صعدة بالإتتمام والانتماء إلى مولانا الإمام، واستمر الأمير الكامل النجيب الحلال نشو الرئاسة ومعدن النفاسة، وخلاصة السادة، ومركز القادة، جمال الإسلام علي بن محسن بن عباس من آل أبي طالب أحمد بن المنصور بالله القاسم بن محمد % ولاية من مولانا الإمام %، واعتضد ببعض علماء تلك البلاد، وهو السيد علي بن الحسين

الداعي من آل يحيى بن يحيى ظناً، واثال إليه قبائل تلك الجهات، وجرت فيهم الأحكام، وبطلت الطواغيت، وانقادوا لتسليم الواجبات، ولكنها عرضت أمور ممن يتسمى بالعلم ويتحلل التزهّد وهو بمعزل عن طريقة السلم، وذلك أنهم اعتادوا قبض شيء من الزكوات واستغرقوها فيما يختص بهم فشق عليهم اسم الإمارة، وسولت لهم النفوس الأمارة، فزوروا اعتراضات وقدحوا في الولايات، ونمقوا من ساقط المقالات، يروج عند العامة ويسوغ الملامة، وهي أفيكة أفاك، ووسيلة انتهاك، وذريعة إلى بقاء ما أعتادوه، واغترار من قادوه، فافتضى الحال انقباض ذلك المطلب مع أن القلوب مقبلة إلى الحق، وكما ورد في الحديث «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين» وقد استبان الحق للجسم الغفير، وانقاد العدد الكثير، وسنذكر فيما يستقبل ما عرض من أهل تلك الخطط، ومن منهم ثبت على الحق واختلط.

أحداث حجة وفتح حصن الظفير

ذكر السيد الحسن بن يحيى الرصين

وفي تلك المدة وهي مدة استمرار الركاب الإمامي في محلة حزيز ظهر أمر السيد الماجد المخلص المجاهد ذي المهمة العلية، والنشأة الحسنية، واللسان العربية، والنفس الأبية، والمكارم العلوية، والأعراق النبوية، ربحانة الشرف، وناظرة سامي الغرف، وكريم المعارف والسلف، الحسن بن يحيى بن إسماعيل الرصين لقباً حسني نسباً، وكان مسكن آبائه مدينة السودة، وهي عندهم الضالة المنشودة، والبغية المقصودة، ثم انتقل بأهله إلى ظفير حجة وبقي بها واضح المحجة، مستمسكاً بأقوى حجة من التزام الإمامة، وله حل وارتحال إلى بوادي تلك المحال، وتعلق بعلم الطب وصار لأهل تلك البلاد فيه اعتقاد عم الحاضر وخص الباد، فحرض على الجهاد، واغتنم ذلك الاعتقاد، وألب به البدوان، وأدعن له بعض رؤساء تلك البلدان، وهو يدعو إلى طاعة إمام الزمان، وينشر مطارف الثناء الحسان، ولا يزال بعاطر ذكره رطيب اللسان، حتى اجتمع له الأعوان، وساعده الزمان، فأمطى غارب المهمة في تعجيل النفير إلى حصن الظفير، مهاجر الإمامين السابقين البحرين الزاخرين، ومحط رحال أعلام العترة وشيعتهم أهل النصر، وهما الإمامان الأعظمان المهدي لدين الله أحمد بن يحيى مؤلف الأزهار والبحر الزخار وغيرها من الأسفار، وحفيده الإمام المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن^(١) شمس الدين بن الإمام المهدي السابق ذكره مؤلف الأثرار، وصاحب ثاقبات الأنظار ورائقات الأشعار، الذي أذعنت له ممالك الأقطار، وطهرها من الأقدار، وأعلا من الشريعة واضح المنار.

(١) في الأصل شرف الدين يحيى شمس الدين من دون ذكر كلمة (ابن) والصواب ما أثبتناه.

فتح حصن الظفير

و حين أمكنت للسيد شرف الدين الحسن بن يحيى صاحب الترجمة الفرصة، وانجلت عنه الغصة، وثب على ذلك المعقل وثوب الأسد، وتوجه إلى ذلك الثغر وسد، وامتطى صهوته الأبية، واجتلى غروس عقوته العلية، وملك منه الزمان بعون الملك العلام، وبركة مولانا الإمام، وكان في يد رجل غشوم وظالم مشوم، من أركان الطاغوت، وعصاة ذي الملك والملكوت، يحكم فيهم بالجبروت، ويجعله حكماً مبتوت، من حمران حاشد، وهو الشيخ صالح بن مبخوت الأحمر، ووالده الشيخ مبخوت بن صالح الأحمر، وكان قد تغلب على ذلك الحصن الحصين، واستمرت على ذلك الأعوام والسنين، واتخذ أهله خولاً وأعمالهم دولاً، وفيهم أشراف وشيعة وألفاف، فاغبتوا بالفرح الذي قد أحدثه الله لهم والمنة التي أفرغت في ناديتهم وجذلت منهم القلوب، وفرجت عنهم الكروب، وفازوا بالغرض المطلوب، والحاجة التي في نفس يعقوب، وتمت فيه الدعوة المتوكلية، واستمرت يد الحق ببلوغ الأمنية، وزال عنهم البؤس، وأسفر لديهم العبوس، ورتبت قلعة المنيفة العرف برجال من حضر - أهل الشرف، وأهل مودة مولانا الإمام وأولياء دعوته على الدوام، ونفذت الأحكام، ورحضت الآثام وجرت الأوامر على وفق المرام، وشرفت المنابر بمناقب إمام الحق ووصفه العاطر، وصارت هذه البلدة نزهة النواظر، وقرار الخاطر، وعادة كما كانت هجرة المهاجر، ومحط عصا المسافر، وفيها بقية من العلماء والسادات وأهل المزايا ورفيع الدرجات، فارتفع لهم الشأن، واطمأن لهم المكان، وقيلت الأشعار ولم يحضرن في حال رقم هذه السطور مع ما شرحته فيما سلف إلا ما رعف به القلم، وهو في شوطه الأتم،

وهو قولي: [من الطويل]

نهى إمام العصر — عالي المراتب
وأفضل داعٍ من لؤي بن غالب
وأكرم راقٍ فوق أجرد سابع
من المقربات الكمت خوص الركائب
وذي العزمات الساميات إلى العلا
تطاح عزمًا نيرات الكواكب
وذي الحق والروض النظر لناظر
إذا غلبت أعدائه بالنوائب
وذي الأدب الغض الذي سمحت به
سجايه كالعذب النمير لشارب
وذي العلم والإيمان والدين والتقوى
وبذل اللهى والجود في كل واجب
وراضع أخلاق السعادة إن دجت
مهمات أحداث الخطوب الكوارب
حضيت بفتح أشرفت شرفاته
على عرصات المجد من كل جانب
وحصن منيع المرتقى سامي الندى
يناطح أفلاك النجوم الغوارب

كأن الجبال الراسيات بجنبه
 سوائم شاء وهو حر النجائب
 تظل السحاب الغر ترقى ليله
 فيرتد منها طرفها في المذهب
 ويرتد منه الطرف خسران عاجز
 إذا مال منه راقياً في الجوانب
 عسير على طلابه غير أنها السـ
 عادة قادتته إلى خير صاحب
 فلورامه الجيش العرم لم يكن
 ليعطي قياداً للزعيم المحارب
 ولو نظرته عين عنقاء مغرب
 لأرخت جناحيها ولاذت بجانب
 وفخرأ أفادتته السعادة عندما
 تسامى له الطلاب من كل لاجب
 فدم في ذرى المجد الأثيل وخالص
 السعود بنيل الجود عند المواهب
 وترقى بك الأيام في فلك العلى
 وتسمو بك العلياء عالي المراتب

ودامت لك النعما وزال بك الظنى
وحقت لك الإمام^(١) يا خير راكب
وصلى على حسن الختام وآله
الكرام وسلم في الضحى والغياهب
انتهى ما رعف به القلم وهو في شوطه وهي بثوب الولادة، في هذر المهاد منقادة.

طلاب الإمام للرصين لا اختبار ما قيل فيه

والسيد شرف الدين الحسن بن يحيى مع ارتكابه هذا المركب الصعب، الذي لا يذل
الراكب قد كان ينقل الركبان عنه إلى الحضرة العلية والسيرة المتوكلية، إنه ربما يوهم من
جمع من البدوان، أن له إمام بطائفة الجان، وأنهم له أعوان، وقد كان طرق المسامع
الشريفة. من ذلك ما شوش الفكرة المنيفة، فرجح النظر العالي اختباره ببعض الفقهاء
هل لهذه المقالة عنه أثر صحيح، فربما كانت من كهانة سطيح، وصناعة عبد المسيح،
فلم يأت ذلك الرائد بخبر، ولا وقف منه على عثرة ولا أثر، ثم عرض ما دعى إلى
استدعائه إلى المقام، فوصل منقاداً إلى كل مرام، فوجد صحيح العقيدة سليم العرض
من تلك النسبة التي هي غير سديدة، وإنه نقي الجيب، طاهر الثياب من كل ريب، لا
يرجم بالغيب، ولا يثلم بعيب، فبقي على تلك الولاية في أتم عناية، حتى توجه
الركاب العالي إلى جهاد طائفة القرامطة المعاندة الباطنية الجاحدة، فاقتضى الحال
استدعائه إلى ذلك الشأن، لتكثير جماعة الأعيان، فتصدرهم في الثغور، وتيقضهم في

(١) كذا في الأصل، ولعلها (الأيام).

مهمات الأمور، فأجاب النداء، ولبى في طريق الهدى، وكان من الرؤساء القائمين بثقل تلك الأعباء، يقارع الحروب الشهباء، على ما سيأتي شرحه، ويتجلى صبحه في محله إن شاء الله.

ذكر القاضي علي بن محمد الغفاري

وبعد تمام فتح حصن الظفير، وما سهله الله من التعسير، واستقرار أوامر الإمام، في كل حال وإبرام، توجهت مهمات ذلك المعقل المنيع، والحصن الباذخ الرفيع، بنظر القاضي العلامة المجاهد الصادق، الموفق المسدد البارع، وخالص المودة والدين صادق الولاء واليقين، جمال الدين علي بن محمد صعصعة الغفاري أبقى الله غرته، وحرس مهجته، وأصلح عمله، وحقق أمله، فجد واجتهد في تمام ذلك المقصد، وسعى في قطع طمع الشيخ صالح بن مبخوت الأحمر، بعد أن خامره الغيظ الذي كاد يرمي بشره، واعتمد قطع مواد أهل الظفير، وتلقي مارتهم في المسير، وأصلح القاضي الجمالي ذلك الخلل وحسم مادة كل زلل، وانتفت الشرور، وكفي المحذور على يد القاضي العلامة الجمالي المذكور.

ذكر عبد الله بن محسن وهبان

وعضده في ذلك الحاج الفاضل المجاهد نصير أئمة الحق المبين، وعماد أهل البصيرة واليقين، عبد الله بن محسن وهبان وأعانه على هذا الشأن برأيه الرشيد، وسعيه الحميد، وكان في جهة حجة وهي خارجة عن الطاعة معوجة، رجل من آل الشائف ورؤساء ذي حسين أهل برط متغلباً عليها من أيام الدولة قد ملك حصونها، وشيد معاقلها وزبونها، وتملك أوديتها ومتونها، وأظهر الظلم القبيح، والجور الصريح، يقال له

يحيى بن يحيى الشائف من طائفة البغي والعدوان، والعتو والعصيان، إلا من عصم الله منهم وهم القليل وقد طال به الأمد، وتوالت الأيام والمدد، وظن أن لن يقدر عليه أحد، فعتا في هذا البلد، وبنا وشيد.

ذكر شراء الإمام القلعة

وكان مولانا الإمام سلام الله عليه قد استولى على بعض تلك الحصون بالشراء وهي المسماة قلعة الدحيني ورغب صاحبها في بيعها وهي ملكه في الظاهر كونه الباني لبيوتها هو وآبؤه، فصارت ملكاً لمولانا % وحفاظها من ثقاته وعسكره، وأهل مودته وعشائره، ولكنهم تساهلوا في الحفظ والحزم وتوانوا في المسألة والعزم، وظنوا أن أهل تلك البلاد من أهل المحبة والوداد، فسوّل للشايف شيطانه، وحسن له أعوانه، أن يضيفها إلى حصونه، ويبعث إليها عيونته، وامتطأها على غرة واستعلى عليها أمره وتعدى وبغى وظلم وطمع.

[قتال أهل حجة مع الشايف]

ولما حصل فتح الظفير وامتدت الأبصار إلى دولة الحق، وانبعثت الدواعي إلى زوال دولة الظلم الذي شق، حصلت المكاتبة إلى القاضي الجمالي وجماعة من الرؤساء من أهل حجة ورغبوا في سواء المحجة وطمعوا في زوال اليد الظالمة، والدولة الآثمة، ونما ذلك إلى الخاطر الشريف فبعث الرسائل وواتر الوسائل إلى جهة الشرف، وحث على إغاثة هؤلاء المظلومين، وإنقاذهم من هذه الفئة الباغية، والطائفة الطاغية، وأمد بالمال بما اقتضى الحال ورغب في الإمداد بالآلة والزاد، فكتب القاضي وجماعة الأولياء إلى بلاد الشرف وظنوا الدر في الصدف، وتوهموا فيهم التأهل بهذا الشأن، والصلاحية لارتقاء

ذلك المكان، وجمعوهم لوقت قد أحكموه، وأمر قد أبرموه، وأنهم يصلون إلى مدينة الظهريين وبعض أهلها وهم السادة بنو الكحلاني قد رغبوا كلية الرغوب، وحاولوا بكل مطلوب، وأرسلوا يحضون إلى هذا السر المكنون، وقد أهّبوا من أهل المحل من يثقون بمحبته، ويركنون إلى صلاحيته.

واجتمع من أهل الشرف قدر خمسمائة مع رجل من كبارهم يقال له مغدي، ومع آخر من رؤسائهم يقال له ثابت بن منصر السنيدار وهو الذي قدمنا ذكره في فتح الظفير، وأنه الذي انتقاه الأولياء لحفظ ذلك المعقل الخطير، وهو من أهل النصح والوفا والمودة والصفاء، فلما أشرفوا على البلاد وشارفوا الفتح وبلوغ المراد خامرهم الفشل، وخالطهم الوجل، واعتراهم الوهل، فرجعوا وراءهم وأدبروا عن آرائهم، وانقلبوا بلا يد قادرة، ولا عزيمة قاهرة، وارتدوا في الحافرة، ولم يلقهم بأس يتقى، ولا حظ يرتقى، ولما رجعوا بخفي حنين، وقع المحبون في الحين، وارتكب فيهم العدو والبطر والشين، وأثنى عليهم الباغي في العقاب، واستحقهم بالعذاب، وقتل أحد الأشراف بني الكحلاني عند رجوع أهل الشرف وقد كان دخل السيد الأجل إسماعيل بن حسن الملقب أبو دنيا، والشيخ الأجل ثابت بن منصر- السنيدار إلى دار هؤلاء السادة فوقع عليهم الحصار والحرب، وأقام أصحاب الإمام سوق الطعن والضرب، فقتل هذا الشريف المنيف وبقي صنوه خرج بأمان ومواثيق وأيمان.

غدر الشائف ببيت الكحلاني

فلما خرج إليهم وقادوه في الأسر غدروا وخانوا في العهد، ونقضوا المواثيق والعقود، وقتلوا ذلك الشريف غدراً وأتوا أمراً نكراً، وهما ببيوت هؤلاء الأشراف وخرج نساءهم وأطفالهم إلى بلاد الشرف، ولا بد إن شاء الله ما يغتار الله لهؤلاء

المظلومين ويتنقم من الباغين، ويأخذهم بخبيث أفعالهم وسوء أحوالهم، وقد صار هذا الظالم في خوف ووجل، وذل وخطل، يتوقع هجوم الحادث، ونجوم الخطب الكارث، كما قيل: إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً، لا يروم مخرجاً ولا يثق بمدخل.

[السيد يحيى بن علي بن إسماعيل]

ومن أولياء الإمام في جهة الشرف الذين طابت منهم السرية، وحسنت لهم السرية، ولم يتقدم له ذكر فيما سلف من هذا التيسير^(١) السيد الأجل المخلص الصادق ركن الحق الموافق، والسعي الذي هو للشرع المطابق، عماد الدين يحيى بن علي بن إسماعيل كبير السادة الأجلاء أهل هجرة الجاهلي^(٢)، وطائفة الحق القويم، وأهل التقوى والنظر السليم، وهذا الشريف المنيف ممن أخلص المحبة وأحسن الصحبة وأكد الرغبة واستقام في المقام وأخذ بنصيب، وانقاد للحق بزمام، وهو وعشيرته من النصاب الشريف من ذرية السيد المحتسب المجاهد الكبير العلامة الشهير علي بن إبراهيم الملقب العالم، وقد عَنَّ لي أن أذكر ترجمته حيث لم يتقدم له ذكر في تراجم رجال السند فهو حقيق بالذكر لكونه جد هؤلاء السادة المتمسكين بالحق، وقد عمتهم بركته، وشملتهم طريقته.

(١) كذا في الأصل، ولعلها التيسير.

(٢) قرية من قرى مديرية (مبين) أعمال محافظة حجة.

[ترجمة السيد العلامة علي بن إبراهيم بن علي بن المهدي]

فنقول: هو السيد العلامة علي بن إبراهيم بن علي بن المهدي بن صلاح بن علي بن أحمد بن الإمام محمد بن جعفر وهو المقبور في جبل حرام^(١) وقبره مشهور مزور عليه قبة عظيمة بن الحسين بن فليته بن علي بن الحسين بن أبي البركات بن الحسين بن يحيى بن علي بن القاسم بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سلام الله عليه ورضوانه.

مولده رضي الله عنه:

في يوم الخميس ثالث عشر شهر صفر سنة ثلاثين وتسعمائة سنة، ونشأ ببلده هجرة الجاهلي من الشاهل، ورباه عمه السيد العلامة الأفضل صلاح الدين صلاح بن علي بن المهدي، وكان هذا السيد صلاح بن علي من أعيان أعوان الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين %، ولي القضاء للإمام والأوقاف، فلما بلغ السيد العلامة علي بن إبراهيم ارتحل إلى صنعاء لطلب العلم، وأقام مدة حتى فتح الله عليه بمعرفة تامة في قواعد فقه أهل البيت"، ثم رجع إلى بلده وقد كادت تضعف دولة الإمام شرف الدين % فحصل على كثير من علماء صعدة ما أوجب الهجرة من أوطانهم من تغلب أهل الجور فوفد إلى السيد علي بن إبراهيم جماعة من أهل التقوى والعلم من بعض أهل علاف^(٢) وبعض بني عقبة فأفادوا السيد المذكور علماً إلى علمه، وكان أعاد الله من بركاته مورداً للطالبيين، وكعبة للمسترشدين، وشحاكاً للملحدين،

(١) حرام بالفتح جبل من مديرية الشاهل في بلاد حجور مليء بالآثار.

(٢) وإد غربي مدينة صعدة بمسافة ٢٠ كيلاً، مركز إداري من مديرية سحار، المعجم (١١٠٣/٢).

وأباً باراً للضعفاء والمساكين، وتخرج على يديه جماعة من أهل الفضل والعلم والعمل منهم السيد العلامة الهادي بن الحسين من هجرة بني أسد، ومنهم السيد رأس العباد وعين الزهاد وخاتمة أهل التقوى واليقين شمس الدين بن صلاح بن يونس صاحب هجرة أسلم ناشر من أولاد المتوكل على الله المطهر بن يحيى المظلل بالغمام أعاد الله من بركاته، ومنهم السيد العلامة أحمد بن الحسين بن علي صاحب هجرة الخوابع^(١) من جبل الشاهل تولى القضاء للإمام المنصور بالله القاسم بن محمد أعاد الله من بركاته، وغيرهم من الفقهاء من أهل هجرة الشرف وغيرهم.

ودرس في (شرح ابن مفتاح على الأزهار)، و(التذكرة)، و(البيان) مدة مديدة.

ولما مات السيد الأجل المجاهد الضرغام سلطان الإسلام المطهر بن شرف الدين x ظهر بحجة الشرف من المنكرات وأنواعها المكدرات ما لا يقدر قدره، وذلك سنة ثمانين وتسعمائة، فوصل قبائل تلك الجهات إلى السידين العالم المذكور أعاد الله من بركاته، والسيد العلامة العالم علي بن إبراهيم العابد يستغيثون بهما في دفع ما حصل من الظلم والجور، فما وجدا عذراً في التَّرك.

ومن أعظم الأسباب في قيامهما أن مرجان شاوش متولي تلك الجهة من أعمال غوث الدين بن المطهر بن الإمام شرف الدين -رحمه الله- تظاهر بفعل المنكرات وعسف وأفرط في ظلمه فاجتمع من قبائل الشرف إلى السیدین قدر خمسمائة مقاتل فقصدوا إلى المحابشة بمن اجتمع إليهما إلى موضع يقال له جبل الفايش، وطلع مقدماتهم إلى جبل القاهرة من المحابشة، فلقبهم مرجان شاوش بمحطة من الجند فناوشهم القتال فقتل من القبائل خمسة رجال ثم انهزم القبائل ولم يثبت منهم أحد، وغدر أهل المحابشة بما

(١) في مطلع البدور: الخوافة.

قد عاهدوا عليه من القيام بالأمر بالمعروف ومعاونة السيدين.

ثم قصد مرجان المذكور قبيلة الأمرو فقتل منهم عشرين رجلاً فهاجر السيد العلامة علي بن إبراهيم العابد - رحمه الله - إلى عفار للقراءة والإقراء، وأما السيد علي بن إبراهيم العالم - رحمه الله - فلم يزل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدرس العلوم بهجرته، ثم هاجر بأهله وأولاده إلى حجور الأسلوم، ووصل إلى السيد غوث الدين إلى قفل مدوم فوضع له موضوعاً في الإستمرار على حالته من التدريس واحترام جانبه ومن يلوذ به حتى دعا الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود % فقام بدعوته في تلك الجهات الشرفية.

ولما أسر الإمام الحسن % أخذ السيد علي بن إبراهيم - رحمه الله - في معاونة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد على القيام بالإمامة وجمع له أموالاً من فضلات الوقف والزكوات ونذوراً كثيرة.

وحشد له من بلده أهل الصلاح^(١) قدر ستين رجلاً، وكان الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد % ممن أخذ عنه العلم قرأ عليه الأزهار وأعانه على طلب العلم من صغره وكان كثير تلاوة القرآن والعبادة، وله كرامات مشهورة في حياته وبعد موته، توفي - رحمه الله - في شهر^(٢) سنة ست بعد الألف بعد ظهور دعوة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد %، واستجاب الله دعائه ألا يميته إلا بعد ظهور قائم أهل البيت"، وقبر بهجرة الجاهلي، وعليه مشهد مزور.

وخلف ولدين أحدهما: السيد العلامة الأوحـد بدر الدين محمد بن علي بن إبراهيم، وكان عالماً نبيلاً مدرساً للفقه والفرائض وهو شيخ علامة الآل إمام المعقول

(١) في مطلع البدور: أهل السلاح.

(٢) في المخطوط (في شهر الآخر) كذا ولعله شهر ربيع الآخر والله أعلم، ثم وجدت في مطلع البدور كذلك.

والمنقول، حجة أهل العقول المولى الحسين بن القاسم بن محمد بن المنصور في فن الفرائض، وتولى القضاء للإمام المنصور بالله القاسم بن محمد في الجهة الشرفية، فأرسله % إلى عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر في الصلح الأول وتم على يديه، فاستمر على حاله من الانشغال بأمور المسلمين، وتدرّس العلم إلى أن اختار الله له ما عنده من الانتقال إلى دار القرار سنة اثنين وثلاثين وألف سنة تقريباً، وعقبه بهجرة الجاهلي من جبل الشاهل بلغوا في سنه في دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل في سنة إحدى وثمانين وألف حول ثلاثين رجلاً منهم العلماء العاملين كالسيد العلامة الفقيه المدرس شمس الإسلام أحمد بن صلاح بن محمد بن علي بن إبراهيم، أخذ العلم عن حافظ علوم آل المطهرين علامة اليمن السيد الإمام محمد بن عز الدين المفتي بمدينة صنعاء، ثم رجع إلى أهله وبلدة الهجرة بعد أن أقام بصنعاء سنين، وأخذ عنه جماعة من الطلبة علم الفقه بتحقيق قواعده، واستمر على ذلك إلى وقتنا هذا، وتولى القضاء بجهة الشرف مع مكارم أخلاق وتلقي للوافد.

[إبراهيم بن علي بن إبراهيم]

والولد الآخر من ولدي السيد العلامة علي بن إبراهيم -رحمه الله- هو السيد صارم الدين إبراهيم بن علي بن إبراهيم -رحمه الله- مات مهاجراً بمدينة حوث سنة اثني عشرة وألف سنة، وله عقب الأطيب الأكثر، خلف ستة أولاد منهم السيد العلامة شرف الدين بن إبراهيم وهو أكبر أولاده، وكان من أعيان أهل البيت علماً وعملاً وسعة صدر وعبادة، وتولى القضاء للإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد أعاد الله من بركته بعد وفاة عمه محمد بن علي، واستمر عليه إلى أن مات سنة أربع

وسبعين وألف سنة وعمره ست وثمانين سنة، وخلف أربعة عشر ولداً، ومنهم السيد العلامة المحقق في الأصول والفروع ضياء الدين شمس الدين بن إبراهيم بن علي العالم، كان من العباد والجامعين بين فضلي العلم والجهاد، ولم يتوَل شيئاً من الأعمال إلى أن اختار الله له الانتقال إلى دار القرار سنة أربع وخمسين عاماً وعمره خمس وستون سنة.

وللسيد إبراهيم أربعة أولاد غير هذين، وهم السيد محمد بن إبراهيم، والسيد العابد شمس الدين أحمد بن إبراهيم، والسيد صلاح بن إبراهيم، والسيد الحسين بن إبراهيم، وكل منهم خلف جماعة من الأولاد عد ذكورهم فيما ذكره القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال عند رقم تاريخه مطالع البدور خمسة وسبعون ما بين كهل وشاب، والآن في تاريخ رقم السيرة المتوكلية هم عدد كثير في هجرة الجاهلي، وقد خلا منهم دست العلوم ولم يبق منهم في هذا الزمان عالم يعرف والله سبحانه يعيد إلى الأيام نظرتها وسرورها ببركات قائم آل محمد إمام الزمان، فإن هؤلاء السادة أهل محبة لجانب الحق منهم السيد يحيى بن علي السابق ذكره.

[علي بن الحسين الشرفي]

ومنهم الولد السيد العارف اللبيب، السالك منهج الحق والتقريب، الزاهد الورع المجاهد جمال الدين، ونور حدة المتقين، علي بن الحسين الشرفي من هجرة الجاهلي، سيد نبيل، له إلمام بالفوائد، وإشراف على تقييد الأوائد، ولمسة في الفقه الشريف، وإطلاع على النحو، وله ملازمة لمولانا الإمام في بقاه في حصن كحلان، واتصال وسعي فيما ينفع في المقام، وتردد إلى حضرته، وإصاق بعقوته وهو الآن باقٍ في هجرة

بني جيش من جهة سودة شطب على خطابة جامعها، وإمامة الصلاة والسعي الحسن، والطريق المستحسن، وهو وأصنياه^(١) ممن سبقت لهم العناية في الاتصال بهذا المقام الإمامي، والمجلس السامي، وسطعت في قلوبهم أنوار الحق فأضاءت لهم الطريق إلى السبق ثبتهم الله على صراطه.

[محمد بن أحمد بن إبراهيم]^(٢)

ومن لحق بطريقة السبق فاعنق وهدى بعقله إلى الفوز بالمحبة وخلوص الرغبة، وحسن الصحبة، ونجاح الطلب، وادخار خير مكتسب، الولد السيد العلامة نشوء الرئاسة، ومعدن النفاسة، وحسن السياسة، وأليف الدراسة، الزاكي نسبة وغراسه، الثابت في مقام الحق وأساسه، الفطن اللوذعي، الفهم الأملعي، طيب الأعراق، روضة المشتاق، عطر الأخلاق، عز الدين ونجم العترة المطهرين، وعمدة الآل، شريف الخصال، حميد الخلال، محمد بن أحمد بن إبراهيم من قرابات مولانا الإمام % وعصيته الأدنون، وفصيلته الأقربون، وصل إلى حضرة الإمام % ومطلبه اكتساب العلوم، وإحراز منطوقها والمفهوم، والجد في الطلب، والكد في إحراز خير مكتسب، ثم وقف في مدينة صنعاء المحمية، وهي حينئذ في الحوزة الإمامية، والمملكة المتوكلية، بعد فتحها، وانجلى أنوار صبحها، فوقف في الجامع المقدس شهراً وأخذ في غيب متن الأزهار، والشروح في المختصرات الجوامع.

(١) المراد اخوته.

(٢) لم أعثر على ترجمة لهذا السيد ولعله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الحسن بن الحسين، كما قال المؤلف: إنه من عصابة الإمام الأقربين، فأثبتنا نسبه كذا تظنيماً، والله أعلم.

فلما تحولت الأحوال، وخرج أهل صنعاء عن الطاعة إلى عصيان ذي الجلال، لم يستقر بالولد العزي حال، ولم يقر له بال، فخرج عنها خروج قدح بن مقبل كما قال الكميت، وفارقها إلى حضرة مولانا الإمام، فثبت على الإقامة واللزام، وشرع في الطلب والاهتمام، فأخذ عن الصنو العلامة محمد بن عبد الله إمام جامع سناع في شرح الأزهار، ولعله أخذ عنه في غير ذلك مما لا أتحققه، وعن راقم السيرة في البحر شرح الملحة حتى كمل له، وأخذ فيه إجازة، وعلى القاضي المجاهد سعد بن محمد الشرقي في شرح الفاكهي على الملحة وكمل له قراءة ذلك.

وله ذهن وقاد، وفكر متقاد، وطلب من الأخ العزي إجازة فوضع له ذلك وأرسلها إلى جامع السيرة عامله الله بلطفه فقررتها وأجزته في رواية ما قد أخذ فيه من العلوم، واشتغل بالأمور في مهمات الجهاد والنيابة عن مولانا الإمام % في بعض الأعمال المهمة، وفيه كفاية ودراية وصرامة وعزيمة، وشدة شكيمة، وطوية سليمة، وحصلت الصهارة الكريمة، وعقد له مولانا % بابنته الدرة الكريمة، فاستقر قراره، وحمدت آثاره، وهو الآن من الصدور الأعيان يشار إليه بالبنان، ويُعد لمهمات الزمان، ثبته الله على الحق القويم، والصراط المستقيم. انتهى.

[إقامة الإمام عليه السلام لحد الحراية]

ومن الواردات في بقاء مولانا الإمام في بلد حزيز أنه نما إلى مولانا الإمام % أن ثم جماعة من غوغاء صنعاء يريدون النكت والغدر والطغيان ويبدلون الدولة ويخرجون عن الطاعة، ويفارقون الجماعة، فشعر بهم عاقل أهل صنعاء وكبيرهم محسن بن علي معيض، وربما أنه بلغه عنهم أنهم يريدون تقديم الفتك به ثم يظهرون أمرهم الذي أبرموه، وتدبيرهم الذي لزموه، فأوقع بهم وكانت الوقعة العظماء بكبيرهم عبيد الله بن يوسف المعروف حويدر من أهل السكك، ولكنه شب عن الطوق، ورمى إلى فوق، وأراد الرئاسة على أهل صنعاء لعادة قد ألفها، وكاملة قد أسلفها، فقد تقدمت له ولاية فيما مضى حققة من حققات السوق، وقام في المدينة سوقة، فخيلى له نفسه الأمارة، طلب الرئاسة والإمارة، فأورطته في حفائر التلف، وأغرقتة في بحار الندم والأسف.

ومامن هالك في الناس إلا

ورأس هلاكه طلب الرئاسة

فأمر مولانا % بإيصالهم حضرته وضبطهم إلى عقوته، بعد أن هدم بيت حويدر وأخذ ما فيه، فوصل تحت الترس وكان حويدر هذا قد عاند الحق مراراً، ونكت اليهود أسفاراً، وكلما أكد عهداً أو أيد عقداً سارع إلى نقضه، ونادى إلى رفضه، وله جد واجتهاد في مباحدة الحق وعداوة الإمام، ومقارفة الآثام، فلما وصل به الموكلون إلى الحضرة ضربت^(١) عنقه وقطعت عن الحياة علقه، وأراه الله عاقبة نكت الأيمان واتباع نزغات الشيطان، وعداوة أهل الإيثار، وكان كما يخبر عنه ممن يتتهك المحرمات ويسيء النفثات.

(١) وكان الذي ضرب عنقه هو محمد بن محمد بن أحمد ناصر من أهل شعوب، سيف الإمام %.

ولما طالت مدة لبث مولانا الإمام % في قرية حزيز وهو % لعلو همته وقوة عزيمته، يتأسف لترك الجهاد، ويتلهف على إحياء سنة الآباء والأجداد.

وكان من أعظم الفواقر في هذه الأعصار، وأشد الأثقال والآصار استيلاء طائفة الباطنية الفرقة الغوية، والملاحدة الكفرية، على الحيمتين من بلاد الزيدية وبلاد حراز من الخطط الإسلامية، وقوت شوكتهم في هاتين الخطتين وتشديد الحصون وتقوية المزبون واتخاذ أهلها سوقة وخولاً وجعلهم مآل الله ذخيرة ودولاً، وقد ذكرنا في الجزء الأول الغزوة الأولى لما اجتمع رجال ذي محمد على هذا المطلب وانتدبوا لنجاح هذا المأرب، ثم ما آل إليه الحال، وميلهم إلى الطبع والمحال.

حركة الإمام عليه السلام لجهاد الباطنية في الحيمة

فلما كان في شهر رجب الفرد أحد شهور سنة خمس وثمانين ومائتين وألف سنة انتدب المولى أمير المؤمنين وحث رجال بكيل واستدعى كل جيل، وبعث الكتب والرسائل، وكرر الطلبات والوسائل، فأجاب إلى هذا الشأن طائفة من رجال «نهم» ووصلوا إلى مدينة صنعاء فاقتضى رأي سيدي المولى حفظه الله الانتقال إلى بلدة سناع وهي له وطن وهي من المحلات الداخلة في الحوزة المتوكلية والخطط الإمامية، فانتقل إليها في ثامن عشر شهر رجب الفرد ووصلت في اليوم الثاني رجال نهم ثم عقبهم طائفة من رجال أرحب، واجتمع من بلدة حزيز وأهل جدر ودار سلم عصابة، وقوا لذلك الجيش نصابه.

[قيادة السيد العلامة محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين للجيش

ومعركته مع الباطنية]^(١)

فتقوت أطنابه، حتى توسم منهم الإصابة، والوصول إلى الغرض وأسبابه، فتقدم بهم الولد السيد العلامة عز الإسلام وواسطة عقد النظام محمد بن يحيى بن محمد المدعو بن حميد الدين عرفاً وهو من ذرية المولى إمام المعقول والمنقول، وحجة أهل العربية والأصول، الحسين بن القاسم المنصور، وقد سبقت له ولأبيه ترجمة في جملة التراجم في الجزء الأول، فلتطلب من هناك لمن أرادها وكان معه ظهيراً ومعاضداً ونظيراً القاضي الرئيس المجاهد الكبير حسام الدين وعمدة المجاهدين محسن بن محسن القرشي العلفي^(٢) فاجتمع من المذكورين قدر ستائة مقاتل.

فلما وصلوا إلى مطرح متنة انتهض مولانا % من بلدة سناع، فيمن بقي من الأشياء، ومن تخلف من الأتباع، ومعه مشائخ البلاد إلى المعقل المحروس والشامخ المأنوس، حصن بيت ردم وهو معقل منيع، وحصن رفيع، مطل على أطواف الحيمتين وشامخ على المخاليف من الجهتين، وحاكم على كثير من البلاد ولهذا شيدته الدول، ورغب فيه الملوك الأول، وحين تمكنت الدولة القاسمية وتأسست قواعد مملكتها العلية شيد فيه المباني والمعالم، مولانا الحسين بن القاسم، فوصل إليه المولى أمير المؤمنين وتجلّى لوجهه ظلمات الشك البهيم، وكان الولد العلامة عز الدين محمد بن يحيى بن الإمام المدعو بابن حميد الدين قد ولي وساطة الأجناد، والولاية فيها فتح من البلاد، فخامر أولئك الأقوام الذين صحبوه من المقام فشل ووجل، وظنوا تلك الأكام والمعالم

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) في الأصل العلفي بالنون والصواب ما أثبتناه والله أعلم، وقد تقدمت ترجمته.

سيوفاً وصوارم، فأرقلوا راجعين إلى بلادهم بالخبية والخسران، والذلة والهوان، فلم يزحزح فرارهم من عزيمة المولى أمير المؤمنين، ولا ثناه عن قصده في مراغمة الملحدين، بل جد العزيمة على الرياد في ذلك المعقل الشامخ، والحصن الباذخ، وما برح في تصعيد وتصويب، وتباعد وتقريب، يتطلب الفرصة أنى ينتهزها، والعزيمة كيف يبرزها، حتى ساقط الألفاف في شهر رمضان من السنة المذكورة إلى المرام وتوجهت الفرصة، وانجلت الغصة، ووصل بعض المحيين من أهل بلد يازل من مخلاف بني سوار من الجهة الحيمية المطلوبة، والبلدة المقصودة المرغوبة فرغب في قصد بلدهم وقرب فتوجه الولد محمد بن يحيى والحاج سعد بن محمد الشرقي بعصابة منصوره من أهل البلدة التي هي مقر الإمام ومحل الزمام، وهي قرية بيت ردم، ومن مخلاف (البروية) عصابة فلما وصلوا المحل ثبت الله أقدامهم، ويسر مرامهم، وفتحت تلك القرية بسلام، وأخذ منها بالزمام، لم يسئل في المجاهدين دم، ولا أريق منهم مك محجم، وقتل رجل من أهل القرية المقصودة كان من المبغضين ومن حزب الملحدين يقال له عاطف، وذلك مع دخول المجاهدين داره، وإزعاجه من قراره، حاول القتال، فصالت عليه الأبطال.

وبعد عزم تلك الطائفة التي أسفر صبحهم، وسعد نجمهم، تواترت الغارات من أكثر الجهات، فخرجوا على سائر قرى المخلاف، فلم يقابل بعضهم بخلاف، بل تلقوا بالعقاير والطاعة، والدخول في الجماعة، إلا قرية يقال لها بيت المنضر تمنع أهلها ووثقوا بحصانتها ومنعتها، وأشرف حصنها ورفعته، فأبوا أن يدخلوا في الطاعة الإمامية جهلاً وغباً، وميلاً إلى الباطل وأهل العداوة.

[انتصار الإمام عليه السلام على الباطنية]

فسالت عليهم الأجناد، وأصدقوا فيها الجلال، واقتحموا عليهم الأسداد، ودخلت عليهم القرية قهراً، وافتتحت عنوة وقسراً، فنادى من بقي منهم بالأمان، فأمّنهم الرؤساء والأعيان، ورتبت تلك القرية وسائر القرى، وواجهت القارة، وبذلوا الرهائن المختارة، فوقع من الأجناد العجل، وتجاوزوا ذلك المحل، وأغاروا على الرتب التي من الباطنية في المسجدين وبيت معدن فتوقف الباطنية عن اللقاء وأحربوا من الحصون، وأووا إلى الزبون، فدخلت عليهم بعض البيوت وحصل حرب عظيم واستشهد قدر ثلاثة أنفار، وقد ضايقوا الرتب وصاروا إلى حيز الهلاك، فتأخر المجاهدون إما لقلّة زاد، أو لمؤنة الجهاد، من البارود والرصاص كما ذكروا فتوقف العمل ولكل أجل كتاب، وبقيت المراتب الإمامية في القرى المصابقة لمراتب الباطنية وهي القليس وبيت الأحمر وبيت سنافة.

وما زالت الحروب تكرر، ونيرانها تتسع، ودخانها يرمي بالشرر، فوقع حرب عظيم في نصف شهر القعدة الحرام بين المراتب الإمامية الذين في القليس وبين الباطنية فنصر الله جنود الحق وهزموا طائفة يام، ومن تابعهم من الحيام، حتى ألقوا بهم إلى القرى الذين هم فيها، وقتل منهم قدر أربعة أنفار وسلم الله المجاهدين فلم يسلم منهم دم، ولا زلت بهم قدم، ثم وقع حرب آخر تجمع فيه طوائف الكفر والإلحاد وحشدوا أهل البلاد وتقدموا وهم عدد كثير وجم غفير فنصر الله أجناد الحق مع قلتهم و﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ثم ترادفت الحروب ويد الحق غالبة، وللأعداء سالبة، وقد سولت للباطنية أنفسهم الخبيثة أن يرتبوا محلاً يقال له (بيت الشريف) وحصنوها بالعمارة وقوا فيها الرتب،

وآوو إلى شر منقلب، وهي بالقرب من المحل المسمى (بيت الأحمر) وهو في الحوزة الإمامية، فشق ذلك على أهل المحل ولكنهم اشتدوا واعتدوا وكافوا تلك الطائفة المشؤومة واستمدوا تقوية الرتب وصارعوا الحروب وقارعوا الخطوب، وما زالت الوقائع والشدائد حتى شاعت الأخبار بوصول رجال حاشد ومن تبعهم من عمران وجبل (عيال يزيد)، يصحبهم الرأي الرشيد، إلى أجر الجهاد الشديد، وكان الأمل أنهم سينهضون في عدد كثير، وجم غفير، الذي يتم به المرام، ويقمع رأس الباطنية الطغام، فتخلف أكثر من وعد ولم يحصل منهم إلا طائفة قدر ثلاثمائة.

فتجهزوا نحو الحيمة يقدمهم الولد العلامة محمد بن يحيى، والسيد الأجل الهمام الحسن بن يحيى الرصين، والحاج الفاضل العارف التقي زيد بن صالح الرضي، فوصلوا قريب مراتب الباطنية فتلقاهم الرتبة التي في المسجدين فوق وقع حرب عظيم انهزم أحزاب الضلال، وتركوا حومة القتال، وآوو إلى مراتبهم وقد حصل فيهم القتل والسلب وأخذت بعض أسلحتهم فوجه بعض أولئك المجاهدين صحبة السيد شرف الدين الحسن بن يحيى الرصين نحو قرية من قرى عزلة الأحبوب يقال لها بيت النش فأحربهم من فيها من الرتب وأهلها القاطنون بساحتها فأقبحهم بعض أهل عمران وبعض حاشد، وهم أي الداخلون عليها نفر قليل قدر ثلاثين نفراً، ولزموا بعض البيوت، وانتظروا المدد من المتأخرين في رأس البلد، فلم يحصل لهم شيء إغاثة ولا غارة وقد انثال عليهم أهل الحيام ومن لديهم من ملاحدة يام، وتكاثروا في القرية المذكورة، وبقيت تلك الحصانة محصورة، فثبت الله أقدامهم وعملوا على النجدة، واستعملوا العزيمة والشدة، وقاتلوا عن أنفسهم تلك الجموع التي تحرم المقلّة الهجوع، وخرجوا من بينهم والعيون تشهد، ودونهم كل صارم من النجدة مسند، ورجعوا إلى أصحابهم في سلامة وقد قتل منهم نفران حال دخولهم تلك البلدة، وأما

مع خروجهم فلم يقتل منهم أحد بلطف الله.

وبعد هذه الواقعة تلاشت أمور أولئك الأقوام وبقوا مقدار خمسة أيام في محل بيت الأحمر، وبيت (سنافة)، و(القليس)، ثم وصل منهم من وصل إلى مولانا الإمام % واستأذنوا في القبول فأذن لهم حيث عرف أن لا جدوى في بقاهم، ومع ذلك فهم لا يقومون بالمراد، ولا يبلغون السداد، مع كون الأعداء قد تكاثروا جمعهم، وحاشد قد قل عددهم ونفعهم، ونصر الله سبحانه لما زال إمام الحق من وراء سد رقيق، ولطائف صنعه تنظر إلى تأييده بعيون التوفيق.

[تجدد المعارك مع الباطنية]

وبعد هذا الموصوف خيلت لأعداء الله وساوس شياطينهم، ودسائس أساطينهم، أن قد ضعف جانب الحق وأن من بقي من خلص الأنصار بمن سبق سيلحقون فاجتمعت منهم طائفة مخذولة، وزعانف مرذولة، وألبوا من استضعفوه من أهل الحيمة، وقد وصلتهم زيادة من يام، وأرادوا إعمال الخيلة في رفع المراتب التي في أطراف بلاد البستان، ومن بها من الأعوان، وطمعوا في قرية بيت الأحمر، وبيت سافة، ليدفعوا بذلك الآفة، فاجتمعوا جمع تكسير، وقد أحكموا التدبير، وجعلوا مكامن في الليل على القرى الآخرة وأجلبوا بالعمارين وأهل البلد وشرعوا في عمارة أدكاك، يعتصمون بها عن الهلاك، وألبوا الحجارة والأخشاب ونصبوا الحيام والأطناب وهم في عدد كثير، وجم غفير، يقال أنهم فوق الألف من يام وأهل الحيام، وسروا إلى قرب بيت سنافة حتى دخلوا أجران الطغام، وشبوا نار الصدام، والرتب قليل في تلك

القرى، فأغار من أسرع من أهل البروية وأهل بيت ردم ومن بالقليس مقدار مائة نفر، ومن مراتب بني سوار قدر خمسين نفر، ووقع حرب شديد فثبت الله أقدام المجاهدين وأفرغ عليهم الصبر وقابلهم النصر فهزموهم بإذن الله هزيمة قبيحة، ووقع فيهم القتل والسلب، وخالطهم الطعن والضرب، فقتل منهم كما بلغ قدر ستة عشر قتيلاً، وجرح منهم الأكثر، وسلبت خيامهم ومطرحهم بما فيه من آلة الحرب الباروت والرصاص والفتيل والنحاس، وسلبت أسلحة كثيرة وسلب بعضهم بعضاً ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩] حتى رجع طائفة الباطنية بتلك الهزيمة وقد سلب سلاحهم، وهان هلاكهم وافتضحهم، وخيب الله آمالهم، وأبطل أعمالهم، وخربت تلك العماثر التي أحدثوها، ونصر الله عبده، وأعز جنده، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، وتذكرة لمن تذكر.

[عدد معارك الإمام مع الباطنية]

وبعد هذه الوقعة وقعت حروب كثيرة مقدار خمسين وقعة كلها على الباطنية، ما من حرب تستعر إلا وهم الذين يثيرونها بعد التجمع والاحتشاد، وتأليب الحاضر والباد وهم في قوة من المؤنة والزاد، وقوة الله أغلب ومدده أجزل وأرغب، ويده أزمة الأمور، فإن القتل لا يخلوا فيهم في كل وقعة حتى قاربت القتل منهم في هذه الحروب المتكررة قدر المائة المقتول، ونفذت مدخراتهم من عدة الحرب والطعام، واتصل بهم الذل والإرغام، وتعداد هذه الحروب يطول به الكلام فهي تعددت وترددت مقدار ثمانية أشهر.

خروج مولانا عز الإسلام محمد عليه السلام أمير المؤمنين لاستنهاض قبائل أرحب

وحين طالت المدة وانتهت الشدة عزم مولانا الإمام على إرسال ولده الولد الأبر،
النجيب المظفر، قرين السعادة، وخدين الشرف والسيادة، والنبعة المطهرة، والنشأة
التي هي بحسن الظنون وقرة العيون مصدرة، والسلالة المبرأة من العيوب، المتزهة
عن كل مرهوب، غصن وشيخ الإمامة الكبرى، وواسطة عقد نجباء الأبناء الغراء،
وهلال أفق أولاد البضعة الزهراء، والجدر الذي أضاءت أنواره في دياجي الشدائد
العكر محمد بن أمير المؤمنين المتوكل على الله إلى الجهة الأرحبية أهل النجدة والحمية،
والنفوس الأبية، والهمم العربية، وهذا الولد صغير السن كبير الألمعية، تصحبه
السعادة وتقوده إلى الإرادة، في مقدار سبع من السنين لكنه من أصل شامخ
العرنين شعراً:

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه

وتغرس إلا في منابتها النخل

فلما وصل إلى هذه القبائل كرام المنازل، أسود الجحافل، أكرموا مثواه، وحققوا
رجواه، ولّبوا نداءه، فوصل في جحفل يروق النواقر، ويسر الخاطر، ويغيض الحسود،
ويجلي الكرب السود، ويسر الودود، فالتقاهم مولانا الإمام وأهب لهم ما لا بد منه من
عدة الصدام وآلة الحرب الزوام، فعزموا بعون الملك العلام يصحبهم الرؤساء
المقدمون وهم الولد العلامة عز الإسلام محمد بن يحيى بن الإمام المدعو بن حميد
الدين، والسيد الرئيس المقدام شرف الإسلام الحسن بن يحيى بن إسماعيل الرصين
والقاضي الهمام المجاهد الضرغام حسام الإسلام محسن بن محسن بن إسماعيل القرشي

العلفي فوق مبيتهم في مخلاف بني الراعي والحازة، وفي اليوم الثاني دخلوا الحيمة من أعلاها وتوجهوا نحو مخلاف الأحبوب ولم يلقهم من الباطنية مرهوب بل تجمعوا في القرى فتوجهوا نحو قرية يقال لها الزيلة، وأرادوا أن يطرحوا قريباً منها فابتدأ فراعنة الباطنية من يام الطغام مرام الحرب والصدام، ورموا بالبنادق إلى المطرح.

ذكر الشهيد محمد بن قاسم بن المهدي

فلم يتوقف رجال أرحب بعد ذلك، وحصل الحرب العظيم وحمل رجال الأجناد المتوكلية على تلك القرية المسماة الزيلة، وصبت على من فيها صوائب الحادثة الجليلة، فوقع الرمي ممن فيها من البيوت فقتل جماعة من أجناد الحق منهم الولد السيد العلامة الناشئ في طاعة الله حليف المدارس، وأنيس المجالس، وعالي المناصب، ورفيع المراتب، المجاهد الشهيد، المبارك الرشيد، محمد بن قاسم بن علي بن قاسم بن المهدي العباس بن المنصور الحسين بن المتوكل قاسم بن حسين بن المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن الإمام يوسف الأشل بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي بن يحيى بن الإمام الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين أبي الحسنين وصي رسول الله علي بن أبي طالب سلام الله عليه وعلى الطيبين من ولده.

وكان هذا السيد الشهيد من أنجابه السادة، وخلص أهل النقادة، وانقاد إلى جانب الحق وسلك طريقة سلفه الأقدمون، والانحياز إلى إمام العصر وترك هو وأخوه أكل الزكوات، وتخرجوا عن ملابسة الإقطاعات، وكان لهم قطعة في بلاد عمران فتكروها واشتغل بطلب العلم والانفراد في بعض منازل مدرسة الإمام شرف الدين %

بمحروس مدينة صنعاء وكان يلهج بالجهاد، ويدأب في الإستعداد، حتى حصل له سلاح وتأهب للكفاح فلما فتح باب جهاد الباطنية، رآها غاية السؤل والأمنية، وخرج عند خروج حاشد مع الإمام، وباشر الحرب والصدام، ودخل قرية بيت النشر مع من دخلها، ثم لازم حضرة الإمام برهة من الأيام فلما تأهب أرحب لهذا المنهج، كان ممن دب ودرج، ولاحظ واضح المنهج، وكان يقدم بنفسه يتطلب الشهادة، التي هي لسلفه عادة، فأصيب في حرب الزيلة وحظي بالفوز والفضيلة، وقد رثاه الولد الأديب فرع دوحة الآداب والعلوم جمال الدين علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن، رأيت أن أذكرها قياماً بحقتها وهي قوله: [من البسيط]

يا لهف نفسي -ويا ويحي ويا كمدي
ويا أنيني ويا حزني ويا ندم
لفقد بدر ثوى^(١) في الترب مضجعه
يا عين جودي بدمع منك أو بدم
يا عين إن غار دمع منك منهما
فاستجذي من دم الأحشاء وانسجم
يا قلب لم لا تصدع أو تمت كمداً
على فراق أخ في الله ذا كرم
في العلم نشأته والبدر طلعتة
والخير مقصده في الحرب والسلم

(١) في الأصل: ثرى، ولعل الصواب ما أثبتناه.

فهو الشهيد الذي لا زال مجتهداً
 في الحلم والعلم والآداب والحكم
 بخٍ له لم يخ حين قادها^(١)
 فقد ثوى^(٢) في جنان الخلد والنعم
 والله ما أنسني أخلاقه أبداً
 وسعيه في المعالي غير منكم
 معروفه ما زج الأعضاء في بدني
 وجوده غير خاف عند ذي الهمم
 ثم الصلاة على المختار من مضر—
 وآله أنجم الحيران في الظلم
 انتهت.

وبعد الحرب الشديد، والدفاع الذي ليس عليه مزيد، اقتحم رجال أرحب على
 الباطنية البيوت، وأحرقوا دارين بالباروت، وتسوروا الحيطان، وأصلوهم النيران،
 فقتل من فيها من زعانف الباطنية قبيلة يام عن آخرهم وقلعت رؤوسهم، وسلبت
 نفوسهم، وقد كانوا يجعلون من قتل منهم في مدفن من مدافن الطعام قبل دخول
 الأجناد المتوكلية عليهم أنفة منهم وحمية.

وفي اليوم الثاني وصلت الرؤوس الحضرة المتوكلية على جمل قد أوقر ونفذت صحبة
 الولد الأبر المسعود قائد الجنود محمد بن أمير المؤمنين أسعد الله بخته وأتم سعيه

(١) كذا في الأصل، ولعلها: بخٍ له ثم بخ، حين فاز بها.. يعني الشهادة، وفي البيت زحف في كل الأحوال، والله أعلم.

(٢) في الأصل: ثرى، ولعل الصواب ما أثبتناه.

وأطاب وقته إلى الحواز ثم دخلت صنعاء ووقع لها في قلوب الأعداء مواقع تغني عن سل السيوف، ومقارعة الصفوف، وتجهيز الألوف، وسرت في الأقطار، وشاعت في البداوة والحضر، وواجهت الخيام، ودخلت في الطاعة بسلام، وتوجه أهل بلاد البستان ومقدمهم القاضي العلامة المجاهد سعد بن محمد الشرقي عافاه الله نحو الحيمة الخارجية فواجه بني السياغ والجدعان ودخلوا قراها واصطفوا ماها ومرعاها وكان بمخلاف بني سليمان محل يقال له الرخمية قلعة مانعة، وقصبة دافعة، وبها رتبة من الباطنية في قوة ومنعة، وذخيرة وسعة، فوقع الحرب عليها وحاصرها من حولها من بلاد البستان، ومن إليهم من سنان، وطائفة من قبائل نهم وصلوا قدر مائة وخمسين بقوا في مراتب في الحيمة الخارجية بقلوب فاسدة ونية كاسدة، فلم تثبت أقدامهم، ولا ثبت لزامهم، بل ساروا شذر مذر وشرعوا في الحرب بينهم وبين مراتب الباطنية فحصلت فيهم هزيمة وقتل منهم نفر من بني حشيش وتفرقوا بعدها.

وأما أهل البستان وعصبة من حزيز سنان فأحموا نار الحصار على الرخيمة فيه وأصلوا من فيها نار البلية واشتد على الباطنية الحصار، وقبضوا عليهم بعض بيوت المحل وفلسوا المسجد ودخلوه وحكموا على الماء، فطلب أولئك الأعتام الصلح والخروج فخرجوا منها ودخلها أجناد الحق، ووجدوا فيها جملة من الجبوب، وفازوا بالغرض المطلوب، وعند ذلك شاعت البشائر، وأوقدت المناير^(١)، وتشرفت المنابر، وشاع خبر هذه النصر في الأقطار، وبلغت إلى أقاصي الديار، وطبقت الآفاق، وتحدث بها أخلاط الرفاق، وقيلت فيها الأشعار من أدباء هذه الديار، فمما قيل في هذه النصر ما أنشأها أديب الوقت، وصادق الولاء والنع، العلامة الفاضل وجيه الدين عبد الرحمن بن محسن جحاف الساكن بحصن ظفير حجة وأشار فيها إلى مدح ولد الإمام

(١) المراد بالمناير: النار.

عز الإسلام محمد بن أمير المؤمنين وإخوته المكرمين فقال أبقاه الله [من الكامل]:

أضحى محلك في الكمال الأرفعا

وعلا به صوت الخطيب فأسمعا

وزهابه نظم البديع فكان في الـ

إطرا نشاطاً للفصيح فوسعا

وفتحت باليضر الصوارم والقنا

باب الجهاد فصررت فيه المسرعا

بعد انغلاق كنت أفضل فاتح

جددت شرعاً مهماً ومضيعة

لا يبلغ العلياء إلا ماجدٌ

يَرِدُ الردى ويرى السعادة مطمعا

وسبقت أرباب الكمال إلى العلا

فاصدع بأمرك أنت أفضل من دعا

حزت الشروط على الكمال ومن يكن

ذا شأنه فهو الإمام الأورعا

وسعيت في طلب العلوم فمدعو

كسب العلوم غدواً فضلك خضعا

قد أفردوك فإن يُقل: مَنْ عالم

حتى يشيلوا نحو شخصك أصبعا

شغلت سواك عن المعالي برهة
 وحمى طلابك للعلا أن تهجعا
 ما بالهوينارام مجداً لم يزل
 بالنقص في باب الكمال مقرعا
 وعرفت بالمعروف طبعاً لم تكن
 مثل الذي يولي الجميل تطعنا
 ليس التطبع كالجليلة ربما
 تزر الطباع وكم غمام قشعا
 لا مجداً إلا ما أتاك بهمة
 بلغت إلى العلياً محلاً أرفعا
 والمرء إن وكلته همته إلى
 مجد الأوائل صار منه نخعا
 فاشمخ على الأمجاد أنت صميمهم
 إذ صرت أفضل من سعى وترعنا
 ولقد فقدت المال قطعاً إذ غدا
 ما في يدك لنا صريك مدعنا
 ورزقت ابناً سامياً وشكرت ذا الـ
 رغبوت خالقه الوهوب تطوعا
 متبوءاً من ذروة الشرف التي
 كرمت بسعي إيماننا المسعى

وكذاك إخوته البدور فإنهم
رضعوا اللبن المجد من أرضها
فحكّت فضائله فضائلك التي
مانها لبشر سواك ولا ادعا
لما حوت من الوصي خصائصاً
أصبحت متال الخصائص أجمعاً
فهو المرأة إن حكّت لمرأة
صوراً حسناً فهي تحكيها معاً
إن الوشيج لمنعت أمثاله
وعليه في كل الصفات تفرعاً
فرايته نحو المعالي ثانياً
لباً كلبك للكمال واخذعاً
أرسلته نحو الأماجد أرحب
فأتى بهم نحو البغاة وأسرعاً
كم جرى يوماً للوغى من جحفل
كالبحر صار أميرهم والأزوعاً
فحكى الحسام بهمة ودراية
وفصاحة ومكارم لم تدفعاً
سبحان من أولاك من إحسانه
ولداً تجنس رسمه فترفعاً

ولقد سمعت ففزت بالقدر الذي
تحيي به الذكر الجميل الأرفعا
هذي هبات لم يحزها جاهد
يسعى وكم أكدي امرء فيا سعى
يا أيها المولى الإمام المحسن المـ
توكل الداعي المبالغ في الدعا
قدت الجنود^(١) إلى جهاد ذوي الخنا
فغدوت منصور اللوى مترفعا
ورميت جيش المكرمي بجحفل
لجِبِ فنالوا منك سماً أُنقعا
حكمت فيهم يابن بنت نينا
بيضاً فقابلت البروق اللُّمعا
لم يفتنوا إلا وقد نزلت بهم
أسد فهاهم الأسود الأسبعا
حتى أبادوا المجرمين فلم يجد
من حزب أرباب الخنا متمنعا
فالبعض منهم في الحديد مكبل
والبعض منهم ذاق موتاً أشنعاً

(١) الخيول نخ.

هلكوا فإبكت السماء عليهم
 كلاً ولا دام الخلو ودمتمعا
 قوم طغاة لم يكن لركوبهم
 لمحرقات الشرع ديناً ممنعا
 جعلوا الحلول ومنهج الإلحاد
 لنا جائراً ومحياً ومشرعاً
 وكذلك الإبطان للرجس الذي
 شربت قلوبهم به فتوعا
 يارب نصراً للحنيف قد اغتدى
 بك مستغيثاً مغيثاً فأسرع
 وبحرمة التزليل عجل نصره
 وكذا الحسام فلم يزل متضرعاً
 وليهنك النصر الذي وافاك يا
 بحر المكارم والمفاخر أجمعاً
 فأنعم به عيناً ولذ بنعمة
 قد ألفت مرآى وراقت سمعاً
 وأكثر من الشكر الذي وصى به
 من عَلم الدين الحنيف وشرعاً
 لا زلت مشكور الفعال موقفاً
 تسعى فتهدى للهداية من وعاء

وتذيق من ناك كل كريمة
وتنيل من والاك برأمر عا
آمين دعوة مخلص ما شاب ما
يدعوبه بتصنع فيما دعا
ولقد خرجت من المديح لغيركم
لما رأيت علاك نهجاً مهيعا
فعدت نوازع فكركي وتأملي
شوقاً يبادرني إليك المطلعا
ولكم لقيت بها الجران وكم غدت
منها نجائبها الكريمة طلعا
مع أنني لم أعتمد بمداخلي
إلا امرأ نطح السماء وزعزعا
واسلم ودم ما الروض باكره الحيا
فاهتز من بعد الهمود وأينعا
ثم الصلاة مع السلام على الذي
تلقاه في يوم الحساب مشفعا
المصطفى المختار أحمد من دعا
كل الأنعام إلى الإله فاسمعا
وعلى علي والد الخلفا الذي
أفنى الأعادي بالحسام وقطعا

القاتل الأبطال في يوم الوغى
 في كل معركة تراه الأروعا
 وإذا تآلى في العجاجة سيفه
 ودعى خماس الطير يوماً أشبعاً
 وإذا تهجد في الظلام وجدته
 عبداً شكوراً زاهداً متطوعاً
 وتعم كل الآل والأصحاب من
 وإلى الوصي وما^(١) تحوّل بل رعا

وقد عارضها جامع السيرة بقدّم كسير، وجعلها كالجواب وهي كرجع الصدى
 وأضغاث الأحلام لا تسلك في سمط النظام ولكني أوردتها هنا تبركاً بمدح إمام
 العصر، وجرياً على منهاج من اتصل حبله وحسن خصله من المحبين والعذر يفهم من
 فاتحها ويعرف من براعتها وهي قولي: [من الكامل]

عصر الشباب مضى وعني ودّعا
 والشيب أبلغ في النداء وأسمعاً
 وغدا على فودي يياضاً بعدما
 كان السواد على السوالف أطوعاً
 ما كنت أوفي للشباب صنيعة
 لكنّه وافي فـوـلى مسرّعا

(١) في الأصل: ومن، ولعل الصواب ما أثبتناه.

عرف الشباب طريقتي إذ لم أجب
 داعيه بالإسعاف لما أن دعا
 وشغلت عنه بالفضائل والتقوى
 فمضى فاعقبه المشيب فأفزعا
 والشيب والنظم البديع تقايضا
 لا يسعدان المرء في حالٍ معا
 والشعر كالغادات يأبى أن يرى
 صبح المشيب على السوالف يرفعا
 لكنني عاودت شرح شيبتي
 طرباً وكنت بقر بهالن أطمعا
 فخلعت ثوب الشيب عن فكر الصبا
 وأقلت عثرته وقلت له لعا
 فاهتر من عطفني وراق لخاطري
 نظم القريض ولم يزل متمنعا
 ورجعت في زمن التصابي معرضاً
 عما يوقره المشيب بهارعا
 لما اجتليت على المهارق غادة
 أخذت من اللب الملب الأخدعا

نزلت على سهل السري ومنهج الـ
 — عذري ووفرت الغرام الأرفعـ
 وتعلمت لطف الرضي^(١) فعلمت
 عطف اليراع بما تلا وترعرعا
 بأبي وبـي تلك العقيلة إنها
 تسيي الحليم بها وتذري الأدمعا
 وتثير أشجان القلوب وتملاً السـ
 — احات نشرأ مستطيلاً أضوعا
 من مفلق لورام نظم الزهر في
 عنق الزمان لو افقته خضعا
 سمح الزمان به^(٢) على بخلٍ وقد
 عدم الأفاضل منزلاً أو مهيعا
 فلقيت كل الفاضلين بسيدٍ
 أزرى بقسٍ والوليد وأبدعا
 وغدا يذكرنا حياً والهأ
 ويغير سالفه الحسان الشفعا
 جلى الوجيه بحلبة المجد الذي
 ما لاحق في هاله لاسعا

(١) يقصد الشريف الرضي الشاعر، والله أعلم.

(٢) في نسخة بمثله.

رب المعاني الشُّرد الغرّ التي
 تذر الدراري في المطالع خشعا
 وتود حالية الحسان لوانها
 جعلته عقداً في الصدور موضعاً^(١)
 وتروم أجياد العذارى وصله
 بالقرط أو في ثغرها متمتعاً
 نظم هو الدر الفريد يزينه
 خط جلا وأغار روضاً عمرعاً
 زادت بلاغته به حسناتكم
 زان الكحال نواظراً لن تدمعاً
 تزهو كما افتر الكمام بزهره
 ترك ابن مقلّة حائراً متصنعاً
 حسنت وراقت واعتلت لما رقت
 في مدح من حاز المكارم أجمعاً
 مولى الأنعام خليفة العصر الذي
 سبق الكرام فكان منهم أبرعاً
 جمال أثقال الخطوب فلو غدا
 ثهلان يحمل ثقله لتصدعاً

(١) في نسخة مرصعا.

خلق له كالروض باكره الحيا
 وعلى الأعادي تلق ربحاً زعزعا
 وحماً منيعاً للهيف فلا يرى
 ضيماً ولا يخشى عدواً أقرعا
 وإذا سطا فالليث في عرصاته
 مثل الثعالب خاضعاً متصرعا
 وصلاية في الدين لا يلويه عن
 تنفيذ ما فرض الإله ومانعا
 وبصيرة في علم آل محمد
 لا يصطفي خلفاً سواهم مرجعا
 ويحقق النظر السديد إذا رأى
 من غامض الأنظار بحثاً ممتعا
 بحر هو العذب النمير لشارب
 سل عنه في درس العلوم وماوعا
 بدر يضيء إذا ادلهم الخطب في
 ليل الجهالة كان نوراً أسطعا
 عظم^(١) الزمان فلا يجود بمثله
 بل ليس يوجد ما يوازي أصبعاً

(١) في نسخة عصم، ولعلها عقم.

أحيارياض المكرمات وقد ذوى
وغداربها من سهاها أرفعا
فتقر عين المجد بالبدر الذي
سطعت بها أنواره فتمنعا
لم تصدى للقرامط جاهداً
خرت شوامخ ما بنوه ركعا
فمضى فأصلاهم وطيساً لم يزل
يدني الحصون وينفق المستودعا
حتى أباد كبرياتهم بوقائع
تركت ذيابهم الأخابث أضعبا
فليهنه شرف المقام فإنزه
في الدهر بالصبر الجميل تدعا
وليهنه أشبال مجد أنسوا
نور الإمامة يبينهم متطلعا
فهو الأهلّة في سماء المجد إن
كبر الهلال تحال بدرأ أرفعا
أغصان ريحان الكمال إذا اتموا
في دوحه طابت وطالت مترعا

ينمى إلى المختار بأسق فرعها
 وإلى الوصي وفاطم إن تبرعا
 كرموا أصولاً واستطالوارتبةً
 قعساء أعجزت الليب الأورعا
 والفرع يدعوا أصله الزاكي إذا
 زكت الأصول زكاهما أفرعا
 هنيئ هذا الفتح يا بن محمد
 وبقيت ركناً بالعلوم ممنعا^(١)
 وغدوت في حلل السعادة رافلاً
 تحمي حمى الدين الحنيف وتمنعا
 وعلى وجه الدين ألف تحية
 ما غرد الطير الحزين ورجعا
 تسري إلى سوح الظفير وتشمل السـ
 ساحات ما غمر النسيم الخروعا
 وصل الصلاة مع السلام على الذي
 شرع الشرائع فاستبان المهيعا
 والآل أرباب التقى تغشاهم
 ما صاب وسمي السحاب وأترعا

انتهت.

(١) في نسخة: ممتعا.

ومما قاله السيد المذكور أبقاه الله في مدح الإمام % وأرسل بها إلى حصن بيت ردم
في هذا الجهاد المبرور وهي قوله: [من الطويل]

إلى القائم المحيي بحسن قيامه

ربوع مباني الدين بعد انهدامه

إلى خير قيام إلى خير مقصد

إلى خير من يدعوا في ذمامه

إلى من هو القيام في الليل ذاكراً

أضاء ظلام الليل وجه قيامه

إلى حافظ الردأ الصحيح وهكذا

يكون الوفا في طبعه وانسجامه

إلى صائن العهد الوثيق وهكذا

يكون حليف الدين طول دوامه

إلى من غدا للدين أفضل جامع

كذاك اغتدى في العصر زين نظامه

إلى كعبة العلم الذي شرفت به العـ

لوم وأوتي نيلها باهتمامه

إلى روضة الأزهار والوابل الذي

يفتح زهراً مشرفاً بكامه

إلى من هو الكشاف كل مهمة
 إذا غيَّبُ الإشكال جابظلامه
 فيكشف لبأفيه ما بين حله
 تضاعف واستقوى وبين حرامه
 إلى من له سبل السلام سلامة
 عن الميل عن نهج الهدى واحتشامه
 إلى من حوى فهم المعاني حقيقة
 وحاز يدين في بلوغ مرامه
 إلى من هو الغيث المثلث غمامة
 إذا الدهر أبدى من مرار مرامه
 إلى من هو الشهد الشفاء لعلّة
 إذا أدلّ أنها^(١) معلولها بسقامه
 فيبري به داء الهوى بدوائه
 فيمسي — معافي في أصح قوامه
 إلى من هو القاموس في اللغة التي
 سمت عن صحاح الجوهر بارتمامه
 إلى من هو الفتح الشهير يباري
 به ألسن الراوين تبدي احتكامه

(١) كذا في الأصل ولعلها إذا أدلّا بها.

إلى نحوه حيث السرى مبتغى الهدى
 تنل ما تشام من مقصدٍ بتمامه
 فما العلم إلا ما رواه لسانه
 ولا المجد إلا ما اعتلى بحمامه
 إمام الهدى والزهد والورع الذي
 تحامى به عن نقصه باعتصامه
 إذا كان في قومي كرام أكابر
 فها هو ركن موجب لاستلامه
 كفضل علي في الصحابة هل ترى
 عليه لهم فضلاً كفضل حسامه
 هو المحسن القيام لله مخلصاً
 قد اكتحلت شمس الضحى بقيامه
 وقد ألبسته الشهد تاجاً مكملاً
 جمان اللآلى محكماً بانتظامه
 هو السيد المدني إلى الله من دنى
 إليه فلا ينجو بغير التزامه
 وعروته الوثقى فمن كان واثقاً
 به لم يزغ يوماً قيل حمامه

إمام أعاد الله من بركاته
 له من أثيل المجد أعلا سنامه
 إليه شكوت الدهر من جور أهله
 وخير فتى يدي الشكا لإمامه
 لما شاهدت عيناه من كل وجهة
 شوغل من خلف له وأمامه
 وهذا زمان أهزل الهزل أهله
 فلم تلق إلا سابعاً في ظلامه
 وعم على الكل الجهالة والعمى
 عن الحق حتى جنبوا عن كلامه
 ووارث أهل الفضل حسناً فلم تجد
 سوى مدع لم يندفع بملامه
 يدهن أهل الجور قصداً لنيله
 حطاماً ولم يخشى عقاب أثامه
 تراه بثوب أبيض غير أنه
 بقلب غشى بالوان مثل منامه
 ولا غرو إن جار الزمان بفعله
 فقد صار فيه الدين طفل فطامه

فها^(١) هو في الدنيا غريباً كما بدا
يتيماً عليلاً مبتلىً بسقامه
ويكفيك قول المصطفى سيد الوري
بذاك رجالاً توهت بكلامه
فقد قال حفت بالمكارم جنةٌ
وبالشهوات النار ذاتها مـ
ويبلوكم بالشر والخير فتنة
يؤدبنا عن إعتراض مرامه
ويا قائماً بالله يادانياً كما
دنا جُدد الله بين أكامه
ليهنك نيل النصر والظفر الذي
أتى بنكال المكرمي وانفضامه
وما ناله من ذلة وفضيحة
وخزي له في رده واغتمامه
هو الفاسق المحقوق والباغي الذي
له مذهب الإلحاد مغو طغامه
كذلك الحلول اللدلسنا لقبحه
وكم من قبيح لن نفي بنظامه

(١) في الأصل: فها، ولعل الصواب ما أثبتناه.

أنت بهم الأقدار للذل والخزا
كذا كل برق خُلب في جهامه
وظن بأن المجد في رفض ناقص
ونيل العلا في زجه وأثامه
بعيد وأيم الله ما المجد شأنه
ولكن أراد الله نيل اغتنامه
وباء بخزي ظاهر ومذلة
وقتل لأهل البغي مبدٍ سهامه
لذا قرّت الأعيان من كل مؤمن
موال محب صادق في ابتسامه
فيالك من بشرى لها النار أوقدت
لديننا بليل أسفرت عن ظلامه
وأفضل ما يزهو به المدح في الوري
مديح رسول الله مسك ختامه
أجل الوري قدراً وأشرف منصباً
وأفضل خلق الله عين أنامه
وخير بني حواء أكرم من مشى
على الأرض من ماشٍ عظيم احترامه

وأكثرهم زهداً وأوفرهم هدى
وأولاهم خلقاً ونعت زمامه
هو المتقى من هاشم خير من دعا
إلى الله والطاغوت طامي ارتكابه
نبي كريم أريحى مهذب
رؤف رحيم لين في كلامه
نبي ملوك الأرض تحت لوائه
فأكبرها قدراً كمثّل غلامه
أما للهدى فيه حسام مهذب
كذاك الوصي الكرار ماضي حسامه
هو الفارس المشهور والمجد الذي
به انتظم الإسلام حق انتظامه
خليفته الفادي النبي بنفسه
رضيع لبان المجد أصل قوامه
يهنيك شهر الفتح وهو محرم
أتاك يقود النصر مبد خيامه
وازكى صلاة الله تغشى محمداً
وعترته مصحوبة بسلامه

انتهت.

وحين استقر قرار أرحب، وتم هذا المطلب، واجهت أكثر الحيام، وقيل ادخلوها بسلام، ورجعوا في الطاعة، واثالوا إلى الجماعة، ولكن هؤلاء الأجناد لم يتوقفوا على الإرادة الإمامية، ولا لاحضوا صيانة الرعية، بل عاثوا في البلاد المطيعة، وأخذوا أمتعتهم الوسيعة وأخلوا مطارح المقادمة، وسكنوا في القرى المسالمة، واضطهدوا من بقي من أهلها وخاطبواهم بالمغلبات وتعتوهم في الكفايات، ولم يبق للرؤساء عليهم أمر ولا سطوة ولا تقبل لهم كلمة ولا دعوة، فاضطربت الأمور، وكان في الجهة اليمانية والحيمة الخارجية جماعة من بني مطر وبني شهاب والبروية وعينة من مخلاف بني الراعي، وجماعة من بني جبر وخولان رئيسهم النقيب علي بن سعيد المنصورى، وآل أبي حليقة، والنقيب عامر بن علوان العذري من جهة بني سليمان وهم يراوغونه في الخطاب، ويرونه قرب الجنب، ويتربصون الدوائر، وقد أنصوا نار الفتنة وعدم استقرار الأمور بعدم توقف العساكر على رأي الصدور فوصلت طائفة من همدان من جرى منهم على دين الإبطان واتبع نفحات الشيطات.

ذكر الحاج المجاهد حسين بن علي مداعس

وقد كان من بقي من يام في تلك المعازل والآطام في غاية الخوف والوجل والإياس من الانتصار، يتطلبون الخلاص، ويتربصون الخروج من الأقفاص، فلما وصلتهم تلك الزيادة وقد داخل أجناد الحق الملل، واعتراهم الخلل، خرج من تلك الزيادة ومن بقي من يام جماعة قبضوا قرية يقال لها الكراري، ثم أكمة بني سليمان، ثم رتبوا بعض القرى الآخرة برضى أهلها وقطعوا الطرقات على المجاهدين، وكان الحاج الفاضل المجاهد المخلص حسن بن علي بن جابر مداعس قد اتفق حاله في الجهاد، وأعان في سبيل رب العباد، وصابر ورابط وأمد في هذا السبيل وجد واجتهد في الإعانة بما يجد في

رضى الملك الجليل، فجعل له مولانا الإمام عمالة البلاد، وأمره بكفاية من فيها من الأجناد، ففعل المستطاع، ولم يقصر في حث من طاع، وقد كانت تصدر من جهة مولانا ٥% أوامر^(١) المقدمين وآراء في الترتيب والأخذ بالحزم وإمداد بعضهم بعضاً فلا يقابل بالامتنال إما للتساهل منهم والركون على كثر الأجناد، وإما لعدم الامتنال من القوم والإسعاد، وتقللت الكفايات ودخلت الضغائن والحنات، بين الرؤساء الأثبات، واستقوى العدو بطائفة من نهم مع رجل من كبارهم يقال له محمد بن مثنى الأعوج وكان من أعوان داعي الباطنية وفي طاعته وربما نافق وأوهم المقام الإمامي أنه يبرم أموراً فيها نفع للإسلام، وتقوية للمقام، وهو عاطل الدين من كبار المردة المفسدين قد تكرر منه النكث والخيانة مراراً، وعاودها أسفاراً، هو وأخوه أحمد بن مثنى، فأعان المكارمة وجمع أقواماً من نهم ورتب في بني سليمان فوهت أجناد الحق في الجانب اليماني وصاروا كالمحصورين وكثر عليهم الإرجاف^(٢) فلم يشعر إلا بخروجهم من جهة علو بني السياغ والجدعان واليَعَر وإجفاهم أجفال النعام وتركهم تلك القرى، ونبذاً بالعرى، ولم يكن قد دهمهم عدو، وغلبهم في صباح ولا غدو، ولكنهم ملؤا المصابرة وكرهوا المشاغرة، وخسروا خير الدنيا والآخرة.

وبعد عزم هؤلاء الأقوام جرى على أثرهم قبائل أرحب الذين في عزلة الأحبوب ووصلتهم أزاخيف لم يكن لها في الخارج وجود، وأن قد وصلت الباطنية في كثرة الجنود، وغمروا الآكام والنجود، وهو وهمٌ جرى، وخيال طرى، لم يكن له حقيقة، ولا وافق للمخبر أحداً في طريقه، فخرجوا عن الخيام وتركوا خلفاً وإماماً، ولاذوا بالفرار، وخالفوا فعل الأمراء، وباءوا بالخسار والبوار، والخيرة لله سبحانه فيما اختار،

(١) في الأصل (أمر) والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل (الإجاف) ولعل الصواب ما أثبتناه.

فإنهم لم يتوقفوا في بادي الرأي على اختيار من ولاه الله مصالحهم، ولا رعوا الأمان، ولا وافقوا حقائق الإيمان، فانقلب مدحهم ذمًا، وحسناتهم إثمًا، وجمالتهم جرمًا، وجهادهم حرمًا، وقد أحسن السيد الأديب العلامة اللبيب وجيه الدين عبد الرحمن بن محسن جحاف، فيما قاله في الاستئناف، حيث قد شكر فعلهم في القصيدة العينية السابقة قريباً فقال: [من الطويل]

أرى الدهر قد أسدى جيلاً لمن ضلَّ
ولم يرع للأخيار عهداً ولا فضلاً
ولاسيما آل النبي محمد
فلم يرع للمختار أصلاً ولا فصلاً
يقطب وجهاً للذي يطلب العلا
ومبتسم للجاهلين به جهلاً
ولا غرو إن جار الزمان بفعله
فهاهو بالأسلاف أوسعهم شغلاً
ولا عهد فينا ليلي ولا صفت
لأسلافنا الماضين في زمنٍ قبل
كذلك خير الخلق من صار قدوةً
وحيدة من صار للخلفاء أصلاً
وبكفيك قول المصطفى في حديثه
له خطبٌ في منبر الخطباء أملاً

فقد قال حفت بالمكاره جنة

وبالشهوات النار فاجعل لنا عقلا

ويبلوكم بالشر والخير فتنة

يرد عليك الاعتراض إذا يتلا

على حكمة تجري الأمور لربها

تسابقه فاجعل له العقد والحلا

وهذا زمان أهزل الدهر أهله

فلم تلق إلا الغمر والقدم والردلا

وفيه أناس فعلهم طوع فعله

فيذنون من أدنى ويعلون من أعلا

رجال ضلال لا رجال هداية

إذا نصرخوا الإسلام رامواله خذلا

مدحناهم والمدح من قبل حيرة

به خطر لكن ظن لنا استولا

ظننا بأن القوم من أهل نصرة

فصاروا أشر الناس أقبحهم فعلا

أرى راية الإسلام تشكو فعالهم

إلى عالم الأسرار رب السما الأعلا

ولا غرّوهم أهل الضلالة والخنا
فما منكرٌ إلا وكانوا له أهلاً
فيارب جرّعهم بغب فعالمهم
حميماً وأنزلهم إلى درج سفلاً
وصب عليهم من عذابك عاجلاً
قوارع سخطٍ دائمٍ قط لن تحلاً
والبسهم ثوب الإهانة إنهم
أعانوا كلاب النار صاروا لهم مثلاً
همو أبدلوا الشرع الشريف بضده
ومالوا إلى شرع اللعين الذي ضلوا
بأحكام طاغوت ورأي كهانةٍ
وتحريم حلٍ والمحرم يستحلاً
ومالوا إلى داع الضلال تعمداً
لنيل حطام وهونار لهم تصلاً
فسحقاً لها من فرقة أولعت بما
يباعدها عن ربه نار بناجلاً
بعثت بهذا للإمام مسلياً
ومن لم يردّ الأمر لله لن يسلاً

إمام الهدى المتوكل المحسن الذي
 له نسب يعلو على الشمس بل أعلا
 حليف كتاب الله والسنة الرضى
 وأفضل من أسدى الجميل ومن أولا
 فتى حاز كل المكرمات فلذبه
 لما شئت واسمع مقولي لم أقل هزلا
 فتى باع من مولاه نفساً عزيزة
 يجازى بها أضعاف أضعافها بدلا
 هو المتقى فينا ونحن لأجله
 نوالي الذي والى ونشنى الذي يقلا
 ولم ترض في الأرض الخلافة من له
 طموح إليها غير قائمنا بعلا
 ولولم يكن في الأرض بالحق قائم
 لما عف عن فعل الفواحش من ضلا
 وأحسن ما يزهو النظام بذكره
 مديح رسول الله فهو به أولا
 كذلك وصي الطهر والآل بعده
 فلله ما أشهى والله ما أحلا

نبي الهدى المختار أحمد من غدت
 أحاديثه تروى وآياته تتلى
 أجل الورى قدراً وزهداً وعفةً
 فلم تلق شيئاً للرسول ولا مثلاً
 عليه صلاة الله والآل بعده
 ويا فوز من أهدى السلام ومن صلا
 مع الآل من جاء الكتاب بمدحهم
 فهم قرناء للكتاب الذي يتلا

انتهت.

وقد أردت في هذا الموضوع إيراد شيء مما وصل من التهاني بالنصرة التي شاع ذكرها
 وعلا قدرها، وكان محلها قبل إيراد ما تعقب من فرار قبائل أرحب، وعدم كمال
 المأرب، لكنه حصل السهو في إرخاء عنان القلم، وما بالعهد من قدم، فهو جار في ذكر
 هذه الغزوة على قدم، فمما ورد في هذه الأيام قصيدة للسيد العلامة الهمام عماد الإسلام
 يحيى بن أحمد من ذرية الإمام الهادي إلى الله الحسن بن قاسم بن الإمام
 المؤيد بالله محمد بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد سلام الله عليهم أجمعين،
 وهي قوله: [من الكامل]

السعد وافي ضاحكاً يتהלّل

واليمين أقبل بالبشائر يحجل

بشرى لنا نصر — الإله لعبده
 بعد الإياس كما حكاه المنزل
 وتبين الصبح المبين لناظر
 أين المحجة والمقام الأطول
 ومن الذي قفى طريقة جده
 الطاهر المتدثر المتزمل
 في صبره وجهاده ورباطه
 للكافرين بكل رُسلٍ أُرسلوا
 ولكل باغٍ فاجرٍ متكبرٍ
 فله بهذا مفخر لا يجهل
 فهو المجلي في العلوم ومحرز القـ
 صبات في ميدانها والصيقل
 إن قلت هذا المجد من قد حازه؟
 قلت الإمام الفاضل المتوكل
 الهادي الفاطمي المتقى
 من سر من كان الغمام تظلل
 سمعاً فإني ذاكر أوصافه
 بل بعضها إذ هو أجل وأنبل

من ذا كمثل إماننا في عصرنا
 شهر الحسام بكل هيجاً يقتل
 أهل الضلالة والعماية والشقا
 من كل من جحد الرسول وعطلوا
 الباطنية أصل كل ضلالة
 من ضرهم للدين ضر معضل
 أبدوا المر للناس بعض ديانة
 والكفر باطنهم لمن هو يعقل
 وسلوا دفاتر كل أمة أحمد
 تبنيكم عن كفرهم وتدل
 وكفى كفى إجماعهم في كفرهم
 من كان لا يدري فهذا مجمل
 ومن العجائب تركهم لقتالهم
 مع قولهم بالكفر تالين اقتلوا
 وكفى بهذا مفخراً لإماننا
 إذ صار منفرداً بالم يعملوا
 مما به أمر الإله عباده
 أن يجربوا جند الضلال ويقتلوا

ويقاتلون القوم حتى لا تكن
 في الدين فتنة فاعملوا وتأملوا
 ولم درافضل مذهب قـرمط
 أو مزكـ نجس لرجس يفعل^(١)
 ويموهوا بتستر وتشويه
 وتبطن في كذبهم أن سمعلوا^(٢)
 رجعوا إلى إسماعيل وانتسبوا له
 حاشاه أن يرضى بما قد سولوا
 بل دينهم يعزى إلى جنابة
 أخذوا عن القداح وهو الأردل
 فعل المجوس بأصلهم وبفصلهم
 ولقوم لوط في الفواحش شاكلوا
 قد أكـدوا في شعرهم شنعاتهم
 أن ابن فضل سن ذا لا فضّلوا
 وأحل ترك الواجبات بأسرها
 وأباح ما حضر الإله فبدلوا

(١) هكذا في الأصل.

(٢) سمعلوا نسبة إلى إسماعيل الذي ينتسبون إليه. ويسمون فرقة (الإسماعيلية).

يا ويل كفرٍ ما عليه أدلةٌ
 قد خالف المشرع فيمن يتقل
 وكذلك القдах ميمون أتى
 بصرائح الكفران لا تتأول
 وابنائه الأرجاس في دولاتهم
 صبوا على الإسلام ما لا يجهل
 من قتلهم للمسلمين وسيهم
 وإحراقهم بالنار لما استحفلوا
 هم أحرقوا البيت الحرام وأظهروا
 كفرًا وركن البيت فيهم يحمل
 فاستأصلتهم عصبة الإسلام في
 تلك العصور بكل قطر قتلوا
 سائل نغاش وذا المصانع كم ترى
 فيها دم لهم مضل مهمل
 وبأرض يام ثم غيل جلاجل
 وبحوث كم فيها نار عجلوا
 وبصلة كان الحصاد لزرعهم
 مع غير هامم يجل ويثقل

بسيوف هادي أهل بيت محمد
 وشبا العوالي في الوقائع تجمل
 ولكم وكم فيهم وقائع جمّة
 نالوا بها ضرباً ومنها استأصلوا
 لم يبق منهم في البلاد بقية
 إلا تنائف في الهنود تقيّلوا
 والآن قد نبغت نوابغ كفرهم
 في الحيمتين وفي حراز تمهلوا
 يا أمة ضلت وخاب رشادها
 عن نصر شرع المصطفى تشاقلوا
 قوموا على أديانكم وتجمعوا
 فرض الجهاد على الأنام مكمل
 يا أمة المختار حوطوا دينكم
 وعلى الإله ونصره فتوكلوا
 فلقد دعاكم داعي الحق الرضا
 من آل يس المكرم فاقبلوا
 فاسعوا نصرته ولّبوا صوته
 وتوازروا فيما أراد وعجلوا

هذا ابن من ظهر الهدى بنوره
 فاسعوا إليه وشمروا لا تخذلوا
 فعلى بني الإسلام طاعته ومن
 يعصيه فهو إلى الجحيم منزل
 ماذا تحيون المهيمن في غدٍ
 إن قال هل كنتم بأمرى تعملوا
 قد قلت في الذكر الحكيم بأن من
 يعصي ثوى في النار بس المدخل
 ولمن يطيع مساكن في جنّة
 ورضاي أكبر في النعيم وأفضل
 ومن اعتدى عن نهج نسل المصطفى
 في النار يصلى الحر وهو مضلل
 والله في القرآن قال مصرحاً
 طيعوا أولى الأمر التقاة ورجلوا
 يا عصابة لله نادوا وانصحو
 لا تتركوا ما عنه حقاً تسألوا
 لا تكتموا علم الهداية إنه
 من يكتم العلم الشريف مبدل

في لعنة الجبار يلجم في غدٍ
 بلجام نارٍ في السوالف يشعل
 قولوا لأمة أحمدٍ ما كرر الـ
 قرآن أو أومى إليه المرسل
 في السنة البيضاء من قتل الذي
 يزري على الدين الخيف ويطل
 في كل سابلةٍ وأية مرصد
 لهم خذوهم واحصروا وتوكلوا
 بالنفس والأموال قولوا جاهدوا
 لا تعجزوا لا توهنوا لا تكسلوا
 وتعلموا فعل الصحابة إنهم
 قد أنفقوا في النائبات وأجزلوا
 كم منهم من لم يدع لعياله
 إلا اليسير ومنهم من يكمل
 ما دلكم في محكم القرآن من
 فعل الجميل فمثلهم فلتفعلوا
 من مال عنه فهو أخسر صفقة
 ومن استضاء بنوره يتجمل

كم فيه من أي الجهاد وفضله
 فهو السنام لدينه والأفضل
 وتضاعف النفقات فيه لمنفق
 في الله والخسران فيمن ييخل
 وهي الذخيرة إن أردت ذخيرة
 يوم المعاد إذا استبان المدخل
 فمن استطاع كليهما فبحظه الأ
 وفي يظفر في الجنان ويدخل
 ياعرة المختار من نسل الوصي الـ
 كرار عن قتل العدو لا تنكلوا
 أنتم رؤوس الناس لا يسبقكم
 في غاية العلياء من هو أسفل
 يا حاشد العلياء طال منامكم
 بل يا بكيل لهم مقام أطول
 أسلافكم كانوا أساطين الوغى
 في نصررة الآل الكرام تهللوا
 كانوا الدعي الحق أشياعاً إذا
 حمي الوطيس فليس عنه ينكلوا

مدح الوصي رجال همدان على
 فعل الجميل ففي رضاه أجملوا
 وتوارثوا في نصرته الأطهار من
 آل النبي فليس عنهم معدل
 يا كافة الأنصار عند إمامنا
 أحرزتموا سبق الأصيل فأقبلوا
 ورجال يام كان فضل قديمهم
 يتلا مع همدان فيما يتقل
 حتى استغرم الأجنب فارتقوا
 في الكفر والإبطان وهو مضلل
 إن يرجعوا فالدين دين محمد
 فبطاعة المولى الإمام يفضل
 ويكون لهم مجداً لديه ومفخرأ
 والمحسن المفضل نعم المولى
 وإن اعتصمتم بالضلال فإنكم
 في النار والعار الذي لا يفصل
 والله مخزيكم وعون إمامنا
 سيركم أنصار حق يرموا

هذا الذي أبديته نصحي لمن
 يهدي إلى نهج الهدى ويؤمل
 من أسرتي الغر الأكارم والألى
 من شيعه الآل الكرام تعجلوا
 من يعتذر بالزور فالباري على
 الأسرار مطلع لها لا يغفل
 عدوا جواباً للسؤال مصرح
 فالصدق ينجي في المعاد ويقبل
 يا ذا الجلال احفظ علينا ديننا
 باللطف والتوفيق فهو المعقل
 وأقم على التقوى دعائم عزمنا
 أنت العليم ومن سواك يؤمل
 ندعوك بالآيات حفظ إيماننا
 وأطل له في العمر فهو المؤئل
 بلغه ما يرجوه من نصر الهدى
 واجعل لواءه مظفراً لا يتقل
 اسمع أمير المؤمنين مقالتي
 عن قصر باع في القريض مقل

واستر علي وأرغني عين الرضا
 وتلق بالإقبال منك وأجزل
 أنت الحري بكل مدح في هنا
 وبما يجبره البليغ المقول
 الله قد أولاك أمر عباده
 لما ارتضاك ولاية لا تعزل
 وإذا غمدك الإله بنصره
 وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل
 فالله يحفظ سيدي وينيله
 أقصى الأمانى في العلا ويجل
 من فضله وبحق سيد رساله
 صلى عليه ذو الجلال المفضل
 وعلى كرام آل ماريح الصبا
 هبت بنصر للإمام معجل
 انتهت.

ومن التهاني بهذه الوقائع ما قاله السيد العلامة الأديب إسماعيل بن المرتضى- بن
 إسماعيل بن الحسن بن علي الهادي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي
 المحطوري وهي قوله: [من الطويل]

أتى لك ما ترجو من الفتح والنصر-
 ويلغك المأمول في البر والبحر

وساقت لك الأقدار ما أنت آملٌ
 بأمر عزيز أمره أعظم الأمر
 ولا زال سيف النصر في موكب اللقاء
 يميناً وقلباً هاتكاً كل ذي كفر
 ولا زال إقبال السعادة ناشراً
 يبارقه في صفحة الجند بالبشر—
 ونخترم أعمار كل سميذع
 وكل كمي من نفوس ذو الفجر
 صناديد فعالون في حومة اللقاء
 مطاعين ضرابون قهراً الذي القهر
 وقاية حفظ من حفيظ وقتهم
 أشد وقاء من دروع ومن صخر
 وعين أمير المؤمنين عليهم
 تطوف فتغنيهم عن البيض والسمر
 هو ابن رسول الله وابن وصيه
 وفاطمة الزهراء والأنجم الزهر
 تسلل من أصل النبوة فرعه
 وكل إمام من بني الحسن الغر
 وهذا إمام العصر لب لبابهم
 وأفضلهم في العلم والحلم والذكر

وذاك أبو البدر المنير محمد
 وذاك أبو شمس الهدى أحمد البر
 لقد قام في هذا المقام كجده
 محمد خير الرسل من جل في القدر
 فهذا أمير المؤمنين ومن له
 مناقب لا تحصى — بعد ولا حصر —
 نهني أمير المؤمنين بفتكة
 يحق بأن يدعى إلى الفتكة البكر
 يحق بأن تعزى إلى فتح مكة
 ويوم حنين والسعادة في بدر
 بلى بل أهني النفس بالنصر — والعلا
 ويشرى جميع المسلمين مدى الدهر
 نعم وأهني الدين بالعز والنما
 إذا دام مولى الخلق في النهي والأمر
 حسام مليك للأعادي مجرداً
 لكل كفورٍ ناكثٍ من بني العصر —
 إمام المعالي أنت سيف على العدى
 ورمحاً قوياً قد علا في ذوي الكفر
 قهرت وأخليت الأعادي وهكذا
 تبيدهم في كل قصر — وفي مصر —

بنصرٍ — وتأييدٍ وقوةٍ عزيمةٍ
 تذل بها ما شئت في السهل والوعر
 وبأسٍ عظيمٍ يعدم الجبن عنده
 بكل جنانٍ فاصبروا شيعة الطهر
 لذلکم اشتدت عصاة فتية
 تراهم ليوثاً عند مضطرم الشر —
 أسوداً لدى الهيجا إذا اشتجر القنا
 إذا ما التقى الجمعان مهمة قصر —
 مصاليت غلابون في حومة الوغى
 بطعن يشيب الطفل منه من الذعر
 بشارات جاءت بها اليمن قادم
 وعنوانها مكتوب بالفتح والنصر —
 على أيام ما يام اللئام بنافع
 لهم من سيوف الله في الهام والظهر
 وسيف أمير المؤمنين مجرد
 يحزبه الأعناق منهم مع الصدر
 ويفري كلٍّ منهم وكم من سميدع
 مريع بطعن في الثغور وفي النحر
 أولئك حزب الله والنصر — قسمهم
 ومن نصر — الرحمن بَشْر — بالنصر —

ألا إن حزب الله جنـد إمامنا
وحزب الشياطين الطغام أولي الكفر
زعانف جنـد الباطنية إنهم
نفوا شرعة المختار بالكوكب الدر
فكم وقعات في الحروب عديـدة
على يام أحزاب الضلالة والفجر
وكم من قتل في الجحيم مغلـد
وكم من جريح فيهم دمه يجري
وكم سلبوا غالي السلاح الذي غدا
يباع برخصٍ عند من رام أن يشري
ثلاث مئـين قد أبادهم الردى
تفانوا على دين الضلالة والشر—
فيهـنى أمير المؤمنين وحزبه
نعيم وفخر بعد مدخر الأجر
ويهـنى أمير المؤمنين وحزبه
بجنات عدنٍ في قصور من التبر
ويهـنى أمير المؤمنين وحزبه
برضوان من رب لطائفه تسري
خلقت لهذا يابن طه وهـكذا
جدودك قد شبوا على النهي والأمر

فلا زلت منصوراً ولا زلت ظافراً

ولا زلت محروس المقام مدى الدهر

وصل على طه الشفيع محمد

وعترته منهم له هالة بدر

انتهت.

خروج مولانا صفى الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين لاستنهاض قبائل

حاشد وخروجهم إلى الحيمة

وقد كان في غضون بقاء القبائل في جهة الحيمة أراد مولانا % تقوية أعضادهم، وتثبيت إمدادهم، فبعث ولده الأكبر، وشبله الأطهر، ونجله الأبر، صفى المعالي أحمد بن المتوكل أسعد الله بخته وأعلا تحته، إلى جهة قبائل حاشد يحثهم على الجهاد، وإقبالهم إلى صلاح هذه البلاد، لما وصلت كتبهم قاضية بالرغوب إلى المشاركة في هذه المواطن، والمساعدة إلى جر الخميس الذاعن، فعزم مصحوب السلامة، ملحوضاً بالكرامة، بصحبة الحاج الفاضل المجاهد الصبور الزاهد العدل المرضي زيد بن صالح الرضي وجماعة من الأعيان الذين هم على الحق أعوان، مثل الفقيه المجاهد نصير الأئمة محسن بن حسين شمار السوداني، والسيد الفاضل محمد بن تقي الدين من سادات حدة، والفقيه الفاضل الأجل أحمد بن عبد الرحمن الخودي.

فوصل فرع الإمام الزاكي إلى تلك البلاد، فقابلوه بالإسعاد، وسارعوا إلى إسعافه بالمرام، وفعلوا فعل الكرام، وأبدوا القواعد وأعلنوا في المشاهد، فلما بلغهم رجوع

الأجناد فت منهم ذلك في الأعضاء، ووهت عزائمهم الشداد، وقد كان أولهم في (مطرح خر) ولعل بعض كبارهم مال إلى الطمع ورجع إلى شفاعة الأكياس التي مالت بعقول الأكياس، واستهوت جزيل الناس، فوقع التخذيل وأشعروا بالتأخير، حتى رجع من كان قد احتمل وعاد من وصل، وظهر سر أهل الغدر المكتوم، لمن بقي منهم في ذلك المخيم الموسوم، ووجدوا كتباً عرفوا بها سوء سريرة المخذلين وأنهم على ذلك مستجعين^(١)، فثارت همهم من بقي على تجديد العزم واستئناف سرع الوفاء، وقرئت عليهم رسالة الإمام وأملت في ذلك المقام، وقد أردنا نقلها هنا تكميلاً للفائدة^(٢).

وبعد ذلك اشتدت عزائم الحاضرين وحرصهم بنوا عمران وعملوا ما يعتادونه عند التنكيف، وأثارت حفاظ القبائل، وهي عندهم من أبلغ الوسائل، فالتف منهم جند كبير وعزموا صحبة السلامة المطهرة صفي الدين حتى وصلوا مدينة شبام، ومرجع ولايتها إلى أمير كوكبان من آل شمس الدين بن الإمام شرف الدين، وكان ذلك الأمير مستقوي في شبام، في هذه الأيام، فحين سمع بوصول ابن الإمام لم يتوقف للسلام، ولا يرعى واجب الزمام، كونه من المنحرفين عن الحق متعلق بالتصوف ومذاهب الحشوية، فعزم على طلوع كوكبان قبل وصول الأجناد وحمل أقمشته وأمتعه^(٣) على حمار فاره، وسبق به الخدم فوصل إلى محل في العقبة يمرونه على محموله في شاهق رفيع فشمس ذلك الأتان وتردى من ذلك الشاهق العالي، حتى تقطع وذهب ما عليه من الأمتعة الغوالي، وكانت هذه كرامة لنسل الإمام المولى صفي الإسلام، فإن فرار هذا الأمير شحاً منه باليسير من ضيافة من وجب حقه عليه بوصوله إلى ساحته

(١) المراد أنهم أخذوا جعالة من المال مقابل تلك الخيانة.

(٢) ستأتي في مجموع الإمام % القسم الثاني انظرها هناك.

(٣) كذا في الأصل ولعلها وأمتعته.

وإناخته ببلدته، فذهب من حوائجه ما هو أجل عنده وأخطر من تكلف الضيافة التي كان يشكر لو تكلفها ويمدح لو أسلفها، ولعله قد ثاب إليه بعض المعقول ورآها هفوة عند الأصول، ونسأل الله التوفيق لنا وللمؤمنين.

وقد قال بعض السادات الساكنين في شبام مادحاً لفرع الإمام ومؤديها ومحب الإكرام هذه الأبيات. [من الكامل]

لله در نتيجة المولى الذي

قد قام يدعوها جراً وأوطانه

ابن الإمام المحسن البر الذي

فاق الأوائل ثم أهل أوانه

أعني به ولد الخليفة أحمد

من عمره سبع أوان ثمانه

شمس العلا والدين دام معلماً^(١)

دام الفخار له على إخوانه

أكرم به من جاهد ومجاهدٍ

ألف الجهاد من ابتداء زمانه

قاد الجيوش وإنه في نفسه

جيش لقد أرباعاً على أفرانه

(١) في الأصل: علماً، ولعل الصواب ما أثبتناه.

لا تعجبوا من جهله فلعلمه
 ألف الجهاد لفضله ولشانه
 أحسن به من عاقل في قومه
 ومجاهدٍ بلسانه وسنانه
 ركب الصوافن حاملاً للسيف في
 صدرٍ كريم غاص في أردانه
 ومصر فاجواده متعلماً
 لوقاده في أخذه بعنانه
 ومفرقاً للقوم ثم مكلماً
 لهم بفصلٍ ساحرٍ آتيانه
 فإله يحفظه ويحفظ والداً
 ولد الصفي وكان من أعوانه
 ثم الصلاة على النبي وآله
 طه الذي اختير من عدنانه

انتهت.

وجزاه الله خيراً فقد أحسن القول فيمن يستحقه، ورعى حق الإمام وحق ولده الهام.

[قدوم سيف الإسلام أحمد بن الإمام عليه السلام بالجيش]

وتقدم المولى صفى الإسلام بأولئك الأقوام إلى قرية مسيب وقد كان تلقاهم أهلها بالقبول وراموا ضيافة ابن الإمام وتلقيه بالإكرام، وكان عندهم جماعة من همدان، قد أعدوهم بطوارق الحدثان، فوصل القوم وخرج إليهم شيخ المحلة لتفريقهم فبدرت إليه بادرة من رجل من حاشد يقال له سعيد حرمل أنكرتها الرعية وساءت من حضر- من غيرهم كونه أراد الإقدام إلى الشيخ ففر منه وهو يتبعه وكادت الفتنة تثور بين همدان وحاشد لولا تداركها الحاضرون مع ابن الإمام فوقى الله شرها ولكنها أثرت في انكسار نفوس أهل المخلاف وقد كانوا ناصحين في القيام بأود الأجناد، وبعد ذلك وقع قدوم الأجناد من حاشد ومن خالطهم على قرية بيت معدن من مخلاف الأحبوب وقد قواها الباطنية بالرتب والآلات لأنها رأس البلاد ومفتاحها، وصلاح البلاد بصلاحها، وأهلها أكثر رغبة في معاونة الباطنية بالجد والجهد حتى أنهم أضر من الباطنية في العداوة للحق والاجتهاد في الحرب.

[معركة مع الباطنية وقتل رئيسهم]

فوقع القدوم في أوائل شهر جمادى الأخرى سنة ست وثمانين واثنى عشر- مائة فافتحم المجاهدون المحل وغارت غوائر الباطنية الأرجاس قبل أن يقع الاستيلاء على جميع المحل فجاد المجاهدون وحملوا على تلك الغارات فقتل رئيس من رؤساء الباطنية يقال له علي بن عباس وأخذ رأسه المجاهدون وسلاحه، وقتل من أعداء الله شيخ عزلة الأحبوب قاسم الريمي وكان شديد العداوة مجد في حرب الإمام وملق إليهم الزمام،

وقتل منهم قتلاء آخرون اختلف في مقدارهم، واستشهد من أجناد الحق قدر سبعة أنفار منهم النقيب ناصر بن صالح الهجام، وكان من المهاجرين الملازمين للجهاد الخالص الناصحين، وكان في قرية يازل في المراتب الباقية هنالك حتى وصل أولئك الأقوام فحضر هذه الواقعة وفاز بالشهادة، وقد كان لاح لحاشد برق الظفر، واتضح لهم فجر النصر وأسفر، لكنه خالطهم الوهن، وخامرهم سوء الظن، وقلت عليهم المادة، فلم يثبتوا على الإرادة وانسلوا في آخر ذلك اليوم من تلك البيوت ورجعوا على أعقابهم، وعمي صوابهم، وصاحبوا البكور إلى الوكور، وفروا فرار الأبق المريب إلى حيث يعوي الذيب، وقد كان جادت صولتهم، ونفعت جولتهم، وفر الأعداء، وخلوا مراكزهم سدى، والحكم لله رب العالمين وبيده الحول والقوة، وله الملك في السطوة.

وفاة القاضي علي الغفاري

وفي أوائل شهر جمادى الأخرى وصل خبر وفاة القاضي العلامة المجاهد المصابر نصير الحق وظهيره، المبارك في إقامته ومسيره، علي بن محمد الغفاري حاكم كحلان والظفير، والمسدد لأموها في نقيرها والقطمير، وكان عوناً للإمام منخرطاً في كل مرام، ركناً للإسلام، عضداً في إمضاء الشرائع والأحكام، يقوم بكبار الأمور، مع صلاح نية، وحسن طوية، وحسن سيرة، وصلاح سريرة، فإنه صلح بحسن مساعيه كثير مما كان مائل عن الحق، ومعتد للشق وانخرطوا في الطاعة، وسلخوا مسلك الجماعة، فكان موته ثلثة في الإسلام ومصيبة عمت المأموم والإمام.

وقد رثاه السيد العلامة الأديب عبد الرحمن محسن جحاف فقال [من الطويل]:

على مثله ادعوى فصبرت عسر —

فدع عبرات العين في الخد تعبر

أبعد مصاب القاضي العدل تدعي
تكلف صبرٍ والتكلف منكر
فيالك من رزءٍ وعظم مصيبة
بها اختل ذو عقل وطاش وأذعر
وخطب أراع الروع جيش نزاله
يصول بلا كفٍ له وهو أخطر
يكاد لهذا الخطب تنصدع النوى
كذاك قلوب المخلصين تقطر
بموت حليف الدين والفضل والتقوى
عليّ رفيع القدر والأمر أظهر
فتى حاز كل المكرمات فلذبه
لما تشتهي والشيء بالشيء يذكر
فلم تلقه إلا هماماً مجاهداً
صبوراً على حمل الثقل غضنفر
فتى عاش في نفع الإمام مسارعاً
إلى ما يشافيهما يقول ويأمر
فتى دأبه الإحسان والعرف دائماً
له خلق مرضية ليس تنكر

أناعي حليف الجود والكرم الذي
 ينافس فيه من يجيء ويصدر
 أناعي الفتى المعروف في كل حالة
 له النفع في السعي الحميد الموفر
 يفيك الثرى يا ناعي الجود والتقوى
 جميعاً وماء العود من حيث يعصر—
 لقد كان ندباً كامل الرأي كاملاً
 فيحمد في كل الأمور ويشكر
 أقادح زند المجد حسبك إنه
 خبا زنده فافطن بما ذا أعبر
 أناعي صواب الرأي قد عاب من له
 تعن خفيات الصواب وتخصر—
 فيالك من جود هني تعطلت
 سحائبه الالاتي تجود وتغزر
 فيالك من ندب فقدناه بعدما
 عهدناه للسعي الحميد مشمر
 ومن لم يكن في الحلم والرأي مثله
 تأخر بعد النائين يقهقر

فسل عنه كل الخابرين بشأنه
 وسلني فإني عن معاليه أخبر
 فتى كادت الأصحاب من عظم رزأه
 وشدته أكبادهم تنفطر
 على مثله فليكه كل نادب
 وإلا فتبكيه الوفود وتكثُر
 على مثله فليكه كل ناظم
 وإلا أنابكيه ماقط أفتر
 على مثله فليكه كل عالم
 وإلا فيبكيه كتاب ومنبر
 وفي مثله فليوسع المدح ناظم
 كما أن عرف الطيب في الثوب ينشر
 فواعجباً أني تضعضع للردى
 خيرٌ وقدماً كان لا يتكسر
 وواعجباً مالي أرى الشمس ألحدت
 أما الفلك الدوار للشمس يسحر
 وبذا الكمال اسمع لمن حاله الأسى
 فأضحى له في القلب نارٌ تسعر

عزيزٌ علينا أن نراك بحفرة
 من الأرض يعلوها تراب وأحجر
 عزيزٌ علينا أن نراك موسداً
 تراباً فبشرناه جنان وكوثر
 فوا أسفاً إن غاب في الناس من به
 صفات كمالٍ ليس بالعد تحصر—
 ولو أنه يفدي الحبيب حبيبه
 بشيء يرد الأمر وهو مقدر
 لكان الذي تحوي يميني بأسره
 جميعاً على مثواه شيء محقر
 وصبراً ذويه ليس في صبر وصمة
 عليكم ولا الشكوى إلى الناس يشكر
 فلم يبق إلا الصبر لله والرضى
 بما قد قضاه الله والله يجبر
 وربك فاسأل أن يجود برحمته
 عليه وفضل الله لا شك أيسر—
 ويسكنه بحبوحه الخلد إنه
 هو الواهب الفضل الذي ليس ينزر

وذاك جزاء الصابرين بوعده
 ونعم الوفي الصادق المتكبر
 جزيل العطا جم المواهب من له
 علينا وجوب الحمد حقاً يكرر
 ويشامتاً بالموت جهلاً فإنها
 سفار المنايا للمناحر تنحر
 إذا أمهلت يوماً فمأهملت وقد
 تزور مساءً دار قوم وتبكر
 أتشمت إن أيدي المنون تحرمت
 كراماً لعينيك العمى حين تنظر
 طويت على شر فأبديت شراً
 وكل إناء بالذي فيه يقطر
 إذا مات رب المجد مات ذكره
 ترى الذكر بالفعل الجميل يخبر
 ومن قبل هذا الرزء ذاقته حملها
 عصاة مجدي في المشاهد تشهر
 لكل امرئ منهم محاسن ذكرها
 يشرف أرجاء الصدور فتور

وما قل من كانت بقاياهم مثلهم
شباب وأشباب بها المجدي عمر
وذاك صنيع الله فيهم وإنه
يخص بخير من يشاء ويهر
أوراد حوض الموت والمنهل الذي
أرى بعده كل الخلائق تشر—
عليكم سلام الله ما ذر شارق
وما دام رعد للسحاب يزجر
بعثت بهذا الإمام معزياً
له في الذي ولي ولم يتغير
كذا عادة الأخيار طبعاً وشيئة
وفيون حتى الموت يانعم متجر
ويابن المطهر لا عدمتك قائماً
تقوم على الإسلام والله ينصر—
إليك نظامي أولاً ثم آخراً
إذا خلت فيه العيب فالله يستر
وليس بنكرٍ تلك ممن نأت به
ذنوب النوى عنكم فيا ليت تغفر

وإني على الإحسان مثنٍ وشاكِرٍ
 وربّي على ما قلته ينتظر
 إذا صح لي من قلبك الود دائماً
 ظفرت فلا آسى على من تكبر
 فمالي إلى ماءٍ سوى النيل مأرب
 ولو عذبت غدرانه وهو كوثر
 وأحسن ما يزهو النظام بذكره
 مديح رسول الله وهو ميسر —
 فأياته قد أبهرت كل آية
 وخص بها وهو الأحق وأجدر
 هو المستقى من هاشم خير من دعا
 إلى الله والطاغوت للخلق يغمر
 فقام بحق الله غير مقصر —
 فقام به الدين الحنيف المظهر
 وأضحى عزيزاً في انتظام ورفعة
 فها هو من فوق السماكين يزهر
 وصار له قدراً سمياً ومرتقى
 علياً وحظاً في المنابر يذكر

وخيرته من أهله لأخائه

علي أمير المؤمنين المشمر

كذا عرسه وابنيهما سيد الوري

عليهم سلام طيب ومكرر^(١)

واسأل مولى النصر فتحاً معجلاً

فيمنح مولانا به ويسر

ولا زال منصور اللواء موفقاً

إلى الخير في برد العال يتخطر

عزيزاً ومنصوراً على كل ملحد

فيظفر بالأعداء اللئام ويقهر

وصلى على خير الأنعام محمد

وعترته الأطهار ما السحب تمطر

كذلك سلام الله طولاً مؤبداً

دواماً على الأيام ما الصبح يسفر

انتهت، وجزاه الله خيراً فإنه عرض عن الزعانف اللئام، واشتغل بمدح أئمة الحق الكرام، وشيعتهم الأعلام.

(١) في نسخة عليهم سلام الله طيب مكرر.

خروج يام الطغام واستشهاد الحاجان الفاضلان رحمهم الله

وبعد رجوع حاشد سكنت الحروب في هذه المدة وقد كان مولانا ٥٠% بعث الكتب التي فعلت فعل الكتائب، وكانت على الأعداء سهم صائب، إلى كل جيل من رجال حاشد وبكيل في قطع مادة يام الطغام، والقيود لهم بالمرصاد، وأخذ الشارد والوارد، ونفذت الرسائل إلى البلاد الصعدية والجهات القصية، فأجاب كل من وصل إليه كتاب أو قاصد بأنه على هذا المرام مساعد، ووضعوا على ذلك القواعد والمشاهد، فبلغ خروج طائفة منهم إلى أولئك الأقوام فحشد جموع (دهم) الولد العلامة البقية في الأعلام، هو الغرة الشادخة في العترة الكرام، خريت العلوم، وفارس منظومها والمفهوم، صفى الإسلام أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الكبسي الحمزي الساكن في هذه المدة بجبل (برط)، وحشد قبائل (سحار) ومن إليهم القاضي العلامة المخلص الزاهد أحمد بن علي مشحم الصعدي، والقاضي العلامة محمد بن صلاح بن علي مشحم، والحاج العلامة المجاهد عمير بن عيضة عريج، والحاج الفاضل مصلح بن علي العلابي من جبل (عوير)، واجتمعت القبائل إلى محل يقال له (السري) يقرب من نجران، وحين بلغهم اجتماع القبائل عليهم رجعوا إلى البراطيل وتمسكوا بالأباطيل، وأرسلوا شفاعة الأكياس، إلى كل وسواس خناس، فأثرت تلك الشفاعات عند أهل الأطماع، فأظهر الذين في قلوبهم مرض، والمكدوس إليهم ذلك العرض، أن قد رجع طائفة يام إلى بلادهم، وانقطع فسادهم، وخذعوا تلك الجموع، وفرقوهم إلى الربوع، وبعد ذلك انسلوا في الليل بمن صاحبهم من أهل قبض النبل فبلغ خبرهم إلى الحاج العلامة عمير بن عيضة بعد رجوعه إلى مدينة صعدة فاستفز من بقي من قبائله أهل محل (الطلح) و(العلابي) وطائفة قليلة قدر مائتين ولحقوهم إلى (العمشية) ولزموا

عليهم الطريق، فوصلت طائفة يام، ومن انخرط في سلكهم من المسيرين، فوقع هنالك حرب فانخدع من لحقهم من سحار لما رأوا أنهم لا يكملون باللقاء وضعفت نفوسهم ولاذوا بالفرار، وبقي الحاجان الفاضلان في طائفة يسيرة قدر ثلاثين نفرأً أرعنوا في الشهادة وطلب الحسنى وزيادة، فجذبوا في الصدام حتى أكرم الله الحاج عمير والحاج مصلح بالشهادة التي أملوا، والكرامة التي إليها أرقلوا، ففازوا بها بأيدي الكفرة الملحدين في قدر سبعة أنفار ممن ثبت معهم في ذلك المقام، ورغب في مثوى دار السلام وطلب الزلفى وحسن الختام.

وقد قتل من الملاحدة الكفرة الجاحدة كبيرهم صالح بن قبول ونفر معه لم يتحقق قدرهم مضوا إلى أم الهامية وما أدراك ما هية نائر حامية، ومضى أولئك الفجار في الفيا في والقفار، يبذلون الرشا لمن عانهم في الطرقات، ويتوقعون الصيحة والبتات، وأخذوا على طريق تهامة ووصلوا على غير كرامة وسلامة، فللّ الله حدهم وكسر شوكتهم وقطع دابرهم وهزم جمعهم وأخلى ربهم.

ومولانا أمير المؤمنين حال تحرير هذا في بيت ردم ورتبه في بني سوار استأنف العمل ويرمي بسهام الدعاء ويحسن الأمل، ويبعث الرسائل، ويبث الوسائل، منها هذه الرسالة نقلت إلى البلدان وتعاورها^(١) الإخوان، أحبيت نقلها هنا حفظاً للفائدة^(٢).

وقد كان السيد الرئيس الصارم المهام الشامي نجيب بني هاشم صفى الدين أحمد بن قاسم من سادات آل القاسم الساكنين بجهة شهارة حشد الجموع، وصال في تلك الربوع، وقام وقعد، وحشد وجند، ونفر إلى مضان مرور هذه الطائفة وقد سبقوا

(١) كذا في الأصل، ولعلها تداوها.

(٢) ستأتي في مجموع الإمام % القسم الثاني انظرها هناك.

النفير، وجذبهم الحقيق، وأخذ بهم طريق فج حرض، ملاحظة لفوت الغرض، فلم يدركهم ولا وقف لهم على خبر، وصار وأبعد العين في حيز الأثر، فرجع وهو محمود الورد والصدر، قد عمل برأي الإمام، ولم يقصر في طاعة المقام، ومن بذل المستطاع فقد أعذر، ومن أبلغ الجهد فما قصر، ولا يرجع باللام على نفسه إلا من توانى عن الفرصة، وتجرع بتسهيله الغصة.

ومن الواردات في هذه الأيام وصول كتاب من السيد العلامة الفذ الفهامة جمال الإسلام علي بن العباس من آل المؤيد الساكنين بجهة وادعة وهذا السيد من علماء آل القاسم وأهل المروة فيهم والخصال الحميدة، والأحوال السديدة، وقد ولي القضاء الأكبر في مدينة صنعاء للمتوكل محمد بن يحيى في أول وصوله إليها وهو سديد الأحوال والمذهب، ثاقب الرأي الأصوب، وهذا الكتاب يتضمن الاستفسار عن أمور وصلت إليه مع زوامل الأسفار، الذين يميلون إلى القدح في أئمة العترة الأطهار، فأراد المذكور بالسؤال ليطمئن البال، ويزول المقال، فوقع الجواب^(١) عليه من الحضرة العلية وما تظمنه كتابه يظهر في غضون الجواب ويلوح من فحوى الخطاب .

ومن لواحق السيرة الندية وحداثتها الوردية، وأمالها المضية ما ورد إلى جامعها الحقيق من علم الأعلام الكبير، وروض الفضل النضير، والبقية في الأعلام في هذا العصر- الأخير، علامة العلماء، واللج الذي لا ينتهي، ولكل بحر ساحل، المزري بسحبان وإيل، والآتي وهو الأخير زمانه بما لم تستطعه الأوائل، سيف الإسلام وعموده الذي عليه تدور رحى المقام، بدر الدين محمد بن قاسم بن محمد الحوثي الحسيني، وقد سبقت ترجمته في الجزء الأول، وهو حقيق بأن يكرر نشر- عاطر صفاته في المختصر- والمطول، أبقى الله غرته، وحرس مهجته، فهو حسنة هذا المقام، وبقية الأعلام.

(١) ستأتي في مجموع الإمام % القسم الثالث انظرها هناك.

قال أبقاه الله مبتدعاً لهذه السيرة المباركة ونقلها ما لفظه: [من السريع]

مولاي يا إنسان عين الورى
 وواحد العترة في العصر —
 وبحر علم ورشاد لمن
 غاص ابتغاء الدر في البحر
 ويدرت م صانه الله عن
 نقص بدا بالشمس والبدر
 وفخر أهل البيت من خصمهم
 مولاك بالعز وبالفخر
 جدلي بما أرجوه ياسيدي
 بسيرة شاحة الصدر
 فقد تناها دونها مطلبى
 وحيلتي في ذلك الأمر
 وأنت مولاهما أبو عندها
 فلا تلمني في الهوى العذر
 وصانع التبر عقوداً لها
 فكم عبرات بها تجري
 لأنهم قد شملت في الورى
 عجائباً^(١) إن صرت أسـتـتـر

(١) كذا في الأصل، والصواب: عجائب، لأنها ممنوعة من الصرف.

فكم فتوحات وكم رحلة
 وكم كرامات لمن يدري
 وكم وقعات تذل العدى
 وكم حروب زندها يوري
 جحافل سيقّت إلى سوحهم
 بالمشر فيات وبالسمر
 وكم لنقع الخيل من موطن
 بمرهفات حدها يفري
 أعزت الدين وقدمت^(١) الـ
 أشرار أهل البغي والنكر
 وأسفرت عن سيرة غرة
 أنبأ عنها باطن السفر
 لكن معناه لديننا كما
 الكلي لا ينفك في الفكر
 أو كضمير الأمر من مفرد
 مقدر أو ليلة القدر
 أو رفع قاضٍ وحوذٍ فهل
 تنعم بعد الحذف بالجر

(١) في الأصل: صامت، ولعل الصواب ما أثبتناه.

عمري لكل الصيد في جانبٍ
 يصعد عن زيد وعن عمرو
 ومعظم المقصود من حاجتي
 بتركبي فيها بما يجري
 من ذكر مولانا إمام التقى
 والعلم والسؤدد والصبر
 مجددين بعيد المدى
 بعزيمة أمضى من الدهر
 ومن غدا في عصرنا حجة
 قاصمة للبغي والكفر
 لا زال في عز وفي رفعة
 وفي سرور ثم في نصر
 ودمت مقروراً به دائماً
 مصاحباً في السر والجهر
 ويلطف الله بنا عاجلاً
 وآجلاً في الحشر والنصر

ولما وصلني هذا العقد الفريد، والنظم الذي يضاحك الزهر في الروض المشيد،
 وقع الجواب قاصر الخطى مع سرعة الرسول إلى الإياب، ولا جرم أن البادي أمير،

والمجيب في يده أسير، فقلت مجيباً: [من السريع]

أقسم بالليل —————
 إذا يسر —————

حقاً وبالشفـفـع وبـالـوـتر

وبـالنـجـوم الزاهـرات التـي

تضيء للـسـاري إذا يسر —————

والشـمس إذ تضحى وأنوارها

تسطع من مشـر الفجر

أنـك يا بـدر هـدى في العـلا

وفي الـذكـانـادة الـدهـر

وأنـك العـلامـة الفـرد في

فـنـون أهـل العـلم تـسـتقر

والشـمس في أفـق المعـالي إذا

مـا أسـفـرت غـطـت سـنا البـدر

فـالـسـعـد يعـنـو لـك في فـهـمها

وجـمـعها مـن حـيـث لا يـلـري

جـاد بـك الـدهـر عـلى بـخله

فـصـر تـفـيـه غـرة العـصر —————

وزـيـنت أو صـافـك العـصر —————

شـانـي لأو صـافـك في خـسر —————

فالفقه أنت البحر في جّته
 تغوص فيه مبتغي الدر
 وفي الأصول العضد الغاية الـ
 قصوى في النهي وفي الأمر
 والنحو أنت النجم في أفقه
 تجل عن زيدٍ وعن عمرو
 فافخر على الأعلام يا بدرها
 وارجع إلى مولاك بالشكر
 قد جاءني منك النظام الذي
 حير في إحسانه فكـري
 ما الروض ما الأزهار في روضه
 ما الدوح في أغصانه الخضر—
 ما المسك ما العقد الفريد الذي
 يحلو على اللبات والصدـر
 ما البدر ما الأعطار ما الورد ما
 نفحة عرف العنبر الشحر
 طاب بها وقتي وطالت بها
 مراتبي واسـتعبدت سري

فرشتها خدي وأسكتها
 لبي وما أغليت في المهر
 وصتها في ناظري عن رقـالـ
 حاسد في السر— وفي الجهـر
 وقلت أهلاً بالحبيب الذي
 جاء على الفاقة والضر—
 ومرحباً بالمورد المستقى
 عذب اللسان باسمه الثغر
 نلت بهما رمت في منيتي
 وما أرجيه من العمر
 تشرفت فارتفعت رتبةً
 بمدح ذي الإحسان والبر
 خليفة الله الذي مدحه
 غاية فوزي وانتفا وزري
 الباذل النفس وما أحرزت
 في نصر—ة الخلاق ذي القهر
 والصابر الشاكر إن أظلمت
 خطوب هذا الدهر بالشر—

جلى لهامن رأيه صارماً
 أمضى — من الأسهم والسمر
 وحجة الله على خلقه
 في يوم يحزي الخلق في الحشر —
 فذكر أوصاف على مجده
 يعجز عنها المادح المطري
 مستدعياً سيرته إذ غدت
 في حسنها ترشح بالعطر
 وهاكها يا بدر فاستجلها
 خريدة تنفث بالدر
 واصلح بها المختل إذن أسمع
 في القول واردة غلطاً يجري
 فاسلم ودم في رتبة قد علت
 وخطوة سامية القدر
 وصل ما هبت نسيم الصبا
 على النبي والعطرة الغر

وفي هذه المدة وردت كتب الرؤساء في جهة عمران وعيال سريح ومن إليهم
 متضمنة أكيد العهود وشديد العقود في الإلتزام بمولانا الإمام % ومتابعته في العسر-

واليسر، والسر والجهر، وطلب عامل للبلاد، وتحصيل الواجبات والمواد، وترتيب حصن ثلا المعقل المشهور الذي يناطح الشهب الثواقب، ويرتفع على عز السحاب، وتقف شهب البراة عند رقيه حسرا، وعقاب الجو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ويستوقف النظر عن رقيه كليلاً، وجون السحاب الذلف في أوساطه إكليلاً، يتحلى بزهر الكوكب، ويستعصي- على كل راكب، وقد سكتته ملوك ورؤساء في الأعصر القديمة.

كان في تلك الأعصر الماضية منشأ دعوات الأئمة الهادية، ففيه حصلت دعوة الإمام الشهيد المهدي لدين الله أحمد بن الحسين سلام الله عليه، وإليه آوى الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين سلام الله عليه، وإليه آوى الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى صاحب التصانيف التي هي عمدة الهدوية، وشرح مدارسهم البهية، عند فراره من سجن الإمام المنصور علي بن صلاح الدين، فامتنع به عن كل سوء، وبقي عند المشائخ بني الضريوه مكرماً، وهم في منعة بذلك المعقل، ومنه أيضاً استقوت شوكة الإمام الأعظم المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن الإمام المهدي المذكور فإنها ما انتشرت دعوته ونفذت صولته إلا بعد انتقاله إلى هذا الحصن السعيد، وكان بعد ذلك قاعدة مملكة ولده السيف المشهور، والأسد الهصور، والصارم الذي صاول عضائم الأمور، الملك الناصر المطهر بن الإمام شرف الدين، وفيه حصلت الحرب الزوام بينه وبين عساكر الأروام، والمعارك السود، التي اشتعلت بالنار الوقود، وقضت للمطهر أنه فرع الشجرة العلوية، وصاحب الفتكات الحيدرية، وانجلاء نارها بأنوار صبح النصر لذلك السيد الهمام، والسيف الذي يفري الهام، ومن أراد الوقوف على التفصيل فعليه بروح الروح لابن ابنه السيد الأديب عيسى بن لطف الله بن المطهر ففيه تفصيل الخبر والوقوف على تفاصيل هذا السيد الغضنفر.

ومما رُفِعَ به قلم جامع السيرة عامله الله بعواطفه الخطيرة إلى مولانا الإمام % يطلب منه الإذن في زيارة الأهل وصيام شهر رمضان بمحروس مدينة صنعاء وهو في هذه السنة ملازم الحضرة المشرفة بحصن بيت ردم في جهاد الباطنية الطغام من طائفة يام، الذين تغلبوا على الخيام، قالها في أواخر شهر شعبان من سنة ست وثمانين واثني عشر مائة وهي قولي: [من البسيط]

عاداتك الصبر يا بدر الهدى الساري

في كل خطبٍ من البلوى خطار

فلا تضيق وإن ضاق الفضا وغدا

يغصّ من كل هول في الوغى جاري

فاشدد يك ما أملت من شرفٍ

عالٍ تفوز بجناتٍ وأنهار

لا يفزعنك إرجاف العدى فهم

طعام سيفك في نجد وأغوار

واحرص على الصبر فيما قد بدأت به

تظفر بأمنك في العقبى من النار

وخلّ عنك بني الدنيا وما ألفوا

من الرهافة في أهلٍ وأقطار

فإنها سوف تظميك الخيال إذا

عزّ المنام وبقى ثقل أوزار

فأنتم عصمة الله التي ظهرت
وفضلكم طار^(١) في بدوٍ وحضار
لا يخدع الناس عنكم ما ألم بكم
من كل أحمق غدارٍ ومكار
فإنها هي إحدى الحسينين لكم
وللبغاة خلودٌ بعد في الغار
مانالكم غير مانال الكرام وهل
بالشغل بالله إلا نيل أو طار
لم تبعث الحرب لا بغياً ولا طلباً
لنيل ملكٍ ولا تحصيل دينار
ولا غضبت لغير الله أو نةً
ولا طربت إلى دِفٍ ومزمار
بلى نصحت بني الأيام فاتهموا
كفعلهم بأبي ذر وعمار
وغرت القوم دنياهم وما علموا
بأنها ذات إقبال وإدبار
فإن يكن زهرة الدنيا وبهجتها
جنابك الطهر من لذاتها عاري

(١) في الأصل (طا) ولعلها ما أثبتناه، والله أعلم.

فقد وعدت بعقبى الدار وهي لكم
 بصركم وهي عقبى كل صبار
 اخترتم الصوم عن دار الغرور وهل
 ترضون إلا على الأخرى يافطار
 دراسة الوحي في الأسحار دأبكم
 ماكل مالا ح من برق بمطار
 وقد ركنت إلى عليك معتمداً
 على الشاء بتقريضي وأشعاري
 فأخنو عليّ وحوطوا جانبي وقلوا
 شيخاً كبيراً بعيد الأهل والدار
 تناله بسديد الفرق إن عرضت
 له إلى أهله أشواق أوطار
 وإن تسني له لطف الإله مع الـ
 عمر الطويل أتا بعد إفطار
 والنفس راحلة الإنسان إن تعبت
 تضعف عن الحمل في حل وأسفار
 وإن يرفهها تقوى وترحل في
 ألقاهم ناعمات ذات أبكار

وَأَنْتَ وَاللَّهُ فِي حَلِيٍّ وَمُرْتَحِلِيٍّ
 كُلُّ الْمُنَى وَرِضَا قَلْبِي وَإِسْرَارِي
 وَمُطْلَبِي وَافْتِرَاجِي عِنْدَ مُنْقَلَبِي
 إِلَيْكَ إِنْ بَلَغْتَنِي طَوْلُ أَعْمَارِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ مَعَ التَّسْلِيمِ تَتَّبِعُ مَنْ
 هَدَى إِلَى الدِّينِ نَجْمُ الْأُمَةِ السَّارِي
 وَأَلَّهُ الْغُرَّ أَرْبَابُ الْكَمَالِ عَلَى
 مَرِّ الدَّهْرِ دَوَاماً قَرَى قَارِي
 انْتَهَتْ.

ومما ورد إلى الحضرة المشرفة الإمامية من السيد العلامة الأديب وجيه الإسلام عبد الرحمن بن محسن جحاف هذه القصيدة الفائقة والكلمة الرائقة وذلك في شهر رمضان الكريم من سنة ست وثمانين واثنى عشر مائة وهي قوله: [من البسيط]

جَاءَتْ عُرُوساً عَلَى حَالٍ مِنَ الظَّفَرِ
 فِي غُرَّةِ الدَّهْرِ بَلَّ فِي أَشْرَفِ الْغُرَرِ
 غِيْدًا مَرْتَجَّةً الْأُرْدَا فَنَاعِمَةٌ
 وَهِيَ الْكَحِيلَةُ ذَاتُ الْغَنَجِ وَالْحَوَرِ
 هَيْفَاءُ كَالْغَصَنِ قَدْ أَوَضَبَا مَقْلًا
 وَالبَدْرُ وَجْهًا وَقَدْ وَافَتْ عَلَى قَدْرِ
 تَرَنُّو قَتْنَطُو عَلَيْنَا مَنْ لَوَاحِظُهَا
 بِيضًا مَتِيمَةً مِنْهَا عَلَى خَطَرِ

لما استقرت وقرت في منازلها
 على النعيم على عال من السرر
 ظنتها من بنات الخلد قد برزت
 أسنى وأبها حياها من القمر
 أما وحق ثناها العذاب وما
 في الخد ذياك من ماء ومن شرر
 ما بالغت في تلا في غير مقلتها
 لما رنت بسيفٍ قط لم تذر
 أبدت تطارحني شكوى النوى عتباً
 فقلت منك النوى ما كان من صدر
 فأطرقت ثم قالت وهي باكية
 أنا المسيئة يا ذا الود فاعتذر
 أطعت^(١) فيك عذولي والتفت إلى
 أقواله رب سار ضل في السفر
 قلنا عفى الوصل عن ذنب النوى فثقي
 بالعفو ثم دعي ذا الهجر واحتذر
 فما أحيا اللقا بعد البعاد كما
 يشفى المريض وقد أودى من الضرر

(١) في الأصل: أطلعت، ولعل الصواب ما أثبتناه.

يا أهل ودي رفقا لا عدمتكم
ترفقوا بحليف الوجد والسر
حملتموني من إفراط حبكم
ماليس يحمله جمع من البشر
قال العواذل إني قد سلوتكم
يا كذب ما نقلوا عني من النكر
كلام معاذ إلهي ليس منهجنا
إلا الوفا دائم الأزمان في العمر
والله والله^(١) والرحمن ثالثه
رب العتيق ورب الحجر والحجر
ليس اشتغالي بذات الدل أو لهفي
بالقصد أو شغفي بالمنظر النظر
إلا بمن طاب أصلا وارتقى رتبا
في المكرمات وأضحى ثاقب النظر
خير الأئمة من أبناء فاطمة
ليث الشرى سيد السادات والعتر
صدر المجالس قاموس العلوم إم
سام العلم والمجد والطعان في النغر

(١) في الأصل: لفظ الجلالة مرة، ولعل ما أثبتناه الصواب الصواب الذي يدل عليه البيت.

والقانت العابد الأواه من صغر
وفي الحنادس يدعو الله في السحر
ما فيه عيب سوى أن المحب له
في مجمع الحشر- ينجو من لظى سقر
أعني الإمام الذي قد قام متكلأً
على المهيمن في الإيراد والصدر
المحسن العالم الفذ الذي ابتهج
به المجالس لما غاص للدر
وطال منه دعاء الناس يرشدهم
إلى الهداية بالأعذار والنذر
فطال غيهم في الأرض واتهكوا
محارم الله في بدو وفي حضر —
إننا نقول معاذ الله خالقنا
ما قط خالف ما قد جاء في السور
بل صار ماشٍ على ذي مظهر حسنٍ
جاءت به السنة البيضاء بلا غرر
جزاه ربي من الإحسان أحسنه
وخصَّه بسلامٍ طيبٍ عطر
وما أنا ومد يحيي فهو من مألٍ
مدحهم جاء في القرآن والأثر

لا زال فينا مدى الأيام في نعم
مكرماً وحماءه الله من غير
إن وافق الحال منها والمقال على
ذاك المقام فهذا منتهى وطري
وهاكها يا أمير المؤمنين على
ما في القرية من عجز ومن حضر—
إن لم تكن غرة فاستر معانيها
بطيها عن حسود عائب أشر
فإنما قلتها جبالاً أدتني
حقوق بر وود غير محتمر
فأقبل لك الفضل عندي إنني بكم
مما وصفتم لمشغول وفي حير
وابلغ سلامي إلى من لا شبيه له
في الأولين إذا حققت والأخر
محمد نجل إسماعيل خير فتى
ييدي العجائب بل يفتر عن درر
نعم الظهير ونعم العون فاصحبه
يكن رفيقاً وعوناً غير ذي ضرر
ثم الصلاة على أزكى الورى شرفاً
محمد المصطفى المختار من مضر—

وصنوه المرتضى — الكرار صاحبه
 وآله دائم الأصال والبر
 ونسأل الله توفيقاً ومغفرةً
 لنا جميعاً وهدياً نافع الصدر
 تمت.

ويتلوها الجواب إن شاء الله عن مولانا الإمام لراقم السيرة وجامعها عامله الله
 بلطفه وهي قولي: [من البسيط]

يالمة البرق بل يانسمة السحر
 تعطري وارتعلي في المجلس العطر
 وحققي شرح شكوى عن أسير هوى
 باع الكرى حين ضر الذبح في السهر
 متيم شففه سقم البعاد فلا
 يخبوز ناد الهوى بل يرم بالشرر
 يهوى الملاح ويصبو للنسيم إذا
 سرى ويلهو إلى الأطياف في البكر
 ويسأل الركب إن مرت حمولهم
 عن أهل نجد وأهل الود من نفري
 يهوى غزال النقا في السفح من أضمر
 وفي ربي وجرة إن مر في غدر

لا عاد عهد التصابي في صباه ولم
 يبرح رسيس الهوى يزداد في سعر
 ولم يعرج على صبح المشيب وقد
 ألم بالفود ضيفاً غير مستتر
 لما تبدت له البيض الملاح على
 وقت الإياس صبا في آخر العمر
 ترمي بسحر العيون الساجيات من الـ
 أهذاب قصداً فيغدو القلب في ضرر
 تضني العقول وتسبي الحر إن نظرت
 كالبدر في مايس الأغصان في الشجر
 يودهافي مدى تلعبها كفل
 يزداد لطفاً بما يزداد من كبر
 صباء أنس رعت في القلب والتفتت
 نحو الحشاشة واستولت على الفطر
 لها من المنهج العذري أوفره
 ومن دلال الغواني ساحر الحور
 فما لها في الحسان الغيد من مثل
 ولا لنظم وجيه الدين في الدرر

الناظم الدر في سلك اليان إذا
 هزّ اليراع أتى بالأنجم الزهر
 مشى إلى غاية العلياء في مهل
 فضلت العرب العرباء في الأثر
 جري الجياد إلى الغابات في أدب
 كالروض إن جاده الهطال من مطر
 من آل جحاف أرباب العلوم ومن
 لهم سوابق فضل غير محقر
 شيوخ علم هم أهل الرسوخ وهم
 أهل التصانيف في نقل وفي نظر
 وهم بناء المعالي في جوار وفي
 سوح الظفير سليل فاز بالظفر
 وهو الوجيه الذي أحيى مآثرهم
 وصار حسن ختام السادة الطهر
 عاد الزمان به بكرة وقد عجزت
 فيه الفضائل بالفحشاء والنكر
 فجدد الفضل في ساحاته فغدا
 زمانه واضح التحجيل والغرر

وأبرز السردات الغر في قلم
 أمضى — من السيف في حدٍ وفي قعر
 من كل فتانةٍ نجلاً على مهدالـ
 قرطاس وهي من التكريم في سرر
 محروسة اللفظ والمعنى مهذبة الـ
 أطراف مصقولة الأجاد والطرر
 لورامها المتنبى أو حبيب أو الـ
 كندي لأعياء عليهم قاصر الفكر
 يهدي الأنام إلى نهج الإمام وما
 حواه من فيض مجد غير ذي قصر—
 وينشر الطيب من امداحه وكذا
 من طاب وصفاً بمدح المادحين حري
 رقى إلى الشرف العالي وأعرض عن
 مدح اللئام وإن طالوا على البشر—
 منافساً في المعالي في المديح له
 بناقد الفكر يهدي ثاقب النظر
 وهو الحقيق بمدح المادحين وبالـ
 —وصف الجميل لمنظوم ومشر

هادي الأنام إلى نهج الرشاد على
مر الزمان وفي حل وفي سفر
قطب الحروب وقاموس العلوم إذا
ما المشكلات دجت في مظلم العُكر
يحلها بسديد الفكر في نظير
أمضى من السيف في اللبات والثغر
الصابر الشاكر الميمون طائره
الناقد النافذ الخريست فاعتبر
سبط البنان سديد الرأي ثاقبه
أخلاقه كرياض الجنة النظر
أحى الجهاد أقام الدين جدد ما
جاءت به واضحات الكتب والسير
جاد الزمان به في عصرنا فغدا
العصر الأخير به فخر المفتخر
أحى متأثر آباء له سلفوا
في غرة الدهر أعني^(١) خيرة الخير
سل عنه صنعا وسفح البون ما صنعت
أنصاره وهو فويهم باسم الثغر

(١) في الأصل: على، وما أثبتناه ليستقيم الوزن.

كذا الحيام وما نالت عساكره
 من القرامط أهل الكفر والبطر
 قضت بنيفٍ على خمسين معركة
 غير كبدٍ وأوساطة كالنهر
 فدام فينا شحاً كاللطفة وغو
 ثاً للثقة وركناً واسع الحجر
 ولا برحت وجيه الدين في نعم
 تدوم ما حفت الهالات بالقمر
 وراقم الأحرف المشي — يبلغكم
 أسنى السلام كنش — المنديل العطر
 واسبل على النظم ذيل الستر واغتفر الـ
 — زلات يا خير ستارٍ ومغتفر
 واهد^(١) الصلاة على المختار من مضر —
 ما غردت صادحات البان في السحر
 وآله الغر أرباب الكمال ومن
 له سوابق فضلٍ غير مختصر —

ومما قاله السيد العلامة عبد الرحمن بن محسن جحاف هذه التهنئة البليغة بالنصرة

(١) في الأصل: واهدي.

الواقعة على طائفة الباطنية من يام في بلد الحيام وكان محلها متقدم وهي قوله: [من الطويل]

حميد الثنا ما كان بالحمد يفتح

فنه محمد رب العرش ثم نسبح

كريم العطا مولى المواهب والوفا

وكافي الورى ما زال بالجود يسمح

إليه البرايادائم الملك والبقاء

وفاتح ما قد ظُن أن ليس يفتح

له الحمد والشكر الموفر والثنا

وَمَنْ حَمِدَ الرَّبَّ الْمُهَيْمِنَ يَرْبِحْ

أنال وأعطى كل خيرٍ ولم يزل

عوائده بالخير ما قط تبرح

بفتح بلاد الخيمة البلدة التي

تغصّبها أهل الضلالة قبحوا

أشر عباد الله طبعاً ومنهجاً

وقبحاً وإفساداً وهذا مصحح

لهم مذهب الإلحاد ديناً ومسلماً

كذلك الحلول^(١) اللذيثنى ويقبح

(١) في الأصل: الحلوك، ولعل ما أثبتناه الصواب.

غدوا فرقاء في دينهم كل فرقة
 على غير دين الله والأمر أوضح
 كلاب الملا شر البرية كلها
 بواطنهم رفضاً خبيث مقبح
 فمن فعلهم كل الديار تكاد أن
 تمور وأوتاد البسيطة تسبح
 أعادي بني المختار والأمر ظاهر
 مجوس الملا فالقلب منهم مقرح
 وعما قريب يرسل الله فيهم
 قوارع هون للنفوس تصوح
 وإن أهملت يوماً فما أهملت وقد
 تزور مساءً دار قوم وتصبح
 ولما أراد الله إعزاز دينه
 وإعلاء منار الدين كي يتوضح
 أغاث الورى بالقائم المحسن الذي
 غدا في رضى الرحمن يدعو وينصح
 توكل بالله العلي أعانه
 على كل أمر والهداية تمنح

فالتقى إلى الكفار كل سميدع
 همام هزبر والوقائع تمح
 وذوقهم خزي الحياة وإنه
 هو المفضح الأدنى والنار أقبح
 ويسقون من نار الحميم مقطوعاً
 لأمعائهم والنار للوجه تلفح
 وطهر وجه الأرض من كل كافر
 وما زال يهدي بالدعاء ويصلح
 فحمداً لمن أولاه ما هو أهله
 وما بعده في قابل الدهر أفتح
 ويالك من فتحٍ عظيم غدت له
 ملائكة الرب الجليل تسبح
 ولا غرو فهو الماجد القائم الذي
 له شرف ليث السماكين ينطح
 إمام الهدى جم الجدا دافع العدا
 بعيد المدى بحر الندى ليس يبرح
 مبدد فرسان العلوم مينا
 لدى الجمع إن صد البليغ التحنح

مميط نقاب المشكلات فقوله
 دليلٌ مبين في الخلاف مرجح
 فعلمنا نهج الشريعة من له
 تعن خفيات الأمور وتسبح
 وذلك صنع الله فيه وإنه
 يخص بخير من يشا ويمنح
 هنيئاً لمولى العصر بالظفر الذي
 له ملك التسييح طوراً يسبح
 وصارت بلاد الجور من بعد فتحها
 خراجية للنذب ما شاء يرجح
 كذا قرر الآل الكرام وإنهم
 على الحق فيما قرروه وصحوا
 فحول حديث المصطفى ورجاله
 هموا أخذوا منه الصحيح ونقحوا
 سفينة نوح من أتاها فقد نجا
 ومن غاب عنها غارقاً ليس يفلح
 بحور علوم زخري وشواهق
 من الحلم بالمعنى الخفي تصرح

إذا تربوا جادوا وإن أتربوا فهم^(١)

بما ادخروه للحوادث أسمح

نجوم محارب بدور منازل

شموس علوم نورها يتصرح

معادن آداب رياض فكاهة

غيوث مبرات إذ الدهر يكلح

وهم قرناء للكتاب الذي غدا

مدى الدهر محفوظاً فلا يترنح

هم فلك شمس والنبوءة أشرقت

على الخلق منه فهو نورٌ موضح

ومنبع أنوار الجميع محمدٌ

نبي الهدى من قام لله ينصح

بنى قبة الإسلام فوق دعائم

من الصلوات الخمس يانعم مسرح

براهينه لا تنقضي وهباته

فأنمله سحت بها الجود يسفح

بديع السجايا فهو بذلٌ ولائذ

يجود بتيسير على الفور ينجح

(١) في الأصل: لم يتضح صدر البيت، وما أثبتناه لعله الصواب.

بدايته للموسلين نهايةً

هم الشهب حسناً وأحمد البدر يلمح

بلغنا بفخر الهاشمي سيد الوري

ذرى فنن ما إن تميس وتمسح

وخيرته من خلقه لإخائه

علي وجيه النصر ما زال يفتح

وزوج ابنة المختار سيدة النسا

وباب المدينة والحديث مصحح

ومن قال فيه أنت مني منزل

كهارون من موسى وذاك موضح

وأفضل أهل الأرض من بعد أحمد

كما قرروه في الصحاح وصحوا

ومن قام فيه بالخلافة خاطباً

فما ذا يقول الغاصب المستقم

ومن هو يوم الحشر يسقي بكفه

من الخوض من والاه صدقاً فريح

إلى المرتضى^(١)

وليس له حتى القيامة مبرح

(١) هذا الصدر لم يظهر في الأصل.

ويا أيها المولى ويا خير قائم
ومن ذكره يشفي الصدور ويشرح
ليهنك أزكى زائرين لديك يا
أجل الورى قدراً وفضلاً يرجح
هو الصوم والإفطار هذا ترحلت
مطاياه عن أجرٍ وذا جاسيح
وصل على المختار ما ذر شارق
وما دام رعد في السحاب يسبح
مع الآل من والاهم فاز واهتدى
ومن مال عنهم خائباً ليس يفلح
انتهت، ونقل هنا حفظاً مع وجدانها.

وكان محلها ما سبق وهي إن شاء الله مقدمة التهاني، بالفتح الرباني، واليمن الصمداني، والكر الثاني، على الحيام وطائفة الباطنية من همدان ويا مبعون الملك العلام. ومن لواحق السيرة المنيرة وذيوها الصافية الوثيرة، ما رشح به قلم الولد العلامة سيف الإسلام، وعضد الخلافة القمقام، وواحد الأعلام، وبقية المحققين في عاطل الأيام، محمد بن قاسم بن محمد بن إسماعيل الحوثي الحسيني، وهو حين أنشأ هذه الرسالة الغراء^(١)، والكلمة الزهراء، بمحروس حصن ذي مرمر نائباً عن مولانا الإمام ٥% فاستنابه في رقم هذه الفوائد، ونظم هذه الدرر في القلائد، لإرسالها إلى

(١) وهي المساة (الموعظة الحسنة).

الحرمين الشريفين وتعريف من بقي من الزيدية في تلك الجهات، والتجاوز بها إلى ملوك الأشراف الإدريسية، بالمغرب الاخوان ملوك فارس^(١) وما والاها من الممالك القاصية لإبلاغ الحجة، وإيضاح المحجة، والبيان المأخوذ على علماء الزمان وأئمة العدل والإحسان، على النهج الذي ابتدأه سيد ولد عدنان، المصطفى للرسالة والإعلان، فإنه بعث الكتب إلى ملوك الأقطار، وسلاطين الأمصار، فممنهم من آمن ومنهم من كفر فاقتدى بسيد البشر وأئمة العترة الغرر.

وهي حديقة مثمرة بالفوائد، وعلق نفيس يكتب بسواد العيون الراكد، ونتيجة فكر تستخرج الغويص من درر البحور، وبنت ذهن يتوقد ذكاء فيقلد السوالف والنحور، فحسن رقمها^(٢) في السيرة المتوكلية حفظاً للفائدة، وهي من فوائدها وجوهرة من قلائدها.

(١) كذا في الأصل، ولعلها ملوك فاس كما سيأتي في أثناء الرسالة، وفاس مدينة ببلاد المغرب العربي شهرية سكنها آل إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب".

(٢) ستأتي في مجموع الإمام % القسم الثاني منه انظرها هناك.

الجوابات على قصيدة المكرمي

ومن لواحق السيرة الإمامية المتوكلية مع الإستمرار في جهاد أعداء الله الباطنية وما أوقع بهم من نقمه وبأسه، وأنزل عليهم من الوبال وأبواسه، تصدى أحد شياطينهم وأركان كفرهم وأساطينهم لنظم كعقله الضعيف، ودينه السخيف، تعرض لنظمه بقدّم كسير، وباع قصير، عن مجارات فحول هذا الشأن في مسافة نازحة وظنه أنه قد أتى بهجاء أهل الحق، وأعوان الصدق وذكر ما ابتدأه من الهذيان يقبح بنا أن نذكره في هذه السيرة الشريفة إذ هو أقل وأحق من أن ينتظم في سلكها ويرقم في صدورها وملكها لما فيه من ركافة الألفاظ، واختلال المعاني، ومهتدم المباني، واللحن الفاحش، والجهل الفاضح، فلما اطلع عليها شيعة الإمام وهم أمراء الكلام وبحور النثر والنظام، أجاب فيها أولاً السيد العلامة أديب الزمان وقريع الأوان والمزري بسحبان، والمولي على حسان، وجيه الإسلام عبد الرحمن بن محسن جحاف أفاظ الله عليه خفي الألفاظ، فقال أيده الله وأبقاه: [من الكامل]

هذي تخيل السفيه جمالا

ورآه نظماً واغتنى قوَّالا

ويظنه نظماً وذاك خرافة

ومشى وطال ولم يزل مختالا

أبداه بالعجب المقيح واغتنى

شيخ الضلالة طائلاً ما طالا

إن الخيـث من الخيـث فلم يزل
 يـدي القبيـح ويفحش الأقوالا
 قد أنبأ الذكر المبين بخبثه
 في سورة النور التي تتلألا
 ويخوض في سب الأئمة بالغاً
 هجواً ويوسـعهم أذىً إيغالا
 قد تاه بالكفر الشنيع بشركه
 أبـدى مقـالاً كاذباً ضاللاً
 إذ قال إن علياً الكرار جنـ
 ب الله جلّ إلهنا وتعالى
 عما يقول الطاغـي الأقـاك مـن
 سلك الحلـول وملحداً ما زالـا
 ولعلـه يعنـي بهـذا جـده
 الطاغـي علي بن الفضل فيما قالـا
 الملحد المشهور قد أبقي لكم
 هـذي الخبائـث مـذهباً ومقالـا
 إن الخيـث لمنبت أمثالـه
 يقفـوه في الفعل الخيـث ضلالـا

أعني حليف الرفض كلب زمانه
وأشتر كل الكافرين خصالا
المكرمي ولن ينال كرامة
أردى البرية مذهباً وفعالا
أبدى القبيح ولم يزل متفاخراً
بجدوده مدح الطغاة وغالا
فقد ادّعى مجداً وليس بأهله
ولقد تمنّى في المقال محالا
لا غرو إن فارّ الإناء بهائه
إن الكذوب يافكه ختالا
فهو الذي ضل الطغام لأنهم
زي البهائم قد غدوا غفالا
فأقام فيهم ملحداً ومكذباً
بضلاله فغدوا له أمثالا
يا فرقة الكفر الشنيع تمتعوا
بضلالكم واستحذوا الأردالا
إليس أفضل منكم قد صرتموا
حمرأله فغدا بكم رقالا

قد كان يعبد ربنا من قبلكم
 فعدا بكم فيما يشاء أولاً
 أنتم كلاب النار بل ووقودها
 جعلت سلاسلها لكم أغلالاً
 وكذلك من أصل النصارى أصلكم
 عن دين طه دينكم قد مالا
 يارب عجل للبغاة بعارضي
 فيه العذاب صواعقاً ونبالاً
 والبسهم ثوب الإهانة إنهم
 شر البرية مذهباً وخبالاً
 قد أظهروا البغض الجامع شملنا
 إذ أرقلوا من خوفه إرقالاً
 راموا الضراب فحانت الأقدار لـ
 —————
 خافوا السيوف اللد قد فتكت بهم
 إذ قطعت أجسامهم أوصالاً
 فالبعض منهم في الحديد مكبل
 والبعض صار إلى الحريق نفالاً

يا أيها الطاغى تربص وانتظر
 فسوف تلقى ذلةً وزيالا
 نحن الذين من الذين عرفتهم
 شرعوا الجهاد وأخلصوا الأعمالا
 ولسوف نملاها أماناً مثلاً
 ملئت حلولاً قبلنا ووبالا
 نحن الكرام سالة المختار من
 إختاره الرحمن جلّ تعالى
 لهم الجمائل في الوقائع كلها
 لا يرهبوا^(١) حال النزال قتالا
 وكذا الخيول الصافيات العاديا
 ت الموريات بقدرها إشعالا
 هم خير من ركب الجياد وخير من
 يغشى وطيس الحرب والأهوالا
 أسد الوغاء إذا الكمة تلاطمت
 أمواجهات تلقاهم أبطالا
 السادة الأطهار حسبك سل بهم
 ندباً خبيراً إن تكن سئالا

(١) الصواب: لا يرهبون، وأثبتناها كما في الأصل.

سل عنهم القرآن يظهر فضلهم
 واتل الكتاب ولا تكن مغفالا
 في سورة الشورى فريضة حبهم
 وكفى بذلك شاهداً إجلالا
 وكفى لهم كل المزيدي بأنهم
 مثل النجوم غدوا لها أمثالا
 وصلاة من صلى ولم يذكرهم
 فيها تهتد ركنها بل مالا
 مردودة لم يقبل الرحمن من—
 —ها ركعة بل أهملت إهمالا
 فخر تزول الشم وهو مشيد
 بكواهل العليا إذا ما زالوا
 وهم حماة الدين بل بنيانه
 بذلوا النفوس ويذلوا^(١) الأموال
 منهم إمام زماننا والمستقى
 منا الذي ساد الأنعام كمالا
 المحسن الأواه فرد زمانه
 وسيفه الإسلام قام وصالا

(١) هكذا في الأصل، وهو مرفوع بثبوت النون ولعله من ضرورة الشعر.

ركن الهدى المتوكل المولى الذي
 زان العلا وكسا العلوم جمالا
 بحر تدفق منه كل فريدة
 فبدت جمان الدر منه تلالا
 ومجاهد الله طولا صابرا
 للكل والأعباء غدا حمالا
 يهدي الجواهر للبعيد ويبعث الـ
 وجود الهني لمبعد هطالا
 رد الفروع إلى الأصول فلم يكن
 فيها التنازع مذكلا الإشكالا
 لم تعي فيما رمت به بسؤاله
 مستقبلا أو ماضيا أو حالا
 نحن الذين نوده ولأجله
 نهوى مؤاليه الذي قد والاه
 ونعده فينا سلاحا نافعاً
 عند الكروب ونحسن الآمالا
 مادام فينا فالزمان مساعد
 والعيش يغدو طيباً وحلالا

وإليك يا بحر المكارم مدحة
 زانت بذكرك في المقام مقالا
 وافت إذا عذراء بنت قريحة
 وتميس في برد الحيا نرجالا
 تبغي الصداق وقد جعلت صداقها
 حسن القبول ولا أريد نوالا
 عزت على خطاها لصداقها الـ
 غالي فأضحت للخطيب عقالا
 لكنها ما رأت كفوا لها
 رغبت وقالت مرحبا إذ لا^(١)
 فاستر عليها أسطرا من شيق
 لا زلت فيها محسنا إقبالا
 واسلم ودم في عزة وكرامة
 ترضي المحب وتكتم المغتالا
 وصلاة ربك بكرة وعشية
 وكذا السلام على الدوام توالا
 تغشى محمدا النبي وآله
 مادام يبدو في السماء هلالا

(١) في نسخة: إقبالا.

والله ينصر — ديننا وإمامنا
 فهو القدير ويصلح الأحوال
 يارب نصر — للإمام فإنه
 يدعوك نصر —ك مسرعاً إعجالاً
 فامدده يا ذا النصر — وانصر — جنده
 وامدده فضلاً واسعاً وكماً
 وجعلت نظمي للخليفة ناضراً
 ودّ الوجوب فلم أكن مكسلاً

انتهت. وجزاه الله عن دينه وإمامه خيراً، ويتلوها جواب مؤلف السيرة الإمامية
 وجامعها أسير الخطايا راجي عفو الله محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى الكبيسي بلداً
 والحمزي نسباً عامله الله بإحسانه. [من الكامل]

الحق أرفع مطلباً ومنالاً^(١)
 والدين أعلا رتبةً وجلالاً
 ولملة المختار أرباب بها
 قاموا فأردوا ملحداً محتالاً
 وهم الطريق إلى الهدى وبهديهم
 هُدي الورى وتفتحوا الأعمال

(١) في نسخة: ونوالاً.

واستشقوا عرف النبوة عاطراً
فسعوا إلى سبل النجاة عَجَلاً
آل النبي المصطفى والبضعة الز
هراء طابوا مفخر أوكماً
والشيعة الأخيار من حفت بهم
فأطابوا الأقوال والأفعال
رفعوا لنا نهجاً إلى العلى إلى الـ
حق القويم إلى أجل مآلاً
فاخسأ بجهلك ياسفيه فإنما
مَتَّكَ نفسك في الخلاء محالاً
واقصر - فنبج الكلب ليس بضائر
شمس النهار فنورها يتلألاً
واعكف على غلطات مزدك إنها
في دينكم أصلاً فخاب مقالاً
فطال ما أملتُم بمكائد الـ
إسلام أن تبغوا له إيطالاً
والله ناصر دينه ووليّه
فلقد أتاح لكم شجاً ووبالاً

بأئمة الآل الكرام وسعيهم
 تركوا دعا ضلالكم فلالاً^(١)
 لولا صورام أهل بيت محمد
 بدلتهم دين النبي ضلالاً
 وسيوفهم في كل عصر أشربت
 بدمائكم علألهما ونهالا
 مذأظهر ابن الفضل كفرأظاهراً
 وأحل أمأاً وابنة وعيالا
 شهر الإمام الفاطمي المتقى
 الهادي سيوفأ حدة ونبالا
 وأذاقكم كأس المنون سليله النـ
 اصر الخوات طاب خلالا
 شربت هوام الأرض رجس دمائكم
 كم في نغاش دم سحيق سالا
 ثم المصانع بالوقائع ضمنت
 أجسادكم طعنأ جرى وصقالا
 وإمامنا المتوكل^(٢) الخبر الذي
 أزرى بحاتم فاشتكى أهوالا

(١) في نسخة: تركوا دعا ضلالكم فلالا.

(٢) هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، وحاتم هو اليامي.

نجم الأئمة أحمد السيف الذي
 اجتاح جمعكم خزاؤنكالا
 وأذاقكم في يوم شيعان الردى
 ألف فنوا وتلبسوا الأغلالا
 فاستعطف الرجس الذميم وذل إذ
 لال اللئيم وأرسل الأمثالا
 فرثى له الحر الكريم وصانه
 فاستعمل الغدر المشوم شكالا
 واستبطن اليامي النفاق وأظهر الـ
 إقلاع عن دين المجوس مقالا
 فبرى من المأذون في أشعاره
 كذباً وخوفاً يميناً وشمالا
 وبينه أرشدهم إلى نهج الهدى الـ
 قوائم المنصور^(١) طاب خلا لا
 تاب الوحيد ونجله الفضل الذي
 شرفت مصاهرة له أنسالا
 واذكر صلاح الدين إذا أصلاكم
 حر السيوف وكرر الإرقالا

(١) هو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة %.

وأبادكم يوم المنقب واستبا
 ح دمائكم واستجمع الأنفالا
 وأذاق جمعكم الردى بوقائع
 غروأصلاكم خزاًونكالا
 وسليلاً المنصور هاض دعائكم
 في مرمٍ والنصر— عادفعالا
 أخذوا حصونكم القديمة فاغدت
 عرصاتها ترمي بها الأوعالا
 وهم الذين نفوكم من سوحها
 فحملتم الأزواج والأطفالا
 والكفر دينكم الخيـث دليله
 تخريب بيت الله جل جلالا
 وتهكم الرجس المسمى طاهر
 بالكعبة الغراء خاب وزالا
 فغدا ببادية الطواف وركن يـ
 —ت الله ير حل مرقلاً إرقالا
 حتى أنـاخ بها ببادية له
 عشرين عاماً جرأة ووبالا

وأعاده بالأم من أحزابه
بالقروان تســــتراً إذ آلا
مهديم وهو الغوي يقول قد
حققت كفرأفاستبان فعالا
يا أكفر الكفار بل يا أعظم الـ
فجارتفخر أنت أحقر حالا
وتفاخر الشمس المنيرة ضلّة
ببناح كلب قد عوى إرسالا
وتقول شعراً ساقطاً من جيفة
شنعوا وما فكت له أقفالا
واللحن والكذب القبيح شعاره
وسباب أهل الذكر أكرم آلا
تعتال رأيك يا خيث وخيئة
إذ صرت تفجر ضلّة ومحالا
ويكفركم قد صرحت أقلامكم
ورسائل كانت لكم أثقالا
كفراً بواحاً خالف الشرع الذي
جاء النبي به وأكرم آلا

أثبتتم حكم الطبائع في الورى
 وإحالة الأجسام والآجالا
 ونقيتم تأثير خالقها لها
 فجعلتموها خالقاً فعّالاً
 قول الفلاسفة الأولى أقوالكم
 لا قول شرع المصطفى يتعالى
 وكذا الكواكب عندكم تأثيرها
 في خلق خالقها الجليل توالا
 في الغيث أو في المحل أو في محنة
 نزلت بعبدٍ غيرت أحوالا
 والسنة اليضاء ناطقة بعكس
 مس مقالكم والذكر طاب مقالاً
 جاء الحديث عن النبي بأن من
 أخل إليها أكسبته خبالاً
 هو كافر بالله معتمد على
 حكم الكواكب مطلعاً وزوالاً
 نافٍ لحكمة ربنا متمسكاً
 بالشرك عن حكم الشريعة مالا

وأصولكم تقضي — بتعطيل وتب —
 — طيل والحاد وكفر عالا
 وبوحدة المربوب والرب الذي
 أنشا وأبدا الخلق جل جلالا
 فإذا الحجارة والمدارة ريكتم
 والكلب والخنزير أو ماصالا
 وعبادة الأصنام حقاً عندكم
 للاتحاد برهم أفعالا
 جاوزتم حدّ المقال بكفركم
 وأسأتم الأفعال والأقوالا
 وجعلتم القداح^(١) مفتاحاً لكم
 في الكفر فهو أضلكم وأمالا
 دين المجوس وملة الكفر التي
 ظهرت وطالت سهلة وجبالا
 هو أرسل ابن الفضل يدعو معلناً
 أن ابنه المهدي جاء ضلالا
 وأتى الزواجي بعده في دعوة
 فاقتادكم وأزلكم — إزالالا

(١) هو ميمون القداح.

ورمى بهانحو الصليحي فاغتنى
وأثار نار الكفر لما صالا
وبني عيىد تملده بأوامر
وتزيده الأجناد والأموالا
فرماه خالقنا بعبد أحول
فأزاله عن دسسته وأحالا
بكرت مضلته عليه فلم تبت
إلا على الملك الأجل ظلالا
ما كان أقبح وجهه في ظلها
ما كان أحسن رأسه إذ شالا
وحمالة آل محمد تركوكم
من بعده جزر السباع عيالا
ونفوكم من أرضكم ودياركم
وتوطنوا بعد الخيىث أزالا
فلكم أبحتم من حرام ظاهر
ونكحتم العىات والأخوالا
ورددتم آى الكتاب بكفركم
فى قسمة الميراث لما طالا

وملاك دينكم الإباحة للذي
 قد حرم الشرع الشريف ووالا
 وجعلتم داع الدعاة إلهكم
 شركاً وبهتاناً لكم وخبالا
 وجعلتم (كوني) إلهاً أولاً
 وثنيتم (قدراً) له فعلاً
 وجعلتم الأرباب فيكم خمسة
 إفكاً عظيماً موقفاً قتالا
 هزواً بدين محمدياً أكفر الـ
 كفار بل وتغلب يتوالا
 ودسائس في الدين تبغون الأذى
 لمحمد ولدينه إشكالاً
 حاشا فإن الله ناصر دينه
 بحمة هاشم حجة وصيالا
 لن^(١) يتركوكم في البلاد تبدلوا
 دين النبي وتضرّبوا الأمثالا
 ودعاتكم شر الدعاة أباحهم
 رب السما خطيئةً ونبالا

(١) في نسخة: (لو).

ضلوا وأردوكم بمذهب (مزدك)
 وتبدلوا عن شرعنا إيدالا
 منهم سليمان اللعين وعقبة ابـ
 من الفهد وابن الأنف لما مالا
 والرجس في همدان إدريس الذي
 بمقاله قد كدر الأجبالا
 وبنيه أكفر أهل ملتكم ومن
 أصلاهم سبط الرسول صقالا
 فعليكم ملاح برق لعنة
 في كل أونة بها يتوالا
 ولقد أقام الله نوراً ساطعاً
 وحمى منيعاً قسوراً صوالا
 سيفاً يحزرقابكم لا يشي
 عنكم ولا يخشى له فالالا
 يصل السنين بحربكم متمسكاً
 بالله رب العالمين تعالى
 يقوى على حمل الخطوب بعزيمة
 كالسيف يفري الهام والأنسالا

ويعد أفضل قرينة في سعيه
 للدين ترك حصونكم أطلالا
 أعني أمير المؤمنين المحسن المـ
 فضال طاب مكرماً مفضالا
 سبط البنان المستقى من حيدر
 حامي حمى الإسلام راق عقالا
 أجهلت يا كلب الروافض مجده
 ووقائع صارت لكم أسبالا
 ورؤوسكم حملت على الأتقاب تز
 جيها المطي بوخدها أثقالا
 وأزاركم آساد ملحمة من الـ
 عرب الكرام وأرسل الأشبالا
 والآن وهو بمشـمـخـ شامخ
 يثني العنان الصبح والأصـالا
 حتى يريه الله وعداً صادقاً
 ويزيره صـعفان والأسفـالا
 وذكرت ذلة حاشدٍ وبكيل في
 هذا النظام وأنت أخبرث حالا

ولهم إليكم عودة في عودة
 تذر الجماجم ركعاً فللاً
 بعزيمة المولى الذي حرّكاته
 مسعودة ونواله يتوالا
 صلى عليه الله بعد محمد
 والآل ما هب الرياح شمالاً
 وكذا السلام يعمهم ما رددت
 أي الكتاب وكمرت أدوالاً

انتهت.

ويتلوها جواب القاضي العلامة الفرد الفهامة شرف الإسلام الحسين بن
 إسماعيل بن الحسين بن الحسن جفمان أصلح الله له السريرة والإيمان.

وهي قوله: [من الكامل]

يا ابن الذي احتقبوا عمى وضلالاً
 وغدا لهم ظل الضلال ظلالاً
 وابن النصارى والذين تمجسوا
 وتلبسوا من كفرهم سربالاً
 وابن الذين تبطنوا في دينهم
 كفرًا وعصياناً كذا إضلالاً

وابن الذي طلبوا المباهلة التي
 كانت عليهم مهلكاً وزوالاً
 وابن الذي دفعوا لطفه جزيّةً
 شهت لدى كل الأنعام مقالا
 وابن الذي دفنوا كتاب إلهنا
 بالجامعة كنتم لهم أشبالاً
 وابن الذي صدوا عن المختار إذ
 أوفاهم كتباً كذا إرسالاً
 وابن الذي قتلوا العليم بدينهم
 إذ أوضح الحق المبين وشالاً
 وابن الذي لما رأوا دين الهدى
 قد صار يزهاها بهجةً وجمالاً
 تركوا القتال وأظهروا إسلامهم
 كذباً وزوراً ليس ذاك محالاً
 وتسكروا وتعبدوا من زورهم
 كذباً ومالوا مثل ما قدمالاً
 وقدح لهم قداحهم من زوره
 ناراً تأجج جمرها يتلالاً

ضد اسمه ميمون ملعون الأولى
 قد أبطلوا دين الهدى إيطالا
 وكذا اللعين عدو دين محمد
 من لم يجد فضلاً ولا إفضالا
 ضد اسمه أعني علي بن الفضل من
 استكمل الكفر الردي كمالا
 وابن المكارمة الذين تبعدوا
 سلفاً خيشاً سارقاً ختالا
 أهل الإفاضة والرياضة للملا
 في دينهم قد وسعوه مجالا
 المبطلوا الميراث للعصبات والمُـ
 ففتون أن الفجر صار حلالا
 أبطلتم نص الكتاب بكفركم
 عارضتم الرب العلي تعالى
 من ذا الذي في الناس أكفر منكم
 صيرتم الدين الحنيف خبالا
 وعبدتم غير الإله ميقناً
 صحت لنا أحوالكم أحوالا

أحللتكم الفرج الحرام بكفركم
وبمتعة قلتم لها إحلالا
يا ويلكم كم من عظيم جئتم
يصليكم الأصفاد والأغلال
يا صاحب الشعر الذي قد جاءنا
تبت لسانك قُطعت أوصالا
قد قلت قولاً ساجماً ومليته
لخناً وبيلاً نلت فيه منالا
وسيت آل محمد من جدّهم
طه الذي قد فتح الأقفال
وسيت أهل الحق خيرة معشر—
بمقال ما للشعر فيه مجالا
منيت نفسك يائئيم بأنه
قول فصيح يمنة وشمالا
وتناولت منك اللسان تقطعت
للسب للشأ أو الرفيع محالا
الرافع الأعلام بل والسابق الـ
أعلام بل مرضي المليك تعالى

الحامل الرايات بل والسابق الـ
 غايات من فاق الأنام كمالا
 نسل النبي أبو محمد الذي
 أولاه خالقنا بهاء وجلالا
 ذاك الإمام العادل البر الذي
 قد فاق أقطاباً كذا أبدا
 المحسن النجم البهي المستقى
 من حاز علماً واسعاً سيالا
 أعني أمير المؤمنين وسيد الـ
 نجب الكرام الأصيل المفضالا
 وسبيت أهل مدينة الإسلام في
 اليمن الكريم كذبت فيه مقالا
 وقتلت نفسك إذ أكلت لحومهم
 فيما أتيت به وجئت محالا
 صنعاء ذات الفضل إذ طويت على
 أهل الفضائل حسّنوا أفعالا
 السادة الأخيار والعلماء والـ
 أبرار من سادوا الملا أطفالا

أَتْبَاعُ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَبْنِيهِمْ
مَنْ وَافَقُوا الْمُخْتَارَ فِيمَا قَالَا
وَرِئِيسُهُمْ حَامِي الذَّمَارِ وَمَنْ غَدَا
فِي مَجْدِهِ الْقَوَّالُ وَالْفَعَّالَا
عُضْدُ الْإِمَامِ حَسَامِ دِينَ اللَّهِ مَنْ
قَدْ أَصْلَحَتْ بِمَقَامِهِ أَحْوَالَا
هَذَا الَّذِينَ تَقُولُ أَهْلَ حَشِيشَةٍ
وَالْخَمْرُ قَلْتَ غَدَاهُمْ مِنْهَا لَا
كَذِبْتَ لِسَانَكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ لَا
حَقَّ تَقُولُ وَلَا صَدَقْتَ وَلَا .. لَا
وَلِقَوْلِكَ الْمَلْعُونُ أَضْحَى نَاطِقًا
بِالْكَفْرِ قَدْ نَادَى وَصَالَ وَجَالَ
إِذْ قُلْتَ يَا مَلْعُونُ إِنَّ عَلِيَّ جَنَى
بِاللَّهِ جَلَّ عَنْ الْمَقَالَ تَعَالَى
وَذَكَرْتَ أَنَّ لِسَانَكَ الطَّاعِي بِهَا
قَوْلًا عَجِيْبًا قُلْتَ فِيهِ تَعَالَى
فَتَصَرَّحْتَ فِيهَا بِعَقِيدَتِكَ الَّتِي
سَتَرْتَهَا وَكَتَمْتَهَا مُحْتَالَا

ولقد أبان الله شرك واضحاً
وغدوت فيها راجباً مختالاً
أخذتك سكرتك التي أصبحت في
هذا المقال إذاً بها مختالاً
ثبت رباً واحداً منفرداً
إن الوصي لمثل ذا قد صالاً
وثلثت يا ابن اللؤم رباً واحداً
بلئيم قوم^(١) جسمه قد ضالاً
كبراً وعجزاً واضحاً وزماناً
أنى يكون بها إلهالاً.. لا
لو كان يسمع قولك المعصوم من
من وجهه نور الهدى قد لالاً
أعني علياً قامع الأقران والـ
فتاك والجوال والصوالا
لعلاك بالسيف الصقيل مبادراً
إذ كنت في هذا المقال مُقالاً
وغدوت متبعاً لسنة مُرّق
قد أخطأ وأفعلاً كذاك مقالاً

(١) في نسخة: قول.

وذكر أنكم لشيعه حيدر
 كذبت لسانك بل وقلت محالا
 لم ألق في الدين الخيف لكم يداً
 أما الشيع ليس فيه مجالا
 وذكرت أن بكيـل ذلّوا واغتدوا
 في ركب ذل أكسبت إذلالا
 فكذبت إن بكيـل هم أسد الشرا
 أشبال أسد النهروان رجالا
 كم من همام منهم في حربكم
 قد أتعب الشقر العرب وجالا
 أهل السلاهب والقواضب والقنا
 في الحرب أضحوا في الصدام جبالا
 وتمسكوا بالآل حبالاً واثقاً
 طوى له حبالاً يفوق جبالا
 يا شيعه الآل الكرام تسمعوا
 هذا اللئيم ومالكه قد نالا
 أين الجحاحه الذين حلومهم
 مثل الجبال توازن الأثقالا

أين الرماح الطائلات وأين من
 ركب الجياد وجندل الأبطال
 أين العزيز الرّوم في كفر الذي
 غلبوا الذباب مهابةً ومنالا
 أين السيوف القاضبات وأين من
 حمل الصوارم مرهفاتٍ صقلا
 تبأ لكم إن كان كافر دينكم
 قد فاه فيكم بالسباب وقالا
 وطلب دخولكم بوطنة سيده
 وأعدكم خولا له خمّالا
 بل صرح الملعون أيضاً أنكم
 تغدوا له خدماً إذا وحلّالا
 وكفى بهذا القول تشميراً لكم
 قولاً بهيماً واضحاً هوّالا
 يارب صلّ على النبي محمدٍ
 والآل من أوسعتهم إفضالا
 وانصر إمام الحق واجمع شملنا
 حتى نذيق الكافرين وبالاً

انتهى هذا الجواب، ويتلوه جواب سيدي الولد العلامة المجاهد الفهامة بدر الدين محمد بن يحيى بن محمد المدعو حميد الدين ثبته الله على اليقين وهو قوله: [من الكامل]

الله أكبر قدرة ونكالا

والله أعظم عزة وجلالا

كذب اللعين المكرمي بقوله

ضلّت عقولا يمنية وشمالا

وتهكم الرجس اللئيم بنا فما

أبقى لنا فخرا ولا إفضالا

وأضاف كل المكرمات إلى البوا

طن من غدوا للعالمين نعالا

يا صاحب المعقول فاسمع فخرنا

واسمع مخازيمهم وكن حمالا

نحن النجوم بني النبي المصطفى

وهم النصارى من غدوا أنذالا

نحن الأولى ورثوا الكتاب وعلمه

وهم الذين تحولوا أحوالا

من دين موسى والمسيح تحولوا

وتلبسوا دين المجوس سجالا

نحن الفواطم والأسود لدى الوغى

وهم الثعالب يرقلون رقالا

والعدل والتوحيد معظم ديننا
 وهم نفاة الرب جل تعالى
 وشعارنا تقوى الإله فإنها
 تكسوا الرجال مهابةً وجمالاً
 ودثارنا الإخلاص في أعمالنا
 فهو السلاح لمن أراد قتالاً
 وطعامنا خبز الشعير وحبذا
 من مطعم أفنى به أموالاً
 وشرابنا فهي الدماء نريقها
 خَلَّ المدامة وأترك الطبالة
 ولنا القواضب والسلاهب والقنا
 والبيض فوق رؤوسنا تتلألا
 أرزاقنا من تحت ظل رماحنا
 مما غنمنا منكم أنفالا
 وجوارنا من أرضكم مسيئةً
 بكرأ وثيئةً خلا الأطفالا
 كم قد وطيناً أرضكم ودياركم
 من مرةٍ صارت لكم أمثالا
 أبأؤنا سل عنهم آبائكم
 وجدودنا سل عنهم الأطلال

يا ديرة الكفار قولي واعربي
 عمن غزاك وجندل الأبطال
 هل غير أهل البيت أو أشياعهم
 تركوك قفراً خالياً معطالا
 سل طيبة الوادي وسل شيعان عن
 قتلاهم فيما مضى — إرسالا
 واسأل قرى نجران ثم جلاجل
 ثم النميط وممرراً وأزالا
 ثم المنقب ثم صعفان الذي
 نال الردى والخزي والأهوالا
 بعزيمة المولى الإمام المحسن المـ
 — توكل الصبار طاب خلا لا
 فنفي دياركم بأرحب من لهم
 في المجد صدق عزيمة تتوالا

انتهت الجوابات وقد ألت بمخازي الباطنية المجوس المعطلة، الملاحدة المرتدة
 المبطلّة، بما هو حقيق بأن يخلد في بطون الدفاتر، ويرقم بسواد المحابر، ولتعلقه بالسيره
 المتوكليه أثبتناه فيها فمولانا أمير المؤمنين أيده الله هو الذي أظهر بهتانهم، وأبان
 طغيانهم، وانتصب لجهادهم وولي ردعهم وجلادهم، فجزاه الله عن الإسلام
 والمسلمين أفضل ما جزى المتطوعين.

ومما رعت به لوامع الأقلام، وشنت المسامع بالشر والنظام، ورود هذا المهرق

الرائق، والثر والنظم الفائق، من تلقاء السيد العلامة الأديب الفهامة وجيه الإسلام عبد الرحمن بن محسن جحاف مهنئاً لمولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله صاحب السيرة أيده الله بعيد الأضحى في عام ست وثمانين ومئتين وألف سنة فقال أبقاه الله:

[تهنئة العلامة جحاف للإمام عليه السلام بعيد الأضحى سنة ١٢٨٦هـ]

[من البسيط]

هنيئ عيد الأضحى يا أخا الحسب
ويا أخا البر والمعروف والأدب
ويا حليف التقى حقاً بلا كذب
ويا أليف الوفا الممدود في العرب
وصاحب العزم والحزم اللذان هما
أجل آيات علي الشأن والرتب
هنيئ عيد السعادة والرضاء فدم
براً سعيداً وفيأ بالغ الأرب
وعش من السالمين الغانمين ومن
أهل [البصرة]^(١) والتدبير في العقب
ولا برحت تجرّ الجيش يقدمه الـ
إقبال فيه جياذ الأنجب النجب

(١) في الأصل: البصير، وما أثبت لعله الصواب. والله أعلم.

فيه الفوارس من أبناء فاطمة
 وكل ليث أليف الوثب إن يثب
 والبيض تحسبها زي النجوم إذا
 ترى الظلام بنقع المعرك العطب
 والأرض ترجف لولا أنها بنيت
 على السكون لحرب كل متصب
 حتى تزيل جميع البغي والعبث الـ
 —معهود من محشر— الأوباش والنصب
 وهاك نصحاً وخير الناس بأذله
 إن النصائح أغلا خصلة العرب
 فلا برحت بجبل الله معتصماً
 به سميعاً لأهل النصح غير أبي
 ودام عزك والسلطان فوق ذرى الـ
 علياء يخدمه الإقبال لم يغيب
 ثم الصلاة على طه مكررةً
 وآله الطهر مهما شئت من سحب

من أحقر العباد أسير الوداد، إلى الإمام فاتح باب الجهاد، الداعي إلى سبيل الرشاد،
 الذي أقام الدين وشاد، وسما على نظرائه فساد الأجماد، مَنْ جَلَّتْ سوابقه، وكرمت
 معارفه، وعمّت فضائله، وتكاثرت فواضله، الكريم الأشهر، الحميم البر، ذو المنصب
 الرفيع الأغر، والمنتقى من نسل الإمام المطهر، مولانا أمير المؤمنين، وسيد المسلمين،

المتوكل على الله رب العالمين المحسن بن أحمد بن أمير المؤمنين.

أسامياً لم تزده معرفةً وإنما لذة ذكرناها

فيالك من نسب أزهر، ومنتمى أنور، وجوهر نفيس شريف، ومنصب عالٍ منيف.

نسبٌ كأن عليه من برد الضحى شمساً ومن فلق الصباح عموداً

شرف الله قدره، وأطال عمره، وأطاب ذكره، وحياه بإحسانه وإتحافه، وأمدّه بعونه والطفه، وأسبغ عليه ظل رحمته ونعمه، وكفاه مخدورات بأسه ونقمه، وأدام لنا بهجة الأمتاع، ويسر لنا بمنه وكرمه حسن الاجتماع، إنه سميع الدعاء قريب النداء، لا يخجله كثر الإلحاح، ولا يبرمه تتابع الجاج السائل فيمنعه النجاح.

هذا وأنه لما كان هذا الإمام العظيم المتحوف بأزكى التحيات والسلام الجزيل العظيم ورحمة الملك الرحيم، ممن عظمت فضائله ومعاليه، وسلمت صنائعه وفواضله وأياديه، ملك القلوب، وحر ولائي وودادي، فنظمت فيه وسيع النظم المتزين بذكره والأيادي، ولم أكن في ذكر صفاته محصياً لها بالعد، والتعريف لها بالجد، وهي مجاوزة الحد.

وما أنا ومديحي فهو من ملأ مديحهم جاء في التزليل والسور

وما سلكت الغلول^(١) إذ هو الجدير بهذا الشأن، ولا سجعت النثر فيه كسجع الكهان، كما نهى عنه سيد ولد عدنان، وكنت في ذلك كما قال الحمداني الذي أجاد فيما

قال: [من الطويل]

ألا.. قلّ لسيف الدولة القوم أنني

على كل شيء غير وصفك قادر

(١) يريد ما سلك المغالاة في مدحه.

فلا تلزمني خطبة لا أطيعها

فمسعك في المجد المبرح باهر

ولكنني لا أعطل القول عن فتى

أساهم في عليائه وأشاطر

نطقت بفضلتي وامتدحت عشائري

ولا أنامداح ولا أناشاعر

ثم حداني ثانياً على حمل هذا السبب قول أبي الطيب المتنبي: [من البسيط]

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

فاجز الأمير الذي نعماه ماحية

بغير قولٍ ونعمٍ الناس أقوال

ثم إني وجدت السهولة في تيسير مدحه بغير تكلف ولا تعسف بنقل، سببه جزالة
وركة المعنى، وعدم الملائمة في النظام الذي معظم ما يراد من كل شاعرٍ إذ الميل إلى
غيرها يلزم منه الإخلال وقد يعد معتمده قصير الباع في مراعاة البراعة كالربوع الخالية
العافية الأطلال، ومولاي ممن يتسهل ويتيسر به النظم البديع وتفكير الفقير في الشر
وأحكام التشجع شعراً:

ويمثله فليبره أرباب الحجى

ويمثله تتزين الأوراق

واستحسن نشر مدحه في الوهب والأنجاد، كونه نوعاً من الجهاد، ولعلو شأنه
وإغاضة الحساد، وقصدت بذلك ابتغاء وجه الله ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا

«أَتَنَّهُ اللَّهُ» [الطلاق: ٧] والله المسؤول أن يجعل الأعمال والأقوال خالصة لوجهه الكريم، وموجبة لما يزلف إلى الفوز بجنت النعيم، بحق محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[الجواب على التهنئة]

انتهى الكتاب ويتلوه الجواب لبعض أهل الحضرة، قال المجيب غفر الله

له: [من البسيط]

أعجب بنظمٍ أتى من نحوذي أدب
فيه الهدى والتقى من غير ما كذب
أهلاً به وارداً إذ قلت يا عالماً
أبر من رحمي الأدنى واشفق بي
زان الرقاع فأزرى بالعقود على
أجساد سامية الأقراط والعذب
ياسيد الآل أحسنت الطريقة إذ
سلكت في طرق الإحسان والقرب
فلمست تمدح نذلاً أو فسوق ولا
استجديت بالنظم أهل المال والنشب
بل صار في لبة الإحسان يرقم في
صحائف البر والأعلى من الرتب

بقيت شمساً تضيء الجاهلين إلى

النجاة في يوم لا خلٍ من النسب

واهدي الصلاة على خير الأنام مع

الآل الكرام مدى الأيام والحقب

ما بيض الأماني، وبوالغ التهاني، وعقود الدر والمرجان، وملذ اللجين والعقيان،
كعقد فريد، ومهرق نضيد، ورد من تلقاء من تلقى راية البلاغة باليمين، وصار الغرة
الشادخة في آل الميامين، إمام العارفين، وناظرة المحقين، وختام العلماء العاملين.

علامة العلماء والليج الذي

لا يتهي ولكل بحر ساحل

وجيه الإسلام عبد الرحمن بن محسن جحاف، لا برح في خفي الألفاف، وسواغ
الإتحاف، مخصوصاً بسلام يشرق في سماء الأقطار نوراً، يفوح في بيض الرقاع عطراً،
ورحمة الله في كل حالٍ تترا.

وبعد حمد من الحمد من إنعامه، وصلاته وسلامه على مسك ختامه، وآله الذين شيدوا
عالي مقامه، فإنها وردت تلك المعاهدة المهنية بماضي العيد السعيد، والموسم المبارك الرشيد،
أعاد الله الجميع إلى مثله وأمثاله، في عافية وافية، وألفاف سارية، وسلامة في الأديان، وقبول
في الأعمال، وشمول في الحسان، فنشرت برود البلاغة، التي أعجزت الكميت وابن المراغة،
وبلغت في نظم عقود الدر والجواهر، ما زين الأوصاف للناظر، وكانت بشرى الكميت
وذكرى حبيب، ومن غاب عنه المطرب، وبرأ ساعة في الطلب والجلس والأنيس، والعقد
الموصف النفس، كما قال البليغ المهبل:

جواهر أفكار يغار لحسنها

إذا برزت عقد الال المنظم

يذل لها فود الوليد لعجزه

ويضحى زيادٌ عندها وهو أعجم

وعبقت روائح العود والعنبر، ونوافح المسك والأذفر، وحسن رقمه في السيرة المتوكلية، وتقليدها بجواهره البهية، وتخليده في أجيادها سموطاً لؤلؤية، وبقاها ذخيرة لكم ليوم المعاد، وسيلة ليوم يقوم الأشهاد، فطوبى لكم بالزلفى وحسن المآب، فربّ قولٍ أنفذ من صول، والقلم قرين السيف وأخوه في تشييد أركان الدين، وتجديد مآثر المحقين، أدام الله على الإسلام محاسنك الفائقة، ونقعات قلمك الرائقة، وجعله سعياً مشكوراً، وعملاً مبروراً، وشريف السلام، يكون مسك الختام، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الكرام.

ولما كان هؤلاء الملاحدة قد عظم شرهم في الإسلام، واستطارت فتنتهم في الأقاليم ورقمت بالأقلام، ولم ينتصب في نحورهم، ويرفع في صدورهم، غير أئمة العترة المطهرين الأعلام، إمام في إثر إمام، وقد ذكرنا الجوابات الماضية قريباً على بعض شياطينهم، ومردة دينهم، وفيها إيحاء إلى بعض أحوالهم، وما جرى بينهم وبين أئمة الآل فيما سبق كانتصاب مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين صاحب هذه السيرة أيدى الله بعزیز نصره، وثاقب أمره، على النهج الذي سلكه سلفه المحققين، ونوره آباؤه المطهرين.

[ذكر بعض دعاة الباطنية وبعض من جاهدوهم من أئمة الآل عليهم السلام]

حسن^(١) أن نذكر من سلف من دعائهم المضلين ومن عارضهم من الأئمة الهادين وقد أسلفنا في الجزء الأول ذكرهم على سبيل الجملة وهنا على نوع من التفصيل مع غيبة من الأسفار، التي كشفت الأستار، وجلّت عن وجه حقائقهم الغبار، إذ كنا في حكم الأسفار، ودار اغتراب وبعد عن الأوطان، في مصاحبة إمام الزمان، وملازمته في رباط الجهاد في حصن بيت ردم مخيم ركاب الجناح الإمامي أعلاه الله، لمشاغرة هذه الطائفة الكفرية، والفئة الردية، وما أمكن مما علق بالحفظ فقد أثبتناه من غير رجوع إلى مضان النقل وأمهات التواريخ، التي تضمنت أحوالهم على التحقيق، وشرحت فتنهم من كل طريق وبالله الاستعانة والتوفيق والهداية والتسديد، وعليه نتوكل والعذر واضح في عدم البسط إذ هو يستوعب مجلدات كباراً، ويستغرق بسط الأسفار، والقسط الإشارة المغنية للناظر.

فنقول: كان ابتداء أمرهم كما ذكر الحاكم العلامة الكبير جمال الشيعة، وبحر الشريعة، وصاحب المؤلفات الوسيعة، المحسن بن كرامة الجشمي، الشيعي، العدلي، الزيدي، رضوان الله عليه، هو أن طوائف المجوس لما اتسعت رقعة الدعوة المحمدية، وانبسطت شمس الأدلة النبوية، وعجزت عن ردها ومعارضتها طوائف الكفر الردية، فإن فزعوا إلى السيف والمغالبة بالقوة فقوتهم قد اضمحلت، وسيوفهم قد

(١) جواب (لما).

كلّت، وإن عدلوا إلى الحجة العقلية، والأدلة الكلامية، فحجبتهم داحضة، وأمامهم من علماء الإسلام من قد تبحر في المعقول والكلام، وكل جدير بما يدفع شبههم المنهارة، بما يتضح في العقول والألباب ويلجئهم إلى الإقرار، ويأطرهم إلى قبول الحجة على سبيل الاضطرار، فأعملوا النظر في الحيلة التي هي مطلبهم وسيلة، ودس دسائس الكفر في الإسلام، والتغمير على جهلة العوام، والتظهر بالدخول في جملة المسلمين، وإبطان الكفر والإلحاد في الدين، فاجتمع شياطينهم في الدبير^(١)، وأحالوا النظر في الحيلة على أي وجه يروج لهم، وفي أي سبيل يلوح لهم فقال قائلهم: إن المسلمين طائفتين^(٢) شيعة وسنية ومقصدهم دس الدسائس الكفرية في الفريقين فتدخل أحد شياطينهم في مذهب السنية وقد نظروا في تخليط المتسمين بالصوفية فنهج في منهجهم ويدس الحلول بالقول بالوحدة وإباحة المحرمات من الأغاني وإحضار الولدان والتقضي- عن الواجبات وسقوطها عن قد وصل إلى عميق كفرهم البواح، والضرب بآلات الملاهي في جوامع المسلمين، والتغني برقائق الأشعار في مواطن العبادة لرب العالمين، والتشبت بشيء من الأسحار، لإظهار الكرامات التي يموهون بها على العامة ويؤكدون العقائد فيهم من جهلة المسلمين، وفي الحقيقة قد سلخوهم من الشريعة المحمدية، وصادوها بالمحرمات الوبية.

والآخر من مردتهم تدخل في مذهب الشيعة ويظهر التجرم لأهل البيت والبكاء عليهم فيما نالهم من أعدائهم، ونظروا في تخليط لإمامهم وانتظارهم القائم من السرداب، وزعمهم أن الإمامة الكبرى في مخصوصين بالنص، ملحوظين بالتعيين الأخص، فنهجوا منهاجهم واقتفوا أثرهم وإدراجهم ووافقوهم في أوائل أئمتهم

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب التدبير والله أعلم.

(٢) الصواب طائفتان.

وزعموا أن الإمامة وصلت إلى الصادق جعفر بن محمد الباقر، وأنها من بعده في ولده إسماعيل بن جعفر، وأنه المنصوص عليه، إما من أبيه أو من رسول الله ﷺ افتراءً وهتاناً، وأن الإمامة بعده لولده محمد بن إسماعيل بن جعفر، فلما مات محمد بن إسماعيل عمدوا إلى قبره ليلاً واستخرجوه من قبره المشهود، ودفنوا فيه خشبة من عودٍ، ثم أظهروا أمرهم أنه لم يمت وأنه استتر على نمط قول الإمامية في محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى الرضا وأنه المستور وأخرجوا من قبره تلك الخشبة التي دسوها، فاغترَّ بذلك من اغترَّ من الجهلة، وراجت عندهم تلك الحيلة المعتقلة، فاجتذبوا بها من ليس له بصيرة في الدين، وقدم راسخة في الأدلة والبراهين.

ذكر ميمون القداح وعلي بن الفضل ومنصور بن حسن

ثم تمهدت لميمون القداح، شيطان الكفر البواح، أن يخدم قبر ثاني السبطين، المولى أبي عبد الله الحسين، ويكي لمصابه، وينتظم في أحبابه، وكان فيه فطانة وكهانة يبحث عن دفائن الزوار ويجتذب أهل الغباوة، فزار علي بن الفضل الخنفرى قبر الحسين من اليمن الأقصى وصادف زيارة منصور بن حسن العقيلي، فرأهما ميمون القداح وفيهما مخايل القبول لغرضه، والانخراط في مقصده، فأعلمهما أن ولده عبيد الله بن ميمون، هو صاحب الدعوة في المكنون، ومتحمل السر المصون، وأنه سيكون له نبأ واجتذبهما بالحيلة، ووصلهما بأموال جلييلة، قد كان جمعها من أهل مذهبه، يتوصل بها إلى مطلبهم ومطلبه، فانخرطا في سلكه، وانخدعا إلى إفكه، فخرجا إلى اليمن لعلمهما أن أهل اليمن أقرب إلى الانخداع، وأكثر غفلة من غيرهم من أهل الأصقاع، فنزل منصور بن حسن مغارب صنعاء، واتخذها محلةً وربعاً، وما زال يروغ روغان الثعالب، ويتوسل إلى نيل المطالب، حتى اجتمع له من بني شاور وأهل لاعة وجبل تيس بطانة وافية،

وعدة كافية، فوثب على جبل مسور المتتاب، وأخذه بالقهر والاعتصاب، وحصنه وزينه وملأه بالأموال، وعضده بالرجال، ونشر الدعوة لعبيد الله بن ميمون وسماه بالمهدي، وأرسل أبا عبد الله المعروف بالشيعة أحد خلصائه، وأجل أعوانه، داعٍ إلى القيروان، فنزل بطائفة البربر من السودان، وأظهر النسك والبكاء على أهل البيت، ولا يزال يدعو من وثق به على أمره على تلك الوتيرة، حتى انجذب إليه الجسم الغفير من البربر وغيرهم، وكان في إفريقية زيادة الله بن الأغلب آخر ملوك بني الأغلب، وفي الأصل أن هارون الرشيد ولّى هذه البلاد محمد بن الأغلب وأمدّه بالأجناد، وعضده بالعتاد، مع دعوة الإمام الأعظم إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وانتشار أمره في ذلك القطر، فخاف هارون أن يستفحل أمره، وتقوى شوكته، وكان أعظم اهتمام بني العباس بالعلوية من أولاد السبطين سلام الله على أئمتهم المحققين، يخافون ظهورهم كل الخوف، ولا يباليون من مخرج عليهم من غيرهم، ودسّ إلى الإمام إدريس % السّم، قيل مع سليمان بن جرير أحد علماء الزيدية، وقد أجزل له العطية فمال إلى الدنيا الدنية، بالجعالة الوبية، فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المين.

فلما توفي الإمام إدريس قام ولده الإمام إدريس بن إدريس فانتصب لحربه ابن الأغلب فلم يظفره الله به، ولم تقوى شوكة الإمام على قواعد المملكة في تلك البلاد، فتداولها بنو الأغلب حتى ظهر أبو عبد الله الداعية المدعو بالشيعة، فقاتله زيادة الله بن الأغلب فغلب، وفرّ من مملكته هارباً إلى الديار المصرية، فاستولى أبو عبد الله على تلك المملكة وساس أمورها بدهاية، واستدعى عبيد الله المتسمي بالمهدي وهم يزعمون أنه عبيد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل، وتارة يقولون عبيد الله بن المستور بن الحجة بن محمد بن إسماعيل، والصحيح أنه عبيد الله بن ميمون القداح المجوسي الذي ذكرناه قريباً، وكان ظهور عبيد الله بن ميمون في سنة ثمانين ومائتين من الهجرة، وهي

السنة التي خرج الهادي % فيها إلى اليمن الخرجة الأولى، فلما تمكن عبيد الله في تلك البلاد ندم أبو عبد الله الداعية على تمكنه من المملكة الواسعة بعد أن ملكها لنفسه بسعيه، فأراد الغدر بإمامه وبلغ ذلك إلى المهدي فأرسل من قتله وقتل أخاه أبا الحسين، واستبد بتلك المملكة وبنى المهديّة مدينة بالقيروان، بالقرب من مدينة إفريقية وحصنها.

وكان علي بن الفضل قد ظهر في اليمن الأسفل، وحقيقة أمره أنه خرج إلى بلاد يافع وهم قبيلة واسعة، فيهم غباوة وشجاعة، وانخرط إلى داعي الضلال فأظهر التنسك والعبادة في رؤوس الجبال، والانعزال عن القرى والقرار، وإذا وصله أحد بطعام أخذ السير من ذلك وأرجع أكثره، ويوهم الصيام والقيام، فحاوله أهل تلك البلاد في السكون في بعض قراهم فقال لهم: لا يساكنهم حتى يأتروا بالمعروف ويتنهبوا عن المنكر، ويتركوا ما هم عليه من المعاصي، فانقادوا لقوله، وانخدعوا لنفاقه، حتى اجتمعت له طاعتهم، فخرج بهم على صاحب لحج ومتوليها من جهة جعفر بن إبراهيم المناخي ملك اليمن الأسفل، الذي ينسب إليه خلاف جعفر فهزمه الوالي وقتل من أصحابه، فاجتمع إليه أصحابه بعد الهزيمة، في أطراف بلادهم فقال لهم: إن هؤلاء القوم قد أمنونا الآن بعد الهزيمة فالرأي أن نرجع إليهم وهم آمنون حتى نبغتهم على غير أهبة منهم ولا استعداد، فساعدته أصحابه فلم يشعر الوالي إلا وهو معه في بلدته فقتل الوالي واستولى على جنده وخزانة، وكان يشخن في القتل، ويستقصي في تنكيل من قدر عليه، فاهتز اليمن لصولته، وأذعن الأكثر لدولته، فجمع جعفر بن إبراهيم المناخي جموعه، ورحل إليه فالتقاه بجموعه فهزم علي بن الفضل وقتل من أصحابه كثيراً، فرجع إلى ما قد استولى عليه، وجمع جموعاً وتجهز إلى المخلاف، فالتقاه جعفر فهزمه علي بن الفضل واستولى على خزائنه حتى أجلب بها، ثم تبعه إلى المخلاف وقتله واستولى على البلاد، وجعل المذيخرة قاعدة ملكته، وقرار ذخائره، وتحت سلطانه ثم

جعله يجهز إلى الأطراف ويستولي على البلدان، وكان بنو يعفر ملوك البلاد والعلياء فطلع علي بن الفضل بجموعه فحاربه بنو يعفر، فغلبهم على البلاد، ودخل صنعاء، وكتب صاحبها منصور بن حسن، وكان علي بن الفضل يتدلل له في بادي^(١) ويتأدب معه، ويقول له إنما أنا سيف من سيوفك، فلما استولى على صنعاء أظهر الكفر البوح، وكان تارة يؤذن مؤذنه أشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وتارة يدعي الربوبية، ويكتب إلى أسعد بن أبي يعفر: من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها، علي بن الفضل إلى عبده أسعد بن أبي يعفر، ودعا إلى نفسه، وطلب من منصور بن حسن أن يتابعه على أمره، ويخلع طاعة عبيد الله المهدي، فوبخه منصور ونهاه فلم ينته، وخرج لمحاربه منصور فلم يظفر منه بشيء، فصالحه وأرسل ولده إليه، فطوقه بطوق من ذهب، وكساه وأرجعه، ونزل زبيد فاستباحها وسبى الحرير والذراري، وصالح بني يعفر، وولى أسعد على صنعاء ومخاليقها، ورجع إلى المذبحرة.

[معركة الإمام الهادي عليه السلام مع الباطنية في ريدة]

واستدعى أهل صنعاء الهادي % فوصل إلى ريدة، ووقع القتال بينه وبين الباطنية أعوان ابن الفضل، فنصر - الله المسلمين، فقاتل الهادي % بنفسه وولده المرتضى - محمد بن الهادي، وقتل الهادي مائة مقتول بيده وولده المرتضى قريباً من ذلك، وكانت من الوقعات الكبار بينه % وبين الباطنية وفيها يقول %: [من الكامل]

الخيـل تشهـدي وكل مثقف

بالصبر والإبلاء والإقدام

(١) كذا في الأصل، ولعلها في بادي أمره.

حقاً ويشهد ذو الفقار بأنني
أرويت حديه نجيع طغام
علاً ونهلاً في المواقف كلها
طلباً بثأر الدين والإسلام
حتى تذكر ذو الفقار مواقفاً
من ذي الأياد السيد القمقام
جدي علي ذو الفضائل والنهي
سيف الإله وكاسر الأصنام
صنو النبي وخير من وارى الثرى
بعد النبي إمام كل إمام

وبعدها جرت أمور لا حاجة إلى التطويل بشرحها، والقصد تفصيل أحوال الباطنية وذكر فتنهم وابتداء أمرهم في اليمن، وأما سيرة الهادي % فهي مزبورة موجودة بأيدي الناس.

وقام بدعوة عبيد الله المهدي أبو سعيد الجنابي بالحساء والقطيف وجمع من غوغاء الأعراب أتباع كل ناعق، وأحزاب كل منافق، واستولى على البصرة في سنة ست وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد، فجهز المعتضد العباس بن عمرو العنوي في جند كثير والعباس المذكور من كبراء القواد في الدولة العباسية، فوصل العباس إلى الإبله بالقرب من البصرة، فالتقاء القرمطي أبو سعيد فكانت الدائرة على الجنود العباسية، وأسر الجيش جميعه، وضرب أعناقهم جميعاً إلا رئيسهم العباس بن عمرو فإنه أطلقه، وقالوا له: ارجع إلى صاحبك فأخبره بما رأيت، وهلك أبو سعيد بعد ذلك.

[أخذ الباطنية للحجر الأسود]

وقام ولده طاهر أقمأه الله بالدعوة الكفرية وبقي مستولياً على ما استولى عليه أبوه، ثم إنه قصد الموسم ووصل المشعر الأعظم عرفات في يوم عرفة لعله سنة ثلاث وتسعين ومائتين في خلافة علي المكتفي بن المعتضد أحمد بن الموفق طلبه بن المتوكل جعفر بن المعتصم، فاستباح العين القرمطي طاهر حجاج بيت الله، وقتلهم في عرفات، ثم بين الركن والمقام في مكة، واقتلع الحجر الأسود المعظم، وهدم بعض أركان الكعبة المشرفة وهو يرجز ويقول:

قد حان من كعبة دمارها

والله فيما يزعمون جارها

أخزاه الله ولعنه وأقمأه، ثم رحل بالحجر الأسود وقد قتل من الحجاج فوق أربعة آلاف، وبقي الحجر الأسود كما ذكر القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان في تاريخه مقدار عشرين سنة، ثم وصله كتاب عبيد الله المهدي يلعنه ويمقتة على أخذ الحجر الأسود ويأمره برده ويقول له: حققت علينا الكفر بقولك هذا فارجه إلى مكة، وقال: أخذناه بأمرٍ ورددناه بأمر، فذكر في بعض التواريخ أنهم حين أخذوه كان يحمله كل يوم جمل ويهلك في آخر يومه، وأنه لم يصل إلى بلدهم الخبيث إلا وقد هلك من فوق عشرين جملاً، وحين ردوه حمله بغل من ديارهم إلى مكة المشرفة، وأخبارهم تطول وتستغرق مجلدات وقصدنا الإشارة.

[مقتل القرمطي علي بن الفضل]

وأما ابن الفضل عدو الله فإن الله سبحانه أتاح له عبداً من عباده، وهو أنه لما تمهدت له البلاد، وأدعن بنو يعفر لصولته، وذلوا لدولته، فولى سعد بن أبي يعفر صنعاء فبقي فيها وجلاً من غدره، وخائفاً من سطوته، وكان لا يستقر له قرار يتوسم الفرار، فوصل إليه شريف حسيني غاب عني اسمه حال رقم هذا فوجده خائفاً وجلاً، وكان هذا الشريف حاذقاً بالطب جراحياً^(١)، له في فنون الطب يد قوية، ومعرفة سوية، فاتصل بأسعد لهذا المقصد فوجده على الحال التي لَمَحْنَا إليها فسأله عن سبب خوفه فذكر له ما يخشاه من عبد القرمطي وعدم الثقة فيه وما هو عليه من الكفر والانسلاخ من الدين.

فقال له الشريف: إني قد عزمت على أن أهب نفسي - لله سبحانه، وأريح الإسلام والمسلمين من هذا الطاغية، واحتسب نفسي لله وأطلب الشهادة في سبيله.

فقال له أسعد: اذهب إلى مطلبك فإن قتلته وسلمت لأقاسمك في ملكي، وإن قتلت فما عند الله خير للأبرار، وإن الآخرة هي دار القرار، فارتحل الشريف حتى أناخ بالمذيخرة وما زال يداوي من في حضرة القرمطي من أجناده وأهل دولته، واشتهر حذقه وصناعته وإنجاح عمله، ووصف لابن الفضل، فاحتاج إلى الفصد فاستدعاه ليفصده، فوضع سماً قد أعده في أطراف لحيته، ودخل ومصّ المبضع على ما يعتاد من دخل على الملوك من إظهار طرافة الساحة، ثم جعل يجففه في أطراف لحيته حتى علق به السم ثم فصده، وخرج مسرعاً فالتهب ابن الفضل وأحس بالشر، وغشيه السم، فطلب الطبيب فلم يجده، فتبعوه حتى أدركوه بالسحول قريب من جهة حبش^(٢) فقاتل عن نفسه حتى قتل هنالك شهيداً رحمه الله، وهلك اللعين ابن الفضل إلى غير

(١) كذا في الأصل، والمراد أنه طبيب خبير بالجراحة.

(٢) مديرية من أعمال محافظة إب.

رحمة الله، فلما بلغ الخبر أسعد بن أبي يعفر جمع الجموع وارتحل إلى المذيخرة فأخذها وأخذ ذخائر القرمطي وسبى حريمه، ومن الجملة بناته أعطى إحداهن قحطان بن محمد بن أبي يعفر فولدت له عبد الله بن قحطان الذي ملك اليمن وهو آخر ملوك بني يعفر وأعظمهم حالاً، وكان هلاك ابن الفضل في سنة تسعين ومائتين.

وأما منصور بن حسن فإنه بقي في (مسور) مستولياً على المغارب حتى هلك، وورث الدعوة ابنه محمد، فوقع بينه وبين أحد أركان دولتهم منافسة، فذهب ذلك الرجل إلى القيروان فقلدوه الدعوة باليمن، فرجع فلم يمثل ذلك محمد بن منصور بل ثار على هذا الرجل وقتله وتبرأ من مذهب الباطنية، وخرج إلى مذهب أهل السنة وقتل القرامطة في جهته، ولكنه هلك وفيهم بقية على ذلك المذهب الردي والنحلة الكفرية، فقام بهذه الدعوة الكفرية والنحلة الردية عامر بن سليمان المعروف بالزواحي وعبد الحميد المتناي، وسكن الزواحي جبل بيت ذخار الذي طرفه المعقل المشهور المسمى كوكبان أحد المعاقل المنيعه باليمن، وسكن عبد الحميد جبل مسور مستقر هذه الدعوة الضالة، وبقياً في تأسيس وتليبس، ودعاء إلى شرع إبليس، حتى أطعيا كثيراً من حمير وبني شاور والحواليين وأهل وادي لاعة.

[قيام الإمام الناصر بن المهدي عليه السلام ووقعة نغاش]

وذلك عند ظهور الإمام الناصر لدين الله أحمد بن أمير المؤمنين الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، فتآلبت القرامطة من كل فج، وأصروا على ذلك المنهج، وأظهروا كفرهم الخبيث، واستولوا على كثير من البلاد المغربية وبعض التهائم، وحفّاش، وملحان، وحراز مدع، وبلاد حجة، فبعث الإمام الناصر الرسائل، وبث الوسائل، وجمع الجموع، وجعل رئيسهم رئيس العصاة، وسهم الإصاة، ليث العرين، وحتف

القرين، عبد الله بن عمر الهمداني رحمه الله تعالى، وهو كان مع الهادي %، وولده الناصر صاحب المناقب والمقانب، الأسد الباسل، وحسبه هذه العروة الغراء، والوقعة الكبرى، في نغاش بالنون بعدها غين معجمة بعدها ألف ثم شين معجمة فإنه أبو عذرهما وهي غزوة، قلّ ما يوجد لها نظير، علت فيها كلمة الحق، وهو أنه لما التقى الجمعان، والباطنية جموع كثيرة تقدم عبد الله بن عمر بين الصنفين وخطب المسلمين.

وقال في خطبته ما معناه: يا معشر المسلمين إن هذه الطائفة الملاحدة قد تجمعوا من كل صوب، وتآلبوا من كل أوب، وساقهم الله إلى دياركم وألّموا بأقطاركم، ووالله رب العالمين إن لم تصدقوا القتال، وتحيّدوا النزال، وأرى هذه المضارب حزقاً في أيديكم الآن ليكون هؤلاء القرامطة أعياراً في بلادكم، يستيحيون حريمكم، ويبدلون دينكم، وكان هذا الرجل العظيم والرئيس الكريم قد مرّ بخاطره من قبل هذه الوقعة ذكر القرامطة ونكايتهم فترجّح له أن يأخذ حصن مدع ويسكن فيه، فهاجت القرامطة لذلك ولم يفعله إلا لهذا الغرض رضي الله عنه فلقوا إلى نغاش بجموعهم الكثيفة كما وصفنا وبقي من أمراء الإمام الناصر للحق % هذا الرئيس الجليل، والسيد الهمام الكبير، إبراهيم بن المحسن العباسي من ولد العباس بن علي بن أبي طالب"، وعبد الله بن محمد السعدي، فاجتمعوا في نغاش كما ذكرنا وجاءت الباطنية في جموع هائلة، وشارة^(١) تروع الألباب، وقال قائلهم في بعض الأوقات وقد ضربت الخيام من الفريقين: اللهم انتقم لدينك، وانصر من كان منا على الحق، فأمنت الزيدية من مضاربها فحملت الزيدية حملة رجل واحد، وحطمت الباطنية فقتل فيها من الباطنية سبعة آلاف رجل ولم يقتل من جماعة الزيدية إلا رجل واحد، وكان هؤلاء الرؤساء الثلاثة ممن يتزين الإسلام لمكانهم في العلم والعمل، وكانت القرامطة تتجرم من

(١) الشارة: الهيئة واللباس والزينة كما في القاموس.

عبد الله بن عمر هذا، وفيه يقول راجزهم لما تصافت الخيام وكادت القيام^(١) أن تحطم
القتام في رجز طويل حفظ منه قولهم:

تسمّعوا قولي وقولوا ما الخبر

قدهيج الحرب علينا ابن عمر

أراد في^(٢) ذاك علواً فأنحدر

وطال ما زاجلنا^(٣) على دبر

لا يدني من مركز رأس مدر

والمركز الثاني بنو عبد البقر

حتى يرى أجودنا من الخبر

وينصب الرايات في أرض عذر

فأجابه راجز الزيدية الغطريف الصايدي رحمه الله تعالى فقال:

يا أيها القائل صدقاً لم يجز

قدهيج الحرب علينا ابن عمر

فليس من أفعاله فعل نكر

فاسأل به إن كنت تزدداد الخبر

أيام ذي طوق بحجر وشعر

ويوم حليان^(٤) فأدهى وأمر

(١) كذا في الأصل.

(٢) في مطلع البدور: ازداد.

(٣) في مطلع البدور: ما راحلنا.

(٤) في مطلع: ويوم حيسان.

وفي سحول وغلاس كالصبر
وفي الظفارية يوم مشتهر
وبالشوافي كان يوم مستطر
من كفه كان لكم فيه العبر
كم يوم فخر كان لليث الأغر
ويوم معموم له يوم بكر
حتى يلاقي الجيش يوم يتدر
وكانت الكثرة فيها كالشرر
وأقبل الأعور يعدو ويكر
فرده بطعنة على فقر
ففرج الكربة في وقت السعر
يشهد هذاك^(١) جميعاً من حضر
فاعمل بما شئت وما شئت فذر
ولا تقل قول جهول ذي أشر
ازداد في ذاك علواً فأنحدر
لكن سائم علاكم وقهر
قد بذل المهجة في وقت الذعر
ولو نظرت في صحاحات الأثر

(١) في الأصل: هناك، وما أثبتناه من مطلع البدور، والله أعلم.

وجدته آل النبي قد نصر—
وقام لله بما فيهم أمر
ذلك عبد الله ينمي به النفر
قائدنا المهيوب معروف الخطر
نحن بنو همدان سادات صبر
الناصرين الحق من كل البشر—
والضاريون من على الكفر أصر
ولأنوالي من بهادنيا غدر
فالغدر ملعون ومأواه سقر
يا قرمطي أثبت فما منّا وزر
بنو رسول الله أولى بالظفر
إذا تلاقينا فلا تشك الضجر
لا بلدنا^(١) من مركز ومستقر
في بيت علما فدع عنك مدر
ومسور لا بد من رأس الحجر
والعير في ملكي فخذ منا الحذر
وفي طمام سوف يأتيك الخبر
إنّا كما قال الحكيم ذو بصر—
إذا التقينا فالجبان من نقر

(١) في المطبع: لا يدنا.

وهذه الواقعة صارت تاريخاً في الأزمان وعلوة في حد الإيمان، وهذا عبد الله بن عمر تلبس^(١) بالعلامة الرئيس الفاضل اللسان البليغ عبد الله بن أحمد التميمي رحمه الله أحد رجال الزيدية في عصر الهادي إلى الحق وابنيه"، وله أشعار رائقة، وكلمات فائقة، ورياسة نفعت الإسلام.

قال القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال: وعده في العلماء أولى من عده في الشعراء، وإن كان له شعر جيد فهو زينة في لبة علومه، وحلية في جيد معارفه ورسوله^(٢).

قال الشيخ أبو الغمر مسلم اللحجي: وأحسبه صاحب المسائل التي في أي من غريب القرآن وغوامض معانيه، وهي كثيرة سألتها عنها الإباضية فسأل عنها إمامه الناصر للحق أحمد بن يحيى x فأجاب في ذلك الجواب المعروف في أيدي الزيدية، وهو من جلائل الكتب في علم التفسير لأنه قد جاء في الأخبار أنه كان يأتي نواحي الإباضية ويرد عليهم جهالاتهم، وكانت بيعة الناصر % في يوم الجمعة نصف شهر صفر الخير سنة إحدى وثلاثمائة من الهجرة النبوية وكان يوماً مشهوداً، حضره جلة العلماء والرؤساء، منهم من ذكرنا مقدامة^(٣) وقعة نغاش، وقال عبد الله بن أحمد التميمي في ذلك اليوم قصيدة طنانة أولها قوله: [من البسيط]

صبح^(٤) المشيب أزاح اللهو والطربا

وأبدل النسك والأخبات والهربا

(١) كذا في الأصل، والمراد كان كثير المجالسة للعلامة التميمي.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها ورسومه، والله أعلم.

(٣) المقدمة أي الذين كانوا في مقدمة الجيش في وقعة نغاش.

(٤) في مطلع البدور: نصح.

وقال فيها في الناصر %:

إذا غدا تخفق الأعلام غاديةً
 من فوقه وتظل البيض والشربا
 لم يبق طاغ يكيّد الحق معتمداً
 إلا هوى ونجا من خوفه هربا
 سَبَطَ البنان إذا لم تند شائمةً
 ماض الجنان إذا حُدَّ الحسام نبا^(١)
 إذا ارتدى ابن رسول الله مُدَّرِعاً
 نجاد سيفٍ أذل الجور والريبا
 دافعت عن قبة^(٢) الإسلام حاسدها
 فما تركت له رأساً ولا ذنباً
 أنت النجيب الذي اختار الإمام لنا
 كما أخاك لنا الهادي الرضى انتجبا
 ذكرتنا سيرة الهادي وقمت بها
 وسرت فينا بعز الدين والحسبا
 مكارم علوياتٍ نهضت بها
 سامي الحجا^(٣) تقفوا الأباء والرتبا
 ورثها عن رسول الله لا خطلاً
 رجاء عدوك أن يغتالها فنبا

(١) في مطلع البدور: بسط البنان إذا لم يبدُ شائمةً.

(٢) في مطلع البدور: عن فئة.

(٣) الحجا: العقل.

حطت البرية والإسلام متبعاً
أفعال جديك تنفي الهم والكربا
لما وهت عروة الإسلام قمت بها
بساعداً لم يكن دحشاً^(١) إذا ضربا
حفظت جدك في أقطار أمته
ذباب^(٢) سيفك يكلا العجم والعربا
جلست مجلس هادينا وصرت لنا
حصناً وأذيت تقريباً من اقتربا
الحامل العبء لا يستطاع بحمله^(٣)
والتارك القرن بين الخيل مستلبا
عظيم هاشم والميمون طائره
وفارس الحرب إن محذور هارهبها
يزهوبه منبر الإسلام إن له
فضلاً على الناس إن أثنى وإن خطبا
تكاد تنحاش^(٤) بالكفار أرضهم
من صولة ابن رسول الله إن قطبا
قرم تلافى به الإسلام خالقنا
بعد الضلال وقد أودى وقد حربا^(٥)

(١) في مطلع البدور: فحشاً.

(٢) في مطلع البدور: هذا وسيفك.

(٣) في مطلع البدور: لا يستطاع محمله.

(٤) في مطلع البدور: ينحاش.

(٥) في مطلع البدور: حربا.

أنت الخليفة للهادي الخليفة والـ
 حامي الذمار إذا سُمر القناسحبا
 تزيير (حولان) من حوليك قاطبةً
 وحي (همدان) تمضي - دونك القضا
 كُن الإمام أمير المؤمنين كذا
 أراك تقدمهم في الله محتسبا
 حتى تذلل الأولى عزواً^(١) بذكركم
 جل العناد^(٢) وجاروا الهزل والكذب
 وصيروا قدراً رباً وخالقه
 كوني وقد قسم الأرزاق واحتجبا
 نبراً إلى الله منهم من زنادقة
 للنار قد جعلوا أتباعهم خطبا
 وأنت مهلكهم بالله معتصماً
 حتى تبيدهم للنصر - مرتقبا

انتهى المراد، وقوله (قدراً، وكوني) كلمتان كانتا للقرامطة القدماء من أسرار دينهم.

قال عبد الله بن عمر الزيدي الهمداني: يقول القرامطة لمن بلغوه بعد أن يأخذوا منه أحد عشر ديناراً أن الآلهة سبعة في كل سماء إله، وأن أولهم وأعلاهم هو الذي في السماء العليا يقال له كوني، وأنه خلق قدراً وهو في السماء الثانية منه، وأن قدراً هو الذي خلق من تحته من الآلهة وهم الحد، والاستفتاح، والجبال، وغيرهم من جميع الخلائق، وكانت هذه الألفاظ للقدماء منهم، وقد غيرها من بعدهم إلى ألفاظ قريبة منها، وذلك

(١) كذا في مطلع البدور.

(٢) في مطلع البدور: العباد.

أنهم قالوا بدل كوني سابق، وبدل قدر ثاني، وفي بعض كلامهم كوني وقدر سبعة أحرف تدل على سبعة حدود علوية ينتهي إليها طبقات تأصيلهم^(١)، والسابق والثاني يقولان لهما الأصلان الأولان، ويقولون هما العقل، والنفس، والحد، والفتح، والجبال منها كالانبعاثات أقامهم الله وأخزاهم، ولهم ثورة بالشام خرج قرمطي يقال له حمدان وثار فتنة كبرى ودخلوا مشارق الشام وقتلوا من المسلمين كثيراً ثم أدال الله منهم وجهاز عليهم المعز العبيدي وهم أهل^(٢) ولكنهم خلعوا طاعته، وقصدوا بلاده، ولم تنفع فيهم مكاتبته فنهض لقتالهم وأخرجهم من الشام، ولهم قصص يطول شرحها.

ذكر قاسم بن عبيد الله بن ميمون القداح القرمطي

ثم بعد هلاك عبيد الله المهدي في سنة سبع وثلاثمائة تقديراً ظهر ولده المسمى بالقائم القاسم بن عبيد الله واستقر في تحت مملكتهم، والدعاة في اليمن انتموا إليه واعتصموا بدعوته، وخرج عليهم في القيروان مغلد بن كنداد الخارجي الأباضي، واستولى على كثير من بلاده وقتل جمّاً غفيراً من أجناده وحاصر مدينته المسماة بالمهدية.

ذكر ولده إسماعيل بن قاسم

وهلك القائم وهو في الحصار فكنم ولده إسماعيل المسمى بالمنصور موت أبيه، وأخرج خزائن السلاح، وخرج على مغلد إلى مخيمه وقتله واستباح جنده قتلاً وأسراً، وخرج البلاد واسترجعها وأمن أهلها وعفى عمن ساعد مغلد^(٣)، ورجع إلى المهدية

(١) في مطلع البدور: أفاضلهم.

(٢) هنا كلمة لم تظهر في الأصل ولعلها (وهم أهل وجاهة) والله أعلم.

(٣) كذا في الأصل، والصواب مغلداً.

ظافراً، واختط مدينة أخرى وسماها المنصورة واتسعت مملكته، وكان شهماً حازماً، بخلاف أبيه القائم فإنه كان ضعيفاً في أمره وكان هذا إسماعيل فصيحاً بليغاً يرتجل الخطب، ولكنه على هذا المذهب الردي، فبقي الأمر بيده إلى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ثم هلك .

ذكر المعز معد بن إسماعيل

وقام بالأمر ولده المعز معد بن إسماعيل بن القاسم بن عبيد الله ونهض بالأمر نهوضاً كاملاً، وجهز مملوكه جوهر المعزي إلى الغرب الأقصى- ففتح كثيراً من بلاد البربر، واستمر به السير إلى البحر المحيط ورجع إلى سيده بعد أن فتح الفتوحات فعظمه وخرج إلى لقائه، ثم جهزه إلى الديار المصرية في جيش جرار قدر مائة ألف أو يزيدون، وأصحابه من الأموال شيئاً كثيراً، ذكر في بعض التواريخ أنها اثني عشر- ألف صندوق، فدخل الديار المصرية بعد هلاك كافور الأخشيدي ملك مصر- آخر الأخشيديّة، وهو مملوك محمد بن طنج جعله أستاذاً لولديه بمعنى مربياً فبقي في المملكة إلى سنة ست وخمسين وثلاثمائة وهلك ودخلها جوهر المعزي بأجناد المعز واستولى على الديار المصرية مدنها وسوادها، واختط القاهرة المعزية التي هي الآن أم البلاد المصرية، وخطب لسيد المعز وأرسل إليه بالفتح فتجهز المعز في سنة ستين وثلاثمائة بأجناد ووصل مصر فتلقاه أعيانها وعلمائها وأشرفها، وممن تلقاه الشريف أحمد بن محمد بن طباطبا المشهور بالثورة والرفاهية والنعمة والكرم في أيام الأستاذ كافور، فلما استقر المعز في القاهرة التي بنيت باسمه قال له الشريف بن طباطبا: إلى من ينسب مولانا من السادة الفاطمية، قال: سنجعل محضراً نجمعكم فيه ونسرد عليكم

نسبتنا، فلما كان من الغد أرسل إلى الأعيان وقد جعل الذهب صبرة كبيرة وجعل
السيف فوق تلك الصبرة وقال لهم: هذا نسبي أي السيف ، وهذا حسبي أي الذهب،
فقالوا: سمعنا وأطعنا، كما قال الشاعر:

حكوا باطلاً وانتصوا صارماً وقالوا صدقنا فقلنا نعم

وتبين أنهم متقولون على النسب الشريف الفاطمي وأنهم من أولاد المجوس، وقد
صعد المعز في بعض الجُمع المنبر فوجد فيه رقعة فيها مكتوب شعراً: [من السريع]

إِنَّا وَجَدْنَا نَسَباً مَنكُراً

يَتَلَا عَلَى المنبر في الجامع

إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدْعِي صادقاً

فَاذْكُرْ أَباً بَعْدَ الأب السابِعِ

أَوْ فَدَحِ الْأَنْسَابَ مَسْتَوِرةً

وَاخْلُ بِنَا فِي النَسَبِ الواسِعِ

فَإِنْ أَنْسَابَ بَنِي هَاشِمِ

يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ

وكان هؤلاء العبيديون يدعون علم المغيبات، ويتكهنون بإظهار الكرامات، فوجد
المعز بطاقة أخرى على المنبر فيها: [من مجزوء البسيط]

بِالظَلَمِ وَالسَّحَرِ قَدْ رَضِينَا

وَلَيْسَ بِالْكَفْرِ وَالْحِمَاقَةِ

إِنْ كُنْتَ تَحْضِي — بِعِلْمِ غَيْبٍ

فَقُلْ لَنَا كَاتِبُ الْبَطَاقَةِ

ولما استولى المعز المذكور على الديار المصرية أرسل مولاة جوهر ومفلح فاستوليا على الممالك الشامية، ثم دخلت الديار الحجازية في مملكته إذ هي تتبع الديار المصرية للقيام بأود أهلها بالطعام ونحوه، وخطب له الشريف أبو الفتوح محمد بن داود بن عبيد الله بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن اضطراراً، وجعل الدعوة باليمن إلى عامر بن منصور الزواحي، وقد جعل القادر العباسي محضراً كبيراً فيه خواتم العلماء والعلويين في إبطال نسبتهم إلى النصاب الشريف العلوي ووضع الأشراف علائهم فيه، منهم الشريف أبو أحمد الموسوي وولده المرتضى علي بن أحمد، وقد كان الشريف الرضي محمد بن أحمد^(١) قال أبياتاً تضجراً من بني العباس وأنفة لأنه كان كبير النفس أبي الهمة يأنف من تطاول بني العباس ولا يسألهم شيئاً ولا يقبل منهم عطية، وكان زيدي المذهب كما ذكره القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال وعده في رجال الزيدية وسلكه في البدور فقال: [من الخفيف]

ما مقامي على الهوان وعندي

مقول صارم وأنف حمي

أحمل الضيم في بلاد الأعادي

وبمصر الخليفة العلوي

من أبوه أبي وجداه جدي

إذا سامني البعيد القصي —

لف عرقي بعرقه سيد الناس

جميعاً محمد وعلي

(١) الصواب ابن أبي أحمد كما ستراه في ترجمته.

[ترجمة الشريف الرضي]

وهذا الرضي هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق %، ولا غنية بالدفاتر من شرف ذكره.

قال الشريف بن عنبه في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: أما محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش فهو الشريف الأجل الملقب الرضي ذو الحسين، نقيب النقباء ببغداد، وهو ذو الفضائل الشائعة، والمكارم الرائعة، كانت له هبة وجلالة، وفيه ورع وعفة وتقشف، ومراعاة للأهل والعشيرة، ولي نقابة الطالبين مراراً، وكانت إليها أمانة الحج والمظالم، كان يتولى ذلك نيابة عن أبيه ذي المناقب، ثم تولى ذلك بعد وفاته مستقلاً، وحج بالناس مرات، وكان أحد علماء عصره، وقرأ على أجلاء الأفاضل، وله من التصانيف كتاب التشابه في القرآن، وكتاب مجازات الآثار النبوية، وهو جامع كتاب نهج البلاغة من كلام سيد الوصيين مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب %، وله كتاب تلخيص البيان عن مجازات القرآن، وكتاب الخصائص، وكتاب سيرة والده الطاهر، وكتاب انتخاب شعر ابن حجاج سمى الحسن من شعر الحسين، وكتاب أخبار قضاة بغداد، وكتاب رسالة ثلاثة مجلدات، وكتاب ديوان شعره وهو مشهور، قال الشيخ أبو الحسن العمري: شاهدت مجلداً في تفسير القرآن منسوباً إليه مليح حسن، يكون بالقياس في كثير بتفسير أبي جعفر الطوسي أو أكثر، وشعره مشهور، وهو كما قال الثعالبي في اليتيمة: أشعر قریش على الإطلاق، مع كثرة شعراهم المجيدين، وكان لا يقبل من أحد شيئاً.

حكى أبو إسحاق محمد بن إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب.

قال: كنت عند الوزير أبي محمد المهلبى ذات يوم فدخل الحاجب فاستأذن الشريف المرتضى فأذن له، فلما دخل قام له وأكرمه وأجلسه معه في دسسته، وأقبل إليه يحدثه حتى فرغ من حكايته ومهماته، ثم قام فقام إليه وودعه، ثم خرج فلم يكن ساعة حتى دخل الحاجب واستأذن للشريف الرضى وكان الوزير قد ابتداء بكتابة رقعة فألقاها وقام كالمندهش^(١) حتى استقبله في دهليز الدار وأخذ بيده وأعظمه وأجلسه في دسسته ثم جلس بين يديه متواضعاً وأقبل عليه بجامعه، فلما خرج الرضى خرج معه وشيعه إلى الباب ثم رجع فلما خف المجلس قلت: أياذن لي الوزير أعزه الله أن أسأله في شيء؟ قال: نعم، وكأنك تسأل عن زيادتي في إعظام الرضى على أخيه المرتضى، والمرتضى أسن منه وأعلم، فقلت: نعم أيد الله الوزير، فقال: اعلم أنا أمرنا بحفر النهر الفلاني وللشريف المرتضى على ذلك ضيعة فتوجه عليه من ذلك قَدْرَ سِتَّةِ عشر درهماً أو نحو ذلك، فكاتبني بعدة رقايع يسأل في تخفيف ذلك المقدار عنه، وأما أخوه الرضى فبلغني ذات يوم أنه ولد له غلام فأرسلت إليه بطبق فيه ألف دينار فردّه وقال: قد علم الوزير أنني لا أقبل من أحد شيئاً فرددته إليه وقلتُ: إني إنما أرسلته للقوابل فردّه ثانية وقال: قد علم الوزير أنا لا نقبل لساناً غريبة، فرددته إليه وقلت: يفرقه الشريف على تلامذته من طلاب العلم، فلما جاء الطبق وحوله طلاب العلم، فقال: هاهم حضور فليأخذ كل واحد ما أراد، فقام رجل وأخذ ديناراً فقرض من جانبه قطعة وأمسكها ورد الدينار إلى الطبق فسأله الشريف عن ذلك فقال: احتجت إلى دهن السراج ليلة ولم يكن الخازن حاضراً فاقرضت من فلان البقال دهناً، فأخذت هذه القطعة لأدفعها إليه عوض دهنه، وكان طلبه العلم الملازمون للشريف الرضى في دار قد اتخذها لهم سبها دار العلم وعين لهم جميع ما يحتاجون إليه، فلما سمع الرضى ذلك، أمر في الحال بأن يتخذ

(١) في الأصل كالمندهش.

للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويدفع لكل واحد مفتاح وليأخذ ما يحتاج إليه ولا ينتظر خازناً يعطيه، ورد الطبق على هذه الصورة ، فكيف لا أعظم من هذا حاله، وكان الرضي مترشحاً للخلافة وكان أبو إسحاق الصابي يطعمه فيها ويزعم أن طالعه يدل على ذلك، وله في ذلك شعر أرسله إليه.

ومن شعر الشريف الرضي أبيات أرسلها إلى القادر العباسي منها: [من الكامل]

مهلاً أمير المؤمنين فإننا
في دوحه العلياء لا تنفرك
ما بيننا يوم الفخار تفاوت
فيه كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة زيتك فلإني
أنا عاطل منها وأنت مطوق

فقال القادر: على رغم أنف الشريف.

قال القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال: وجدت في بعض الكتب أن الرضي كان زيدي المذهب، وأنه كان يرى أنه أحق قريش بالإمامة، وقال انتهى ما أردت نقله.

وذكر السيد النسابة أبو فضيل (منكراً) ^(١) محمد بن أبي الفتوح الأوسط ابن أبي اليمن سليمان بن تاج الملة الشهير بصدر العالم رحمه الله في كتاب (النفحة العنبرية في أنساب خير البرية) الذي صنفه للمؤيد محمد بن الناصر بن أحمد بن المتوكل على الله المطهر بن يحيى بن المرتضى بن المطهر بن القاسم ^(٢) بن المطهر بن علي بن الناصر

(١) المراد تنكير فضيل.

(٢) هنا سقط لتشابه الأسماء ويقع كثيراً والصحيح المطهر بن يحيى بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي، وقد نهت عليه في تراجم الآباء.

لدين الله أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين سلام الله عليهم وهو كتاب حسن في بابه، ذكر فيه ما نصه قال: ابن مهني^(١): وجدت في الكتب أن الرضي كان زيدي المذهب وأنه كان يرى أنه أحق قریش بالإمامة.

وقد ذكر الإمام المنصور بالله % في جوابه الشافي الذي أجاب به أبا القبائل عبد الرحمن بن منصور الأشعري كلاماً معناه أن الشريف الرضي كان فريد وقته، ويسبح^(٢) وحده، وكان من خلص الزيدية، ومثل هذا ذكره الحاكم في العيون روايةً.

قال السيد العلامة أحمد بن عبد الله بن الوزير رحمه الله: ويدل على ذلك أشعاره، قال القاضي من ذلك ما أنشده ابن عتبة في ترجمته شعراً: [من الكامل]

هذا أمير المؤمنين محمد

طابت أرومته وطاب المحدث

أو ما كفاك بأن أمك فاطم

وأبوك حيدرة وجلدك أحمد

قال القاضي: هكذا، قال هؤلاء الكلمة وأفادنيه بعض شيوخه من غير هؤلاء فاستشكلت الأبيات التي تروى حين تقلد أبو عبد الله بن الداعي النقابة فإن فيها^(٣): [من السريع]

لوم أقل بالنص في مذهبي

وكننت كالصارم من حبله

(١) في الأصل (إني ذهني) هكذا وما أثبتناه من مطلع البدور من ترجمة الشريف الرضي.

(٢) كذا في الأصل وفي المطبع: ونسج.

(٣) في مطلع البدور بلفظ: حين نقله أبو عبد الله الداعي في النقابة.

لقلت قد قام إمام الهدى

فاجتمع العالم في ظلِّه

وأجابني بعض شيوخي الحفاظ أدام الله عزَّه.

قلت: أنا يعني القاضي العلامة الحافظ أحمد بن سعد الدين المسوري، بأنه قد بحث [على] هذا ولم تكن هذه للشریف الرضي بعد البحث وأقام رضي الله عنه على ذلك دليلاً.

مولد الشریف الرضي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وتوفي يوم الأحد السادس من محرم سنة ست وأربعمائة، ودفن في داره، ثم نقل إلى مشهد الحسين % بكر بلاء فدفن عند أبيه، وقبره ظاهر معروف، ولما توفي جزع المرتضى جزعاً شديداً بلغ منه إلى أنه لم يتمكن من الصلاة عليه، ورثاه هو وغيره من شعراء زمانه.

وأمه وأم أخيه المرتضى فاطمة بنت أبي محمد الناصر الصغير هو ابن أبي الحسين أحمد بن الإمام الأعظم أمير المؤمنين أبي محمد الأطروش، الماضي ذكره في تراجم رجال السند التي استطردها في السيرة الإمامية المتوكلية التي نحن بصدددها، ولهذه الشريفة وولديها كرامة مشهورة ذكرها أبو محمد السيرافي النحوي قال: إنه رأى ذات ليلة أن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ جاءت إليه بالحسن والحسين تقربهما فكان في صبح تلك الليلة جاءت فاطمة بنت أبي محمد بالشریفين على صفة ما رآه ليلاً، ولم نستغل بإنشاء شيء من شعره فهو أشهر من نارٍ على علم، إلا ما دعت إليه الضرورة.

وَعَنْ لِيْ اثْبَات تَرْجُمَتِهِ فِي السِّيرَةِ الْإِمَامِيَّةِ لِأَبْيَاتِهِ السَّابِقِ ذِكْرَهَا، وَمَا ذَكَرَهَا إِلَّا أَنْفَ مِنْ الْقَادِرِ الْعَبَّاسِيِّ وَتَطَاوَلَهُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَأَعْلَامُ الْعَتَرَةِ مَجْمَعُونَ عَلَى أَنْ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِيُّونَ الَّذِينَ تَغْلَبُوا عَلَى الْبِلَادِ أَدْعِيَاءٌ لَمْ يَثْبُتْ لَهُمْ نَسَبٌ فِي السَّلْسَلَةِ الْعُلُويَّةِ، وَالْعَصَابَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ، وَالشَّرِيفِ الرُّضِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يَثْبُتِ النِّسَبُ وَلَكِنَّهُ ذَكَرَهُ فِي شَعْرِهِ عَلَى زَعْمِهِمْ

إرغاماً للعباسيين، حتى أن القادر عتب على الشريف الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين والد الرضي بسبب هذه الأبيات، وقال له: أي ضيم وهوانٍ وقع منا على ابنك الرضي محمد، ألم نوله النقابة وهي أعظم درجة بعد الخلافة، واستتبناه في إمارة الحاج، وهي كذلك مرتبة جليلة، فقال الشريف أبو أحمد: لعل الأبيات مفتعلة عليه من بعض أعداءه، وأنه لم يقلها، أو أنها لغرض من الأنفة التي جبل عليها وإلا فهو لا يصحح نسب العبيديين، أسوة غيره من الطالبين، وأمرهم ظاهر وسيرتهم، وقبيح مذهبهم يأبى دخولهم في السلالة المطهرة والعصابة المنورة، وما شرحت ترجمة الشريف الرضي في معرض ذكرهم إلا ليتنبه من اطلع على أبياته أنها لم تكن عن عقيدة ثابتة لجلالة قدره، وعظم محله وأن مثله لا يخفى عليه ما عليه جمهور الزيدية، وأئمة العترة الزكية، من التصريح بنفي نسبهم وخبث عقائدهم، وإلحاقهم بأولاد المجوس هو الحق اليقين، وعليه كافة الآل المطهرين.

ولما انقضى عصر المعز معد في سنة أربع وستين وثلاثمائة في الديار المصرية، قام بالأمر ولده نزار المسمى بالعزیز، وحذا حذو والده، وكان له وزيراً يعقوب بن كليس كان يهودياً فترقى في خدمة العزيز وطلب منه أن يتولى وزارته وهو على اليهودية فأسلم ظاهراً وولي الوزارة، وكان شهماً حازماً خبيثاً يقول الشعر بعد أن تعلم الأدب بعد إسلامه، واستولى على أمور نزار، وارتفعت مرتبته عنده وقوي أمر القرامطة بالشام، وترادفت الحروب بينهم وبين الأجناد العباسية حتى كادوا يظهرون على بغداد، ثم انتقم الله منهم وكان بنو حمدان تارة ينتمون إلى بني العباس ويتلقبون في جهتهم، وتارة ينتمون إلى العبيديين وأشرف مكة الهواشم كذلك.

ودعاتهم في اليمن في ضعف في هذا التاريخ ثم ولي بعد نزار في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ولده الحاكم عسيم وكان صبيّاً مغلطاً كثير الخطب والتنوع بالأحكام يأمر

بالشيء ويتشدد فيه، ويقتل من خالفه ثم يأمر بخلافه ويتشدد فيه كذلك، منها أنه أمر بقلع شجرة الأعناب في جميع أقطار مملكته وإحراق الزبيب الموجود، وتشدد في ذلك وحرمه على جميع رعيته وأجناده ثم نهى عن ذلك وأمر بالغرس لما قلع.

ومنها أنه أمر بسب الصحابة المشايخ الثلاثة، وكتب أسمائهم ولقبهم في النعالات ورقم ذلك في المساجد ثم نهى عن ذلك وقتل من ظهر منه ذلك.

ومنها: أنه أمر بقتل الكلاب في جميع أقطار مملكته، ثم نهى عن ذلك وقتل من فعل شيئاً من ذلك، وقتل كثيراً من رؤساء دولته وزعماء مملكته، حتى هرب كثير منهم إلى العراق، منهم الوزير المغربي الشاعر المشهور ولبث على ذلك، وكان يخرج إلى الصيد وحده فخرج سنة إحدى عشر وأربعمائة إلى سواد (دمياط) فلم يرجع فطلبوه فلم يجدوا إلا ملبوسه، وفيه أثر السيوف ووجدوا بغلته مقتولة ولم يقفوا له على أثر، وبقي جماعة من أهل نحلته على سخفهم يعتقدون حياته واستتاره، ويحلفون بغيبة الحاكم على اعتقادهم الرديء.

وكان في زمانه من أئمة آل الإمام المهدي^(١) لدين الله أبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن الإمام المهدي الذي قام بالحسبة بعد الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي، وكان هذا الداعي إلى الله في غاية من الدين المبين، وحسن الطريقة وصلاح السيرة، وقوي جانبه في الجليل والديلم ومرجان وطبرستان حتى عزم على قصد بغداد فعاقه عن ذلك خلاف (مراد أولح الجيني)^(٢) من أمراء دولته وأحزاب صولته وأراد

(١) هو الإمام المهدي لدين الله أبو عبد الله محمد بن الإمام الحسن بن الإمام القاسم بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

جمع بين القاسمية والناصرية وهو الذي قيل فيه: (لو مادت الأرض لشيء لعظمه لمادت لعلم أبي عبد الله الداعي) ووالده قام ببغداد سنة ٣٥٣هـ وتوفي (بهوسم) سنة ٣٦٠هـ. انظر التحف الفاطمية وغيرها.

(٢) كذا في الأصل.

الأمر لنفسه، وأطاعه أكثر الديلم، وانتمى إلى بني ساسان ملوك الفرس الأكاسرة، وادعى أنه من ذراريهم واستولى على كثير من ممالك خراسان، وبقي يخطط يخطط العشواء، والداعي بقي على بعض الممالك حتى توفي إلى رحمة الله.

[أبو عبد الله الداعي]

ثم ولده المهدي أبو عبد الله تضرع في العلوم حتى قيل لو ماتت الدنيا بشيء لمادت بعلم أبي عبد الله الداعي ورحل إلى بغداد وطلب العلم فيها، وأخذ عن قاضي القضاة عبد الجبار، وكان يجله كثيراً ويعرف له حق العلم وشرف النسب، حتى أنه كان ينهى تلامذته عن مراجعته في المسائل التي تعتقدها الزيدية ويخالفوا فيها المعتزلة مذهب أئمة الآل، ويقول لهم: لا تراجعوا^(١) الشريف في مسألة الإمامة ومسألة سهم ذوي القربى فإنه لا يحتمل المراجعة فيهما وكان معزاً لدولة أبي الحسن علي بن بويه ملك العراق، قد تمكن من بغداد وكان هو وأخويه عماد الدولة وركن الدولة من أركان دولة الداعي الحسن بن قاسم والداعي عبد الله المذكور قريباً واستولوا على البلاد بعد الداعي واقتسموا الممالك وكان معز الدولة مستولياً على بغداد والخليفة القادر والمطيع والطائع في دست الخلافة اسماً والحل والعقد لمعز الدولة وخلع الطائع وولى القادر.

وكذلك كان أمر بني العباس مع بني بويه واعتنى بشأن أبي عبد الله وعوّل عليه بأن يلي نقابة الطالبين ببغداد، والذي يليها في حضرة بني العباس يقال له نقيب النقباء وهي مرتبة عالية في ذلك العصر تقارب مرتبة الخلافة، وهو أن جماعة العلويين عولوا على معز الدولة في توليته، فقال لهم: إنه لا يساعد إلى ذلك وإذا أجابكم إلى ما طلبتموه فهو منية المتمني مع أي أعتمد أن مقام المطيع هو أحق به.

(١) في الأصل: ترجعوا، والصواب ما أثبت.

وكان معز الدولة يبالغ في إكرامه، حتى أنه كان يقول للإمامية: أين إمامكم الذي تنتظرون فيقولون له: وأنت أيها الملك أين إمامك فإذا رأى أبا عبد الله بن الداعي قال لهم: هذا إمامي فعول عليه العلوية ومعز الدولة في تولي نقابة النقباء وامتنع، وأحسوا عليه فساعد على شروط منها أنه لا يدخل على المطيع، ولا يلبس كسوته، ولا يلبس السواد الذي هو شعار بني العباس، فساعده معز الدولة وأعفاه عن ذلك، وتولى ذلك واجتمع للطالبيين ببركته أموال جزیلة فقال الشريف الموسوي: وهو غير الشريف الرضي المقدم ذكره كون ولاية الإمام أبي عبد الله متأخرة عن وفاة الرضي. [من السريع]

الحمد لله على فضله قدر جمع الحق إلى أهله

كم بين من نختاره والياً وبين من نرغب في عزله

لوم أقل بالنص في مذهبي وكنت كالقاطع من حبله

لقلت قد قام إمام الهدى واجتمع العالم في ظله

ووصلت الإمام المهدي % كتب أهل الجيل والديلم وعلماء الزيدية هنالك يطلبونه القيام بالإمامة، ويلقون إليه مقاليد الزعامة، فخرج من بغداد متخفياً فتأسف معز الدولة لخروجه وحزن لمفارقتة، فدعا % وكان شغله وشغل أبيه x في قتال الملاحدة من الباطنية الذين كانوا في تخوم خراسان، حتى نقله الله إلى جواره.

[الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين عليه السلام]

ودعا بعده الإمام الأعظم، والركن الباذخ الأشم، قمطر العلوم، وفارس منظوقها والمفهوم، أبي الحسين المؤيد بالله أحمد بن الحسين % وكان بحراً لا تنزفه الدلاء، وشمساً في العلوم أشرقت على جميع الملاء، له التصانيف الحافلة والتعاليق المتناقلة، ودعا

(بلنجا) من مدائن طبرستان وانشال عليه الزيدية وخرج^(١) عليه العلماء وصنفوا دواوين العلوم وقوي به مذهب الآل، ثم امتحن بالأسر من بني حوى، قواد بني سامان في نيسابور، ثم فرج الله عنه، وخرج من أسرهم، وعاد إلى (لنجا) وجمع جموعاً كثيرة وفتحها، واشتغل بجهاد الملاحدة وتقليل شرهم.

وكان % يتحرى السيرة النبوية زاهداً في الدنيا ومتاعها، متقشفاً في ملبوسه ومطعمه على طريقة السلف، وله كرامات وأحوال، ذكرها أهل السير والأخبار، اختصرنا ذكرها في هذه السيرة الإمامية.

وكانت وفاته بمدينة لنجا في سنة أربعة عشر وأربعمائة.

[الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين عليه السلام]

ودعا بعده أخوه الإمام الناطق بالحق أبو طالب يحيى بن الحسين % وكانا فرقدي سماء المعارف، وشمسي فلك العلوم واللطائف، وكان الصاحب الكافي رحمه الله يقول: ما في الخافقين مثل السيدين، وصنف الإمام أبو طالب التصانيف، وأوسع التأليف، ونقح المذهب الهدوي حتى أشرقت أنواره، وظهرت أسرارها، وألّف (التحريز)، الذي اعتمده أهل التقرير، وجعلوه إماماً يأخذون منه العلوم فاستمد منه أعلام الأئمة التصانيف، منهم الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة فإنه اعتمد عليه في الانتصار، وكذلك الأميرين علي بن الحسين في (اللمع) والحسين بن بدر الدين في (التقرير)، والكتب المتأخرة عن ذلك يأخذ منها، ومؤلفاته واسعة، وفوائده جامعة، متداولة بأيدي الزيدية كثر الله علومهم وكان وفاته في الطالقان أو بآمل لعلها في سنة ثلاثين وأربعمائة تقديراً.

(١) المراد تخرج عليه العلماء.

[الإمام أبو طالب الصغير عليه السلام]

ومن الأئمة الذين اشتغلوا بجهاد هذه الفرقة الباطنية الملاحدة الغوية.

الإمام الناطق بالحق أبو طالب الأخير وهو يحيى^(١) بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني الحسني، وقد تقدم سرد نسبه، دعا في (الطالقان) ولعل دعوته آخر المائة الخامسة وأول السادسة، وكان على يديه سلام الله عليه فتح قلاع الباطنية بتلك الأصقاع، وتدميرهم في تلك القلاع، وفتح ديارهم، وعفا آثارهم، وكان مشدداً في نكاههم، متبصراً في إزلالهم، حتى أنه التبس عنده عشرة أو أحد عشر بباطني واحد فقتل العشرة.

وقال %: إن كان وفيهم من لا يعتقد ذلك المذهب فهو في الجنة والباطني في النار، والبريء يعيظه الملك الجبار، وكان % شديد القوة، عظيم السطوة، طالت يده في تلك الأقطار، واتسعت مملكته بتلك الديار، وحف به العلماء الأخيار، وله دعوة عظيمة، ودرة يتيمة، أرسلها إلى اليمن مع بعض آل الهادي الذين توطنوا تلك الديار وصدرها إلى الشريف علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب".

(١) في التحف الفاطمية: يحيى بن أحمد بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله، دعا إلى الله سنة ٥٠٢ هـ وتوفي % سنة ٥٢٠ هـ وأوصى أن يدفن سراً خوفاً من الملاحدة لعنهم الله تعالى.

[علي بن حمزة بن أبي هاشم]

وكان علي بن حمزة سيداً فاضلاً عالماً ورعاً وحيداً في عصره يومي للقيام، وأنه لما دعا الإمام أبو طالب الأخير المذكور سأل عن أفضل أهل البيت في ناحية اليمن، ف قيل له: أفضل آل رسول الله اليوم في اليمن علي بن حمزة فأمر الإمام أبو طالب بدعوته إليه لينشرها في اليمن فوصلت إليه فكرة القيام بها لما كان قد عرف من سيرة أهل البلاد وقلة وفائهم لأنه قد كان قام محتسباً وجاهد الباطنية من بني الزواحي لعنهم الله وحصرهم، قال: ولكنني أعين من يقوم بها فقام بها الشريف المحسن بن حسن بن الناصر^(١) ولم تزل الدعوة بيده ويد أولاده إلى قيام الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة.

[ذكر الطاهر بن الحاكم القرمطي وقيام ولده المستنصر]

ولما هلك الحاكم العبيدي كما قدمنا قام ولده الطاهر وكان صبيّاً صغيراً، وقام بدولته أعيان الأمراء حتى هلك لعله في عشرين وأربعمئة، ثم قام ولده المستنصر- وطالت أيامه، وفي أيامه ثار علي بن محمد الصليحي باليمن، واستولى على البلاد من مكة إلى عدن، وهو يدعو إلى المستنصر العبيدي ويسمى بالداعي على هذا النمط الذي اعتاده الباطنية في الجزيرة اليمنية، وقويت شوكته، وبعدت صولته، وأوقع بملوك اليمن حتى دخلوا تحت وطأته، وأوقع بهمدان في صنوف من (مخلاف بني سوار قرب يازل) وقعة غليظة قتل منهم ألف قتيل ثم طوى اليمن طياً حثيثاً، حتى قيل إنه خطب في ذات جمعة في الجند، وقال في خطبته: وفي مثل هذا اليوم نخطب في منبر عدن، فقال بعض من حضر: سبوح قدوس استهزاءً بقوله، فأمر بالإحتياط على ذلك الرجل، ثم

(١) هو السيد الفاضل المحسن بن الحسن بن الناصر بن عبد الله بن المتنصر بالله بن المختار بن الناصر بن الهادي.

تجهز على عدن وفتحها وخطب بها في الجمعة الثانية، فقام ذلك الرجل وقال سبوحان قدوسان وتعالى في القول.

وكان ثورانه في مسار سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، ولم يزل مستولياً على محلة اليمن، يدعو إلى المستنصر إلى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وأراد الحج وكانت مكة المشرفة في مملكته، وكان يستنيب الشريف أبو الفتوح المقدم ذكره فيها، فتجهز الصليحي من صنعاء في جيوش كثيفة، واستصحب أموالاً جزيلة، قيل إنه استدعاه المستنصر لوزارة حضرته، وأرحل ملوك اليمن معه وبني الصليحي لئلا يغيروا على ولده المكرم أحمد بن علي وأستتاب ولده المكرم على المملكة، وأرحل معه زوجته أسماء بنت شهاب الصليحية، ورحل في أبهة وفخر كبير، وخرج وشاعره ينادي بأعلى صوته: إن علياً والإله اقتسما علي في الأرض والإله في السما

فلما وصل محلاً في تهامة يقال له (الدهيم وبئر أم معبد) وكان قد أخذ مملكة (زبيد) على سعيد بن نجاح، وطرده إلى دهلك فسمع سعيد بخروجه إلى الحج، فخرج من البحر في طائفة يسيرة يقال إنهم سبعون نفرًا من عبيده وعبيد أبيه، ليس معهم سلاح إلا جريد النخل على رؤسها مسامير وجد سعيد بن نجاح الأحول وقد حنق^(١) واستقتل حتى دخل محطة الصليحي، وقصد خيمته وقتك به وقتله، وأخوه حداس بن نجاح قتل عبد الله بن محمد الصليحي أخا الصليحي وولده فارتاعت المحطة، وكان فيها خمسة آلاف حربة، فمن ممالك بني نجاح قد استعبدوهم الصليحي، وصيرهم في جنده، فلما عرفوا سيدهم ثاروا معه على المحطة فقتلوا وأسروا، واستولى سعيد الأحول على مطرح الصليحي بما فيه من الآلات والخيام والذخائر الجسام، التي استصحبها لدخوله مصر والقاهرة، وأسّر زوجته أسماء بنت شهاب وملوك اليمن وبني الصليحي الذين استصحبهم في سفره، وجعل رأس الصليحي في عود المظلة وركب جواده

(١) كذا في الأصل.

واستظل بمظلته فقال الشاعر العثماني وكان في مخيم الصليحي: [من الكامل]
 بكرت مظلته عليه فلم تبت إلا على الملك الأجل سعيدها
 ما كان أقبح وجهه في ظلها ما كان أحسن رأسه في عودها
 وقد أشرنا إلى هذه الأبيات في جوابنا على بعض الباطنية في شعر له يفتخر فيه ويذم
 أئمة الهدى أخزاه الله، وجعلنا هذه النبذة كالشرح للجواب وقد سبق رقم ذلك
 الجواب وغيره من الجوابات قريباً فليطالع.

[الإمام أبو الفتح الديلمي عليه السلام]^(١)

وعارض هذا الصليحي من أئمة الحق أولاً: الإمام الأعظم المنصور بالله الناصر أبو
 الفتح وهو أبو الفتح الناصر بن الحسين (بن الناصر)^(٢) بن محمد بن عيسى بن
 محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن
 أبي طالب "الديلمي" وقوي جانبه أولاً وعمر قلعة ظفار التي جددتها الإمام
 المنصور بالله عبد الله بن حمزة x وأنكأ الإمام أبو الفتح في الباطنية، ثم رحل إلى
 المشارق وتجهز من (رداع) فلقية الصليحي بنجد الحاج بين رداع وذمار، فاستشهد
 الإمام هنالك لعله في سنة خمس وأربعين وأربعمائة وقبره هنالك مشهور مزور وعقبه
 السادة آل الديلمي في ذمار وصنعاء وهو من ذرية زيد بن الحسن بن علي بن أبي
 طالب % في سلسلة نسب السادة الهارونيين.

(١) لا يوجد هذا في نسب الإمام أبي الفتح في التحف الفاطمية.

(٢) دعا إلى الله في الديلم ثم خرج إلى أرض اليمن وانقادت له البلاد وجاهد الباطنية وتوفي % شهيداً سنة نيف وأربعين
 أو خمسين وأربعمائة.

[السيد الداعي حمزة بن أبي هاشم]

وعقب بعده السيد الداعي إلى الله المجاهد في سبيل الله حمزة بن الإمام أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن، وقد رفعنا نسبه قريباً في ذكر ولده علي بن حمزة وهو الذي يقول فيه الإمام المنصور بالله %: [من الكامل]

أوليس جدي حمزة نعش الهدى بحسامه وبِعزمه الوقاد
لم يردع^(١) في حربه عن عامر عن فرط إيراقي ولا إرعاد

وقويت شوكته على بني الزواحي أول أمره، ثم جمعوا عليه الجموع في سنة ستين وأربعمائة أو قبلها والتقوا بالمنوى من بلاد أرحب، فاستشهد إلى الله الحمزة هنالك وقيل إنه استشهد معه سبعمائة شيخ من شيوخ همدان، ثم نقل إلى بيت الجالد من بلاد أرحب وقبر هنالك وقبره مشهور مزور سلام الله عليه، وهو جد جميع الحمزات باليمن أينما كانوا.

[الأمير الفاضل القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم العياني]

ثم تعقبه قيام واسطة عقد الآل والأمراء، ورابطة مجد الكبراء، سلطان الإسلام وعلم العترة الأعلام، المعروف بالفاضل.

القاسم بن جعفر بن أمير المؤمنين القاسم بن علي العياني % السابق الذي لا يبارى، والنير الذي لا يتوارى، الفاضل كأسمه ترجم له الفضلاء، بالتراجم الطوال، بل صنف الشيخ مفرح بن أحمد الربيعي كتاباً مبسوطاً في أحواله وأحوال أخيه ذي الشرفين، وقد وسع العلماء في شرح أحوالهما.

(١) كذا في الأصل، وفي الحقائق الوردية (لم يرتدع).

قال السيد الهادي بن إبراهيم الصغير: الفاضل هذا هو الذي نسب إليه درب الفاضل بالجوف، وكان إماماً عالماً فارساً كاملاً، وكان أهل زمانه يفضلونه على حمزة بن أبي هاشم في كماله، وقتل في الجوف بالوادي ونقل إلى الحصن من بلاد وادعة.

قال القاضي شمس الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال: وقبره شهير مقصود من النواحي، وعنده عمارة^(١) ومجامع للناس وعُمل هنالك بركة للماء وسيدة رحية عن أمر الإمام أمير المؤمنين المؤيد بالله %، وكان هذا الأمير حتماً لأعداء الله الباطنية، وكانت في زمانه وقائع منكبة لقلوب الأعداء مبكية لعيونهم.

قال الشيخ أبو الغمر مسلم الحجبي: لم يكن في زمان حمزة بن أبي هاشم والشريف الفاضل من آل رسول الله أقوم منهما بعبادة الله فيما بلغني، ولا أشد غضباً لله على المعاصي، وكان القاسم يعني الفاضل أعلاهما عند الناس درجة، ثم قال: إنه وحيد في قرنه وأقران رجاله وزمانه، معدوم المثل على كل حال، ومما يعرف به القاسم بن جعفر من الغضب لله مع قيامه على الصليحيين مرة بعد أخرى، أنهم لما صاروا إلى شهارة في رمضان سنة ستين وأربعمائة وذلك بعد قتل علي بن محمد الصليحي، وعجز ابنه المكرم وسائر الملوك الصليحية عن الظفر وقتلهم حاشد بن كديس^(٢) وخولة بن محمد وهما من سلاطينهم بالرحبة من نجد الحيلة تحت شهارة وهزمهم هزيمة بعد أخرى لبثوا إلى سنة ثلاث وستين.

ودعا جعفر بن الحسن الشمري وخطب للصليحيين على منبر الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين x بصعدة فنهض القاسم بن جعفر بنفسه، ولم يرض بنايب عنه حتى دخل صعدة فقبض على الشمري ورجع به إلى شهارة فلبث في سجنها إلى سنة سبعين

(١) في الأصل: وعنده ومجامع للناس، وما أثبت من مطلع البدور.

(٢) في الأصل: خولة، وفي مطلع البدور: جوله بالتحته.

وأربعمائة، وأظهر النكرة والغضب العظيم مما صنع الشمري حتى مدح بذلك، وكثرت الأشعار، وقال مفرح بن أحمد الريعي مؤلف سيرة الشريفين: [من الكامل]

كن يارسول إذا عزمت مشمراً وعلى السفارة بالشارة عازماً
واقصص لمولانا الأمير محمد أخبار مخرجنا وأوب سالماً
فُدنا من الجبل المنيع جياتنا لدن الأعنة كالصخور صلاباً
فمضين شعنا كالعشار مواضياً وسلكن شرقاً كالضياء سواهما
يتبعن أشمط هاشم وهمامها نجل الأئمة ذو المهابة قاسماً
فدخلن هجرة جده الهادي بنا أكرم بها وبه إليها قادماً
متغضباً لما طغت واستعملت سكان صعدة رأيها المتفاقماً^(١)
فدعا المخلع فوق منبر جدنا فدنا إليه الماقط المتلاحماً
ورجعن بالأسرى وكانت عندنا دون الغنايم والأثاث عقايماً

ولبت الشمري بالسجن بشهارة في الروايات ست سنين إلا شهرين، وفي أخرى سبع سنين، ولم يخرج إلا بعد تسليم ثلاثة آلاف دينار، وما لقي الصليحي على مساعدة الأيام له من أحد ما لقي من الشريفين.

وسنذكر ترجمة أخيه الأمير ذي الشرفين عقيبه فإنه من عرضنا في ذكر الأئمة الذين قاموا بجهاد الباطنية وتنكيلهم.

وروى القاضي أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى والد القاضي جعفر أن الشريف الفاضل كان يقول: أما إني سأفقر بني الصليحي، وأما استئصالهم فلا أصل إليه.

(١) في المطبع: المتقادماً.

فتحرك لذلك بعد أن استقر الأشراف وشيعتهم بشهارة، فصادت حركته مجاعة شديدة أتت على صنعاء وأعمالها خاصة، وعلى اليمن عامة، فسلم إليه قبائل اليمن بصنعاء ما في أيديها من الجبال والحصون، وبقي (بيت بوس) بأيدي الصليحيين، فلزم أصحاب القاسم بن جعفر جبلاً فوقه يعرف (بقرن عتر) وهو يسمى اليوم (ظفار) كما قال السيد محمد بن عبد الله بن الوزير وهو يحاذي أرتل وسناع، وبناءه فيما^(١) بعده الملك المظفر [يوسف بن عمر بن علي بن رسول التركماني الغساني]^(٢) فيما يزعمون، وأخبره من بعد ذلك فحصرهم منه ومن مقطوع جبل كمن، وكانت في طاعته آل أبي الفتوح وخولان العالية، وعسكر بعض أصحابه بجبال تنعم والسرة، والمشرق كله وبعضهم بناحية ثلا لحصار الزواحيين بشبام وكوكبان، وبنى ابن عمه الحسن بن إبراهيم بن سليمان بن القاسم بن علي^(٣) جبل ثلا [قلعة منيعة]^(٤) وهو أول من بناه فضايقوهم بصنعاء وشبام، حتى أداهم ذلك بعد أن طال الحصار إلى الهرب عن صنعاء إلى (ذي جبلة) وقد صار في آذان نساء الصليحيين أخراص الصفر، وبيعت الآلات والثياب والمراكب وحلي الأسلحة وغير ذلك.

وكان من سبب ذلك أن قبائل مشرق همدان من عذر وذيان ونحوها، كانت قد أقبلت إلى المكرم فحلفت له على السمع والطاعة، وحرب الأشراف، ولم يكن في خزائنه ما يعطيهم إياه فضرب لهم قدر الصفر دنانير، واحتيل على تلوينه بما صبغه حتى قبلوه، وكان العطا على أربعة أربعة فأخذوا عطاهم ورجعوا في طاعته حتى أتوا سوق (حدقان) من الرحبة فقدم بعض مشايخهم بدينار مما معه لشراء صوف استرخصه،

(١) في المطلع : من بعده.

(٢) ساقط من المطلع.

(٣) كذا في الأصل، والمراد على جبل ثلاء.

(٤) ساقط من المطلع.

فأعطاه البايع فرده ثم أعطاه آخر فرده ثم ثالثاً ورابعاً حتى رد ما معه، فقال كيف ترد دنانير مولانا، فأدنوه من أنفه فشم رائحة الصفر، فالتفت إلى أصحابه فأخبرهم، فجعل كل ينظر فيما معه من تلك الدنانير ويرمي بها، ثم انصرفوا غضاباً على المكرم وكانوا بعد من أشد أعوان القاسم عليه.

قال: وإن القاسم ومحمد ابني جعفر نظرا في أمر البلاد والحصون التي بأيديهما، وكانت نحواً من ثلاثين قلعة، وفيما يدخل عليهما من جبايات البلاد فوجد النفقة في كل يوم سبعين ألف دينار، وما تحصل من جبايات البلاد وما يتوجه^(١) من سائر البلاد، وقد كان يأخذ معونة ثلاثة أرباع المال مع الإعسار، وما يصطفي من الصوافي قدره سبعون ألف دينار في السنة فسقط في أيديهما وأيقنا بالهلاك لمن معهما، فأخفيا الأمر وكتبا في ليلة واحدة إلى جميع النواحي، يأمران أصحابها بالتخلي عن المراكز والعساكر والقلاع، والتخلص بالحيلة إليهما، وكان^(٢) (بمسور المتتاب) فقلد أمر البلد منصور بن الحسين بن المتتاب وأودعاه الحريم وانسلأ حتى هبطا بطن شرس فأدرك من علم بهزيمتهما من أصحابها فنهب^(٣)، وقتل آخرون فصاروا إلى جبل شهارة فأقاما به ولحق بهما أصحابهما، وكانت مدة نهضتهما هذه ثلاثون شهراً.

والفاضل % قد ناهض أهل هذه المملكة الصليحية في أيام شباب دولتهم، وبعد^(٤) دخل مكة والحجاز، واجتمع بالشریف شكر بن أبي الفتوح الحسني الزيدي قال في اللآلئ المضيئة نقلاً عن سيرة الفاضل لمفرح بن أحمد كانت أيام الفاضل قبل بلوغ الحلم خمس عشر سنة، وفي سفر الشام سبع سنين، وفي حرب بني الصليحي بعد مراحه

(١) في مطلع البدور: وما يؤخذ.

(٢) في المطع: وكانا.

(٣) في المطع: فنهب نفر.

(٤) في المطع: وفي ذهني أنه في أيام شباب دولتهم دخل الحجاز ومكة.

من الشام عشر سنين، وفي الدراسة ستة عشر سنة، وفي أيام حربه للسلطان علي بن محمد الصليحي بنى (الهرابة)^(١) وحصّنها، وأجرى إليها وشلاً من موضع عندها فصار إليه علي بن محمد الصليحي بجميع أهل اليمن وملوكه، فحاصره سبعين ليلة، وقاتل عليها قتالاً شديداً، وقطع الماء عن السيد الفاضل حتى قال: والله ما أعلم أحداً قبلي ابتلي بمثل ما ابتليت به، وإن الحسين % منع الماء ثلاث ليال وأنا منعت الماء سبعين ليلة ولما دخل الصليحي (الهرابة) عقيب استيلائه عليها، دخل وهو ضام لأنفه من رائحة جيف الموتى، ولم^(٢) يتعجب من صبر من فيها حتى قال: والله لو ملكت رجالاً مثل رجال (الهرابة) لأملكن بهم العراق، ثم إن السيد الفاضل وقف بصنعاء^(٣) محبوساً، وكانت زوجة الصليحي أسماء بنت شهاب محسنة إلى الشريف الفاضل أيام حبسه، ثم أطلقه الصليحي.

وقد ذكر صلاح بن الجلال أن الفاضل وذا الشرفين كانا بالهرابة وحبساً جميعاً، وكذا حكى جابر بن مظفر عن غيره في الترجمان، وأن الشريفين حبسا معاً ثم أطلقهما بشفاعة أبيهما جعفر بن الإمام، والأشهر أنه الفاضل وحده، وكان الصليحي يعظم جعفر بن الإمام وأنه في مقامه عنده، وما سبقه إلى صباح قط بل يسبقه الصليحي فيصحه^(٤).

قيل: وكان موت جعفر عند الصليحي، وسبب موته فيما ذكره مفرح أن الصليحي جمع ملوك اليمن وحصر الكريديين ملوك المعافر في حصن السواء^(٥) وحصن

(١) الهرابة: حصن في جبل بالقرب من وادعة بالجنوب من مديرية حوث وأعمال محافظة عمران.

(٢) في مطلع البدور: وأخذ يتعجب، وهو الصواب وما أثبتناه من الأصل.

(٣) في المطلع: محبوساً نحو عامين.

(٤) في مطلع البدور: فيصحه.

(٥) حصن في أعلا جبل السواء وهو مركز إداري من مديرية المواسط وأعمال محافظة تعز، ويعرف اليوم بحصن (القُدَم) وأحياناً حصن (بني خولان) المعجم (١/ ٨٢٤).

السَّمْدَان^(١) فقال^(٢) لهم الصليحي هنالك وجعل وباء البلاد وعفونتها كالسم للملوك اليمن الذين معه من^(٣) الملوك وماتوا، وكان الأمير جعفر بن أمير المؤمنين من أجلهم، أو هو أجلهم فتوسط بين الصليحي وبين بني الكريدي بأمان وضعه لهم الصليحي ثم غدر الصليحي في الأمان، فمات الأمير جعفر من الغيظ.

والشريف الفاضل تستغرق أحواله مجلدات وقصدنا الإشارة.

ومن عجيب ما اتفق له وهو في أسر الصليحي، أنه كان للصليحي منجماً يسمى بحراً وهو مشهور، وكان متبحراً في علم الفلك وكان يسأل في الموالد والقرآن^(٤)، فعرض عليه رجل مولد الشريف الفاضل ولم يخبره من هو، فلما نظر إليه وتأمله وعرف مضمون دلالاته فقال بحر: لمن هذا الولد؟ فقال السائل: لرجل من آحاد الناس، فقال بحر: فكيف بك إذا خفقت الرايات على رأس هذا المولود وملك الناس والبلاد، حكى هذا بعض علماء السادة آل الوزير رحمهم الله.

استشهد الفاضل يوم الثلاثاء لسبع بقين من صفر سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة، وكان ذلك بالجوف لأنه أراد عمارة غيل همدان^(٥)، وكانوا كارهين لذلك فاستجعلوا جعالة من أحمد بن علي الصليحي، فلما قتله المستجعلون وهم من قبائل نهم جاءوا إليه للجعالة، فقال: تقتلون ابن رسول الله ثم تأتون للجعالة! فرجعوا خاسرين للدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين انتهت ترجمته.

(١) قلعة حصينة ومنبعة تقع في بني شبيبة من مديرية الشبايتين من أعمال محافظة تعز، المعجم (١/ ٨١١).

(٢) في مطلع البدور: فنازلهم.

(٣) في المطلع: فمرض الملوك.

(٤) في المطلع: في المولد والقرانات.

(٥) في مطلع البدور: عمران.

[الأمير ذو الشرفين]

وأما صنوه الأمير الهمام، سلطان الإسلام، ناصر الحق، برهان الملة، عز الدين ذو الشرفين محمد بن جعفر بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن علي سلام الله عليهم، وهو أحد أساطين الإسلام، وأحد أعلام الدين، أشهر في الفضائل من نار على علم، وقد ذكرنا قريباً في ترجمة أخيه الفاضل أهلية كل واحد منهما للإمامة العظمى، ولم يتركا الإمامة إلا لما كان الجم الغفير من الشيعة في زمانها يعتقدونه من حياة الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني، وهذا القول لم يكن للشريفيين بمعتقد، وقدرهما يجلب عن هذه الجهالة وهذا المعتقد، نشأ فيما روى الشريف أحمد العباسي المحسني أنه اجتمع الأشراف القاسميون عند طلحة الملك (بجراف خمر) وصادف وصول الأمير الكبير جعفر بن الإمام والد الأميرين إلى هنالك، وتلقاه أهل بيته ووجوه الناس بالعزاء في أخيه الإمام الحسين، فأظهر لهم الإنكار لقتل الحسين، ثم خلى بأهله القاسميين، وقال لهم بأمثال هذه العقول تعاشر الناس إن همدان وكُرنا الذي بضنا وأفرحنا فيه وبهم نفذت أحكامنا، وذكر همدان بجميل، ثم قال: فالعجب منكم أنكم تدعون أنهم قتلوا إمامكم، إن أهدرتموه أخزيتهم وبطلت عدالتكم، وإن طلبتم بثأره أفسدتم أنصاركم ثم ذكر أنه حي وروج لهم هذه الدعوى لهذا المقصد.

قال القاضي شمس الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال: ويدل على صدق براءة الأميرين من هذا المعتقد قصة الضرير الذي كان بشهارة يعرف بالبصير، وكان مولى من أهل (درب شاكر)^(١) بناحية بني صريم، وأنه كان يستعمل حياً وأخباراً لا يليق ذكرها، والحاصل أن الناس اعتقدوا فيه، وكان يكثر الزعمات في حياة الحسين، فكان

(١) جبل في الجنوب الغربي من مدينة خمر على مسافة بضع كيلو مترات ومن أعمال محافظة عمران حالياً المعجم (١/ ٨٤٠).

الأمير ذو الشرفين يداريه.

قال: وكان هذا الأمير آية من آيات الله في الكمالات، وكان هو وأخوه الفاضل يمدان إلى الصواب يداً واحدة، وكالشمسين في فلك واحد، ولما استشهد الفاضل رحمه الله قام ذو الشرفين بالأمر وشن الغارات، ونال من أعداء [الله] ^(١) منالاً عظيماً، تنزين بذكرها التواريخ، وكان رحمه الله حليماً في القول والفعل، وله حِكم نافعة، وله قصائد بليغة، على نمط العرب لم يحضرني حال رقم هذه الترجمة شيء منها، مع غفلة مضان النقل.

[رسالة الأمير ذي الشرفين إلى بعض الزيدية بشبام]

ومن الدلائل على حِكمه ما كتبه إلى أبي محمد بن عبد الرزاق بن أحمد بن عبد الباعث واخوته من الزيدية المخترعة بشبام قوله: وفهمت ما ذكرتموا يا أخوتي وسادتي، رفع الله ذكركم، وأصلح بلطفه أمركم، من الخلاف الذي وقع بين من يدعي التشيع في مسائل ذكرتموها في كتابكم، واعلموا أن الاختلاف لا يؤدي إلى مصلحة ولا رشاد، ولا يسلم من تعلق به من الفساد، والاختلاف في أمور الدنيا لا يصلح لتناقضه وبعده من النصفة وتداحضه، فكيف هو يجوز الخلاف في دين الحكيم، والصراط المعتدل المستقيم، وقد حرمه الله كما حرم سائر المعاصي تحريماً، أوعد من تعلق به عذاباً عظيماً، فقال عز من قائل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فحكم عليهم رب الأرباب، في تفرقهم واختلافهم كما تسمعون بالعذاب، وقال أيضاً قبل ذكره لأنه قولاً فيه الشفا، والكفاية لمن اكتفى، وهو قوله جل وعلا: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ١٠٥ وَأَعْتَصِمُوا

(١) ما بين المعقوفين ساقط في الأصل، وإثباتها هو الذي يقتضيه السياق.

يَحْتَلِ اللَّهُ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا^١ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا^٢ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

فاحرصوا اخواني وسادتي على التباعد من الاختلاف، وعلى صلاح ذات البين والاتلاف، فمن قبله أي الأولون والآخرين، ومن قبله وبه هلك المقدمون عليه المجترون، سلمنا الله وإياكم من المهالك، وسلك بنا وبكم خير المسالك.

وقد نظرت يا اخوتي وسادتي في مسائلكم فإذا هي على وجهين أحدهما مالا يستغني^(١) المتعبد عن المراجعة فيه، والاستفادة بمعانيه، والثاني مما يسع المتعبد جهله، ويكفي عن فروعه أصله، فأما مالا غنا عنه في الدين، ولا يسع جهله أحداً من المتعبدين، فبيان من كتب أئمتنا "واضح ونور برهانه بين لائح.

فانظروا في تلك الكتب وقفوا عليها تجدوا بيان ما تحتاجون إليه لديها، وأنا أسميها لكم ليسهل عليكم في الحال في ابتغائها وهي: (كتاب التفریع) للقاسم بن علي %، و(كتاب المختصر) لولده المهدي %، و(كتاب المسائل) التي أجاب عنها الإمام القاسم بن علي رضي الله عنه، وكتاب (التثيت والدلالة) أيضاً، و(كتاب الاستفهام) الذي سأل عنه رزين بن أحمد الحميري له أيضاً، و(جواب مسائل الطبري) له % أولها سألت أيها الأخ أعطيت سؤالك، وبلغت من السؤال مأمولك، والجامع من جمعها واستخراجها ووضعها وجوه، أحدها: الاكتفاء بما سطروا، والاستغناء بما قد ذكروا، أعلا الله في عليين درجهم، وخص بأفضل الصلاة أرواحهم ومهجهم.

ومنها: أني أحب أن أكون أمةً وسطاً لا منحرفاً إلى بعض دون بعض ولا مغلطاً.

(١) في الأصل: يستعين، ولعل الصواب ما أثبتناه.

ومنها: أن أكثر من ألفَ شيئاً ووافقه، لم يكد أبداً أن يفارقه، فلاشتغال به غنى، والرجا لعودته منى.

وفاته رحمه الله لعلها في سنة ثمانين وأربعمائة تقديراً لا تحقيقاً، ومحل قبره بشهارة الأمير مشهوراً، وله وقعات في الباطنية من الصليحيين والزواحين، منها الواقعة المشهورة في أقر^(١) وقد حطوا عليه، وحاصروه في شهارة فأوقع بهم وقعة غليظة، قتل فيها سلاطينهم وقوادهم، والقُتل قريب الألف والأسرى كذلك، وهي التي قتت في أعصاب الدولة الصليحية، وملك عليهم البلاد بعدها، وقد ذكرنا طرفاً في ترجمة الفاضل قريباً مما وقع من حصار صنعاء والاستيلاء على المعاقل حولها فليراجع انتهت الترجمة وبالله التوفيق.

[ذكر البساسيري والامر بن المستنصر وولده]

ولما انقضت أيام المستنصر بعد أن بقي في الدولة مقدار ستين سنة ولم تطل مدة أحد من العبيدين ولا العباسيين مثل ما طالت مدة هذا المستنصر، وفي أيامه ثار البساسيري في العراق ودخل بغداد وخطب للمستنصر أربعين جمعة، وخرج منها القائم العباسي إلى عند آل مرداس والأسديين ملوك الجزيرة، وبقي لديهم مطروداً حتى توجه السلطان طغتكين السلجوقي من خراسان ودخل بغداد وقتل البساسيري وأرجع القائم إلى دسته، وذلك مذكور في التواريخ، ولا حاجة بنا إلى شرح ذلك، والقصد الإشارة إلى ذكر هؤلاء الباطنية وما فعلوه في الإسلام.

وقام بعد المستنصر في مصر ولده الأمر، وبقي مقدار عشر سنين ومدبر دولته أمير

(١) بفتح الهمزة والقاف وإد في شرقي شهارة يعرف اليوم ببيت القابعي، المعجم (١/ ٩٤).

الجيوش بدر الإسكندري وهلك وقام بعده ابنه وفي أيامه ضعفت دولتهم، واستولى الإفرنج على أكثر مدن الشام، وصارت الدولة بأيدي وزرائهم فلما هلك المستعلي، ملك الحافظ عبد المجيد الأمر ودولته أيضاً ضعيفة، وكانت الدعوة باليمن بعد هلاك الداعي سبأ ابن أحمد الصليحي قد انتقلت إلى آل زريع الهمدانيين، وكانت قاعدة مملكتهم مدينة عدن وما حولها، وأول أمرهم أن الداعي علي بن محمد الصليحي لما استولى على عدن وأخرج منها ملوكها بني معز، وكانوا على رأي بني العباس ولى عليها العباس بن المكرم الهمداني ابن عمه، فلما تزوج المكرم أحمد بن علي الصليحي بالسيدة الملكة بنت أحمد بن محمد الصليحي جعل صداقها خراج عدن، وكان خواجه مائة ألف دينار، فأمر عماله المذكورين بحمل ذلك إليها فلما هلك الصليحي، تغلبوا على ذلك فحاربهم المكرم فتصالحوا على النصف من الخراج يحمل إلى السيدة، وبقي الأمر كذلك حتى هلك الداعي سبأ بن أحمد الصليحي، فجعلت السيدة قائماً بدولتها المفضل بن أبي البركات الحميري فتغلب زريع بن العباس على الخراج، فحاربه المفضل المذكور ثم تصالحا على النصف من خمسين ألفاً وهي خمسة وعشرون ألفاً فاستمرت إلى وفاة السيدة وذلك في اثنين وثلاثين وخمسة مائة سنة، ثم تغلب آل زريع وانتقلت إليهم الدعوة، وقام بها سبأ بن أبي السعد بن زريع بن العباس بن مسعود الهمداني ونهض إلى مقاومة ابن عمه علي بن أبي الغارات، وكان مستولياً على بندر عدن، والداعي سبأ كان مستولياً على (الدملوة) وحصن السمدان والسواء ولحج وما إلى ذلك، فتناهضا للحرب، فقوي جانب الداعي سبأ وأخرج ابن عمه هارباً مستجيراً بمنصور بن مفضل بن أبي البركات وكان بمدينة تعز وصبر فبقي الداعي سبأ بعد استيلائه على عدن أياماً ثم هلك، ولعل ذلك في سنة اثنين وثلاثين، السنة التي هلك فيها السيدة، وهي التي قلده الدعوة الحافظية باليمن.

ثم ولى ولده الأعز علي بن سبا، ولم تطل مدته بقي قدر سنتين وهلك، وكان أخوه محمد بن سبا هارباً منه لدى منصور بن مفضل، فكتب إليه مولاه بلال بن جرير المحمدي، واستنهضه للمملكة فوصل عدن واستولى عليها وعلى غيرها من البلاد، وقلد مولاه بلالاً تدبير مملكته، فقام بها أتم قيام واستولى الداعي محمد بن سبا على مملكة منصور بن مفضل بن أبي البركات وحصونه ومدنه، منها مدينة تعز، ومدينة ذي جبلة، ومدينة إب، وذو أشرق، وذو سفار، ومخلاف جعفر جميعه، واتسعت مملكته، ولما توفي بلال بن جرير قام بالوزارة ياسر بن بلال ولده، وكان حازماً لم يكن دون أبيه في حزم ولا عزم، كما ذكر عمارة اليمن في تاريخه المسمى «المفيد في أخبار صنعاء وزيد» وبقي محمد بن سبا إلى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وهلك وانتصب ولده عمران بن محمد بن سبا، ووصلته الدعوة من الحافظ وقام وكان كريماً يصل الشعراء والوفاد، وقصده نصر الله بن قلاقس من الديار المصرية، ومدحه بغير القصائد، وليس هذا موضع لذكر ممداح الباطنية وأعطاه عطاءً جزيلاً ورجع من عنده وركب البحر فانكسرت به السفينة وذهبت أمواله فرجع إليه وإلى وزيره ياسر بن بلال ومدحهما فأخلفا له ما ذهب عليه.

وكذلك خرج إليهما القاضي الرشيد بن الزبير من الديار المصرية فحملاً قسرية^(١) وقبل مدحته، وأجزلا له العطية، وللأديب أبي بكر العبدي وعمارة بابن^(٢) أبي الحسن الحكمي اليمني الذي سكن الديار المصرية فيها غرر المدائح ذكر ذلك الخزرجي وصاحب تاريخ عدن، وبقي الداعي عمران إلى سنة ستين وخمسمائة وهلك وبقي ولده في دسته وهما صغيران، والتدبير لياسر بن بلال حتى خرج الملك المعظم سيف

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها عمارة بن أبي الحسن.

الدولة توران شاه بن أيوب إلى اليمن، وقتل ابن مهدي في زبيد، واستولى على التهائم، ثم تجهز إلى عدن واستولى عليها وقتل ياسر وبقي ولدا عمران في (الدملوة) والمستولى على الأمر مولى يقال له ياقوت المعظمي حتى خرج السلطان الملك العزيز سيف الإسلام أبو الفوارس طغتكين بن أيوب في سنة أربع وسبعين وخسمائة فحط على (الدملوة) فأخذها وقتل ياقوت المعظمي كافل أولاد عمران بن محمد بن سبأ.

وقد كانت صنعاء وأعمالها خرجت عن الصليحيين في آخر دولة المكرم ودعوة سبأ بن أحمد الصليحي فإنه استولى عليها السلطان حاتم بن الغشم الهمداني وكان عاملاً لبني الصليحي في ابتداء أمره ثم تغلب على ما تحت يده وبقي على مملكتهما من سنة تسعين وأربعمائة، وكان ملكاً حازماً، وكان له ولد يقال له محمد بن حاتم كان سيفاً في حماية مملكة أبيه، وأنه أنشده منشداً شعراً في بعض الأيام يحرضه على غزو نجران، فقام من حينه ولبس لامة حربيه، فتبعه مشايخ همدان إلى المحل المسمى (مصعب الدروع) قبلي مدينة صنعاء، وسألوه عن شأنه فأخبرهم أنه سيمضي نجران فاستقالوه حتى يتأهبوا لذلك أهبتة، فقال: لا يمهلهم إلا أن يصبوا دروعهم في ذلك المحل، فصبوا دروعهم هنالك رهناً في الاحتفال بالخروج معه، فسمي الموضع مصعب الدروع وهو الآن يسمى (الحصبة) بالقرب من (الجراف)، ثم تأهبوا ووصلوا على وعدهم، فغزا نجران واستباحها كما ذكر الخزرجي، وكان هذا محمد مختل العقل إذا تزوج امرأة وأحبها قتلها، فامتنع الرؤساء عن تزويجه، فخطب إلى أناس من ملوك كندة، فقالوا: لا نزرجه إلا بضمانة أبيه إذا تزوجها أن لا يقتلها فسأل أباه أن يضمن لهم بذلك فقال له أبوه إني سأضمن لهم وإن قتلتها قتلتك بها فأجب^(١) له ذلك فتزوجها ثم قتلها وهرب حصن براش، ثم إن أباه راسله أن يصل إليه، فنزل فلقية أبوه إلى سوائل نقم^(٢)، وقتله

(١) كذا في الأصل، والمراد فأجابه إلى ذلك.

(٢) جبل مطل على مدينة صنعاء من الشرق.

هنالك وفاء بضمانته، وكان يرثيه بالأشعار كما ذكره أهل التاريخ، ولم يحضرني شيء منها حال الرقم.

ولما هلك حاتم بن الغشم ولم يكن في أولاده من يصلح للأمر، جعلها في السلطان هشام بن القبيب وأخويه حاتم ومعن، فبقيت صنعاء وأعمالها في أيديهم، وتوارثها الأخوة حتى هلك الكبار منهم، وبقي أولادهم فنشأت بينهم الفتنة، واقتسمت همدان بينهم مع كل واحد فريق، حتى نجح كثير من أهل مدينة صنعاء إلى البوادي والبلدان، فأنكر ذلك قاضي همدان وعالمهم أحمد بن محمد بن عمران الياامي، وجمع همدان على إخراج بني القبيب وتولى ولده السلطان حاتم بن أحمد بن محمد عمران وبقيت في يده، واستقرت أحواله في صنعاء.

وكان ذلك الوقت خالياً من قيام أئمة العترة المصطفوية، والمرجو للقيام هو الإمام الأعظم، والطود الشامخ الأشم، أمير المؤمنين المتوكل على الله أحمد بن سليمان %، وكان قد قام ودعا ولم يحتفل بدعوته أكثر الناس في بادئ الأمر.

[ترجمة الشيخ محمد بن عليان البحيري]

وكان في الشيعة الزيدية المخترعة رأساً وولياً لآل محمد الشيخ الأجد محمد بن عليان البحيري وهو إذ ذاك شيخ العصابة، الموفق في مراماته ومراميه للإصابة، وكان يشبه بأبي السرايا سري بن منصور الشيباني، ونسبه رحمه الله في بني بحير بن [صاف]^(١) ابن أرحب، وكان كما قال السيد العلامة محمد بن عبد الله بن الهادي الوزيري رحمه الله: من كبار الشيعة، وذو الجاهات الوسيعة، وكان يخالط الأمراء

(١) في ترجمة محمد بن عليان في مطلع البدور (بن ضياف).

والكبراء والسلاطين والملوك، فتقدم بنفسه إلى ملوك بني زريع، فأخذ الولاية منهم لحاتم بن أحمد على صنعاء وأعمالها ومخالفاتها، وإنما فعل ذلك الشيخ محمد بن عليان لأن حاتم كان محسناً إلى الشيعة في بادئ أمره، فلما حصلت الولاية لحاتم واستوسق له الأمر قتل محمد بن عليان غيلة^(١) بقاع (سهمان) فغضبت الشيعة، واجتمعت الزيدية الجميع المخترعة والمطرفية، وقصدوا الإمام أحمد بن سليمان % وخرج في عسكر ضخمة من همدان وغيرهم، فقصد صنعاء وأخرج حاتم منها والوقعة مشهورة.

قال القاضي شمس الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال: وقد عُذَّ من تصدر لرقم أخبار الزيدية ما كان محمد بن عليان عليه من الهمة السامية في إعلاء الشريعة وإعلانها^(٢)، وقيامه وقعوده وإنضائه الرواحل، وقطعه المراحل، إلى أبواب الملوك ليزيل الأكثر بالأقل كما جرت الشريعة به، وكما هو شرع الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين^(٣) لا عبادة لهم إلا ذلك حقيقة.

قال القاضي: ولو جعلنا ذلك مثلبة لكان إلى الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين أسرع من منحدر السيل صانهم الله، ولقلنا كيف رغب نبي الله يوسف الصديق فيما رغب ووصف نفسه بالأمانة عند كفار ليلي مصالح الأمة، وكان ÷ يعرض نفسه في المواسم ويدعو الناس ولما أمكنته الفرصة نقب النقباء في أول يوم، والله تعالى يقول فيمن قال فيهم ﴿أُولَئِكَ تُجَوِّزُونَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقُونَ فِيهَا حِجَّةً وَسَلَامًا﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿[الفرقان: ٧٥، ٧٦] وهذا دليل الرضى عنهم لأوصافهم السابقة التي خاتمتها قوله ﴿وَأَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

(١) في الأصل: عليه، وما أثبتناه تظنيًا ثم وجدتها في ترجمته في مطلع البدور.

(٢) في الأصل: وإعلانها، وما أثبتناه من مطلع البدور.

(٣) ساقط من مطلع البدور.

وهذا طلب للعلو ولكنه العلو الديني وما ينبغي لمسلم أن يحط همته عن هذا العلو، وإنما هذا الذي نقم عليه ما نقم رجل من المطرفية وهو مسلم اللحجي وهو من دأبه التطلب للطعن في أعراض أهل الحق، وهضم الدعاة من الأئمة فضلاً عن محمد بن عليان وما بغضه للأئمة إلا أنهم كشفوا عن عواره، وأظهروا سيء استتاره.

ولقد أثنى على الشريف السيد الحسن بن [محمد بن الحسن]^(١) المعروف بالقاضي لامتناعه عن القيام بعد أن ذكر أوصافه وكماله، وجعل مناط المدح امتناعه عن القيام بالحق، وأرسل لسانه على الإمام أحمد بن سليمان % لما دخل في الفرض الواجب.

وما ذكره مسلم اللحجي في شأن محمد بن عليان قال: رأيت بمسجد آل أبي طاهر بنجران على اسطوانة منه قوله: [من البسيط]

قل لابن عليان دع عنك النواميسا فإن ذلك أمرٌ صار مدروسا
إن كان إبليس أغوى الناس كلهم فأنت أنت الذي أغويت إبليساً

قال: فسألت فيمن قيلت قيل لي: فيه وسألت من القائل ف قيل: رجل من صنعاء وقيل: محمد بن حسن الطثير الحضوري قال، وكان كثير الأهاجي شاعراً فيها.

قلت: يا لله العجب! كيف انتصرت بهذا الشاعر المفتون، و سطوت على هذا العرض المصون، لا جرم أن الشعراء يتبعهم الغاوون.

وكان مسلم منحرفاً عن العصابة المطهرة، عصابة الزيدية حقاً وإن كان يزعم أنه هو الزيدي، فإنه اجتمع هو ومحمد بن عليان رحمه الله في دار القاضي أبي الخير أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى والد القاضي جعفر رحمه الله بمدينة صنعاء ليلة من الليالي ف صلى

(١) في مطلع البدور: الحسني.

مسلم العشاء الآخرة ومحمد ينظر صلاته فلم [يغد] ^(١) عن صلاة الزيدية فقال له محمد: أراك تصلي صلاتنا، فقال مسلم: ومن أنتم قال: نحن الزيدية فقال مسلم: يا شيخ يا محمد نحن الزيدية، وكثير ^(٢) من أمثال هذا، وذكر له أن الزيدي حقاً أبو ^(٣) عليان بن إبراهيم.

قال القاضي شمس الدين: ومن مناقب محمد بن عليان رضي الله عنه نقمه بثأر الشريف الأمير مفخر آل يحيى بن الحسين العالم الشجاع المحسن ^(٤) بن الحسن قاتل الزواحي بين ثلا وشبام، ناقماً بثأر الأمير حمزة بن أبي هاشم رضي الله عنه، وكان المحسن المذكور من عيون العترة، وكبار الأسرة.

قال حميد الشهيد رحمه الله: ولما وصلت دعوة الإمام أبي طالب الأخير % قام بها المحسن بن الحسن أحسن قيام، ونفذت أوامره بصعدة ونجران والجوفين ومصانع حمير انتهى كلام حميد.

وقال الأمير الحسين مصنف الشفا في مشجره: إن محسناً سلام الله عليه ملك ثلا وغيره من الحصون، وإن أهل صعدة قتلوه وقتلوا والده غدرًا، فقام بثأره السيد الشريف الواصل من الديلم من جهة الإمام أبي طالب، وأخرب صعدة وأعانه على ذلك شيخ الشيعة في وقته محمد بن عليان بن أسعد ^(٥) البحيري، وأمدهما بالمال الأمير غانم بن

(١) في مطلع البدور: يعد.

(٢) في مطلع البدور: وكثُر.

(٣) في مطلع البدور: أبوك، ثم قال المحقق ولعل ما بعدها: عليان بن سعد، وفي المطرقة عليان بن إبراهيم يروي عنه بعض الأخبار مسلم اللحجي، وترجمه في الطبقة الرابعة. تمت منه.

(٤) هو المحسن بن الحسن بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد المتصر بالله بن القاسم المختار بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي، مقتله كما في الحقائق سنة ٥١٣ هـ وهو الذي قام بدعوة الإمام أبي طالب الصغير، مطلع البدور (٤/٤٠٣).

(٥) في مطلع البدور: بن سعد.

يحيى بن حمزة السليمانى، وكان مالا كثيراً وقال الشيخ محمد بن عليان شعراً في ذلك أوله: [من الطويل]

تألبت الأوغاد من أهل صعدة	لتهدم دين الله في كل وجهة
فحل بها أمرٌ من الله واقع	بما أسلفت من أمرها واستحقت
أثامها من المنصور داع فصدمت	به ثم عنه بعد ذلك صدمت
فلما رأى منها المحسن ما رأى	من الفسق ناداها بصوت فصمت
وأعلنت الطغيان في الشور ^(١) والخنأ	وأضمرت البغضاله وأسرت
فدوخ نجراناً ودمر صعدة	وها أهلها عن منهج الرشد ضلت ^(٢)
وأرسل نحوي بعد ذاك كتابه	يعاتبني فيه ويطلب نصرتي
فثرت إليه قاصداً نحو صعدة	وعقّدت بالعزم اعتقادي ونيتي
وسار بسيري عصبة أهل عفة	ويعتهم في الدين أعظم يعة

وهي طويلة قدر ثمانين بيتاً كما ذكر القاضي شمس الدين ولكنه اختصرها مع ما عليه أحوال الناس من الملل والقصور.

قال القاضي: وذكر الأمير الحسين خارج المشجر أن قتل المحسن وولده كان بدرب العز بصعدة، فعند ذلك خرجت ابنته إلى خولان فنكفت القبائل وعصدها محمد بن عليان، وأمدهم الأمير غانم المذكور بعشرة آلاف دينار، وكتب إليهم يعتذر بأن الخيل لا صبر لها في جهاتكم، فعند ذلك اجتمعت القبائل على حرب صعدة وحاصروهم مدة وضيقوا عليهم حتى انتهى أمرهم إلى أنهم آمنوهم يحيزون أموالهم ثمانية أيام،

(١) في مطلع البدور: الشرب.

(٢) في مطلع البدور: وذلك لما عن الرشد ضلت.

وقالوا لهم: نحن نرعا لكم حرمة الهادي، وأما خراب صعدة فلا بد منه، واشترط ابن عليان أن يلعب بفرسه في درب العز لمكان قتل حي الأمير المحسن فيه، فلما مضت هذه الأيام بقي شيء من أموالهم لم يحيزوه فنهبتهم القبائل، وأخربوا صعدة وبالغوا في خراب درب العز حتى لعب محمد بن عليان وأجرى فيه جواده، وقد كان وعد القبائل بشيء من المال، لأنه قد كان أفنى المال الذي أمده به الأمير غانم إلا الشيء القليل جعل عشرة كيزان [شقراء فأعلا هيئة^(١)] الدنانير، وجعل في رأس كل كوز شيئاً من الدنانير التي بقيت عنده، وعدلها لهم عند من ارتضاه من شيوخ القبائل، فلما قضى وطره من خراب صعدة وقتل من قتل منهم، خشي النسبة مع القبائل فيما كان قد وعدهم به، فعند ذلك هرب في الليل واختلف في أمره، فقليل إنه هرب على جواده حتى وصل العقرة، وقيل بل خرج في هودج على هيئة المرأة والله أعلم أي ذلك كان.

قال الأمير الحسين %: ولما كثرت عناية ابن عليان رحمه الله في نصرته أهل بيت رسول الله ﷺ نحو ما تقدم، ونحو عنايته في اجتماع الأشراف بمدر^(٢) من بلاد حاشد في صفر سنة خمس وأربعين وخمسائة، فالتقوا، وحضر من ذرية علي % بشر - كثير يزيد على الألف، ومن علماء الشيعة، وأعيان الشريعة، ليتفاوضوا فيما يحمي الحوزة فاجتمع الرأي على الإمام أحمد بن سليمان.

وبهذه العناية اغتاله حاتم كما ذكرنا، فخرج الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بالجيوش وأخرجه من صنعاء وأخذ بثأر الشيخ محمد المذكور.

وكان والده عليان بن أسعد البحيري حامل لواء المطرفية، لقي القاضي إسحاق بن عبد الباعث بشبام، فتكلم في الخلاف، ومن جملة ما دار بينهما أن أخذ القاضي إسحاق المصحف فقال لعليان: في هذا القرآن. فقال: لا. قال إسحاق: فما فيه. قال: دليل القرآن وقيدته فقال له:

(١) مَدَرَ: بالفتح قرية من قرى بني نصر في أسفل جبل الأهنوم من جهة الغرب، المعجم (١٤٦٢/٢).

(٢) هكذا في الأصل، وفي مطلع البدور: شقوفاً على هيئة.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالطُّورِ﴾ وَكُتِبَ مَسْطُورٌ ﴿﴾ فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ [الطور: ١-٣] هَذَا قَسَمٌ، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَبِمَا أَقْسَمُ. قَالَ: بِالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ. قَالَ: قُلْتُ: هُوَ هَذَا فَأَشَارَ إِلَى الْمَصْحَفِ قَالَ لَا فَأَمْسَكَ عَنْهُ الْقَاضِي إِسْحَاقُ وَنَقَدَهُ مِنْ حَضَرٍ.

وكان عليان داعية إلى هذا المذهب وكان متبوعاً، انقادت له جماعة، انقياد الزيدية لأبي الحسين الطبري.

ولقد كان السلطان حاتم بن الغشم اليامي قلق من جماعة الصلاة ووفادتها بوقش^(١) خلف عليان خوفاً من أن يفتح عليه باب الخلاف في سلطانه، فما سَكَنَ روعته إلا قول بعض الناس: الزيدية لا ترى الخروج إلا مع إمام، وقد كان لو^(٢) هذا همّ بغزو عليان ومن معه بوقش.

وعليان أول من اتخذ هجرة (الروعة)^(٣) من حضور الأحبوب، وكان بها هو وولده من بعده وبنى مسكناً بمسور وبنى بناحية جنب المحجر المعروف بمحجر قلد، وبنى بحضور غير هجرة الروعة وبنى بالأهنوم، وفي أهل بيته فقه وأدب، منهم جشيم بالجيم بعدها شين معجمة بصيغة التصغير وكلهم من ضبيان^(٤) بن سفيان بن أرحب، ويقال لهؤلاء البحيرين بنو محمد ومنزلهم بشوابة، وينسبون من سفيان إلى بني أسد.

وكان جشيم شاعراً له نوادر قوية المعاني، وله متحفات، فمن ذلك أنه اتفق ببعض المتعبدین بغير علم، المتنسكين بغير بصيرة، وكان ذلك الرجل جميل الحال وحسن الثياب المعتادة للطاعة نصيفها^(٥) كثير الصمت، فما عرف أحد بقدره ومقامه بل

(١) وَقَشَ: بالتحريك بلدة أثرية في منطقة بني قيس من مديرية بني مطر وأعمال محافظة صنعاء، المعجم (٢/ ١٨٨٤).

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَلَعَلَّهَا (لَوْلَى) كَمَا فِي مَطْلَعِ الْبَدُورِ.

(٣) الرُّوعَةُ: محلة في جبل الحذب من مديرية بني مطر محافظة صنعاء، المعجم (١/ ٧١٣).

(٤) فِي مَطْلَعِ الْبَدُورِ: ضِيَافٌ.

(٥) فِي مَطْلَعِ الْبَدُورِ: يَنْظِفُهَا كَثِيرًا كَثِيرَ الصَّمْتِ، وَهُوَ الصَّوَابُ.

أحلّوه^(١) لظاهر حاله، فتوسم جشم أحواله فظن فيه الجهل، فاعترضه يوماً فسأله: ما تقول^(٢): النبي ÷ حسني أو حسيني فقال حسني لأنه من عشيرة امهدي^(٣) يعني قبيلة المهدي وهذه أم الطائية، فكان الرجل هذا يعتقد حياة الحسين بن القاسم فقال جشيم قصيدة أولها: [من البسيط]

الدين ثوب نفيس ليس يتذل وليس يلبس ثوب المصطفى السفل
مالي أرى عرباً يضايقهم ومَن قلوبهم بالميل تكتحل
مخلاته من لحاف الصوف مفعمة وقلبه من معاني دينه عطل
وهي قصيدة طويلة، ومنها قوله:

دين تحمله يحى وحققه أفضت إليه به آباؤه الأول
ومن شعره قوله: [من الوافر]

كفى للعاقل الفطن اللبيب بما في الصنع من أمر عجيب
وماتأني المنايا في البرايا بأنواع المصائب والخطوب
فلو لم يبق في الأيام إلا مفارقة الأجرة للحبيب
وسكننا في المرامس وارتحالاً عن اللذات والمال الرغيب
لكان لنابه شغل عظيم فكيف بموقف اليوم العصيب!
عزيز في قبيلته حسيب وليس لدى جهنم من حسيب

(١) كذا في الأصل، وفي المطبع: أجلّوه وهو الصواب.

(٢) في مطبع البدور: هل النبي.

(٣) في الأصل: أم مهدي، ولأن (ام) هي الطائية لا بد من اتصالها بالكلمة لأنها بدل (أل) التعريفية.

تراه يقاد مغلولاً ذليلاً	شديد الوجد ذا قلب كئيب
وقد أخذت أسرته ^(١) ولانت	قساوته وأعلن بالنجيب
وكان إذا التقت غرر المذاكي ^(٢)	شديد البأس في رهج الحروب
يرد الخيل دامية الهوادي	منفرة ^(٣) الخواصر والتريب
تراه يستطيع غداً دفاعاً	بنصرٍ من قريب أو نسيب
ألا.. لا.. ليس متفعلاً بشيء	سوى الإيمان والدين الصليب
وللإيمان أخلاط كثير	تحافظ مثل عقار الطيب
ويكفي المرء من أدنى الخطايا	كما يكفي الذباب من القلب
فياباري البرية فاعف عني	بحقك أنت علام الغيوب
ففي ذي الدار قد أكملت حظي	فلا تقطع من الأخرى نصيبي

ومن أهل هذا البيت محمد بن إبراهيم بن السميدع، وهو شاعر مشهور بينه وبين محمد بن أحمد اليامي صنو حاتم بن أحمد مشاعرات، وكان في محمد بعض الاختلال.

وبحير بالباء الموحدة والحاء المهملة وقد تلبس هذه النسبة بنسبة بني اليعيري بالياء المثناة من تحت بعدها الحاء المهملة بعدها ياء، وهم جماعة أجلاء، علماء، شعراء، زهاد، إلا أن جمهورهم مال إلى التطريف^(٤).

قال القاضي شمس الدين أحمد بن صالح: ولم يتميز لي الخالص منهم مع أنه قد ذكر منهم الخالص.

(١) في مطلع البدور: وقد خذلته أسرته.

(٢) في مطلع البدور: وكان إذا التقت غرر المذاكي.

(٣) في مطلع البدور: مبقرة الخواصر والتريب.

(٤) أي دخلوا في مذهب الطرفية.

[ابتداء ظهور المطرفية وبعض أخبارها]

وهذه بدعة التطريف نشأت عام خمسين وأربعمائة وكادت تعم لولا تكفل الله سبحانه، وكفى بقول الصادق المصدق ÷ (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين) فكانت في مدتهم المصاولة والمقاولة إلى ثلاث عشرة وستمائة، وأضمحل مذهبهم بعزيمة الإمام الأعظم المنصور بالله عبد الله بن حمزة % ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وتاريخ ابتداء أمرهم وانتهاءه نص عليه العلامة عبد الله بن الحسن الدواري^(١) رحمه الله ولمح السيد الحافظ محمد بن إبراهيم على بدعتهم هذه من بدع الخوارج بقوله: [من الكامل]

كم أبدع العقلاء مبدع قولهم ومطرف من جنسهم وطريف
كم أطرفوا في الابتداع ذوي النهى فالطرف نوع منه والتطريف
عنى بقوله طريف الوليد بن طريف الخارجي بحذف ابن وأقام المضاف إليه مقامه
فهو شبيه ما أنشده العلامة الزمخشري في مفصله:

عشية فرّ الحارثيون بعدما قضى نجبه في ملتقى القوم هرمرز
أي ابن هرمرز وأراد بمطرف رأس المطرفية الغوية، وهو مطرف بن شهاب بن عمرو بن عمر بن عباد الشهابي من بني شهاب حيدان بالفذ^(٢) من بلاد خولان قضاة.

(١) القاضي عبد الله بن حسن بن عطية الدواري، ولد سنة ٧١٥هـ، أخذ العلم على علماء عصره في الأصول والفروع، وكان زيدي المذهب علي الاعتقاد محباً لأهل البيت"، وأجل تلامذته الهادي بن إبراهيم الوزير وأخيه محمد بن إبراهيم، وتوفي سنة ٨٠٠هـ.

(٢) في مطلع البدور: بالقد.

قال القاضي رحمه الله: وعلى احتمال وشيك يمكن أن يكون عباد بن المعمر^(١) أحد رؤساء بني شهاب، عاصر الرشيد وحبسه إسحاق العباسي وتوفي بيت مغين وهو عباد بن المعمر^(٢) بن عباد بن مالك [بن عباد بن مالك]^(٣) بن شهاب الأكبر بن العاقل الأكبر بن ربيعة بن وهب بن الحارث بن معاوية بن كثيرة وهو ثور بن كندي بن عقير بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عزيز بن زيد بن كيلان^(٤) بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فهو كندي، لكن بنو شهاب هؤلاء سكنوا بخولان قضاة، وإلا فبين النسيين بون.

وقد ذكر الحسن بن يعقوب الهمداني المعروف بابن الحايك أن عقب عباد المذكور منهم من صار إلى أرض بني شهاب من حيدان العبد^(٥) وكان عباد بن المعمر^(٦) من أجلاء العرب باليمن وإليه ينسب ميدان عباد بحقل صنعاء، وهو صاحب سقاية عباد بصنعاء.

وكان مطرف هذا رجلاً داهياً صباراً متواضعاً، فانخدع به خلق.

قال القاضي: وما رأيت لهذه الطائفة وجهاً كثر لها السواد إلا أمرين.

أحدهما: وهو الأعظم تركهم للدنيا وميلهم من شهواتها، ومعاملتهم لأنفسهم وإخوانهم وجيرانهم بالمعاملة العجيبة من الاحتمال والتواصل والتشاقق كأنهم الجميع إنسان واحد، مع ورع شحيح وعبادة يكلّ عنها الجليلد أشبه شيء بحال الخوارج من طهارات وشح في كل شيء، هذا وجه ميل القلوب من العامة إليهم فإن دنس الدنيا وحبها لا يترك للعالم جمالاً.

(١) في مطلع البدور: بن الغمر.

(٢) في مطلع البدور: بن الغمر.

(٣) ساقط في مطلع البدور.

(٤) في مطلع البدور: بن عريب بن زيد بن كهلان.

(٥) في مطلع البدور: القدر.

(٦) في مطلع البدور: بن الغمر.

والوجه الثاني: قرب مقالتهم من عقول الجاهل، فإن دعوا أحداً ففي الحقيقة ما جاؤوه بغير جهالته، وإن ناظروا العالم الذي يعرف الزائف من المرضي عقل الجاهل من القبائل ونحوهم مقالة المطرفي ولا يدري ما يلزم^(١) عليها، ولا أي شيء يقتضيه العقلي والنقلي كقول عليان بن أسعد للقاضي إسحاق: هل الله اسم أو مسمى؟ فقال القاضي: بل اسم، قال: أفتعبد الاسم أم المسمى؟ قال: أعبد المسمى بالله، قال عليان: أولست تعبد الله؟ قال: لا، قال: فالمشركون أقرب من الحق منك، قال الله تعالى ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزحرف: ٨٧] قال: فشنت العامة على القاضي إسحاق رحمه الله.

قال القاضي: وغير بعيد أن يشنعوا لجهالتهم فإنهم ينظرون إلى ظاهر قوله رحمه الله أعبد المسمى فما أعبد الله أي الاسم، ولفظه كما رأيت معناه ظاهراً [ما]^(٢) أعبد الله فقعق عليان بالآية، وهذا من المغالطة بمكان، وإذا كان السامع بصيراً عرف الحكم إلى أين يتوجه النفي وكلام القاضي إسحاق، وعرف أنه قد لزم عليان ثبوت قديماً^(٣) مع الله فإن من مقالته التي هذه المناظرة صادرة عنها أن الله أربعين اسماً قديمة لأنها هي المسمى، فتدبر هذه النكتة فهي حسبك والعوام أصدق وصف لهم قول الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الفرقان: ٤٤] وقد كان الشيخ إبراهيم بن أبي الهيثم يروي عن مطرف أنه كان يقول في انخداع العامة: لو جاء رجل يدعي أن الشمس طلعت من المغرب ما غابت شمس ذلك اليوم إلا وله أتباع فالله حسبنا وكفى.

وأما **اليحيرون** بالياء المثناة التحتية أول الحروف فنسبهم في حمير ثم في يحير من آل ذي رعين وأصل وطنهم بيت رجال من ناحية المعلل من أرض بني شهاب، وهم جماعة أجلاء علماء بحار متكلمون نحاة لغويون يعرفون الهندسيات والإقليديسيات

(١) في مطلع البدور: ما يلتزم.

(٢) ساقط في مطلع البدور.

(٣) كذا في الأصل، وفي مطلع البدور: ثبوت قدماء.

وأنواع العلوم الإسلامية ولهم في النظم والنثر كل سابقة أولى، وكل سهم أعلا، فمنهم الثلاثة الأخوة يحيى والحسن والحسين بنو عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن سعثم اليحيري المسمري^(١)، وفيهم المتقدم الزمان كيحيى، والمتأخر العمر كالحسين، وللحسين ولد علامة بارع في فنون الأدب، مفخر لأهل اليمن اسمه يحيى بن الحسين بن عبد الله بن أحمد وهو شارح المكنون كتاب القاسم بن إبراهيم %، وفاته سابع شهر رمضان الكريم سنة سبع وسبعين وخمسمائة سنة [ولأخيه البقية]^(٢).

قال بعض السادة آل الوزير: غالب الظن أنهم في نيف وعشرين وخمسمائة سنة وليحيى بن عبد الله أكبر الثلاثة الأخوة ولد اسمه سليمان بن يحيى بن عبد الله علامة شهير، فصيح بليغ، أنشد له ابن عمه وهو يحيى بن الحسين بن عبد الله في شرحه على المكنون قوله: [من الوافر]

إذا ما كنت تزرع قول (حتى)	حصدت بغير شك قول (ليت)
ومطلب العلوم بغير شيخ	كمطلب الطعان على كعيت
فلا تغبط أخوا عُمَر طویل	يضيع العمر في خَلّ وزيت
ومن يجهل شباب الدهم يوماً	فلا تسأله عن قول ^(٣) الكميت
مضت أعمارنا في غير شيء	ونرضى حفرةً بدلاً بيت ^(٤)

أجرى ذكر هذه المادة ذكر المطرفية الشقية، كون مقالاتهم الكفرية، شعبة من

(١) في مطلع البدور: المسمري.

(٢) سقاط في مطلع البدور.

(٣) في مطلع البدور: لون.

(٤) الذي في مطلع البدور هو:

مضت أعمارنا في غير شيء	وأكثر جناحي كميّت
عجبت لمن تضيق به قصور	ويرضى حفرة بدلاً بيت

مقالات الباطنية، وهي شرارة طارت إلى مذاهب الهدوية، أطفأها الله بأئمة العترة النبوية، وكان أعظمهم تشدداً في إبطال بدعتهم، وهدم أركان مذهبهم، الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة سلام الله عليه، فإنه الذي طمس هذه البدعة، وأخذ نار هذه الفتنة، وكان يقتل من ظفر به منهم، ويسبي ذراريهم، ويهدم مساجدهم، ويقيم الحجج والبراهين الصريحة على كفرهم، حتى عطل مدارسهم، وهجرهم واضمحل مذهبهم في آخر أيام دولته الحميدة، في سنة ثلاث عشرة وستمائة سنة، كما لمحنإ إليه قريباً.

ولنرجع إلى ذكر الباطنية الخبيثاء اللعنا أقماهم الله، فبعد أن استولى بني أيوب على الديار المصرية وأزال السلطان صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن أيوب بن ساوي بن مروان دولة العبيدين وكان آخرهم العاضد أحمد بن علي بن الظافر بن الحافظ عبد المجيد وبه انقرضت دولتهم، لم يبق منهم إلا بقية في القيروان، منهم الخبيث عدو الله أبو القاسم القيرواني، صاحب المقالات الكفرية، والمؤلفات الفرية، التي بعثت مذهبهم الخبيث، وأظهرت كفرهم الصريح، فإنه صرح أقماه الله وأخزاه أن الدين الصحيح دين المجوسية وقدح في الإسلام وهجا عقول المسلمين، وصرح ببطلان نبوة محمد ﷺ وغيره من الأنبياء والمرسلين، وعطل الشرائع غير عبادة النيران، فكشف الغطاء الذي يتسترون به في أمرهم من دس المجوسية على الإسلام وإدخالها في شريعة محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

وقد ذكر في أول هذه المادة وأن المقصود من أوائلهم دس المقالات الكفرية المجوسية في فرقتي الشيعة والسنة وقد أبطل الله هذه الحيلة التي تخيلوها وحرس الله الملة المحمدية بأساطين الذرية المصطفوية فانتصبوا لحربهم في شرق البلاد وغربها، وبعدها وقربها، ولما انقضى عمر حاتم بن أحمد الياامي وكان قد يظهر منه في بعض حالاته التبري من مذهبهم والتقضي عن عقائدهم كما أخبر عنه الإمام الأعظم المتوكل

على الله أحمد بن سليمان % في بعض رسائله، وكان آخر أمره موالاته الإمام المذكور، وانتمى إليه من الظاهر، وخطب باسمه في صنعاء وأعمالها، وقبل قاضيه عمر بن مسعود العنسي، والمحتسب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشدد على أهل المعاصي وشرب الخمر مع محتسب الإمام كما ذكر ذلك في سيرة الإمام ولح إليه شارح البسامة السيد العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي في اللآلئ المضيئة نقلاً عن السيرة المتوكلية.

وبعد وفاة حاتم ولي السلطنة السلطان الوحيد علي بن حاتم واستمر على موالاته الإمام أحمد بن سليمان وكان ينزه عن مذهب الباطنية، ودليل ذلك انتصار الإمام الأعظم المنصور بالله عبد الله بن حمزة % به وبأولاده واتحاده بهم وولايتهم من قبله ومدحه لهم بغرر الأشعار ومصاهرته لهم بتزويجه بمنعة بنت السلطان الفضل بن علي بن حاتم، وكان بشر بن حاتم ينسب إلى هذا المذهب، ويعادي الإمام، ويظهر أجناد بني أيوب عليه، وربما ساله في بعض الأيام، وهو مضمر الغش كما هي عادة أعداء الله الباطنية، واستمر الحال لبني حاتم، فكان أولاد السلطان علي بن حاتم على مذهب العترة الزكية، وأولاد بشر بن حاتم على مذهب الباطنية، وفيهم أدب وبلاغة في نظم الشعر الجيد البديع، وكانت الدعوة الخبيثة في غيرهم تصدى لها بنو الأنف بعد انقضاء دولة العبيدين انتقلت إلى الهند ويسمون الداعي هنالك داعي الدعاة، والداعي باليمن حسن بن إدريس بالأنف، وكان (ذي مرمر) بأيديهم و(الغصين) و(منيف) و(عطسان) و(فده بوادي ظهر)، وكان هذا حسن بن إدريس أديباً، بارعاً، وشاعراً مقلقاً، وتوارث الدعوة أولاده باليمن، وكانوا إذا قويت شكوة الأئمة أخفوا كفرهم، ومالوا إلى المهادنة والخدمة، وأنكروا ما يبطنون من المقالات الكفرية والدسائس الرديئة، وإذا خلت اليمن من الدعاة من آل محمد أظهروا مقالاتهم

المجوسية وأباحوا المحرمات، وأجازوا نكاح البنات والخالات والعلمات، وصرحوا بالكفر البواح والمنكر الصراح، وكان أئمة آل في ذلك الأوان يذيقونهم الهوان، ويخيفونهم في البلدان.

[قيام الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد عليهم السلام وجهادة للباطنية]

وفي تلك المدة كان قيام الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن علي بن محمد بن المفضل وذلك في سنة أربع وسبعين وسبعائة سنة، وكان ابتداء دعوته مع سقوط التكليف عن أبيه الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد ومرضه بالفالج في مدينة دمار. واحتاج في ابتداء دعوته^(١) إلى مصالحة دعاة الباطنية بني الأنف وموادةتهم مع كثرة المعارضين، حتى قويت شكوته، وتمكنت بسطته، وفتح صنعاء اليمن، وكانت بأيدي الأشراف بني حمزة، وكثرت أجناده، واتسعت بلاده، وأرغم سلاطين بني رسول الذين باليمن الأسفل، ومنعهم من البلاد العليا، وأخذ عليهم أكثر البلاد اليمنية، مثل بعدان والشعر ووصاب وريمة وعممة وزادت رقعة مملكته، وعمرت أرض خزائنه، وظخمت ساحات أجناده، وقد كان عامة العلماء والسادات أنكروا عليه مصالحة الباطنية وموادةتهم، وهو يترقب الفرص ويلاحظ القوة والقبض حتى مكّنه الله منهم، فأوقع بهم الوقعات الكبار، وقتل منهم في المنقب فوق الألف، ثم الآخر في الضلع فوق الست المائة واستأصل شأفتهم، وأسلم أهل ضلع وأهل ظهر وأهل ريعان، وفتح حصونهم في ظهر منيف وعطبان وفده والقلعة وبقيت في أيدهم بعض

(١) كذا في الأصل، والمراد (دعوته).

الخصون مثل ذي مرمر والغصين.

وكان هذا الإمام نقمة على هذه الفرقة الكفرية وظهرت عقائدهم الفاسدة، وأقاولهم الكاسدة في كتبهم، كما حكى ذلك عنهم الزريقي مما اطلع عليه من الكتب المأخوذة منهم.

والسيد العلامة الكبير الهادي بن إبراهيم الوزير في كتبه وأن نحلتهم دين المجوس، وأشعار الفقيه العلامة الزاهد أحمد بن قاسم الشامي رحمه الله طافحة بذكر مساوئ هذه الفرقة الباطنية الكفرية، والتحريض عليهم للإمامين الإمام الناصر % وولده المنصور علي بن صلاح.

ولما استقرت دعوة الإمام المنصور علي بن صلاح الدين قاد الجيوش إلى الباطنية، وحاصروهم في ذي مرمر حصاراً طويلاً بأجناد واسعة بلغ عدد المحاريس كما ذكر الزحيف وصاحب اللآلئ المضيئة اثني عشر مائة محراس أقل محراس إلى عشرة رجال وبقي المطرح عليهم ثمانية عشر شهراً حتى شق الحال بأهل المحطة وبدعاة الباطنية الفرقة المجوسية، وأعان صلحاء الزيدية بالرواتب ودرس القرآن حتى أن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى % والإمام الهادي علي بن المؤيد تركا الغارة والحرب بينهما وبين الإمام علي بن صلاح وأعانا بالرواتب والدرس.

ومن الكرامات في هذا الحصار على الباطنية في ذي مرمر أن السيد العلامة المتأله ذو الكرامات عبد الله بن إبراهيم الديلمي الفتحي المعروف بأبي شملة.

قال السيد العلامة الهادي بن إبراهيم الصغير، في تاريخ السادة بني الوزير، عند ذكره السيد عبد الله بن إبراهيم العابد العالم المشهور بالفضل والكرامات الشهيرة الواضحة، منها أن حي الإمام المنصور بالله علي بن محمد بن علي بن محمد لما حط على

حصن ذي مرمر وقام معه الزيدية رضوان الله عليهم بقلوبهم وأيديهم حتى أن مما وقع في ذلك أن السيد المذكور ممن أمد بالقراءة والحضور والرواتب المستمرة وملازمة ذكر الله سبحانه وتعالى، فمما رواه الإسماعيلية الباطنية بعد خروجهم لا خرجوا من غير قلة ولا ذلة ولا عدم في الماء والقوت ولا العدد ولا العدة، بل كان فيه كل شيء فوق الحاجة من العدد والعدة شيء لا يوصف، ولم تبق مدة الحصار إلا ما ذكرنا وكانت المشقة بأهل المحطة^(١) أكثر لكثرتها واتساع الأجناد فيها، وكانت كما ذكر السيد الهادي ألفاً وتسعمائة محراس من غير المحاط في كل محراس اثني عشر رجلاً ولكن أعانه الله وتظافر القلوب بالدعاء، فكان هؤلاء الخارجون من الباطنية يذكرون أنهم كانوا يشاهدون السيد عبد الله بن إبراهيم يضرب أعينهم بأهداب شملته، فكان يقع معهم تغير في أبصارهم وألم وموت قاطع، وكان السيد رحمه الله ملازماً في المحطة حتى فتح الله.

وهذا من أوضح الكرامات وأعلاها وأنفعها للمسلمين، وهاهنا سائحة للقلوب شارحة، وهي نتيجة ما لمحنا إليه من قيام صلحاء الزيدية كثرة الله على هذه الفرقة الباطنية، وإجماعهم على قتالهم، واستئصال شأفتهم، وقطع عرق كفرهم، حتى أوعب في ذلك أهل التخلي للعبادة والزهد في الدنيا ولازموا في المحطة عليهم، وبالغوا في النكاية حتى رجعوا إلى باري البرية بالدعاء، ودرس الكتاب الدعاء، واجتمعت كلمتهم على هذا المقصد، مع أن الإمامين المهدي والهادي كانا معارضين لعلي صلاح يتطلبان النكاية وإثارة الحرب عليه، وعلى أعوانه حتى توجه بهذا المقصد، فأجمعوا على إعانتة، واستمروا على إغاثته، وجزم الإمام الهادي إلى الحق عز الدين [بن]^(٢) الحسن عليه السلام في رسالته في الإمامة أنها صدقت فإسالة العلماء الذي نصبوه للإمامة فيه

(١) المحطة: من قرى بني السياغ في الحيمة الداخلية بالغرب من مدينة صنعاء.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط في الأصل.

وأنة ظهر فيه النفع للإسلام، وتنكيل الباطنية الأعتام، وحسن خبره وخبره، وحمد في نصرة الدين أثره، وأحسن عليه الثناء بهذا المقصد الأسنى.

وانظر أيها الناقد ما كان عليه العلماء العاملون من اخواننا الزيدية من جمع الكلمة على القول بكفر هذه الطائفة، وتطلب قطع جرثومة فتنهم ونفيهم وقتلهم وتحريقهم، فإنه لما تصدى إمام عصرنا وخليفة دهرنا وحجة قطرنا، إمامنا أمير المؤمنين وحجة الله على الخلق أجمعين.

المتوكل على الله رب العالمين صاحب هذه السيرة لجهاد هذه الطائفة الكفرية، والفرقة الملحدة الغوية، وشن عليهم الغارات، وبعث الكتب إلى جميع الجهات، في أخذهم في الطرقات، فأجاب المسلمون من رجال حاشد وبكيل ذلك النداء، وقعدوا بالمرصد لهؤلاء الأعداء، وأشعروا إلى البلدان بقطع طرقهم إلى الحيمة وحرار ومنعواهم الجواز، ورصدوهم في كل مجاز.

فلما حصلت فيهم الواقعة العظمى التي أسلفنا ذكرها في الزيلة من جهة الأحبوب من مخاليف الحيمة أرعبت أفئدتهم وخلعت وثائق قلوبهم، فأرسلوا الصوارخ في نجران، واستعانوا بإخوانهم أهل الطغيان، فخرجت خارجة منهم وقد انسدت عليهم المسالك، وألوت بهم المهالك، فرجعوا إلى شفاعة الأكياس، واستغفروا طائفة من آل عمار الأرجاس، وساعدتهم بعض سحار وأميرهم علي بن محسن بن عباس، فلما بلغ خبر خروجهم اجتمعت القبائل إلى موضع يقال له السرير ألَّبهم الولد العلامة شيخ مشايخ الإسلام، أحمد بن محمد بن محمد الكبسي أصلح الله به أمور الأنام، فلما بلغهم ذلك الجمع الغفير أشعروا بالرجوع إلى بلدهم، والانقلاب إلى قرارهم، وأسروا إلى المنخدعين في إعانتهم بذل البراطيل^(١) وأرفاقهم في الليل، فمضوا في بلاد آل عمار وبلغ خبرهم إلى المؤمنين من سحار فنفر إليهم طائفة قليلون يقدمهم الحاج العلامة

(١) البراطيل: هي المعاول كما في لسان العرب.

عمير بن عيضة بن عريج، والحاج الفاضل المخلص يحيى بن صالح العلابي فوقع استشهاد الحاجين الفاضلين وجماعة ممن حضر الوقعة كما قدمنا ذكره، وأسلفنا نشره، وكان جماعة الحاج عمير أهل نجدة وقوة وحمية وسطوة، من حماة الأدبار، وطالاب الأثار^(١)، والقيام بالأخذ بالثار، فأضرموا نار الحروب على الباطنية بكل ممكن، وذهب منهم من ذهب على جهة الخفية إلى نجران، فحرقوا في بعض بيوت كبارهم بالبارود واستخرجوا من أفكارهم كل فكر ولود وكرروا عليهم الغزو وأخافوهم في قرارهم، وأجلبوا عليهم إلى عقر ديارهم، حتى خاف الذين نفروا مع طاغيتهم وخبيثهم إلى الحيام، وقوضوا عن نصرته الخيام، وفزعوا على من خلفوا من الذراري والأموال وصوب مولانا الإمام سلام الله عليه ما فعله الموتورون من الوقعة بهؤلاء الملاحدة المرتدة الكفرة، المعتدين على بلاد المسلمين، وأن الوصلة إلى قطع شأفتهم واستئصال جرثومتهم بكل ممكن.

كما علم من أنوار أدلة الشريعة المحمدية وأسرار لطائف السنة النبوية، واستصوب ذلك الفعل من كان خالٍ عن الهوى، وتمسكاً بحبال التقوى، من العلماء العاملين، وأهل المعارف المؤمنين، فبدت شنشنة من دسائس المتعصبين، وعجرفية المتفهمين، الذين يظنون أنهم يحسنون صنعا، وهم أسوأ جهلاً من الأعوام، وأغلظ طبعاً، واعترضوا ذلك الفعل، وشنعوا على أولئك الغزاة وأشعروا التبري والإنكار، وأن هذا الصنع لا يجوز فعله بالكفار، ثم تعدى بهم ذلك الحال إلى إنكار كفرهم الصريح الذي أجمع عليه علماء الأمة المحمدية، وأئمة العترة الزكية، وقصدهم بذلك خذلان الحق وتوهين عزائم أنصاره، والتشكيك على الجهلة الأعوم، وردهم عن حسن الاعتقاد في المأموم والإمام، والتفرد بالرئاسة في جهتهم وأخذ يسير من واجبات تلك البلاد، وإدخال الشبه في السيرة، عكس ما لمحنا إليه في صدر هذه المادة، من قيام فضلاء

(١) هذه الكلمة لم تظهر في الأصل ولعلها (وطالاب الآثار) والله أعلم.

الزيدية وعبادهم، وأهل جدهم واجتهادهم، في استئصال هؤلاء الباطنية، بكل سبيل، وجعلهم جهادهم أفضل من قيام الليل، وصيام النهار، ومرابطتهم في محاط الأئمة على الاستمرار .

فانظر هداك الله كم الفرق بين علماء الزيدية السابقين الذين قصدهم وجه الله والدار الآخرة وإقامة عمود الدين، وقوام الملة المحمدية، وتنكيل أعداء الله، وتطهير البلاد من العناد، وبين هؤلاء الذين يتسمون بالعلم ويتلبسون بالدين، ويتصورون بسمت الصالحين، وهل سبيلهم إلا سبيل الخوارج الذين طعنوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب %، وأنكروا عليه التحكيم، وهم في الابتداء الذين دعوه إلى الإجابة إليه، وأجبروه^(١) على قبول خديعة معاوية وعمّره، وأحدقوا به حال أن رفعت المصاحف، يقولون أجبهم إلى كتاب الله، ثم أنكروا ذلك وجعلوه كفراً وأنكروا فعل أمير المؤمنين من محو اسم إمارة المؤمنين، وذكره اسمه واسم أبيه تأسيساً برسول الله ﷺ وتصديقاً لخبره السابق في صلح الحديبية، وهؤلاء الذين أنكروا حرب الكفار، والتوسل^(٢) إليه بكل ما يمكن من المضار، إما أن يكونوا جهلة أغبياء، أو متعمقين^(٣) أشبهوا طائفة المارقين أو أهل هوى وميل إلى عرض الدنيا.

وقد بسط بعض الشيعة في هذه المسألة سؤالاً، وأرسله إلى هؤلاء الفقهاء بضحيان، وأجابوا بما سنذكره^(٤) في هذا الميدان، وسنذكر جواب مولانا الإمام وما اعترضوه وجواب الجواب ورسائل العلماء النظار، الذي لا يشق لهم غبار، ونسرد بعد ذلك ما

(١) في الأصل (أخبروه) والصواب ما أثبتناه.

(٢) كذا في الأصل ولعلها (والتوصل) والله أعلم.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) سيأتي الفصل في حكم تبني الكفار في مجموع الإمام % القسم الثالث انظره هناك، ويحتوي على نص السؤال، وجواب العلامة إسماعيل الكبسي، وزيادة القاضي الشرقي، وجواب الإمام على السؤال وتذييله للأجوبة السابقة، وكتاب القاضي محمد بن صلاح مشحّم إلى الإمام %، وجواب الإمام % على اعتراض بعض الفقهاء، وجواب العلامة أحمد الكبسي.

ابتدعناه من دعاة الباطنية، وأنها شنشنة أخزمية، وسلسلة كفرية، اتصل آخرهم بأولهم، وتلقى راية كفرهم الخلف عن شر سلف، وأنها نحلة انهمكوا في تقويتها وملة مجوسية تواصلوا على فعلها، واستمر الآخر على نمط الأول في الدعوة المجوسية التي تواصلوا على دسها في ملة الإسلام، وأرادوا بها هدم شريعة محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، ونطقت بذلك كتب العترة المطهرين، وغيرهم^(١) من علماء المسلمين.

وحين أكملنا الجوابات على الشبهة الضحائية، والنزعة الشيطانية، التي أراد مصدرها تهوين الحق وأنصاره، وترويع الضلال وشعاره، على ما أجمع عليه علماء الإسلام، وأئمتنا العترة الأعلام، من كفر هذه الطائفة الملاحدة المعطلة وخروجهم عن مذاهب أهل الإسلام، ومروقهم من ملة سيد الأنام، وأنهم على النحلة الكفرية والفرية الردية، والمقالة الخارجة من المقالة الإسلامية، التي جرى عليها أوائلهم، ونقم عليهم فيها كل إمام وعالم، وكفرهم أهل الدفاتر والمعالن، وإن هؤلاء الذين صالوا على بلاد الإسلام وكانت لهم الشوكة التي خرجوا بها عن حيز المنافقين إلى حوزة المحاربين، وأنهم الذين نصبوا لأئمة الآل حبائل الخداع، واشتغل الأئمة بحربهم وتنكيلهم في جميع البقاع، في هذه الديار، وأعظم انتشار مذهبهم في الديار الهندية وتخوم خراسان.

[ذكر الحشيشة وقصة الإمام المهدي أحمد بن الحسين عليه السلام معهم]

ولهم ملك في أطراف الديلم بقلعة الموت ورعيته الحشيشية الذين يقدمون على قتل الملوك ويُقتلون دون ذلك، وكان ملوك الأقطار في تلك الأعصار يشترونهم من ملكهم ويرسلونهم لقتل من يريدون من الملوك الكبار فيبقى في تجرع الغصة، حتى تلوح له الفرصة، على أي وجه فيثبت على ذلك المراد فيقتله أو يقتل دونه وقد وقع في ديار اليمن قصة الإمام الشهيد

(١) في الأصل (وغير).

المهدي لدين الله أحمد بن الحسين صاحب (ذي بين) %، فإنها لما قويت شوكته وتمكنت بسلطته وعظم على سلاطين الجور أمره، أرسل المستعصم العباسي إلى الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول اثنين منهم، وأمرهم بطاعة الملك المظفر بما يلزمهم فعرض بخطاب في صلح بينه وبين الإمام % وجعل واسطة الخطاب السلطان أحمد بن علوان بن بشر بن حاتم الياامي، وهو -أي المتوسط- من شياطين الباطنية أهل اللسان والمعارضة والشنآن، والأدب البارع وأرسل الحشيشيين إلى المذكور ورمز إليه بمقصوده وجعلها رسالاً في الصلح وتكرير الخطاب فوصلا إلى الإمام إلى حصن حلبة في جهات مغارب ثلا وعمران، وكان منهما ما كان من الوثوب على الإمام، وسلّمه الله من ذلك الكيد إلا جراحه تحت الكتف كتب الله منها السلامة، وقتل الحشيشيين وبطل ما أراده ذلك السلطان والله سبحانه التدبير، وتجري المقادير بخلاف التقارير، وقد قتلوا بعض خلفاء بني العباس وبعض سلاطين الشام، وبعض السلجوقية، وأمر هؤلاء الباطنية واعتقاداتهم الكفرية لا تخفى إلا على أكمله لا يعرف القمر، والمكابير في علمهم لعله لا يعرف علوم العقل العشرة وأنه ممن ينكر الضروريات كالسوفسطائية، ومن كان على مثل هذه الحال لا ينبغي التصدي له ولا مذكرته فقد اتبع الهوى، ومال عن محبة الإنصاف، وسلك طريقة الغوى، وتقحم الاعتساف، فهو عن طريقة الحق أعمى يخطب العشوى، ويميل عن السبيل الأسوى.

[تكملة ذكر دعاة الباطنية]

وقد ابتدأنا فيما سلف لنا ذكر ابتداء مذهبهم الذين يسمونه مذهب الإسماعيلية ومنشأه وعصره، وانتهينا إلى ذكر دعائهم في اليمن حتى انتهت إلى بني حاتم بن أحمد الياامي ثم خرج بعض بني حاتم إلى مذهب الزيدية على يد الإمام الأعظم المنصور بالله عبد الله بن حمزة % وهم السلطان علي بن حاتم وأولاده الفضل بن علي بن حاتم الذي صاهره المنصور بالله وتزوج ابنته منعة الأدبية الكاملة والدرة الفاضلة، وسالم بن

علي بن حاتم ممن صدقت مودته وفارق هذا المذهب الردي، وبقي بشر - بن حاتم وأولاده على هذا المذهب وهم أصل انتقال الدعوة إلى همدان، وهي هذه النحلة التي تراهم عليها الآن، وإذا قويت دول الظلم والجور دخلوا في خدمتها وتوددوا إلى سلاطينها ونصحوا وكتموا مذهبهم، وإن فترت الدول أظهروا ما أبطنوا، وأشاعوا وأعلنوا، ومن دسائسهم الخبيثة أنهم يظهرون الأمانة والطاعة للدول حتى يأمنوهم في معاقل اليمن ويكلوا حفظها إلى حمايتهم حتى تصير لهم موطناً، ولعساكرهم مسكناً، فإذا أفترت الدولة تملكوها وقووها وجعلوها حرزاً من الحوادث، وموئلاً عند الخطوب الكوارث، وربما أحدثوا دولة وأقاموا صولة، كما أسلفنا في ذكر بني الصليحي، وبني زريع، وبني الغشم، وبني القبيب، وبني حاتم، وبني الأنف، وهلم جرا إلى يومك هذا، فإنهم سلكوا هذا المسلك فحين قويت دولة الأيوبية في اليمن خدموا فيها وأظهروا النصيحة والمحبة وكتموا مذهبهم وصاروا كتّاباً وعسكرياً معهم في حصن براش وكوكبان والعروس وبكر وذو مرمر، وكانت مكاتبات أمر الدولة إلى المنصور بالله عبد الله بن حمزة تصدر بأيدي هؤلاء الملاحدة ويلمحون في مناظراتهم إلى ما يعتقدونه، ولا يفهم أولئك الأعتام مقاصدهم ومتى وردت على ذلك الإمام % فهم تلك الإشارات، واستخرج مقاصدهم من غضون العبارات، وينبه عليها في أجوبته ورسائله.

فلما انقرضت دولة الأيوبية، وظهرت الدولة الرسولية، كانوا لها أعضاداً، وفي خدمتها أوتاداً، وكانوا جلساء وساراً، وكتّاباً وأنصاراً، ولا تراهم ينصبون الحرب إلا لأئمة الهدى من آل النبي الأمي، فإنه لا يكاد تخلص لهم طاعة، ولا يوافقون إلى جمعة ولا إلى جماعة، بل ينصبون الحبائل، ويتلبسون بالخداع، ويراغون بظاهر الطاعة إن قويت دولة الحق.

فلما انقرضت الدولة الرسولية كانوا أعواناً لبني طاهر على أئمة الزيدية، ومظاهرين

لهم على من دعا من العترة الزكية، ثم في قيام الإمام الأعظم المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين % كان أول أمرهم مظاهرة الشراكسة عليه وإعانتهم في خروجهم عليه إلى ثلا ثم محاصرة الشراكسة في القصر- أنجدوهم وأمدوهم، فلما عجزوا عن نصرتهم وخرجوا من القصر بالأمان آوؤهم وأمدوهم في خروجهم فلما قويت الشوكة المطهرية كانوا أعضاد الأتراك ودخل داعيهم محمد بن عبد الله إلى الروم يستنجد السلطان على الإمام شرف الدين وأولاده بعد أن دمرهم سيف الحق، واستولى على شمس الدين بن الإمام على معاقلمهم في حراز والمغرب وقهرتهم الدولة المطهرية فجلبوا على الإمام جيوش الأروام وخروج أزدمر ونشار وهم أعداء الحق في كل زمان، على اختلاف الملوان.

[ذكر دعاة الباطنية بني الأنف]

وحين انتهينا إلى سرد دعائهم إلى بني حاتم وهم من همدان ويقال لهم آل اليامي وبعد انقراضه انتقلت إلى بني الأنف وكبير دعائهم حاتم بن علي بن الأنف الذي استولى [على] حصن ذي مرمر في آخر المائة السابعة وتوارثها أولاده وكانت الدعوة إلى ولده إدريس ثم ولده محمد بن إدريس وهو الذي حصره الإمام المنصور بالله محمد بن صلاح في ذي مرمر ومد أطناب الحصار، وجمع العساكر والأنصار، وكانت المحطة الكبيرة بلغت المحارس اثني عشر مائة محراس أقل محراس اثني عشر نفرًا وبقي الحصار قدر ثمانية عشر شهراً كما حققه أهل التواريخ، وقد قدمنا ذكر ذلك فيما سبق لنا من هذا المجموع ثم بقيت هذه الدعوة الملعونة إلى عند قيام الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد % في بني الأنف وكان آخرهم الأمير حسن بن إدريس بن علي بن حاتم بن

الحسن بن إدريس الأكبر، وكان مظاهراً للأتراك منسلخاً إليهم معاضداً لهم على الإمام القاسم، ولما قام السيد العلامة الشهيد عامر بن علي عم الإمام بدعوة ابن أخيه، وظهرت في جهة مغرب كوكبان كتب إلى هذا حسن بن إدريس كتاباً يدعو به إلى طاعة الإمام ويذكر شأن أهل البيت النبوي، وما يجب لهم من الطاعة، ويحقر أمر الأتراك، وأن قيام الإمام % بعناية ربانية، ولا تخفى على من نور الله قلبه، وأن جمعهم واحتفالهم بقتال الإمام يعود عليهم بالنكال.

هذا حاصل كتاب السيد عامر وأجاب عليه الحسن بن إدريس بجواب كبير أردت نقله ^(١) هنا لدلالته على ما شرحناه من ميلهم عن أئمة الحق من العترة، ومظاهرتهم لدول الظلم، وأنهم على وتيرة واحدة، أوائلهم وأواخرهم، إلى عند تحرير هذا، لكون أئمة الآل لا يقارونهم على كفرهم، ولا يجدون عندهم رخصة في إظهار مذهبهم، وسلاطين الجور يرضون منهم بالطاعة والانقياد، ولا يسألون عن الأديان، ولا ينهون عن المنكر والبهتان.

[فانظر إلى] كتاب عدو الله داعي الضلال، وقائد الوبال، أخزاه الله فانظر تهكمه بأهل الحق واستخفافه بأئمة الهدى، وتعظيمه لسلاطين الجور، وإخلاصه في طاعتهم، ودعاه إلى موافقتهم، وإنما ذكرته ليعلم طريقته، في مباينة الحق وسبيله، وانحيازهم إلى الباطل وجيله، وانسلاخهم إلى أهل الدنيا، لأن الدين عندهم عاطل، والحق في موافقة الباطل، وفرارهم من الأئمة لأنهم أعرف بإلحادهم، وأقعد بتبيين فسادهم، فلا يطمئنون إلى إمام محق، وإذا أنسوا نار ضلالة أسرعو إلى إيقادها، والاستضاءة بدخانها وسوادها، وهم متمسكون بمذهب واحد يتبع آخرهم أولهم، وخلفهم سلفهم، على هذه النحلة، والتسمي بالإسماعيلية، والتلقب بالسليمانية والداودية، في أعقاب

(١) سيأتي في مجموع الإمام % في القسم الأول منه.

الأعصار، وأوائل الدعا إلى النار، وبئس القرار، وربما أظهروا التنسك والعدل، على عادة المجوس أيام الأكاسرة في الطريقة المزدكية، والحكمة البزرجمهرية، الذي مرجعها إلى الرياضة الفلسفية، وأحياناً يسلكون الطريقة المانوية في تعظيم النور، وإن الخير من تلقائه، ويسمونهم إله الخير، والظلمة إله الشر، وأن المعاصي والقبايح من الظلمة ويدعون اختلاط الظلمة والنور، وأن النور في عمل التخلص والانجلاب، وغير ذلك من التخييلات والتمويهات مثل القول بالوحدة والحلول في رسالة تسمى رسالة (الإحسان في خلق الإنسان)، حاصلها القول بوحدة الوجود، وقدم العالم والقول بتأثير النجوم، ونفي الخالق المختار الحي القيوم، رقت في بندر مبني من بنادر جزيرة الهند، بحضرة الداعي عبد القادر نجم الدين في شهر جمادى الآخرة من شهور سنة ست وسبعين ومائتين وألف بقلم محمد بن يحيى مرجز الهمداني الطوصاني^(١) لعنه الله.

وهذا ظاهر متصل من [أقوالهم]^(٢) الردية والتعطيلية والإباحة إلى وقت رقم هذا وكتبهم ورسائلهم قد نظرنا في بعضها قريبة العهد يكتمونها عن المسلمين، ويتواصون بإخفائها عمن تخلص في كفرهم وإنما ظهرت مع قوة أيدي أئمة الحق والاستيلاء على معاقلهم فإن السيد الهمام، شمس الدين بن الإمام، لما استولى على حصون هؤلاء الملاحدة في حراز ودمرهم وقتل من دعائهم علي بن جعفر الهمداني أرسل بكتبهم إلى والده الإمام شرف الدين إلى صنعاء وظهر فيها مكنون سرهم، وباطن كفرهم، للعلماء الأعلام.

ونقل الأزرق في تاريخه ما اطلع عليه من دسائس إلحادهم، وأنهم تارة يقوون مذهب الفلاسفة، وتارة يقوون مذاهب المجوس المزدكية، وتارة يسلكون مسلك القائلين بالوحدة من الصوفية ومقصدهم التلعب بالدين، وسلوك طريقة الملحدين، وما بالعهد من قدم، فإن هذا وقع في دولة الإمام شرف الدين وداعيتهم حينئذ

(١) وفي رسالة الإمام % (السيف المسلول) الطوظاني. انظر في مجموعه %.

(٢) في الأصل: أوأهم، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

سليمان بن قطب بن علي بن جعفر وتلقى عنه ابنه جعفر بن سليمان ثم انتقلت دعوتهم هذه الخبيثة إلى بني الفهد وهم من قبيلة همدان، ورأسهم محمد بن الفهد، وكانت الدعوة في حصون همدان مثل منيف وغطشان وغيرهما، وهو على هذه النحلة، فلما قويت الشوكة المطهرية، في الدولة الشرفية، وأخرجهم من هذه الحصون أذعنوا وذلوا واستكانوا للخدمة وهم يروغون وروغان الثعالب، ويتطلبون الحيل بما يمكن من الوسائل الموصلة إلى المطالب، ثم هلك هذا في أثناء دولة الإمام شرف الدين ورجعت دعوتهم الخبيثة إلى علي بن سليمان فلما هلك تلقاها إبراهيم بن محمد بن الفهد ثم انتقلت إلى محمد بن إسماعيل من بني مكرم وهو الذي هلك في سجن المطهر بن شرف الدين سنة ست وسبعين وتسعمائة سنة وورثاه الأمير محمد بن عبد الله بأبيات مذكورة في روح الروح علق بالحفظ منها قوله: [من البسيط]

ما بالنا نتمنى فسحة الأمد وما لنا فيه غير الهم والكمد

في كل يوم ترى دمعاً يجول على خد ونائحة تبكي لمفتقد

حتى سمعت حيناً من مفجعة تبكي على الملك المقتول في الصفد

ثم ضمن قول أخت عمرو بن عبد ود لما قتله أمير المؤمنين علي % تعظيماً لحال المطهر بن الإمام بمدح يشبه الذم على قاعدة حذاق أهل الأدب فقال:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الروح في جسدي

لكن قاتله من لا يعاب به وكان يدعى قديماً بيضة البلد

ماذا تظن بمن ألوا بالده حتى أقر له بالبائع والقودي

وحاز أخوته قسراً فأورد هم يبطشه مورد الإخوان والكمد

وكل أملاك هذا القطر دمرهم وصال في الكل منهم صولة الأسد

ثم انتقلت دعوته الخبيثة إلى هبة الله بن إبراهيم وهم طائفة يسكنون وادي ظهر من همدان، ثم انتقلت إلى ولده إسماعيل بن هبة الله بن علي وهو في أيام الدعوة القاسمية على صاحبها أفضل السلام، وهلك في خدمة الأتراك فانتقلت عنه إلى أخيه اللعين الحسن بن هبة الله، ثم ولده عبد العلي بن الحسن في الدولة القاسمية، وذلك بعد استيلاء آل القاسم على البلاد، والاضطرار منهم إلى دخولهم في طاعتهم، مع القوة الحسنية والسطوة الأحمدية، ثم انتقلت عنه إلى عبد الله بن علي من المكارمة المنتقلين إلى نجران وكان داعية ضلالهم، ومؤل كفرهم، ثم انتقلت إلى أخيه يوسف بن علي داعي الضلال في نجران، ورأس الكفر والطغيان، وهؤلاء لم تظهر لهم شوكة إلا في نجران، وربما خدموا ملوك آل القاسم في بعض الأزمان، واستقطعوا في حراز صعفان، وغراس في جهة يريم ثم انتقلت دعوتهم إلى حسين بن حسين وكانوا يسمونه القاضي وكان في خدمة الدولة أحياناً وفي الفساد في التهائم أحياناً.

ثم انتقلت في آخر الدولة القاسمية إلى إسماعيل بن محمد ثم إلى أخيه الحسن بن محمد وهو والد علي بن حسن الموجود حال رقم هذه السطور الذي استنجد به داعيهم الموجود المتلقي لهذه الدعوة الملعونة عن حسن بن محمد، وهو حسن بن إسماعيل شبام الذي استولى على حراز والخيمة في عصرنا، وجاهد إمام العصر - وحرص وأفرغ الوسع في جهاده، واستخلاص بلاد الزيدية في يده، وحصلت الحروب التي تقدم ذكرها، وملونا عروس أمرها، ونشرنا فائح عطرها، في هذه السيرة المتوكلية، والنفحات المسكية.

وإنما بينت عددهم، وأشرت إلى مددهم، لمقالة الطائفة الضحانية لتجويزهم الفاسد أن الموجودين على غير طريقة سلفهم في المقالات الكفرية، والدسائس

الشيطنانية، التي حكاها أئمة الآل في مؤلفاتهم، ونشرها شيعتهم في الردود عليهم بما لم يمكنهم إنكار كفر الأوائل، لوضوحه في دواوين الإسلام، وقول إمام في إثر إمام، وشيعتهم الأعلام، مثل الإمام الهادي %، وأولاده وأشياعهم، مثل القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام، وتلميذه الرصاص^(١)، والمنصور بالله^(٢)، والمهدي أحمد بن الحسين، والأمير الحسين صاحب الشفا، والقاضي عبد الله بن زيد العنسي، والإمام محمد بن المطهر، والإمام المهدي صاحب الأزهار، والإمام يحيى بن حمزة، والإمام شرف الدين وآخرهم الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد سلام الله عليهم جميعاً، فإنه في رسالته إلى أهل نجران أوضح كفرهم، وحكى ما نقله من كتبهم، ونسب ذلك إلى من بقي منهم، وأنهم على هذه المقالة، لا يختلفون.

فإذا كان أهل ضحيان، قد انفردوا بمقالة الحق بمخالفتهم لأئمة العترة، وتخطيئهم في نسبة الكفر إليهم جميعاً، وجميع الأئمة وشيعتهم على ضلال، وقع التشكيك في أهل الإسلام، وإجماعهم الذي هو حجة الإجماع، فما سمعنا قائل من العلماء المحققين ينكر كفرهم، ويتعسف المقال، غير هؤلاء الجهال المكابرين، وإلا^(٣) الباطنية الذين ينكرون الكفر ويتظاهرون بالإسلام فلا يجدون لهم شاهداً من المسلمين إلا هؤلاء، وكان الأولى بنا وبعلماء وقتنا ترك الخوض معهم في مضمار المراجعة، ونصب الأدلة القاطعة؛ إذ قد ظهر من أحوالهم العناد، وعدم قبول الحجة والميل عن الإنصاف، وترويج الباطل واعتساف الطريق، والدخول في شدة المضيق، وإغواء الجهال ولكن ألجأت الضرورة إلى بيان عنادهم لما تسموا بالعلم وانتصبوا للتدريس في جهة خالية عن

(١) يريد القاضي العلامة الحسن الرصاص.

(٢) هو المنصور بالله عبد الله بن حمزة.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وإلا فالباطنية.

العلماء النحارير.

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن عنده^(١) والنزالا

وقد خامرت بعض الجهال الشكوك في تلك الديار، ودخلت الشبهة عند من لا بصيرة له في اتباع أئمة الآل، وأما علماء الشيعة وأهل الأنظار الثاقبة، والآراء الصائبة، فقد أنكروا مقالة هؤلاء المتعجرفين، وبالغوا في الرد عليهم، مثل الولد العلامة شيخ الإسلام أحمد بن محمد الكبسي، والقاضي العلامة حسن بن أحمد عاكش الضمدي، والقاضي العلامة عبد الله الشاذلي، والولد العلامة محمد بن يحيى حميد الدين، وجميع أهل الحق حتى إمامهم السيد محمد بن عبد الله الوزير، فقد نظرنا له جواباً على من سأله عنهم وأبان ما عنده أنهم مجوس مزدكية، صريحاً من غير كناية ولا تلويح، بل سمعناه شفاهاً يملئ رسالة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد % إلى أهل نجران، وقد نقلها من السيرة ويذكر أصل مذهبهم وأنها من المجوس وهذا أمر شائع ذائع، وما نظنه يوافق الضحائية في مقالهم، ولا يكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة، إلا أن يميل به الهوى، ولا نظن إلا خيراً.

وأمرهم الظاهرة رد للشرعية المحمدية، فإنهم يخالفون القرآن الكريم في الميراث والسنة النبوية المتواترة ولا يورثون العصبات، بل يجعلون جميع الميراث للبنات أو البنات، خلاف ما عليه علماء الإسلام كافة، وينقصون الصلوات المكتوبة، يجعلونها ركعتين وتسليمة في الحضر والسفر، ويحرفون القرآن على التأويل المخالفة للعربية الواضحة، التي جعل الله الحكمة فيها، ويعملون بأحكام النجوم، ويعتقدون التأثير لها من دون الحي القيوم، وهذا أمر شائع ذائع، لا ينكر ولا يكتُمونه، ويحجون قبل الناس في الوقوف بعرفة الذي هو الحج الأكبر، ويقدمون الصيام والإفطار وهذا لا

(١) كذا في الأصل، والمحفوظ (وحده).

ينكره الضحانية.

وأما أمورهم المكتومة فقد دلت عليها كتبهم، وأنهم يبيحون المحرمات أجمع، ولا يجرمون الخالات والعمات بل والبنات، كما اشتهر عنهم عند من كشف حقيقة حالهم وقد يتزوج المرأة الواحدة جماعة منهم.

وهذا في الواقع عند من داخلهم، وعلى الجملة فهم خارجون عن المسلمين في أكثر أمورهم الظاهرة، دع عنك الباطنة التي زعم هؤلاء أنها غير متحققة منهم، وتبين البين يعد من الهذيان، ولكن هؤلاء المتكلفين غلب عليهم الهوى الذي يعمي ويصم، فأنكروا الضرورات، وعاندوا في الواضحات.

وهذا حين انتهى بنا شوط القلم في ذكر الباطنية لما دعت إليه الحاجة، مع انتصاب إمامنا صاحب السيرة لجهادهم، وقد آل الحال إلى صلح ستين ابتدأها شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين وألف وانتهأها الشهر المذكور في سنة تسع وثمانين اقتدى بجده المختار، مع قلة الأنصار، وملل المجاهدين، ورغوب أهل البلاد المجاورين للحيام، وميلهم إلى الحطام، فإن هذا المكرم الطاغي بذل الأموال للمتوسطين، ودس الجعالات لأهل الطمع من المجاورين، فرغبوا في الصلح المذكور فأجابهم مولانا الإمام % وعذره أوضح من شمس النهار، وله أسوة بجده كريم النجار، ولعل الله يديل من هؤلاء الفجار، ويؤيد الدين بأهله الأخيار، فوعده لا يخلف وهو على كل شيء قدير.

[بعض القصائد الواردة إلى الإمام عليه السلام]

وقد أردنا نقل شيء من الأشعار التي لم يتقدم لها ذكر فيما سلف لنا من التسيير في هذا المحل من الجزء الثاني من السيرة الإمامية فمنها ما أرسله السيد العلامة الأديب الفهامة وجيه الإسلام عبد الرحمن بن محسن جحاف وهي قوله: [من البسيط]

ذكرهم الود إن منوا وإن أبقوا	إن الكرام إذا استعطفتهم عطفوا
واقِر السلام عليهم إن ظفرت بهم	واشكو الذي بك حتى يحصل النصف
وانزل بساحتهم تلق الأمان بها	ولا يكن لك عنهم قط منصرف
لا يبعدنك عنهم قول حاسدهم	ولا يصدك عن ساحاتهم أنف
وصف لهم هذه شكوى شجٍ هرم	قد خان الدهر إن الدهر معسف
قد صرت في عمر التسعين وأعجباً	ممن يرى أنني أمشي—ولا كلف
ما كلف الله نفساً فوق طاقتها	ولا جناح على الضعفا ولا جنف
هذا إمامي إمام العصر—يطلبني	إلى الوصول وإن أودى بي التلف
قد صرت أمشي على العيدان في نصب	بيت الشباب قد انهدت له سقف
إن كان يرضيه روعي قد سمحت بها	له وما مسني في بذلها أسف
بذل النفوس لما يرضيهم شرف	وبذلها في سوى مرضاتهم سرف
حاشاهم وأنا العبد المقيم على	ودادهم ولهم بالحق معترف
والله والله رب العرش خالقنا	إني على حفظ حق الله لا أحف

وإن يكن في الورى عني لهم عوض	فليس لي عوض عنهم ولا خلف
رددت معنك في الأحباب إن لهم	في القلب معنى وإن ولوا وإن حنفوا
إني أحب من الأحباب من لصقت	نار الهوى بالحشا من جبه شغف
حماهم الله من سوء يكون بأهل	الأرض أو فتنة تطرو فختطف
من لا يحبهم في كل آونة	فلا قبول لمن صلى ولا نصف
كفاهم من عظيم الفخر أن لهم	على البرية فضل ماله طرف
وأن كل صلاة قام قائمها	بلا صلاة عليهم ركنها يحف
بني الوصي وسبطيه بهم نظمت	قريحة النظم داراً ظرفه صدف
السادة الطهر أهل البيت حسبك سل	بهم خبيراً بصدق النقل يتصف
ويل امرء باغض للال ذي حسد	لم يرع للال حقاً بل ولا يصف
دنياه في تعب محياه في نصب	معاشه نكد أخره تلهف
نؤه بهم فهم منشاسعادتنا	ولذ بهم عندما أن تحدث الخيف
منهم إمامي إمام الحق مالكننا	أعني الإمام الذي تشهد له الصحف
هو الحسام الذي طابت أرومته	ما في إمامته ميل ولا حيف
إيها أبا الفضل والإحسان عن كمل	بل يا أخا المجد بل يا من له الشرف
علا علاك على الجوزا وإن له	من النهاية مالا يعله شرف
أنت الذي قلدتني منك تكرمة	وطوقتي يد الإحسان والظرف
لك الشا ولك الفضل الذي اعترفت	به الخلائق طراً وهو منكشف

وهاكها يا إمام العصر - من خدن
 فاصفح وأسبل ثياب الستر عن خلل
 وإنما قلتهما جبالاً أديتي
 وقد وجدت مكان القول ذا سعة
 يا من لك الجود طبع والوفا خلق
 يا حافظاً عورات المسلمين فلا
 يا قابلاً عنزهم ياراحماً كريماً
 دُم لا برحت لأهل الأرض ملتجأ
 تولى ذوي الفضل إحساناً وتوسعهم
 وأبلغ سلامي إلى من لا نظير له
 نسل الصفي الذي ما زال يذكرنا
 إن القلوب لأجنادٌ مجندة
 فما تناكر منها فهو مختلف
 عليك مني سلام لا تغيره
 ودمت في العز ما غنت مطوقة
 ثم الصلاة على طه مؤبدة
 يهوى هواءك ويشنا من به عسف
 في كل معنى ضعيف ماله نصف^(١)
 حقوق برٍّ وفضلٍ جل ما أصف
 فكم أجدكم أحصي - له رصف
 ومن له فوق هام^(٢) العلى غرف
 يأتيهم ضرر من بعده نكف
 يا سامعاً صوت شاكيهم وإن حنقوا
 من يأتاه لم يزل للأمر يرشف
 فضلاً فكل من البحرين يغترف
 محرر الخط ذي وإفاته التحف
 في كل حال من الأحوال لا يقف
 قول النبي فماذا فيه يختلف
 وما توافق منها فهو مؤتلف
 نوائب الدهر بل لا ينهه طرف
 أو ما سرى البرق أو ما واكف يكف
 ثم الوصي مع الآل الذين وفوا

(١) في الأصل: ثوب، وما أثبتناه ليستقيم الوزن.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها (هامات).

وللسيد المذكور قوله: [من الطويل]

نديمي أعد منك الحديث فما أشفى	حديثك لي عن فاتن سكن الطرفا ^(١)
وعن خيم الشعب اليماني فكم وكم	قيل النوى فزنا بمطلبنا الأوفى ^(٢)
ويا آمري بالصبر لست بقادر	عليه ولا إخفاء ما لم يكن يخفى
ألم ترني من فرط وجدي ولوعتي	أكاد على العشاق من سَقَمِي أخفى
ودمعي محمراً يسيل ولم أزل	أكفكه كيما يكف وما كفّا
لقد قرح الأجفان والخذخذه	وعصفر مني ذلك الواكف الكفا
أيست بليلاً أليلاً في صباية	وأضحى يوم أيوم للجوى حلفا
ألا قبح الله الزمان فإنه	قضى - بفراق الأصدقاء ولن يرفا
أحباب قلبي ما لقلبي وقلبك	تريدونه بعداً إذا زادكم زلفا
أسكان لب القلب إن نفوسنا	تذوب لذكركم وأعيننا ذرفا
هل الظلم إلا أن نصاحب هاجراً	فنوسع دواً ويوسعنا نكفا
فترعى وداداً من لدينا وطال ما	رعينا هزلاً من سوايمه العجفا
بحقكم خافوا جفاء محبكم	فما هو من حق المحب بأن يجفا
أعيدوا لنا العيش القديم الذي صفا	بكم يا أهيل الود عطفاً بمن عفا
تمنيت من أهوى فلما لقيته	بهت فلم أملك لساناً ولا طرفا

(١) في الأصل: ندمي، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: قيل النواقرا بمطلبنا. ولعل الصواب ما أثبتناه.

وأطرت إجلالاً له ومهابةً وحاولت كتمان الذي بي فلم يخفا
وقد كان في قلبي أمور كثيرة فلما التقينا ما نطقنا ولا حرفا
على صدغه وأوَّوَّ وليس بعاطفٍ ومن عادة الواوات أن تعمل العطف
قرأت له باب المضاف تطفلاً فقال لي التنوين في مذهبي أصفا
خريدة حسنٍ طال ما قد تحجبت عن الطرف إلا أن مقودها صرفا
غدا الحسن موقوفاً عليها كما غدا عليك حسام الدين أضحى الثنا وقفنا
يمينك فيها اليمن والأمن أيها المبدع أراك كم أشفت أليماً وكم أشفا
وذكرك مهما مر في كل مجمعٍ يفوح به مسكاً ذكياً علماً عرفنا
وأخلاقك الغر المسرات إنها ثمار رياضٍ أشرقت لم تنل كسفا
وسيرتك الحسنى التي حسنت لنا كسيرة طه والوصي الذي وفّا
فأنت الذي أحييت سنة أحمدٍ وعنهما صرفت المبدعات إذا صرفنا
فتاه به الإسلام وابتهجته به شرائعه الغرا وقامت بلا إخفا
فسرت كسيرة جدك المرتضى - الذي به انتظم الإسلام إذ نصر - الحنفا
فكم في سبيل الله قتل أباده بقليل وكم صف به هزم الصفا
عليّ أمير المؤمنين الذي له صفات علماً ما إن تحدّها وصفنا
ظلمناه إذ قسناه بالناس عن يد وإن نحن ميزناه مثلهم ألفنا
وكيف ولا وهو الذي بعد أحمدٍ أجل عباد الله والأمر لن يخفا

وأفضل من يمشي على الأرض أهذا^(١) وأشجع من في الأرض لن يجتشي حنفا
وأثبت من هز القنلة براحة إذا قامت الحرب الزبون ولن تطفأ
وقامت على ساق وثار عجاجها ونادت ألا هل من شجاع إذا يلفا
يقوم لها بل يقحم الخيل بعضها على بعضها والنقع قد بلغ الوطفأ
هو القائم المختار بعد نبينا بنص جلي قاله الطهر ما أخفا
فقد نوره المختار طه بذكره بخم فما أحلاه نصاً وما أشفى
وذاك بأمر الله والأمر ظاهر ولكن تعامى من تعامى عن الأصفأ
وأحقاد بدر عند قوم حقيقة ويوم السقيفة أظهرت ذلك المخفا
ولو قدموا من قدم الله فيهم كما قاله البحر ابن عباس إذ وفا
لما عال في الميراث سهم ولا أتى خلاف ولا كان التفرق والعسفا
فمن أجل ذا صار الخلاف وراثه فهم أصل من سن الخلاف فلن ينفا
فصبراً بنبي المختار إن أماننا لموقف فصل يحصل الفصل بالإيفا
وإن نالنا سوء لنا خير أسوة بأسلافنا والأمر صار لهم ضعفا
وأفضل من يز هو النظام بذكره مديح رسول الله كي يبلغ الزلفى
فآياته قد حيرت كل آية وأخباره صارت لآياته ردفا
نبي ولا مثل يضاهيه في الورى يفوق ضياء الشمس في الصو بل أصفأ
وأحكامه عدل وقصد مقالاه وموعده صدق فلن يتدي خلفا

(١) كذا في الأصل، ولعلها بالهدى.

فريق به قد أحرز الدين والدُّنا	فلا خوف من نار ولا يختشوا خسفا
فمن مثله في الأنبياء وقد غدت	فضائله مسطورة كرسيت صحفا
فنحن وكل الخلق تحت لوائه	له تبعاً في الحشر - قادمنا الأوفى
فمن حوضه يارب نسألك شربة	بكف علي صاحب المورد الأصفى
عليهم سلام الله والآل من لهم	فضائل قد جلت فلم تنحصر - وصفا
ومنهم أمير المؤمنين إمامنا	حسام الهدى بدر التهام الذي وفّا
ننيه عيد النحر عيداً مباركاً	بمولاي أولى الله بين الورى ألفاً
جعلت مديحي فيه صارمي الذي	أصول على دهري به واتقي الأكفا
فرحت عزيز الجاه في كل مجمع	وفي غيره غيري أضاع الذي صفا
ولم أخش عضاً من زماني وذاك لي	يفلل منه الناب والظفر والظلفا
ويارب وفقنا لحسن ختامنا	ويسر لنا الأسباب كي لا نرى عسفا

انتهى وهي كما ترى طنانة، قد شملت مديح المصطفى خير البشر، ووصيه خامس الخمسة الغرر، وأفضل أهل المدر والوبر، بعد الرسول المطهر، ومدح إمام العصر - زينة الكتب والسير ويتلوها هذه القصيدة من نظم السوي البالغ القوي وهي قوله: [من الطويل]

نعم أنا لا أرجو إذا ألوت الالوى	سوى الملك الأعلى هو الناصر الأقوى
وهل من إله لي سواك يغشني	إذا ناءني ظلم إذا تكشف البلوى
فإلى إلا أنت أدعوك ضارعاً	إليك إذا ما الضرب بي والضنا ألوى

فسبحانك اللهم أنت مؤملي	وأنت الرجى والغوث والبغية القصوى
إذا نزلت بي من زماني أزمة	فأنت لها إن جيت أهتف بالشكوى
ومن ذا يزيل الظالمين بعدله	سوى من يغيث الصالحين أولى التقوى
وإن كنت ذا ذنبٍ إذاً لا تسلطنُ	علي فأنت العفو ياربنا عفوا
فعفوا فإن العفو إن طم بحره	على هفوات أويقت ذهبته لغوا
إلهي أجب صوتي فقد جئت داعياً	إجابة من يدعوك ما وعدتها لغوى
وها أنا ذا في الباب أشكو إليك ما	لقيت وما عايتته فاسمع الشكوى
وكن لي عوناً ناصرأ هادياً فمن	هديت إلهي لا يضل ولا يغوى
إلهي وانصرني على ظالمي وكن	موفقني نصر-الإمام هو الرجوى
هو المحسن المعروف ديناً وعفة	وزهداً وعدلاً صاحب البر والتقوى
إمام الهدى بحر النداقامع العدا	وغوث اللهيف المشتكي الظلم بالأهوا
إلهي وافثق رتق كل معانيد	له بنصاب لا يرجى له رقوى
وكن عوناً واجعله للحق ملجأ	وحصناً منيعاً في المخاوف والأسوا
وأهمه للتوفيق للنصر-سرعة	وأرشده للتدبير بالنظر الأضوى
فمركز نفسي-العجز لا حول عندها	يكون وزيع النفس من قوة أقوى
ولا تختبر صبري فعنك مآله	وحقك لا صدق اصطباري ولا دعوى
بعينك ما يشكو منا جيك من ضنا	إلهي فجده بالنصر-يا سامع النجوى
بجاه الحبيب المصطفى عاجلاً أجب	وحبي له صير فؤادي له مشوى

وحب علي أفضل الناس بعده فذاك الذي أحلا من المن والسلوى
 كذا فاطم وبنيهما وعليهم سلام جزيل ناصر دائم أحوى
 فطوبى لعبد حل حبة قلبه هوى أحمد والآل أضحي له مأوى
 محمد الهادي الذي رفع الهدى وللکفر في مهواه هاوية أهوى
 وأخر دعوانا لك الحمد دائماً وباسمك يا رحمن نستختم الدعوى
 بدأت باسم الله نظمي وختمه أن الحمد لله الذي حل ما ألوى
 وصل على الأمي النبي الذي له على أحسن التقويم خالقه سوى
 صلاة زكت من فوق عرشك أنزلت يعير شذاها العنبر الفرد والشذى
 يدوم دوام الدهر والآل كلما بدا الليل أو ما عاقب الغلس الضحوى
 وما رنحت ريح النعام أنواعه رياض وما ورق الحمام شدت شجوى
 بعثت بهذا للإمام فإنه مقام رسول الله حقاً ولا غروى

تمت ومما قاله السيد الأديب اللبيب يحيى بن أحمد القاسمي الغرباني الملقب
 الشويع، في مدح مولانا الإمام % قالها في شهر جمادى الأولى سنة ست وثمانين ومائتين
 وألف حين بلغ خروج طائفة الباطنية من يام من نجران مظاهرين لداعيهم اللعين إلى
 جواز^(١) قوله: [من الطويل]

إذا قال في تشبيه حسنٍ مراجع فلا يدعي مثلاً لسلمى منازع
 إليها انتهى من كل حسن جميله فيا طيب ما ظمته تلك البواقع
 فريدة حسن من مبادئ خلقها وإذ رضعت لله تلك المراضع

(١) كذا في الأصل، ولعلها حراز.

بها مشتهى نفس ولذة أعين	مع خُلِقٍ قد حسنته الطباع
أنتابروضٍ يملأ العين بهجةً	به الماء يجري والحمام سواجع
سررت بلقيها وطيب حديثها	فقلت وزند الشوق في القلب قارع
أيسود وجه الأرض والنور ظاهر	ويظلم وجه الأفق والبدر طالع
فقلت بلى لله في الخلق حكمة	إذا صار دين الحق في الناس ضائع
إذا ما تمادوا في غرورٍ وغفلةٍ	وصار فساداً دينهم والشرائع
وضلوا سبيل الرشد واتبعوا الهوى	ولم يبق للأخيار للدين طالع
تداركهم رب العباد بمنّنه	ليهدي مضلٍ أو ليرجع راجع
يبعث نبي أو إمام مجدد	لينظر من هو للمحقين تابع
وأعذار لا تبقى على الله حجة	فيحصد كل بعد ما هوزاع
وقد بين الله الضلالة والهدى	فهل تابع للرشد للنصح سامع
فهذا إمام الحق غوث ورحمةٌ	لكل فعال الخير والمجد جامع
هو النور للدين الحنيف وقطبه	فما للذي أرساه ذو العرش نازع
هو العون والكهف المنيع الذي اتقى	وغوث يعم المستغيثين هامع
هو المحسن المحمود فعلاً كاسمه	وقد صار ظل الشمس في الأرض شايع
تساوى اسمه والفعل فاجتمعت له	محاسن تترى لم تعقها موانع
ألم تر قد وده في كل بلدة ^(١)	ولم يبق فيها مؤمن لا يبايع

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: (ألم تر قد وده في كل بلدة).

فمن حبّه الرحمن يرفع ذكره فمن ذا سوى الرحمن للمرء راقع
ومن حمدت مسعاه يحمده الملائ فما لعزیز عزه الله واضع
فقد ودّه كل الأنام بأمره فسبحان من هو نافذ الأمر صانع
وهذا عن المختار قد جاء مصحواً^(١) لمن هو لمولاه المهيم طائع
فقاموا له يدعون في كل منبر ورجت بأصوات الدعاء الجوامع
وَجُمِعَتْهُمْ صحت لمشروع ذكره إذا القلب أوعى ما وعته المسامع
فداع له بالنصر - قام بواجب وما راح إلا وهو بالريح راجع
يقابل تأمين الملائك من دعا يقال له مثل الذي أنت رافع
وإنالكم^(٢) منه دعاء فإنه إمام وإيم الله صوام رакع
همام تجافا جنبه عن منامه إذا سكنت بالنائمين المضاجع
إذا اسودّ جنح الليل قام لربه مقامات ذكر والعيون هو اجع
يقوم إذا قام يعبد ربه مقام محب وهو في الذكر خاشع
وعند طلوع الشمس يطلع جيشه وفيه لذبح الخصم شفر نواقع
فساء صباح الملحدين وويلهم إذا صرخت للحرب تلك الطلائع
طلائع خيل ظل كالجون تقعها وقد برقت فيه السيوف اللوامع
صحات بها فوق الرقاب ركوعها وفوق الكلى يسجدن سمو لواسع^(٣)

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها (وإن نالكم).

(٣) كذا في الأصل.

فيريوي ضاها بالدماء ولحمهم	قراء لطير الجوى لم يبق جائع
فثنى عليه الطير والوحش والقنا	وحتى هوام الأرض ثم المصارع
لكل بما يسقاه أو يستقينه	عناء فبات الكل ريان شابع
هو ابن رسول الله وابن وصيه	فما الكريم في الأكارم قاطع
له درجات تنتهي في محمد	وإن شعست أيامه فهو تابع
يقربه منه صحيح اتباعه	لخير الورى فهو الإمام المسارع
عليهم صلاة الله ثم سلامه	يدومان مادام النجوم الطوالع
لعمرك هُو محيي لسنة جده	وقد درست أعلامها والصوامع
تأزر مجداً وارتدى الجود والوفا	ويحر علوم قاذف الدر واسع
إذا جاءه الوفاد طاب نزولهم	وراشوا وطابت في حماه المراتع
هو الرحمة العظمى لمن يستحقها	وسم لأهل الفسق والبغي نافع
ورمح لطمعن المفسدين مثقف	وسيف لقطاع الفرائض قاطع
فكنيه ما سمي به في يمينه	لهامثل ما للاسم فعل مضارع
فإن صلحوا طابوا وطاب ما بهم	وإن هم أبوا قامت عليهم وقائع
بأسياف أنصار ليوث لدى اللقا	فضحى قراهم والديار بلاقع
نعم يا عباد الله هذا إمامكم	أجبيوه إذ يدعو ولُّبوا وشايعوا
يريد بكم خيراً وكل معانيد	يريد بأن يلقي عليكم قوارع
فأغلا المتاجر أن تحييه رغبة	فمن ذا لحق الله منكم يسارع

إمامكم يا قوم لا تخذلونه	يكون لكم خذلان ذي العرش واقع
ففي نصره بذل النفوس غنيمة	فذاك لها عزٌّ عن الهون مانع
فمن ينصر - الرحمن ينصره غداً	لدى من له الأذقان ظلت خواشع
ويلقى لدى نشر - المصاحف ^(١) فرحةً	ويأتيه رزق الله والأرض راتع
وينمي له إنفاقه في سبيله	بسبع مئين ضعف ما كان صانع
ويدعا وهو يوم القيامة آمناً	بابن إمام جانبته الفجائع
عليه صلاة الله ثم سلامه	مع خير من هو للخلائق شافع
فيا حاشد بل يا بكيل وحارث	وأتباعكم أنتم حماة موانع
ولا تنس خولان الطيال وكل من	يكون عن الدين الحنيف يقارع
ونهمٍ وسنحان وأبناء مدحجٍ	الطعان فهم أنصارنا والتوابع
وأسلافكم أنصار آل محمدٍ	فما لكم عن نهجهم لا تتابعوا
توانيتموا والباطنية قد طغت	وجاءت معاهم منكرات فضائع
فمن كفرهم يتشارك اثنان زوجة	وأما تواطوا ثالث ثم رابع
فتلك فعلاً ما بها جاء مسلم	ولم يرضها شرع شريف وشارع
فلا تتركوهم يعبثوا بنسائكم	وأنتم كرام والكرام يدافع
كفى حسرةً أن كلما ذكر الوفا	ذكرتم بتنقصٍ فهو للنفس باضع
وأنتم زيودٌ والزيود أعزّة	ودين النصارى هين متقاطع

(١) كذا في الأصل، ولعلها الصحائف.

فمن قال فيهم مسلم فهو كاذب	ومثله في الدين خب مخادع ^(١)
فكونوا يداً لا يذهب الله ربحكم	إذا صرتموا فخذاً لفخذينازع
فسدوا لهم ما بينكم كل فتحة	وكونوا لهم في كل فج قواطع
ونرجوا بنصر الله ذي الحول والقوى	يصير لكم ما هو ليام مطامع
وقد قام فيكم قائمٌ خير قائمٍ	دعاكم فتقوموا ثم بالسيف قارعوا
ومن يشتري الدنيا بيع لدينه	فقد نال خسراً مشترىها وبيع
لقد خسروا الدارين وارتكمت بهم	سحائب خزي ما لها قط قاشع
ونال وبالأمن سعى في فسادهم	له من حديدٍ في الجحيم مقامع
وجاره ^(٢) رب العالمين بكيده	وما ضر إلا نفسه من يخادع
كجيفة كلب صار في الناس ذكرهم	إذا ذكروا عند الكرام تقاذعوا
فعمر ك ما ينجيهم غير توبة	ويكثر منهم في العدة المصارع
وهاك أمير المؤمنين قصيدة	كفها قبول منك مهر مقامع
عزيزة وصفٍ عزها ما تضمنت	وألبسها عزاً صفات روافع
فجاءتك هيفاً في برودٍ جميلة	وقد زانها ذكر به النطق صادع
وأبدت قليلاً من كثير لعجزنا	فما العديد الزهر والرمل جامع
وقد قلتها وأنا الشويع لخصمكم	أنيس مع الأجاب خل مطاوع
فكن لي بعفو الله مولاي داعياً	عساه لأثقال من الوزر واضع

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها وجازه، والله أعلم.

ويا ناقداً أغمض عن النظم أعيناً إذا ما وهى تخلصها والمطالع
وإن قلت لي قل في الإمام مؤرخاً فقلت له نصرٌ - عزيز ونافع
وصل على خير الأنام وآله الكرام وسلم كل ما البرق لامع

[ترجمة السيد الأديب يحيى بن أحمد القاسمي]

انتهت هذه القصيدة الطنانة والكلمة المختارة، والله در ناظمها لقد قلد جيد الزمن العاطل، وأتى وهو الأخير زمانه بما لم تستطعه الأوائل، وأبان أن في الزوايا خبايا، والمكرمات عطايا، فإننا كنا نظن أن قد خلت الديار عن أهل الإجادة في النظام، ونضبت ركايأ أهل الأدب وأمراء الكلام، وأنه لم يبق في هذا الزمان إلا حثالة وهذيان، والتشبه بأهل الإحسان، ولم أسمع بناظمها حتى وفد بها على مولانا الإمام، وأملت في المقام، وهي بالنسبة إلى الزمان الخالي عن حذاق أهل الأدب، وأهل النظم المنتخب، من أحسن شعر أهل العصر، وأولاهها بالذكر، سيد فاضل وأديب كامل، يسكن هجرة شهارة وأصله من غربان مغارب بلاد حاشد، ونسبتهم - أي أهل تلك البلدة - تنتهي إلى ذي الشرفين الأمير الكبير محمد بن جعفر بن القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وشهرة هذا الأمير وجهاده للباطنية آل الصليحي يغني عن ذكره، مع أنا قد أسلفنا له ذكر فيما مضى ولأخيه الشريف الفاضل المقبور في وادعة في المحل المسمى القاسم وهو القاسم بن جعفر.

وأشرف غربان سلفهم خير سلف في العلم والرئاسة والأدب، ومعاودة الأئمة، وقد اشتملت على ذكر سير أئمة العترة، وذكر قدماهم ومتأخريهم بأدب بارع، وعلم واسع، ورئاسة ونفاسة، وهمم وسياسة، وأما في زماننا هذا لم يبق فيهم من يوصف

ياحسان، ولا يشار إليه بالبنان، بل غلب عليهم الجهل والتزيي بزي الأعوام، إلا هذا السيد الناظم وهو مغمور الذكر، راضي بالحمول، خفيف^(١) الحاذ، قليل ذات اليد، قد أدركته حرفة الأدب، وتواضع للدهر على شدة النصب، ورضي بالكفاف، وقنع بخفي الألفاف، وهكذا أهل الفضائل يستحقرون الدنيا ويرون أهلها والمنافسين فيها بعين الاحتقار، ويترعون إلى الزهد فيها وفي أهلها، بنواظر الاعتبار، وخلاصة الأفكار، وقد توسمت في هذا السيد من غصون نظمه، ولوامع ذكاه وفهمه، أنه ممن يميّز عن أبناء جنسه، وشرفاء درسه، والفضائل أرزاق، ومن تحلّى بالفضل والإحسان، لم يضره ما فاتته من الثروة والإمكان، ولا يعتاض بعيش البهايم عن حلل الإحسان.

[محمد بن أحمد بن قاسم طشني]

ومما قاله القاضي العلامة، الأديب الفهامة، محمد بن أحمد بن قاسم طشني حاكم جهة رداق وهو من أهل الأدب، ومن بيت علم كبير، ولكنهم في هذه الأعصار مالوا عن مذاهب العترة، وهم من بيوتات الشيعة الأقدمين، وأصلهم من مدينة صعدة، وتولى جدهم القاضي محمد القضاء للمنصور الحسين بن القاسم بن الحسين في مدينة ذمار^(٢) ثم تولى ابن أخيه القاضي سالم قضاء مدينة رداق، وما إليها وسكنوا بتلك البلدة وأثروا وأوائلهم وكسبوا أموالاً، وبنوا دوراً وكانوا في تلك السماء بدوراً، ولم يبق فيهم الآن من يوماً إليه بقلم، ولا رئاسة إلا هذا الفاضل فإنه ممن يتحلّى بالمعارف، ويقل في ظلال الأدب الوارف، والأبيات المشار إليها قوله: [من الخفيف]

لاح نور عم الديار جميعاً وأتى بالسرور كل مقيم

(١) الخفيف الحاذ: هو الذي لا أهل له ولا ولد، وقد قال رسول الله ﷺ: «خير الناس من بعد الماتين، الخفيف الحاذ قيل يا رسول الله: وما الخفيف الحاذ؟ قال: الذي لا أهل له ولا ولد» روى بمعناه ابن بهران في تخريج البحر الزخار.

(٢) في الأصل: ثمار، بالثاء المثناة ولم أجدها في المعجم ولعلها ذمار كما أثبتته.

أشرفت في الديار شمس ضياها	حجة الله فهو خير مقيم
أسعد الله أرضه وحباه	وسقاها عدلاً بوابل غيم
يا إمام الهدى حميد المساعي	زاده الله بسطةً في نعيم
إن لله في الأنعام شؤناً	وبها حلّ كل أمر عظيم
إن لله رحمةً ثم يسراً	جاء بالصبح بعد ليل بهيم
وأقام الهدى من بعد كفر	ثم بغى أتى بفحش جسيم
واستبحت دماء قوم وأضحى	دين خير الورى مثل اليتيم
فأتى الله بالسرور مقيماً	للإمام الكريم نجل الكريم
التقي الشجاع في كل خطبٍ	الأجلّ الحسام خير فخيم
نجل خير الورى وخير وصي	نجم آل الرسول خير عليم
خيرة الله ذي الجلال له المـ	ملك فهو يختار خير كل حكيم
حفظ الله ذاته ووقاه	وعليه سلام رب رحيم
وحمى الله دولةً قام فيها	فرجٌ كان في الزمان القديم
خيرة الخيرة الكرام من الـ	فاح طيباً بكل مسكٍ شهيم ^(١)
وهنيئاً به لنا وعلينا	وهنيئاً دوام كل نعيم
وصلاة على النبي وسلاماً	وعلى آل أفضل التكرم
لا يزل فاتحاً به الله ملكاً	ومقيماً بالفضل والتعظيم

(١) كذا في الأصل.

انتهت ويتلوها قصيدة وردت من القاضي الأديب محمد بن لطف الباري الزيري،
ولها معارضات نشدها بعد إيرادها وهي قوله: [من الكامل]

ماتت فلما أن قبضت عنانها	حييت بذكرك واستجد جديدها
ولو أنها مدت إلى شخص يداً	إلاّ ضل عن الزمان وجودها
جارت بأهلها فما وجدت لها	كفوا أسواك يحوطها ويشيدها
ألقت بجانبها إليك وجرت الأ	ذيال نحوك فاستبان سعودها
تالله ما صلحت لغيرك يا أمير	المؤمنين فلا برحت تقودها
بلدت محاسنها لنا وتلاّلات	وتجددت من بعد طول جمودها
عادت لنا بكراً وعاد شبابها	غضاً وقد شابت وبيض فودها
رجعت شمس الحق بعد أفولها	وجبت بك الأفاق بعد رقودها
فكأنه قد قام فينا يوشع	أم ذاك روح الله قام يعيدها
عادت بك الأروام خاسئة فما	وجدت سيلاً للخلوص جنودها
ما حطت الأقدام نحو بلادنا	إلا رماها الفضل في ترديدنا
قتلت بسيف الأبعدين وقهقرت	وظفت بحمد الله نار وقودها
وإذا السعادة للإمام تكاملت	قتلت أعاديه بسيف يعيدها
كم قد أراك الله من منح بها	عاد البغيض إلى ذراك ودودها
ولقد غدا بحميد فعلك صالحاً	ما كان يظهر من مقال حسودها
وأذقت رأس البغي كأس حتوفه	وخمدت نار البغي بعد حسودها

وتذلت دهم الأمور وأصبحت	لك خاضعات في الأجسام أسودها
وحيت دين الله عن أعدائه	وحلت عن حل الأمور عقودها
مارامت الأعداء منك إهانة	إلا علوت وزدت في تبديدها
فهدمت ما عمر البغاة يبغيهم	وعمرت ما هدمت بسوء جحودها
فليهنأ أركان الخلافة إنها	قد شادها وعلت وقام عمودها
وليهنأ أعواد المنابر إذ غدا	ذكر اسم مولانا الإمام يعودها
الماجد البطل الهام أجل من	قد حاز من كل الخصال حميدها
المحسن الأقوال والأفعال من	أحيا معالم جده وحدودها
لا زلت في أوج الخلافة راقياً	تحمي حماها دائماً وتشيدها
لا زلت في دست الخلافة معرفاً	يأتيك كل قريبها وبعيدها
يابن المظلل بالغمم ويابن من	ساد الأنام ومن سواك يسودها
خذها إليك قصيدة من مخلصٍ	في نفسه رق الولي ودودها
وعليك صلى الله بعد محمدٍ	والآل والأصحاب خير جنودها

انتهت. وفيها من اختلاف القوافي ما لا يخفى على من له ذهن صافي، وقد عارضها الأخ العلامة الأديب عبد الرحمن بن محسن جحاف فقال معارضاً ومجيباً: [من الكامل]

جاءت وما في القلب ظن وقودها	فأتت عروساً والسرور يقودها
وعشام مقام الجمع عرقاً طياً	لما غدت تحتال ظبي برودها
هيفاء جادت بالوصال ولم تخف	من لوم عاذلها وقول حسودها

ورأت بأن وصالها خيراً لها
أحيت به غصن الشباب وقد ذوى
فازينت وتلوننت في سوحها
صنع المهيمن جل عظم جلاله
يا غادة زارت فأزرت بالدماء
سفرت كصبح تحت أذيال الدجا
فطفقت أمشي في ظلام دياجر
وتبسمت عن مبسم لعس اللما
صار الجمال بأسره في أسرها
هيهات أن تخفى الصبابة في الهوى
والمضمرات من الغرام ظواهر
يأبى القمر الذي قمر النُّها
رفقاً بقلبي في وثائق طرفك الـ
وجعلت أدنيه إلى كبدي التي
فلدنا ومرض مقلتيه يقول لي
مهلاً جيسي إن عتبك حاج لي
مرض بسقم جفونه المرضي وفي
وإياحتي سرّاً خفياً صيته
أو ماتراهما مرضت أجفانها
فصفت مودتها وصح وكودها
كالمن هز الأرض بعد همودها
أصناف زهرٍ بعد فقد وجودها
سبحان خالق خلقه معبودها
تزري بكل خريدة وتسودها
وحكى سواد الليل لون جعودها
طوراً وطوراً في ضياتور يدها
سكرت بظلم الثغر منه صيودها
ولغيرها في العيد عن تقصيدها
والدمع في الخدين خير شهودها
والنار في الأحشاء ثار^(١) وقودها
لما تجلّى في سماء سعودها
فتاك أضحى في أشد قيودها
لم يبق وشك نواه عند ركودها
دع عنك ذكر تقري ورصودها
شجنا وهيج في الحشا توقيدها
شفيته من داء الجوكا تشريدها
كتماً وكتم السر نهج عميدها
وبنفسج الخدين زان عقودها

(١) في الأصل (ثا).

ويحسن عينها غدت تحتال لئلا
ديباجة العينين زان جفونها
وخريدة في مرطها تحتال كالأ
شهرت صوارم لحظها ثم اغتدت
عدت كفي واشترط شرائطاً
والعدل لا تصغي إليه لأنه
وزكاة كنز الثغر لا يصرف إلى
والصب من أهل الخلاصة غارم
فوفت بشرطي برهة من دهرها
حتى إذا علقت بقلبي ولعةً
مالت إلى قول الحسود وأثرت
فمنعت نفسي - عن هوى الغيد التي
إني لأسلو عن هواها عفةً
ولقد أتاني مهرق أنواره
فض المحب ختامه فتأرجت
أهداه في الطرس الصديق أخو الوفا
أعني به عز الهدى مولى التقا
وهو الزبيري خير مزبور غدا

جياذ تجذب من جمان فريدها
كحل وهذب ثابت بخدودها
غصان إذ ربح الجنوب عيدها^(١)
تدعو ليعتھا يمين عيدها
منها وفاء الود حسب عهودها^(٢)
يدعو إلى إعراضها وصدودها
من يستحق الكل عن محدودها
قلباً براه الفقء عند شرودها
وسماحة الحسنی صفا لتديرها
وتمكن العذال من تقييدها
طبع الصدود ولم يفد تحشيدھا
هي فتنة وعدلت عن منشودھا
وعفافة الأبرار نهج وحدودھا^(٣)
ملأت مقامي بهجة بورودھا
ألفاظه وأجاد في تجويدھا
علامة الحكام بل وحميدها
أشأ بديعته فراد صعودھا
بتراجم الأوداد بل وودودھا

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها فمددت كفي.

(٣) لم تظهر في الأصل.

ناهيك من نظمٍ بديعٍ ضمنه	مدحٍ لخير القائمين وسيدها
هو جوهر الشرف الذي قد شق كاليد	فاقوت وهو من الهداة سعيدها
وسع العبارة لا يحيط بوصفه	إذ لم يطق حصر لها برصودها
كانت عروس الملك عطلاً جيدها	فحلت بحليته وزان عقودها
أخلاقه حسناً ومرآى وجهه	حسن وحلو الشهد من مشهودها
ومحاسن الأخلاق فيه جبلّة	يجزي عليها والوفاء معهودها
لم لا يشاق إليه قلب لم يزل	من أجله يشنا العدا ويكيدها
فرد المحاسن زان أجياد العلى	بنظام كل فريدة ليفودها
ملك القلوب بسيرة وسريرة	سامت على البيضاء عند نفوذها
وبشرح صدرٍ واسع وطلاقة	للوفا قبل الهزل عند وفودها
وإليك يا بحر المكارم مدحة	قد أكثر المملوك في تسريدها
عزت على خطابها وجلالة	جاءتك ماشيةً مسير يريدها
إن وافقت ذاك المقام فحسبها	منك القبول وذاك بيت قصيدها
واصفح وأستر إن أكون مقصراً	فالنفس لم تحمل سوى مجهودها
واسلم ودم في عز مجيدٍ شامخ	ما شنت الوطفاء وحن رعودها
يا ذا العلا صبراً لكل كريهة	من أهلها إن الإله ميسدها
ألّفت شملاً من سلاله أحمد	قدمت الأعداء إلى تبديدها
وأقمت شرعة جدك المختار بالسـ	عي الحميد وقد أقمت حدودها
فجزاك رب العرش خير جزائه	في جنة حسنت كحسن خلودها
وصلاة ربي والسلام مؤبداً	يغشى شفيع الخلق يوم وعودها

المصطفى خير الأنعام محمداً ووصيه خير الملا وزهيدها
والآل أهل الصدق والإخلاص ما رنت حداة العيس في تسميدها
منهم إمامي من جعلت مديحتي فيه فزانت واستقام عمودها
المحسن المتوكل البحر الذي أحيا العلوم وجد في تجديدها
فعليه مني ألف ألف تحية تبقى على مر الزمان أبودها
مهما حدا الحادي وماهب الصبا أورنت الأطياف في تغريدها

انتهت وليعذر الناظر في أبيات مثل هاتين القصيدتين وثالثتهما مع اختلاف إعراب
حرف الروي الذي هو الدال مع أن ذلك معتبر في مذهب حذاق الأدب، ومسلك
شعر العرب، وما أحمل السيد وجيه الدين على جهل بل تسامح واطراد في سلك أهل
الزمان القاصر.

ولما رأيت الجهل في الناس قد فشى تجاهلت حتى قيل إنني جاهل

ويتلوها جواب للسيد فخر الدين عبد الله بن يحيى الخاشب الساكن بمدينة الظفير
من ذرية السيد الملك الكبير المطهر بن الإمام شرف الدين % وقد سبق له ذكر في الجزء
الأول من السيرة الإمامية سلام الله على صاحبها وهي قوله: [من الكامل]

زارت وقد أشنا الهوى بعميدها وتعطفت من بعد طول صدودها
وأتى النسيم مبشراً بقدومها فارتاح قلب محبها بورودها
وجد المحب لريحها أرجاء وكاد به يفوح فحان سعي حسودها
إن القلوب إذا جفاها البين تبـ عث أنفاساً من وجدها لبعيدها
ويسرها طيب الخيال إذا أتا هازئراً وكرى الجفون يعودها

يا جبذا طيف المليحة إذ أتى	في شكلها متلفعاً ببرودها
متلفعاً في حلة الحسن البديع	ومائساً في شكل لين عودها
فطفقت ألثم خدّها طراً وأرتد	ع بين روضي خدّها ونهودها
وشربت علماً من كؤوس المائها	خمرأ جرى من لؤلؤ في جيدها
وبهالهوت منزهاً في جنة	اللذات ناج من شرور وعيدها
فمضت ليلتنا الأنيقة ليتها	طالت كما طالت متون جعودها
أو ليتها طالت علي وأنسي	بسواد عيني زدت في تجديدها
وبدا الصباح كغرة المولى فريد العد	ترة الأطهار بل ومجيدها
المحسن السامي بن أحمد ذي الندا	إنسان عين الأكرمين وحيدها
مولى الإمامة والرئاسة والزعا	مة والشهائل جدّها وعيدها
ورث الفضائل واقتناها فانشى	يحوي طوارفها ومحض تليدها
جاءت به الأيام إذ هو واجب	لا تختلي من قائم وشهيدها
هذا العمري حجة الله المقيم	م شريعة الدين الحنيف مشيدها
قد كانت الأيام قبل وجوده	سودا فلما جاء بيض سودها
وتبسمت جوداً ولانت عطفة	وبه غدا نخضر يابس عودها
يا واحداً في الدهر بل يا كعبة	السؤال بل يا غوثها وعيدها
ما أنت إلا رحمةٌ لبني الزمان	الصالحين ونقمة لعنيدها
يا محسن كم من أياديكم وكم	لك من كرامات يحال جحودها

إذ قمت تدعو الناس طراً هل مقـ	يُم شرعة الإسلام عن تغريدها
هل ناصر الله هل من باسط	كف الإجابة وعدها وويعدها
هل ذائد بالسيف هل من قائد	للسزب الضمر الجياد مقيدها
هل حائد بالزئيل الخُذم الردينيات	يرويهن بعد ورودهـا
هل صائل هل قاصد هل باذل	هل رافع هل بايع كرشيدها
هل من مجلّ هل مصلّ يوم حلبـة	دعوة الحق المبين مريدها
هل قايد يوم الوغى هل هاتك	حرم البغاة مفرق لعديدها
فأجابك الضعفاء والنفر القليل	كأنبياء الله كل خفيدها
وتمرد المالأ الذين يذمهم	آي الكتاب لعارف بورودهـا
فدعوت فانقلب عليهم نعمة	والظلم كان مسيئاً لشرودهـا
لك آية الكرم الذي ما مثلها	والد للنفر المعز وجودها ^(١)
هاتان أنت بها خصصت فأين من	يرنوبعين بان عنه جمودهـا
هيهات يجحد باغضّ بعض الذي	لك يا إمام من الخصال حميدها
عرفوك كل الناس إلا جاهل	وأجاب إلا كردها وقرودهـا
وأنت إليك زكاة أهل الدين من	حرمين والصفراء عند زيودهـا
ولك الساحة والسجاجة والفصا	حة والرجاحة أنت أنت تديرها
ماذا عساي أقول فيك الناس أنت	وفيك بان شقيها وسعيدها

(١) كذا في الأصل.

فاسمع وجد واقبل فيني قاصرٌ وقرحتي دفنت وطال جمودها^(١)
لكن عز الدين من أزرى بأر باب الفصاحة قسها وليدها
أعني ابن لطف صاحب الفذ الذي هو فاضل المشيعين وسيدها
نعش القريحة إذ أتى بفريدة تزري بسبعهم البليغ نضيدها
قابلت لؤلؤه النفيس بعين لا ل لا يزين ولا يروق مجيدها
فليغضي العزي عني إنما أنا كالصدا التالي لصوت نشيدها
ثم الصلاة مع السلام على النبي والآل ما زجر السحاب رعودها

انتهت القصائد وهذه أجلهن مع ما فيها من اختلاف القوافي وذلك مما قبلها وهو من عيوب الشعر ويغترف باعتبار الزمان، وانقراض عصر الأعيان، ونسأل الله التوفيق. وما لحق من هذه الأشعار أثبتناه إنشاء الله فيما يأتي بعد تمام نقل رسالة^(٢) الفقيه العلامة الأصولي المحقق يحيى بن أحمد القطفا الجواب على الملاحدة الباطنية الجاحدة كونها مما يتعلق بالسيرة لانتصاب إمام الزمان لجهادهم، ورد بدعهم وإلحادهم، ولضم الفوائد في هذه السيرة المباركة وجمعها في ديوان السيرة المحمودة وهي المسماة بجواب العلامة الموحد علم الدين يحيى بن أحمد القطفا على السؤال حرره القاضي سعد بن محمد الشرقي ولم يعلم المجيب من السائل ولا عرف مراده فليطلب السؤال ليوضح ما يدل عليه المطالب.

(١) في الأصل: وقرحتي دونت مطا، وما أثبتناه تظنيًا، والله أعلم.

(٢) ستأتي في القسم الأول من مجموع الإمام % انظرها هناك.

[دخول الأتراك اليمن وأخبارهم مع الإمام عليه السلام]

[معركة الأتراك مع قبائل عسير في باجل]

وحين انتهى بنا السير إلى وقف إمام العصر % في بلد حزيز وصلت الأخبار بنهضة قبيلة عسير إلى التهائم، حين بلغ إلى أميرهم المقدم، وكبيرهم الغشمشم، محمد بن عايض بن مرعي، أن طائفة الأتراك استرسلوا في المعاصي والمقبحات، التي تأخذ بالأقدام والنواصي، وتنهّد منها الجبال والصياصي، وأنها ظهرت في البنادر الخمور، وارتكبت الفجور، وأظهروا البدع على التجار، وخاطبوا بما لم تجري به العادة في المكوس، والجبايات وكاتبه في ذلك كثير من أهل تلك الجهات.

فنهض بقبائله وأجلب برجله وأهله، وكان وصوله إلى باجل، بالقنا والقبائل، والجيش الهائل، وكل قرم صائل، فارتعدت التهائم وواجه إليه أهل البراري واجتمع من في القرى والمطارح من الأتراك إلى بندر الحديد وذلك في شهر رمضان سنة ١٢٨٧ هـ سبع وثمانين ومائتين وألف، وقد كانت سبقت منه مفاوته في الرأي هو وبعض قبائله عسير فنكل بهم، وأشرف في النكاية إليهم فأرسلهم لمناجزة الأتراك في بندر الحديد مع بعض أخوته، والكافة من كبارهم ورؤسائهم، فلما وصلوها أحربوا وحملوا وأخذوا بعض بيوت البندر، وقد قابلهم الأتراك بحرب ضريّر، ومدافع كثير، فانحاز عسير في تلك البيوت وفيهم من هو فاسد السريرة إلى الأمير غير مجدٍ في الحرب الضريّر، فلما آوهم الليل خرجوا عن البيوت، واعتصموا بالفرار، وولوا الأدبار، فلما بلغ ذلك إلى أميرهم وهو في باجل ببقية الأجناد، وقد انثال إليه أهل تلك البلاد، تبع أثر أجناده واستمر إلى بلاده وقد كان باشة الأروام فزع لمقدمهم وارتاع لإقبالهم،

وكتب إلى أبواب السلطان، وطلب المادة والأعوان، فاعتقل كذلك سلطانهم وبعث الأجناد، وقواهم بالعدة والأزواد، في موافات موسم تلك السنة التي قابل قبائل عسير فيها نحس الطالع وغبار الوقائع، فلما بلغ تلك المقدمة التي تجهزت إنكسار جنود عسير، تمموا على قصدهم إلى بلادهم وكف أيديهم عن عنادهم، فوصلوا إلى جهة عسير وقد اختلفت كلمتهم واشتت آرائهم، ومال منهم الكثير إلى الأتراك، وحرصوهم على أميرهم ومن بقي معه من نفيهم وقادوهم إلى الحصون، ومكنوهم من كل مصون، فأخذوا من معاقله محلاً يقال [له] السقا وآخر يقال له مناظر وانحاز في ريدة محل ذخيرة، ومفر عساكره، فانثال إليه الأتراك، وشاطروه الحرب والعراك، حتى شاهد الهلاك، فطلب الأمان، وعدم الإمكان، ومدافعهم يتكرر على أدواره، وتذك أسواره، فخرج إليهم من معقله ولم يعرف حقيقة مقتله، فمن قائل هو في الحياة قد لاذ بنجد وصباه وأنه فر إليها متنكراً، ومن قائل إنه طاح بين معترك النزال، وغبار القتال، ومن قائل أخذ أسيراً، وأرسل إلى الأبواب حسيراً^(١).

وبعد ذلك استولى الأروام، على تلك الممالك والأطام، واستضعفوا تلك القبيلة التي واجهت إليهم وعولت في الأمان، على أكيد الإيمان، وعبثوا بمن عبثوا منهم وقبضوا منهم طائفة من عرفائهم ورؤسائهم، وأرسلوهم الأبواب السلطانية، والسدة الخاقانية، وبعضهم استخدموهم من جملة الأجناد، وكثروا بهم ذلك السواد، وحينئذ أرجف منهم أهل الديار اليمنية، ووصلت الأخبار بتقدمهم إلى هذه الديار، وبقي من في قلبه مرض على ساق الانتظار، وكاتبهم من كره دولة الحق، وأراد إنزال الضرار وإليه استبق، فبقوا هنالك مقدار سبعة أشهر ثم نهض منهم طائفة إلى بندر الحديد على السفر المواخر، والبحر الزاخر، وخرجوا بعدد وعدة، وقوة وشدة، وتتابع البواش والأجناد واستقر بهم السفر في ذلك البندر، حتى خرج كبيرهم المسمى السيد أحمد مختار، وتكامل خروج أزوادهم من البحر الزخار، فأسرعوا النهوض إلى محل باجل

(١) هنا حاشية في الأصل لفظها: بل صح قتله جهاراً وجماعة معه بغير الأمان.

وصاحبه الشيخ حمود بن علي حميدة، قد كان في جملتهم داخلاً في طاعتهم منخرطاً في جماعتهم، فلما وصلوا بلده، وألما بعقوته، خاطبوه بترتيب قلعته، ومحل منعته، فنجع لهم بالامتنال خشية الإستئصال، وبقوا هنالك مقدار نصف شهر.

ومولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين أيد الله به الدين حين سمع بإقبالهم، ووصلت الأخبار أنهم مزمعين قصد حراز، وأخذ المتغلب عليها داعي المكارمة حسن بن إسماعيل شمام الذي أسلفنا أخبارهم، وقصصنا آثارهم، فيما تقدم لنا سرده من متعلقات السيرة ثم يقصدون بعد ذلك صنعاء.

[خيانة عاقل صنعاء ومراسلته للأتراك]

وقد تواترت أخبار أن صاحب صنعاء، وعاقلهم الذي ملك ماءها والمرعى، قد كرر إليهم الرسل والاستدعاء، وحثهم على المبادرة إلى تلك المدينة، وأن من قاربها من قبائل العرب قد عرفوا رغبته في إلقاء مقاليد أمر هذه الخطة إليهم، وتحويله في طرح تكاليفها عليهم، فشدوا إليه سهام الملام، وأوعدوه بالمناجزة والصدام، وأنكروا ما رامه، وأوسعوا ذمّه وملامه، فجد في طلب مسارعة الأتراك، خشية الهلاك، وكثر الكتب والرسل ووعدهم بإقبال الناس إليهم، وأنه قد أحكم الأمور، وأصلح لهم الجمهور، وقبض وثائق القبائل في الطاعة لهم، وقد كان استدعى عينة من قبائل خولان الطيال، لما خشي على نفسه الاستئصال، وأعانه على هذا الفعال، عبد الوهاب مرخ من كبار أرحب من ذبيان وغالب بن محمد بن يحيى المنصور وصوروا خواتم العقال، وأرسلوها إلى الباشة الذي أشرنا إليه فاستحكم طبع الباشات وتسطع الوثوب على جبال اليمن.

[وصول الأتراك إلى حراز]

فنهضوا من باجل إلى حراز وتقدم أحد البواش وهو المسمى طاهر باشا إلى وادي حار^(١) ثم أراد صعود الجبل فتلقاه عينة الداعي حسن بن إسماعيل من يام وهمدان وطائفة من الرعايا أهل حراز المسمون أهل الدعوة عند الباطنية فأحربوا حرب ضريب، وقتلوا من الأتراك الكثير، وهزموهم إلى أسفل الجبل فرجع باشتهم إلى تدبير الحيل وكان لديهم رجل من الباطنية يقال له علي بن حيدر كان منافراً للداعي ومساعداً عليه في المساعي، فأرشد باشة الأتراك إلى طريق أخرى، وقادهم إلى رقي الجبل في ظلمة الليل فما شعر الداعي إلا وقد هجموا دياره، ووافوه قراره، فاستغاث أنصاره، وقد خامره وخامرهم الفشل، وخالطه وخالطهم الوجل، فأخذوا القرية التي بإزاء معقله المسمى (عتارة) وانحاز هو واخوانه في الحصن المذكور، وقد ألوى به الدبور، وعيَّت عليه الأمور، وسلب التوفيق، وضافت به الطريق.

[انتقال الإمام عليه السلام من حزيز]

وحين بلغت هذه الأخبار إلى مولانا الإمام % نهض من محل حزيز إلى حصن الخوار الذي شيد بناه في بيت سبطان وقد قدم أولاده الكرام، وأنسأله البدور الزاهرة الأعلام، وصحبته من الأعيان القاضي العلامة سعد بن محمد الشرقي، والفقير الأورع محسن بن حسين شمار إلى الجهة الأرحبية منكفين ومستنهضين للقبائل ومحرضين لكل بادٍ وحاضر، وانتقل في ثاني يوم عزمهم إلى ذلك المعقل ووالى الكتب والرسائل إلى الآفاق، وعمر بها أخلاط الرفاق، وأوضح السبيل، وأقام الدليل،

(١) وادي حار: منطقة تقع أسفـال جبال حراز غرباً، بالقرب من منطقة عبال تـهامة.

والناس في غفلة معرضون، وفي غمرة ساهون، يتربصون الدوائر، ويوقدون المنابر، وليس وراءها ثائر، فما برح في حث وتحشيد وجد ما عليه مزيد، وقد وصلت طائفة يسيرة من قبائل أرحب، كانوا في المعازل رتب^(١)، وطائفة من عقال سنحان وبني بهلول يبذلون من نفوسهم الوصول، ولكنهم لا يقوون على انفرادهم بملاقاة الأتراك، وليس لهم في هذا الأمر العظيم ملاك، وأمرهم متوقف على وصول الأجناد المتكاثرة، والجيوش المتضافرة، وبقي الأمر في الانتظار، والرجاء في اجتماع الأجناد، وصاحب صنعاء، يجد في الاستدعاء، حتى أنه بعث أناساً من أعوانه وثقاته وأخذانه يستحثهم على المبادرة، ويحضهم على هذه الفاقة.

[الأتراك وهزيمة الباطنية]

وقد كانوا استولوا على معقل الداعي حسن بن إسماعيل وخرج إليهم بعد عهود أسدوها وعقود أكدوها، وقد كان ولده أحمد بن حسن في مدينة (مناخة) فترجع له ولمن لديه أن يحرق الدار المسكونة، والمعمورة المصونة، بما فيها من البارود وكان جملة كثيرة، وخزانة خطيرة، فأرسل في ذلك فتايل النار فوجبت تلك الدار، وتناثرت الأحجار، في ذلك القرار، حتى ملأ صوت البارود ما بعد من ذلك الموطن، وانتهب عساكره تلك المدينة وما فيها من أموال التجار وبعدها انصب أهل البلاد على حصون الداعي ومعاقله وأخذوا خزائنه وحواسله واغتنموا ما فيها من الذخائر، التي قد جمعها في السنين الغواير، والحبوب والنقود، التي تجل عن المعدود، ونقلوها إلى الأوطان، وأعلنوا بطاعة السلطان، وانتهى أمر هذا الداعي إلى أن غدر به الأروام ونكثوا ذلك الزمام، وأخذوه هو وأولاده وعشيرته وأحفادته^(٢) في الأسر وأرسلوه إلى

(١) الصواب: رتباً.

(٢) كذا في الأصل، والمراد وأحفاده والله أعلم.

بندر الحديدية فهلك هنالك وفاجأه الحمام بعد أن قادوه بزمام، وهلك ابنه المذكور، وبعض من جماعته واضمحل أمره ومضى وزره وأهل الحيمتين لما وصلهم المنهزمون من يام وكانوا في حوزة الداعي ومن جملة مملكته انبسطت يده عليها وفيها معاقله وخواصه، فأسرع أهل الحيمة إلى نهب أولئك المنهزمين وأخذوا ما أخذوه من مطرح مناخة، ثم وثبوا على حصون المكرمي الداعي وفيها من خواصه، وأخرجوهم صاغرين، وطردهم كارهين، وأخذوا ما في الحصون من المدخر المصون، وخلت الحيمتان من الباطنية المارقة.

وقد كان منهم جماعة أهل الدين رغبوا في الاعتزاء إلى مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله صاحب السيرة وكاتبوه وحثوه على إرسال عينة لحفظ معاقل قبل استيلاء الأتراك، ولكن مشايخهم وكبارهم قد مردوا على النفاق، وخوفوا الرعايا صولة رجال بكيل وتعليهم في البلاد وأنهم لا يتوقفون على رأي الإمام، ولا يراعون للرعايا ذمام^(١)، فصرفوهم عن هذا المقصد وألجؤهم إلى استدعاء عينة الأتراك وتمكينهم من تلك الأتراك^(٢) كونهم أظهروا في حراز العفة عن أموال الرعايا ولم يخاطبواهم بشيء من أموالهم وذلك من دهاء العجم، واستجلاهم لطاعة الأمم، فوصلهم عينة جعلوها في منصورة العر ومفحق وفي جبل عانز وسيدي المولى أمير المؤمنين يكرر الكتب والرسائل، ويجدد الحث إلى القبائل، ويوضح عاقبة الثاقل، وأنهم سيندمون على ما فرطوا في الجهاد ويأسفون على عدم اغتنام الفرصة في قتالهم في تلك البلاد، فما نفع فيهم الوعظ والتذكير، ولا أجدى لديهم الإيضاح والتنفير، حتى أن باشة الأروام نهض بأجناده وحشد أعداده، وقد واجه إليه بنو مطر وبنو شهاب ومن إليهم من مخلاف بني الراعي والحزة وهو داعي بلاد البستان ووصلوهم من مشايخهم من وجب قلبه، وعدم لبه، فارتحلوا من حراز إلى مفحق ثم منه إلى بوعان وعند ذلك ارتفع

(١) الصواب: ذماماً.

(٢) كذا في الأصل، والمراد أنهم مكنوهم من تلك الأماكن التي تركوها والله أعلم.

المرتبون من عند مولانا الإمام في بني سوار وكانوا في هذا المخلاف حافظين لمراتبه، وقابضين لحصونه، من أيام جهاد الباطنية الذي أسلفنا ذكره، وأوضحنا أمره، فيما سلف ووصلوا أي هؤلاء المرتبون إلى مولانا الإمام، وأخبروا بوصول الأروام طرق البلاد قاسطون صنعاء وبلادها وقد سارع أهل صنعاء إلى إظهار أمرهم، وإشاعة الانحياز إليهم، وأعلنوا موالاتهم لهم بإيقاد النار وأصوات البنادق وبرح الخنا وبدا النفاق، الذي كان قد انطفأ.

[انتقال الإمام عليه السلام إلى بلاد أرحب ودخول الأتراك صنعاء]

فرجع مولانا الإمام الانتقال عن الحصن المذكور مع عدم الناصر، فانتقل مصحوب السلامة يوم الربوع سادس عشر شهر صفر الخير من سنة ١٢٨٩ هـ تسع وثمانين ومائتين وألف إلى هجرة دار علي ومحل القاضي الرئيس الهمام محسن بن محسن القرشي وأصنائه وحفدته وقرابته والأروام وصلوا صنعاء يوم الخميس ثاني يوم عزم مولانا الإمام، وتلقاهم أهل صنعاء ودخلوها وملكوا إدارتها وقصرها المعروف بغمدان، واستقر باشتهم في قرارها قعد أولاً قريب الماغل المسمى ذنب الدمة عدني صنعاء واستقر هنالك أياماً يسيره ثم انتقل إلى فوق القصر.

[معركة الأتراك مع عبد الله الدفعي]

وعند استقرار الإمام % في دار علي من جهة بلاد أرحب ومحل شعب، أرسل باشة الأروام لرجل من أرحب ساكن في شعوب قبلي مدينة صنعاء يقال له عبد الله حسين الدفعي وكان هذا الرجل معتزياً إلى الإمام، موالٍ في الأحكام، وقد سبقت بينه وبين عاقل صنعاء محسن بن علي معيضة إحن وفتن واتهم بقتل سيد من آل القاسم قتل في

صنعاء ليلاً ولم يعرف قاتله واتهم به المذكور وجماعته، وقد كان عبد الله حسين استدعى عينة من أرحب ورتبهم في نوبته المعمورة في شعوب، وتأهب لملاقاة الخطوب، وإثارة الحروب، وصمم على أن لا يلاقي باشة الأروام ولولا الحماة وقد كان لديه هذه العينة وهم من أبطال أرحب، وكل يبهس أغلب، وهمام مجرب.

فلما ظهر للأروام وصول أولئك الأقوام، وهم قدر ثلاثين رجلاً، أو ينقصون قليلاً، خرجوا إليهم بقضهم وقضيضهم، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم، ومدافعهم وطبلهم، فوقع حرب ضرير، يلحق بليلة الهرير، وقرب الأتراك من ذلك الدرك في حومة المعترك، فأصدق من فيه القتال، وفعلوا فعل صناديد الرجال، وقتلوا من الأروام عدة ولم يستوحشوا من الوحدة، وقتل المقدم على الأتراك وهو من كبارهم، وجمرة شرارهم، وانهمز الأتراك وولوا الأدبار، ثم رجعوا إلى إرسال أفواه المدافع، وتابعوا في الرمي بها فعل المسارع، حتى اندكت هذه النوبة وانصدعت جدرانها، وتهاثر بناءها وثباتها، فخرج عنها من فيها وأخربوا من خارجها حتى غلبوا بالكثرة، وعادت عليهم الكرة، فقتل منهم أنفار واستولى على الآخرين الأسار، وقد فعلوا فعل الأجواد وأرغموا أنوف الحساد، وصبروا في المعترك العظيم، وأنفوا عن الفرار الذميم، والله سبحانه يجعل لهم فرجاً ومخرجاً.

ولما وصل خبر هذه الواقعة إلى المولى أمير المؤمنين رجع الانتقال إلى بلد الجزعين من زندان واستحثاث قبيلة أرحب وغيرهم على الجهاد، عوداً على البدء وحين وصل هذا المحل جدد الكتب والرسائل، إلى جميع القبائل، فاجتمع إلى أطراف البلاد جمع وافر، وجيش متكاثر، من أرحب وعينة من حاشد من قبائل خاراف، وهم الصيد صعبة الحاج الفاضل المجاهد زيد بن صالح الرضي والشيخ علي القديمي، فسوّل شيطان الغرور، وأهل النفاق والشرور، للعقال أن يستوقفوا القُدوم إلى بلاد بني

الحارث أو ينهضوا المغزى على الأروام أو يباشروا مواقع الصدام، وتصوروا أن الأروام لا يقصدونهم إلى ديارهم، ولا يقدمون على قرارهم، والقبائل في تلك الأيام قد حصل لهم مطر الصيف وأن لهم ميقات الأعمال، وخزانة الأموال، فلما عرفوا الرخصة من العقال، انشَمروا إلى قُرَاهم وباكروا أسراهم، وربما أن بعض العقال قد اشتمل على غش السريرة، وسوء السيرة، ونافس بعضهم بعضاً، وأضَمروا بينهم عداوة وبغضاً.

[معركة الأتراك مع بعض قبائل أرحب]

فلما عرفوا الأتراك أنه لم يكن في المطارح إلا اليسير، باكروا إليهم المسير، في الليل الأليل، وباكروا الحرب عليهم في الصباح الأول، وقد استقر قرار الأروام في محل بيت دغيش، واستصحبوا عاقلهم صالح بن صالح وكان منخرطاً في طاعتهم، ناصحاً في متابعتهم، مع أن النقباء آل العذري محسنون فيه الظن، للمظاهرة بينهم وتقارب الديار، وحمية الأصهار، فقادهم إلى محله، وأساء في فعله، وأراهم بيوت النقباء ومحلهم فباكروهم بالمدافع والقُدوم فرجع قبائل أرحب، إلى إثارة الحرب، واصطلاء نار الطعن والضرب، وقد خالطهم الفشل، وخامرهم الوجل، فما قصد قوم إلى عقر ديارهم إلا ذلوا كما قال الوصي^(١) الصادق في المقال، والشافي في الفعال، فوقع الحرب ساعة من النهار، والمصادمون لمعركة القتال، هم القليل الذين أبقاهم العقال، فلما حميت الحرب أشمر قبائل أرحب في الهزيمة، وظنوا بالنفوس الذميمة، وفروا فرار الأبق المريب، إلى حيث يعوي الذيب، وأسلموا بيوت القضاة القرشيين وبيوت العذريين وأطراف البلاد، والأثاث والأزواد، وارتدوا في الحافرة، وباءوا بالصفقة الخاسرة، فهدم الأتراك

(١) وقد روي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ.

تلك الديار وزايلوا منها القرار، وأخذوا ما وجدوا من الأمتعة والحبوب، وبقوا هنالك أياماً، حتى وقع لهم ما أرادوا.

وقد أسر من أرحب جماعة انحازوا في درك وأحربوا منه برهة من النهار، حتى تم عليهم الحصار، واستولى عليهم الأسار، منهم النقيب حمود بن مساعد أبو غانم من (عيال عبد الله) ودخل الأروام صنعاء والأسارى معهم وقد أظهر قبائل أرحب لهم الطاعة وصحبهم بعض عقلمهم، وهم راجون الإفراج عن المأسورين، ولعل أمير السرية الخارجة إلى أرحب قد كان أوهمهم أنه سيعتني في إطلاق المذكورين، لدى الباشا عند وصولهم صنعاء فما تم لهم مرام، ولا قبل لهم مرام، ولعلها ذنوب أسلفت، وعواقب أمور اقترفت، نسأل الله أن لا يؤاخذنا بذنوبنا ولا بما فعله السفهاء منا.

[انتقال الإمام عليه السلام إلى بلاد حاشد ودخوله مدينة حوث]

والمولى أمير المؤمنين رجع بعد هذه الحرب الانتقال إلى جهة حاشد حين عرف من أرحب الوجل، ودخل فيهم الخلل، وانتقل أولاً إلى مدينة خمر وبقي فيها على حال جميل وأقبل رؤساء حاشد ومن إليهم من سادة وادعة وقبائل بني عبد إلى مولانا الإمام باذلين من نفوسهم النصر، راغبين إلى الجهاد والكره، وجمع الله على الطاعة شملهم، ووقفهم إلى الصواب، وهداهم إلى السنة والكتاب، وبذل النفس والنفيس والنهضة إلى أين ما وجههم الإمام، ووصل من عقلمهم النقيب علي بن عايض شويط، والمشايع بنو عمران والشيخ دبوان العنز، ووثقوا في الجهاد واسترجحوا نهوض مولانا الإمام إلى مدينة حوث لقبض وثائق سائر القبائل من حاشد وبكيل مثل العصيمات وعذر وسفيان ومرهبة ووادة والأهنوم والحقار وأهل الجهة الشامية من يام وسحار وعمار وخولان بن عامر ووادة الشام وبني جماعة وغيرهم.

فنهض % يوم السبت نصف شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٩ هـ إلى مدينة حوث فالتقاء سادتها وقادتها وقبائل العصيمات ووصلها في يوم مشهود، وقبائل وجنود، وألوية وبنود، وخطبهم وحثهم على جهاد الأروام، وإتباع آثار سلفهم في سالف الأيام، وما برح يوالي عليهم المقال وترغبهم في شرف المآل، حتى انخرطوا في الطاعة، وسلکوا مسلك السنة والجماعة، وأوجبوا على نفوسهم ما أوجب الله سبحانه من التجرد للجهاد، وإعداد الآلة والزاد، ورجح نظره العالي، ورأيه الذي بالطائر الميمون متعالی، إرسال من يركن عليه من العقال لحث رجال يام ودهم وذو غيلان وأهل الجهة الصعدية الذي ذكرناهم قريباً، فنفذ النقيب علي بن عايض شويط ونفرين من العصيمات^(١) من كبارهم لا يحضرني أسماهم فقابلهم رجال نجران بالقبول ووعدوا من نفوسهم النهوض والوصول، وحال رقم هذه السطور في سادس عشر شهر جمادى الأولى من شهور سنة تسع وثمانين واثنى عشر مائة وهم على عزم جيوش تملأ الفضاء، وتترك ما مرت عليه كأمس الذي مضى، وعسى أن يجعل الله في هذه الحركات الفرج ويحسن المخرج ويدمر المفسدين ويهلك المتمردين.

[هزيمة الأتراك في معركتهم مع أمير كوكبان]

ولنذكر في هذا المحل أمور الأروام بعد رجوعهم من بلاد أرحب، وما تم لهم عليهم من بلوغ مرادهم والمأرب، وذلك أنهم كاتبوا صاحب كوكبان وأمير تلك المملكة عظيمة الشأن، وطلبوا منه الوصول إلى صنعاء ومقابلة أمرهم بالطاعة، والاستكانة والضراعة، وقد عظمت نفوسهم وتجلى بؤسهم، وظنوا أن لا يخالفهم مخالف، ولا يروعهم الخيال الطائف، وقد أرجف منهم القاصي وانقادت إليهم النواصي، ونجع بالطاعة على كل عاصي فخامرهم الإعجاب، وخالطهم الطيش

(١) في الأصل حاشية من هنا لفظها: مرشد بن حسين الغريبي وبزيه، والبزي تطلق هذه الكلمة على ابن الأخت.

والتجبر على رب الأرباب، فأرسل إليهم أمير^(١) كوكبان بعض قرابته استكفاء لشرمهم، واستدفاعاً لمكرهم، وهو مضمّر أن لا يواجه لباشتهم، ولا يذعن لملاقاتهم، ولم يقنعوا منه بظاهر الطاعة، ولا نفع فيهم هذه الضراعة، بل وصل جواب الباشا إلى ذلك السيد النجيب أنه إذا لم يصل وصلته الأجناد والمقانب، والجيش والكتائب، ورموه بشهاب ثاقب.

فأجاب ذلك السيد الهمام الماجد المقدام، أنه لا يصل إلى ناديمهم، ولا يحل بواديههم، وأن السيف له لديه محدود، والمكاملة بأطراف القنا وألسنة الجنود، فخرج منهم زبدة أجنادهم، وخلاصة أبطاهم، ذوي فسادهم، يقودهم البطر، ونارهم ترمي بالشرر، وحشدوا معهم قبائل همدان القاطنين بالقرب من صنعاء، وطائفة من عسكر صنعاء وقدّموا عند وصولهم وسائط إلى السيد الهمام يطلبون منه الاتفاق، ويرغبونه في الوفاق، ويحذرونه عاقبة العصيان، ومخالفة أمر السلطان، فخرج إليهم وفي ظنه أن الاتفاق للمراوغة والمشاورة في الإصلاح، وأنه يبقى على إمارته ويستمر على ولايته كما سلف في مدة دولة الأتراك الأقدمين، بينهم وبين آل شمس الدين بن الإمام شرف الدين، قبل قيام الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد % فبدرت من المقدم على الأروام بادرة الغدر والإجرام، وأراد القبض على ذلك السيد الضرعغام، وخاطبه بتفريغ كوكبان، ودخول عساكر السلطان، وتخلية الأدراك لطوائف الأتراك، ويبقى معهم في حيز المحكوم عليه في المكان، عادم القدرة والإمكان، واستروح من فحوى الخطاب والمراجعة في البدع والجواب، أن لا يخرج له من أيديهم ولا مراح له من ناديمهم، حتى يتسلموا كوكبان، ويظفروا فيه بالملك والسلطان، فدبر الرأي الصائب، والمنهج اللاجب، وأظهر لهم كمال الرغوب والانقياد، والمحبة والازدياد، وأنه يخشى تحصل بادرة بين العسكر الذي في كوكبان وطائفة الأتراك الذين يعزمون لقبض الحصن

(١) هو السيد الشجاع المقدام أحمد بن محمد بن شرف الدين من ذرية الإمام شرف الدين، مولده في جهات كوكبان سنة

١٢٤٤ هـ، وتوفي بصنعاء ٩ ذي الحجة سنة ١٣١٨ هـ.

وأدراكه وأنه سيحسن الكلام لعسكر كوكبان، ويخرجهم إلى محل الأمان، ويوضع قرار عسكر السلطان فساغ ذلك عند أمير الأروام، وانصرم على ذلك غاية المرام، فنفذ وفي صحبته قدر مائتين أو ينقصون قليلاً من زبدة عسكر الأروام وأشار إلى عسكر كوكبان بلزوم الأدراك، وأخذ منافعها والملاك، حتى دخل بالأتراك إلى كوكبان وجعلهم في أماكن محكوم عليها وأصحابه عليهم ظاهرون، وعلى أخذهم قادرون، وأظهر ما في نفسه من مباينة الأروام، وإشعارهم بالصدام، وإسعار نار الحرب، واصطلاء جاحم الطعن والضرب، وصار عسكر الأتراك الداخلون إلى كوكبان في حكم المأسورين، وحيز المحبوسين، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، قد غلب عليهم الاستيلاء، وصار عزيزهم ذليلاً، وعند ذلك شبت الأروام الذين في مطرح الباشا نار الحرب، وثار عندهم غبار الطعن والضرب، وظنوا أنهم غالبون، وعلى اقتحام المعقل المحروس قادرون، فقاتلهم السيد الرئيس عقد الفخار النفيس، أحمد بن محمد بن شرف الدين راقبي عرش إمارة كوكبان، وعماد هذه الدولة الشاخة الأركان، بعساكره الذين هم أحابيش الطعان، وأهل الثقافة بالرمي بالروميات الحسان، وقرب الأتراك من ذلك المكان فعملت فيهم الرصاص، وأعجزهم الاقتصاص، وذهب منهم بالقتل الكثير وامتلات تلك العراض بدمائهم، وجث قتلهم، حتى أعجزهم الخلاص، وأخذت أمتعتهم وسلبت أسلحتهم ورجعوا إلى مطارحهم مغلوبين، وأصبحوا خاسرين، ورجح المولى صفى الدين إزالة المحمولة التي جعلت طريقاً إلى ذلك المعقل المحروس، والمقر المأنوس، وثاني يوم الحرب عادوا الأروام معركة الحرب والصدام، فوجدوا الطريق قد انقطعت، والمحمولة قد ارتفعت، فأعجزهم العبور، ووقفوا في الدبور، ورجعوا إلى تدبير الحيل وكلما دبوا حيلة عادت عليهم فليله فأرسلوا لطوال الأخشاب وبسطوها على ذلك السرداب وأرادوا العبور، وعبر عليها بعض من حقت عليه المنية، وخامرته الأمنية، وصالت العساكر الكوكبانية وصبت عليهم نار الرومية فأهكلت منهم الجمل الغفير، وصاروا إلى نار السعير، وبئس المصير، ثم تابعوا الحيل،

ورقوا إلى ذلك الجبل، في أيام عديدة، وأوقات مديدة، وكلما أوقدوا ناراً للحرب أطفالاً الله وكل حيلة يديرونها يطلها الله وذلك أنهم تقحموا أعقاب البغي على أهل البيت النبوي والمحتد العلوي، وقدموا قتاله على البغاة المتغلبين على البلاد، التي تعتاد الدولة ويدعون للصولة، فأخذها كثير من حاشد وبكيل وبنوا فيها الحصون، ووالوا المعقل والزبون، وعاملوهم معاملة الأملاك، وصاروا يتاعون الرعية كما تتباع الأراضي والعقار، وحرب على ذلك السنين والأعصار، فسارع الأروام إلى هؤلاء السادة الكرام، وتركوا أهل التغلب والإجرام، والبغي والآثام، وراء ظهورهم، في عافية من شرورهم.

[إعانة رجال حاشد الساكنين بحجة لأمير كوكبان]

وقد كانت طائفة من رجال حاشد القاطنين بمغارب بلاد حجة ووادي لاعة وتلك الجهات هزتهم ريح الجهاد، وأخذتهم الحمية على إعانة هذا الرئيس الفرصاد، فنهضوا إلى قريب حصن بكر بالقرب من مطرح الأروام ونهض بنهوضهم كثير من أهل المغرب بلاد آل محمد بن حسين، ولما وصلوا هذا المحل وفي زعمهم مباركة الحرب بينهم وبين الأروام، والقُدوم عليهم إلى تلك الخيام، فشعر بهم الأتراك فسارعوا إلى قصدهم في الليل وباشروهم بالرجل والخيال، فانشمر الرعا إلى الهرب، وخافوا النكال والعطب، فاستقام الصدام على رجال حاشد الكرام وكل بيهس مقدم، فما برحت السيوف ترقع، وطيور الهامات تسف^(١) حتى استولى القتل والأسار على رجال حاشد الخيال، وقد قتلوا من الأروام عدة عديدة وشياطين مريدة، وأدخلوا الأسارى إلى باشتهم بصنعاء وأظهروا البشائر وضربوا جماعة من الأسارى بالسياط، حتى هلك

(١) كذا في الأصل، ولعلها تسفع.

منهم من هلك في ذلك البساط، وأرسلوا زيادات من الأروام، إلى حرب ذلك السيد الهمام، وجعلوا عليهم باشا آخر يقال له فضلي وهو عند نفسه مشعوب الحروب وزمام حصول المطلوب، وكاشف الكروب، فلما وصل إلى مخيمهم المضروب، جعل من الحيل ضروباً، واصطنع بابوراً يدفع به الرصاص ويرد الرمي عن الأجناد، ويكون جنة لهم من الحصاد، ووضع الأخشاب عن القطع المانع من العبور، وعبرت عليه العساكر، وكان السيد الأمير الكبير والمقدم الخطير، الهزبر المقدام، والماجد الهمام، صفى الإسلام أحمد بن محمد حفظ الله ذاته وأيد، قد أمر عساكره بالسكون، وانتظار أمر الأتراك إلى ما يكون، فلما عبروا ذلك الخندق، ووثقوا بإيصال الفيلق^(١)، وقربوا من باب الحديد، وراموا دخول البلد المشيد، صبت عليهم المدافع والبنادق، وتلقتهم الكمام بالفيالق، ورموهم بالبأس الصادق، فامتألت البقاع من قتالهم وأفرغت الساحات من أشلاهم، وأنزعت الحجارة من دماهم، وسقط منهم في القطع من سقط وهلكوا بذلك التدبير الذي غرهم به الشطط، وما زالوا في تدبير الحيل وقد عيت بهم العلل، وظهر فيهم الخلل.

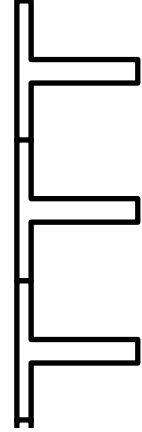
وهم الآن في مدينة شبام قد أقلعوا عن مطارحهم الأول، وتركوها حيث تلاشا أمرهم وأخلفهم مكرهم، وقد صار القتل فيهم كثيراً، ولم يبق منهم إلا اليسير، وقيل إن قد هلك منهم إلى حال تحرير هذه الأحرف فوق الألف، ولا بد ما يقطع الله دابرهم، ويبحث مآثرهم، فهم على ابن رسول الله باغون، وفي حربه معتدون، وقد أتقى شرهم، وأراد أن يكف أمرهم، فما أجدت فيهم المداراه، ولا نفع عندهم المسالمة والانقياد في ظاهر الأمر وقد سبقهم إلى هذا الأمر من سلف من أمرائهم وبوشهم الخارجون على حي الإمام الأعظم المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن الإمام

(١) في الأصل: الفليق، والصواب ما أثبت.

المهدي أحمد بن يحيى جد هؤلاء الأمراء على كوكبان وأعماله وأولاده الأعلام، الرؤساء الفخام، فإنهم -أي الأروام- وأجلبوا عليهم بالجنود وأعبوا بالألوية والبنود، وتابعوا المدافع، وصالوا بالقعاقع، فما ظفروا منهم بغير القتل الذريع، والحبس المريع، حتى اضطر وزرائهم وبواشهم إلى المودعة، وملّوا الحرب والمقارعة، وما ظفروا بطائل، ولا اتصلوا بنائل، فما أشبه الليلة بالبارحة.

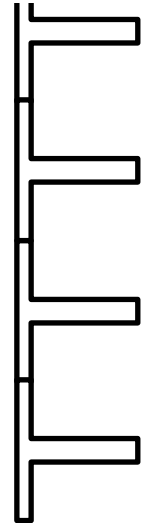
وقد كان السيد الهمام صفى الإسلام حين خرج إليهم في أول وصولهم سلم إليهم صنوه عبد الله بن محمد حين عرف منهم أنهم لا يتركونه يرجع إلى كوكبان حتى يستولوا على أدراكه ويملكون ملاكه، فما تخلص من ذلك المرام إلا بهذه الحيلة التي أسلفنا ذكرها حتى حكم على من دخل، وقلب لهم ظهر المجن حتى أنهم توسطوا بمحسن معيض عاقل مدينة صنعاء في إخراج أصحابهم وإرسال السيد فخر الدين عبد الله بن محمد فأسعد السيد الأمير إلى فك أولئك الأقوام، واستخلص صنوه الهمام، وبقي الحرب ثائراً، ونجم آل محمد القاهر، وقد قل الأروام وذلوا وعسى أن يقطع الله دابرهم بعزومات مولانا إمامنا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين فهو في حال تحرير هذه الأحرف في جد واجتهاد، في حث الأجناد، وتكرير الرسل والرسائل، إلى كل ناد حافل، وقد وثقوا على النهوض في هذا الشهر المذكور، والله عاقبة الأمور، وعليه الاتكال، وبه الاستعانة في جميع الأحوال.

وافق الفراغ من نقل هذا السفر الجليل صبح يوم الإثنين خامس عشر شهر جمادى الأولى من شهور سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة بعد الألف سنة ١٣٢٨ هـ بمحروس حصن الموشح المتوكلي غمره بالعدالة بعناية الوالد العلامة ضياء الدين سعد بن محمد الشرقي حفظه الله تعالى.



ملحق بالسيرة يضم عدة مواقف للإمام عليه السلام

جمعه راجي عفو الله وتوفيقه
عبد الرحمن بن محمد بن محمد المتوكيل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

واما هذه النبذة التي الحقناها بالسيرة المتوكلية فهي من تمام المقصود وهي ذات فوائد عظيمة، ومناقب للإمام عليه السلام جسيمة، قد رواها لي السيد العلامة الحجة محمد بن عبد العظيم الحوئي أطال الله عمره ونفعنا بعلومه، عن أبيه عن جده، وقد رواها لي والده السيد العلامة الولي عبد العظيم الحوئي عند ان أتى لزيارة مشهد الامام عليه السلام، والتقيت به وأخبرني بشيء من فضائله عليه السلام.

والحقناها بالسيرة لتكون دروساً لمن تأملها، وسيلاً يسلكه من تدبرها، وليعرف القارئ الكريم ماكان عليه ذلك الإمام العظيم، من الصبر والتحمل والتدبر والشجاعة والرياسة والحلم الذي تعجز عن حمله شاحنات الذرى.

ولقد رأيت في كتب بعض المؤرخين إهمالاً لبعض الحقائق والفضائل بل أدى ببعضهم إلى الإضرار به والغمض في جانبه وربما الى السبابة احياناً.

واتحفنا السيد العلامة حفظه الله بتلك الفوائد بعد أن التقيت به مراراً وطلبت منه ذلك، فأجابني إلى ما طلبته فجزاه الله خير الجزاء.

فقال: أنا أروي هذا عن أبي عن جدي، وأرويه ايضاً عن عمي عن أبيه فمنها ما يتعلق بجدي الحسين، وهي سيرة عطرة للإمام عليه السلام لأن علاقته بالإمام عليه السلام علاقة كبيرة.

إن جدي الحسين بن محمد من مواليد مدينة حوث وعاش يتيماً، وأمرته أمه أن يهاجر إلى الإمام عليه السلام في شهارة قالت له: إنه ابن عمك^(١) واطلب العلم عنده وهو لازال في اول الطلب، ولم يكن قد ختم القرآن وهو قبل البلوغ، فلما وصل إلى

(١) لأن نهشل جد الإمام عليه السلام، وجد آل الحوئي كما بيناه في تراجم الآباء.

الإمام عليه السلام دخل داره ولم يحتج إلى استئذان لأنه لم يكن لدى الإمام عليه السلام بواب يمنع الناس من الدخول.

فسأله الإمام عليه السلام: من انت يا بني؟

فقال: حسين بن محمد الحوثي (من بيت زيد).

فرحّب به الإمام وقال: انت يا بني من أبناء اعمامنا، وماذا تريد يا بني؟

فقال: أريد أن أطلب العلم، فأخذ الإمام عليه السلام بيده وخرج معه بنفسه وهو بملابسه العاديه التي يرتديها عند وجوده في منزله، فاستغرب الناس ذلك منه حتى وصل الجامع وفيه مجموعة من الفقهاء، فأتى إلى فقيه يدرس طلبه العلم، وفي تلك الحلقة طلبه من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، ومنهم عبدالله الشماحي، وكان الأستاذ من قرية آنس، فأمره الإمام عليه السلام أن يدرّس ذلك الولد ويعتني به، فأجابه الى ذلك، فخرج الإمام عليه السلام في اليوم الثاني يتفقد جدي حسين فقال للشيخ: كيف وجدت الولد؟

فقال: إنه قليل الفهم، إن الذي يفهم هذا، يعني عبدالله الشماحي، فأمره أن يهتم بالولد حسين، ثم خرج في اليوم الثالث، وحصل ما حصل في اليوم الثاني، فقال الإمام عليه السلام: لا يؤمكم اليوم إلا هو، فقالوا: يا مولانا لم يبلغ سن الحلم فراجعوه في ذلك فأبى، وقال: إن تركتم فقد عصيتم إمامكم، فاجتمعوا إليه العلماء واستفهموه في ذلك، فقال: والله إني وجدت بين عيني نوراً وإن الله سيخرج من صلبه علماء فضلاء إلى يوم القيامة، واعطاه منزلة^(١) في المسجد، وكانت عادة الناس يوم ذاك أن نفقة كل مهاجر على بيت، فقال الإمام عليه السلام: وذلك الولد عليّ أنا وأعطاه فراشاً، وكان الإمام يأمر ابنته أن تخرج إليه الطعام، وكانت ذات جمال فرأها ذات يوم وانبهر مما

(١) عُرفَ صغيرةً تبنى بجوار المسد وتسمى منازل يسكنها المهاجرون لطلب العلم.

شاهد، وكان لا يميل إلى النساء كثيراً، فلما كان الليل وضع اصبعه على النار لكي يصرف نفسه عن النساء، حتى يتمكن من طلب العلم، وياخذ منه شيئاً كثيراً ثم يتزوج، فهاجر إلى برط إلى الإمام المهدي محمد بن القاسم، ثم هاجر إلى الإمام المنصور بالله محمد بن عبدالله الوزير، ثم رجع إلى برط، ثم استقر بضحيان وكان اكبر علمائها، فأرسل إليه القاضي عبدالله الشماحي رسالة وقد اطلعت عليها منها: إلى سيدي المولى العلامة الذي صدقت فيه فراسة أمير المؤمنين المتوكل على الله المحسن بن أحمد هذا عنوانها وهو محل الشاهد وهذا بالنسبة لعلاقته بجدي حسين.

أما بالنسبة لسائر سيره فأنا احفظ له اخباراً وقصصاً تنبي على انه شخصية عظيمة قتالية من الطراز الأول ولا يوجد له نظير أبداً، وكان نشطاً وكان جنوده لا يتجاوزون المائة ويهدد بهم ويقاوم بهم الدولة العثمانية الكبيرة آنذاك فمنها هذه التي ارويها عن عمي الحسين بن الحسن عن ابيه عن جده، وهي قصة ظريفة عجيبة، وفيها كرامة ومعجزة قال: دخل الجيش العثماني شهارة واحتلوها ولم يبق إلا منزل الإمام عليه السلام وقد انهزمت جيوشه ولم يبق إلا هو فقط، ولم يكثرث ابداً، فطرقوا عليه الباب، فنزل ليفتح لهم الباب وسيفه في يده، ففتح لهم الباب.

فقالوا: أين الإمام؟

فقال: كان في أعلا الدار.

فخرج من الباب ودخلوا الدار يبحثوا عنه فلم يجدوا شيئاً من الفراش والأثاث والمتاع إلا صاعاً من الشعير، ولم يُرفَّه على جدي حسين إلا إشاراً لأنه كان زاهداً عجبياً، فأبلغ الاتراك قائدهم، فوصل مستبشراً فرحاً بالنصر زاعماً أنه سيأخذ الإمام أو ينهب ثروته، فلما دخل المنزل ووجد ذلك الصاع الشعير فتبَّكَّد! وأطرق فقال متعجباً: شخص لا يملك إلا صاعاً من الشعير ويحارب الدولة العثمانية ويطاردها!! إن هذا لأمرٌ خطير؛ فارتعد لذلك وسقط.

ومن مواقفه القتالية بأرض الحيمة وصنعاء: وهي مذكورة في روض الرياحين للحرازي.

قال: جاء بعض المشائخ من أهل الحيمة إلى صنعاء ودخلوا الجامع الكبير وشكوا إلى العلماء والأعيان من الباطنية وداعيتهم انه يهجم على أهلها ويظلمهم، وأهل صنعاء يوم ذاك كانوا معادين للإمام عليه السلام وكان الإمام عليه السلام في ذي مرمز فأشاروا إلى الإمام عليه السلام بالرغم أنهم دولة معادين للإمام، والإمام لا يملك جيشاً كبيراً إلا ما يقارب مائة نفر، ولكنهم ثابتون، ولالإمام خبرة وقيادة حكيمة، وكان فارساً، مقاتلاً، ليثاً، هصوراً، يجيد الرماية، والضرب والطعن، وكان خفيفاً ولم تنزله الدولة العثمانية رغم قوتها، فذهب أهل الحيمة إلى الإمام فأخبروه بالخبر فأجابهم إلى ذلك شريطة أن تفتحوا لي بلادكم وتجاهدوهم معي وأن لا تنكثوا بيعتي، وكان له خبرة في معرفة الرجال وغدرهم.

فذهب وذهبوا معه إلى الحيمة ولقن الباطنية درساً لا تنساه، ولما تمّ المراد لهم ترمدوا عليه، فتركهم ورجع إلى ذي مرمز محل إقامته.

ومن مواقفه العظيمة، قصة حصلت له يوم الغدير عند احتفال الناس بذلك اليوم العظيم، خرج أهل صنعاء ورأسهم محسن معيض الذي كان ينصب بين فترة وأخرى إماماً في زعمه من الضالين الفاسقين مع أن بعض أولئك دعي ليس له أب.

واجتمع مع معيض وإمامه المزعوم عشرة آلاف رجل، فخرجوا للغدير إلى خارج صنعاء، والإمام يبحث عن مكان لإقامة الغدير، ومعه جماعته ما يقارب مائة رجل، لكنهم ليوث الحروب، وأهل شجاعة وإعداد، فالتقى الإمام مع أولئك الناكثين القاسطين، وحصلت المعركة، فتصاولوا القتال، وأوقع بهم الهزيمة، وأرجعهم إلى صنعاء، وأصيب معيض فيها بطلقة في رقبته ولم يمت منها، وأصيب أيضاً إمامهم في خده بطلقة، فلما وصلوا أولئك إلى القصر سب إمامهم المحسن عليه السلام، فنهاه أصحابه فلم ينته، فقالوا له: لا تأمن دعوة الإمام فإن دعا عليك لن تفلت من العقوبة.

وكان ذلك يوم الخميس، مثل يوم غدیر النبی صلی الله علیه وآله وسلم فاتفق رأيهم في ذلك القصر على الزحف على الإمام، وأن يجذُّوا في القتال، فخرجوا إلى باب شعوب بعد الظهر، وكان الإمام عليه السلام قد أحكم السيطرة على الباب، فاشتعلت الحرب بينهم فدخل صنعاء، ولم يأت وقت المغرب إلّا وقد دخل الإمام عليه السلام قصر- غمدان فاستسلموا وبايعوا له^(١).

وخرج الإمام عليه السلام في اليوم الثاني يصلي بهم الجمعة، وخرج بعد صلاة الجمعة حتى قيل: إنه لم يتغدا في صنعاء، لأنه لم يستقر بها لما يعلم من حال أهلها.

ومن مسأله أيضاً المفيدة: رسائل اطلعت عليها منها رسالة إلى أهل ساقين، سألها رجل يقال له ابن عامر: وهو شخصية عظيمة وصاحب سياسة، وله دور كبير في أيام الإمام أحمد بن هاشم، وأيام الإمام محمد بن عبد الله الوزير فكتب إلى الإمام يستفتيه: هل يجوز للفرد من العلماء أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر دون أمر الإمام؟.

فأجاب الإمام عليه السلام بقوله: إذا كان موالياً لنا فيجوز أن يحتسب، ويستلم الزكاة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر وإلّا فلا.

وهذه ترد على الذين يأخذون الزكاة في وقت الإمام ويتحيلون فيها.

كان هذا حاصل ما رواه لنا علامة العصر عز الإسلام محمد بن عبد العظيم الحوثي اطل الله عمره ونفعنا بعلومه، فيما يرويه عن أبيه عن جده.

وقد روى لنا أيضاً والده العلامة المولى: عبد العظيم الحوثي رحمه الله طرفاً من ذلك، فجزاهما الله خيراً

(١) مع العلم أنهم قد بايعوه ثلاث مرات ونكثوا كما في السيرة.

بعض مواقف الإمام عليه السلام مع الأتراك

ولمّا لم نجد في النسخة التي لدينا من السيرة الأحداث بعد عام ١٢٨٩ هـ إلى سنة ١٢٩٥ هـ وهي سنة وفاة الإمام عليه السلام حاولت أن أجمع مختصراً^(١) لما حدث في تلك السنوات تتميّماً للفائدة.

ففي أواخر عام ١٢٨٨ هـ شاع خبر خروج الأتراك من الحديدة إلى باجل يريدون المسير إلى صنعاء، فطلب الإمام عليه السلام من الناس الجهاد، وكتب الرسائل إلى البلدان، وبذل نفسه للتقدم شريطه أن يتابعه المسلمون.

ومن تلك الرسائل: رسالة إلى أهل صنعاء قرئت في منبر الجامع الكبير بعد صلاة الجمعة، حرّض الإمام عليه السلام فيها الناس لجهاد الأتراك، وإنه باذل نفسه، وإن جهادهم واجب، وإنهم سيحلون ما حرّم الله ويحرمون ما أحلّ الله، ويشربون الخمر، ويرتكبون الفجور، ويملكون عباد الله، وهذا كله من قوانينهم وعدّد كثير منها.

وطلب من أهل صنعاء خمسمائة مقاتل يتهيئون للجهاد معه.

وأجاب محسن معيوض عاقل صنعاء إلى ذلك في الظاهر، وأمّا الباطن فقد راسل الأتراك بضرورة قدومهم، وأن البلاد متهيئة لهم، وطلب أهل صنعاء وعرض عليهم طلب الإمام، وفي الوقت نفسه كان يخبر الأتراك بما يفعل الإمام، ثم أجاب على الإمام أن لا بأس بالجهاد ولا بُدَّ أن تبعث إلى القبائل، أمّا أهل صنعاء فتجردوا للجهاد، غير أن الإمام عارف بنفاقه، فحين قرئت الرسالة في الجامع قام رجل ينادي: إن هذا هو الصواب، وإن الخارج منه هو الباغي، وناشد السامعين بذلك فسجنه محسن معيوض في

(١) من حوليات بيانية وغيرها.

اليوم الثاني واستعجل الأتراك، ليحقق أمله إلا أنه لا يعلم أنه سيكون لقمة سائغة لهم، فوصل الأتراك إلى الحيمة وتصارولوا الحرب مع داعيهم إلا ان النهاية كانت لصالح الأتراك، بينما أهل صنعاء ينتظرون قدومهم قد خالطهم الفشل والوجل.

أمّا الإمام عليه السلام فخرج في آخر الليل إلى (أرحب) وذلك ليلة الثلاثاء سادس صفر ١٢٨٩ هـ.

أمّا الشيخ معيوض وإمامه غالب الذي كان يقيمه ويقعده متى اراد فلقبوا الأتراك إلى (عصر) مع طائفة من أهل البغي، فوصل الأتراك صنعاء وتبعوا الإمام إلى أرحب، وجرت بينهم حروب ذكر بعضها المؤلف، وانتقل الإمام إلى بلاد حاشد (خمر - حوث الخمري - قفلة عذر - الأهنوم)، وربما سكن في الجبال التي تطل على الشعب فإن فيها كهفاً كبيراً يسمى كهف الإمام، ويقال إنه هرب إليه من الأتراك، وقد وصلته وهو موقع جغرافي هام، واستنجد بالقبائل وحشهم على قتال الأتراك، فأجابه طائفة إلى ذلك، فكان يقاتل الأتراك بأقل قليل، ويجاهدهم ويهزمهم، ويبعث طوائف يسيره لجهادهم إلى (صنعاء - ذمار - حراز).

ومن جملة تلك المواقف بعد أن رجع أحمد مختار باشا وحل مكانه أحمد أيوب وذلك سنة ١٢٩٠ هـ الذي خرج على بلاد حاشد يطلب الإمام عندما أخذ الإمام عليه السلام مدفعه الكبير في (الستين)^(١)، وخرج الأتراك إلى خمر ومعهم مدفع عظيم، فأوقع المجاهدون بهم الهزيمة، واخذوهم غنيمة، وخرجوا إلى مطرح الأتراك إلى (الستين) وكثر القتل من الأتراك، وكان أكثر مواجهة المجاهدين للأتراك طعنًا، وبذلك كان نصرهم، وهو الذي تفرّ منه الأتراك، فلما قدم المجاهدون إلى المدفع أحاطوا به الأتراك

(١) بلدة بالقرب من مدينة خمر محافظة عمران.

لكن المجاهدين أخذوه قسراً، وقاتل الأتراك قتالاً شديداً خوفاً من العار، إلا أن الهزيمة كانت من حظهم، حتى امتلت تلك البقاع من القتلى، ورجع الأتراك إلى (الغولة) مقهورين وبقي المدفع في تلك الجهات وأوصلوه إلى الإمام عليه السلام، ورموا به من جبل شاهق ودفنوه.

ووصل مصطفى عاصم واليا على اليمن سنة ١٢٩٣هـ ولما أُخبر الأتراك بوصوله قتل بعضهم نفسه خوفاً منه، وجهاز جيشاً عظيماً للخروج على الإمام، وأخرج من خزائنه أموالاً جسيمة، واستأجر جملاً تحمل الامتعة ثلاثة آلاف جمل، وأخرج المدافع الصغار والكبار، ولما رأى الناس خرجته من عمران نحو ريده (بلاد حاشد) أيقنوا بالهلاك، والإمام عليه السلام كان في (قفلة عذر) فتنحى إلى (المدان والاهنوم)، ومضى إلى حوث والخمري وحصلت الخيانة، وأخبروا الأتراك بموقعه واحاطت به الأتراك من جميع الجهات، فشرع الإمام بذلك، وخرج من بينهم فأعماهم الله حتى إن بعض الجنود رافقوه ولم يُخبروا به حفظاً من الله له، ودخلوا بيته وهو يراهم فلم يجدوا شيئاً، ومشى من طريق لم يُعتاد المشي منها لوعورتها وكثرة اشجارها وسلمه الله من ذلك، وقد كان أيقن مصطفى باشا بقبض الإمام، ولكن الله غالب على أمره، ولا يصلح عمل المفسدين.

فلما علم الباشا بخروج الإمام وسلامته قام وقعد وأرعد وأبرق وكاد يتفجر غيظاً، ولم يسعه إلا الرجوع حاملاً الهزيمة يجر وراءه أذيال الخزي والعار، وأصبح يقلب كفيه على ما انفق، وهذا جزاء الظالمين.

فلما رجع إلى صنعاء متقطب الوجه، حاسر الرأس، رديء الثياب، يخالط شعره ركام من الغبار، واستقبله أهل صنعاء يوم عيد الأضحى حاملين ملابس العيد في هيئة

حسنه زاده ذلك المنظر غيظاً، فأثابهم غماً بغم، فسجن علماء صنعاء لغير ذنب جرى منهم، كل ذلك ليظفي غيظه، وهم: السيد العلامة: محمد بن القاسم الحوثي، والسيد العلامة: أحمد بن محمد الكبسي، والقاضي العلامة: حسين جفغان، والسيد العلامة: محمد بن إسماعيل عشيش، والسيد العلامة: حسين الكبسي والسيد العلامة: محمد بن يحيى حميد الدين، والسيد العلامة: محمد المطاع، والسيد العلامة: علي الجديري، والسيد العلامة: زيد الكبسي، وغيرهم، وحبسوا في قصر- صنعاء إلى شهر رمضان، فأرسلهم إلى سجن الحديد، وفي هذه السنة كانت وفاة الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد، وبقوا في السجن ما يقارب عامين حتى أخرجهم إسماعيل باشا حين عاد والياً على اليمن.

ومما يزيد تعجباً أن العلامة محمد عشيش كان ضريراً، والعلامة أحمد الكبسي- قد جاوز الخامسة والثمانين من عمره.

مُجْتَوَاتُ الْكِتَابِ

٥	مقدمة التحقيق
٨	الكتاب وأهميته
١٣	وصف النسخة:
١٥	توثيق الكتاب
١٧	ترجمة المؤلف
١٧	نسبه:
١٧	مولده ونشأته:
١٧	مشائخه وإجازاته:
١٨	وأما الذين أجازهم:
١٨	نشاطه العلمي وجهاده:
١٩	شعره:
٢١	ومن مؤلفاته:
٢١	وفاته رحمه الله:
٢١	مصادر الترجمة:
٢٢	ترجمة الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد عليه السلام
٢٢	نسبه عليه السلام:
٢٣	نشأته عليه السلام:
٢٣	مشائخه وقراءته عليه السلام:

- ومن تلامذته عليه السلام: ٢٣
- بيعته ودعوته عليه السلام: ٢٤
- ولاته عليه السلام وقضاته: ٢٤
- أقوال العلماء فيه والثناء عليه: ٢٦
- ومن مؤلفاته عليه السلام: ٣١
- وفاته عليه السلام: ٣١
- ومن كراماته عليه السلام: ٣٣
- أولاده عليه السلام: ٣٣
- مشجر جامع لذرية الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد عليه السلام ٣٥
- [السند إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام] ٤٥
- [الأسانيد التفصيلية إلى مؤلفات أهل البيت عليهم السلام] ٤٧
- [السند إلى شفاء الأوام للأمر الحسين] ٤٧
- [السند إلى مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام] ٤٨
- [السند إلى تيسير المطالب في أمالي السيد الإمام أبي طالب] ٥٠
- [السند إلى أمالي المرشد بالله عليه السلام] ٥٠
- [السند إلى أمالي الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام] ٥٠
- [السند إلى أمالي الإمام المؤيد بالله الهاروني عليه السلام] ٥١
- [السند إلى أصول الأحكام للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام] ٥١
- [السند إلى الأحكام للإمام الهادي عليه السلام] ٥٢
- [السند إلى كتب أهل الحديث] ٥٣
- [السند إلى مسند الإمام أبي حنيفة رحمه الله] ٥٣

- ٥٤ [ترجمة أبي حنيفة رحمه الله]
- ٥٤ [السند إلى الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة رحمه الله]
- ٥٥ [ترجمة الإمام مالك]
- ٥٦ [أصح الأسانيد وأشهرها أسانيد أهل البيت عليهم السلام]
- ٥٦ [تشييع الإمام مالك]
- ٥٧ [السند إلى مسند الإمام الشافعي رحمه الله]
- ٥٨ [ترجمة الإمام الشافعي]
- ٥٩ [السند إلى مسند الإمام أحمد بن حنبل]
- ٥٩ [ترجمة الإمام أحمد بن حنبل وتشيعه في أهل البيت عليهم السلام]
- ٦٠ [السند إلى صحيح البخاري وترجمته]
- ٦١ [السند إلى صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري]
- ٦٣ [ترجمة مسلم بن الحجاج]
- ٦٣ [السند إلى سنن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث]
- ٦٤ [ترجمة الإمام أبي داود]
- ٦٤ [ترجمة الحافظ النسائي]
- ٦٥ [السند إلى سنن النسائي]
- [السند إلى الجامع الكبير والعلل في آخره للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي]
- ٦٥ [الضرير]
- ٦٦ [ترجمة الإمام الترمذي]
- ٦٧ [أقسام الحديث]
- ٦٨ [السند إلى سنن ابن ماجه]
- ٦٩ [السند إلى سنن البيهقي]

- ٧٠ [السند إلى المصاييح للبعوي]
- ٧٠ [السند إلى تيسير الديبع الجامع للأمهات الست]
- ٧١ [السند إلى الكشاف]
- ٧١ [السند إلى شفاء القاضي عياض بن موسى اليحصبي]
- ٧٣ [السند إلى الشائل للترمذي]
- ٧٤ [السند إلى بلوغ المرام]
- ٧٤ [ترجمة ابن حجر العسقلاني]
- ٧٤ [السند إلى بهجة المحافل للعامري]
- ٧٥ [السند إلى عدة الحصن الحصين]
- ٧٦ [السند إلى المستدرك للحاكم النيسابوري]
- ٧٦ [ترجمة شيخ الحفاظ الحاكم النيسابوري]
- ٧٧ [السند إلى صحيح ابن حبان]
- ٧٧ [ترجمة ابن حبان]
- ٧٨ [السند إلى سنن الدارقطني رحمه الله]
- ٧٨ [ترجمة الدارقطني]
- ٧٩ [السند إلى معجم الطبراني الكبير]
- ٧٩ [ترجمة الطبراني]
- ٧٩ [السند إلى المعجم الأوسط للطبراني]
- ٨٠ [السند إلى المعجم الصغير للطبراني]
- ٨٠ [السند إلى سيرة ابن هشام]
- ٨٠ [ترجمة ابن هشام]
- ٨١ [من طرق المؤلف في الرواية]

٨٣	[أربعون حديثاً في فضل العلم]
٨٣	الحديث الأول
٨٣	الحديث الثاني
٨٣	الحديث الثالث
٨٤	الحديث الرابع
٨٤	الحديث الخامس
٨٤	الحديث السادس
٨٤	الحديث السابع
٨٥	الحديث الثامن
٨٥	الحديث التاسع
٨٥	الحديث العاشر
٨٥	الحديث الحادي عشر
٨٦	الحديث الثاني عشر
٨٦	الحديث الثالث عشر
٨٦	الحديث الرابع عشر
٨٦	الحديث الخامس عشر
٨٧	الحديث السادس عشر
٨٧	الحديث السابع عشر
٨٧	الحديث الثامن عشر
٨٧	الحديث التاسع عشر
٨٨	الحديث العشرون
٨٨	الحديث الحادي والعشرون

الحديث الثالث والعشرون	٨٨
الحديث الرابع والعشرون	٨٨
الحديث الخامس والعشرون	٨٩
الحديث السادس والعشرون	٨٩
الحديث السابع والعشرون	٨٩
الحديث الثامن والعشرون	٨٩
الحديث التاسع والعشرون	٩٠
الحديث الثلاثون	٩٠
الحديث الحادي والثلاثون	٩٠
الحديث الثاني والثلاثون	٩٠
الحديث الثالث والثلاثون	٩١
الحديث الرابع والثلاثون	٩١
الحديث الخامس والثلاثون	٩١
الحديث السادس والثلاثون	٩١
الحديث السابع والثلاثون	٩٢
الحديث الثامن والثلاثون	٩٢
الحديث التاسع والثلاثون	٩٢
الحديث الأربعون	٩٣
[طرق الرواية]	٩٥
[الإجازة]	٩٥
[طرق الرواية للحديث والمسائل والكتب]	٩٧
[المناولة]	٩٨

- [أنواع الإجازة] ٩٩
- [الوجادة] ١٠٠
- [مشائخ المؤلف ومشائخ والده] ١٠٥
- [إسماعيل بن محمد الكبسي (والد المؤلف)] ١٠٥
- [محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي (جد المؤلف)] ١٠٦
- [الحسن بن يحيى بن أحمد الكبسي] ١٠٨
- [إسماعيل بن أحمد بن محمد الكبسي] ١١١
- [الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الكبسي] ١١١
- [أحمد بن زيد بن عبد الله الكبسي] ١١٣
- [محمد بن محمد بن عبد الله الكبسي] ١١٣
- [عبد الله بن علي الغالي] ١١٤
- [أحمد بن علي بن مهدي المراحل الكبسي] ١١٥
- [ترجمة الإمام عليه السلام] ١١٧
- [نشأته عليه السلام] ١٢٠
- تراجم العلماء والفضلاء المناصرين للإمام عليه السلام ١٢٣
- ترجمة شيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل القرشي رضي الله عنه ١٢٣
- [الإمام الناصر عبد الله بن الحسن عليه السلام] ١٣٥
- [محمد بن إسماعيل عشيّش] ١٣٦
- ترجمة سيدنا العلامة الحسين بن عبد الرحمن الأكوّع رضي الله عنه ١٣٨
- [نكت أهل صنعاء بحسين بن المتوكل وعاقبته] ١٣٩
- ترجمة الشهيد العلامة محمد بن صالح السماوي الملقب حريوة رحمه الله ورضي عنه ١٤٤

- [محمد بن إسماعيل الكبسي أخو المؤلف] ١٤٧
- [محمد بن القاسم الخوئي الإمام المهدي] ١٤٩
- ترجمة العلامة شرف الدين الحسين بن علي بن الحسين بن يحيى بن أحمد الكبسي ١٥٠
- ترجمة السيد العلامة يحيى بن محمد حميد الدين رحمه الله ١٥١
- ترجمة ولده العلامة محمد بن يحيى حميد الدين ١٥٢
- ترجمة السيد العلامة صفى الدين أحمد بن محمد الكبسي عافاه الله ١٥٣
- ترجمة السيد العلامة شرف الدين الحسن بن عبد الوهاب الديلمي رضي الله عنه ١٥٤
- ترجمة السيد العلامة الحسن بن محمد الشرفي الدرواني رحمه الله ١٥٦
- ترجمة السيد القاسم بن أحمد بن زيد الخوئي الأميري ١٥٧
- سيف الإسلام أحمد بن الإمام الناصر رضوان الله عليه ١٥٧
- القاضي العلامة سعد بن محمد الشرقي ١٦١
- القاضي العلامة صفى الدين أحمد بن عبد الرحمن المجاهد رحمه الله ١٦٢
- السيد محمد بن عبد الله المرتضى عافاه الله ١٦٣
- السيد المرتضى بن محمد بن عبد الله أبقاه الله ١٦٤
- السيد محمد بن علي المرتضى عافاه الله ١٦٥
- القاضي محمد بن محمد بن أحمد الحيمي ١٦٥
- السيد العلامة القاسم بن محمد بن أحمد زبارة رحمه الله ١٦٦
- السيد محمد بن حسين عامر رحمه الله تعالى ١٦٧
- عز الإسلام محمد بن أحمد بن علي المطاع ١٦٨
- السيد العلامة عبد الرحمن بن محسن الجحافي ١٦٩
- إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الكبسي ١٧٠
- إسماعيل بن حسن بن علي الكبسي ١٧٢

- القاضي العلامة حسين بن علي بن قاسم اليافى ١٧٣
- الشرىف محمد بن ناجى بن حسن الحمزى ١٧٤
- يحيى بن إبراهيم بن محمد الشرفى ١٧٥
- إسماعيل بن المرتضى المحطورى ١٧٦
- محمد بن مصلح أبو جميلة الشرفى ١٧٧
- صالح بن يحيى الشرفى ١٧٧
- علي بن محمد صعصعة الغفارى ١٧٧
- السيد العلامة علي بن إبراهيم النعمى الشرفى ١٧٨
- عبد الخالق بن أحمد البدرى ١٧٨
- علي بن صالح العربى ١٧٩
- عبد الله بن إسماعيل الوادعى ١٧٩
- محسن بن محسن بن إسماعيل العلفى القرشى ١٨١
- عماد الدين يحيى بن أحمد بن حسن بن الهادى ١٨١
- محمد بن يحيى الشرفى المَعْمَرى ١٨٢
- لطف بن محمد شاكر ١٨٢
- محمد بن مبارك صوفان ١٨٣
- سعد بن عبد الله المهتدى الصنعافى ١٨٣
- الحسين بن إسماعيل بن حسين بن حسن جفمان ١٨٤
- محمد بن يحيى زاهر ١٨٥
- أحمد بن جار الله السلال ١٨٥
- السيد العلامة علي بن حسن الداعى ١٨٦
- القاضي العلامة أحمد بن علي بن مشحم ١٨٧

- ١٨٨ القاضي عبد الله بن محمد العكام
- ١٨٨ علي بن حسين الحيفي
- ١٨٩ زيد بن صالح الرضي
- ١٨٩ صارم الدين إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الهاشمي
- ١٩٠ عبد الخالق بن أحمد المطري
- ١٩٠ بدر الدين محمد بن عبد الله
- ١٩١ سعد بن حسن الشيخ
- ١٩١ القاضي العلامة عبد الله بن أحمد العلفي
- ١٩٢ القاضي العلامة علي بن حسن العلفي
- ١٩٢ الفقيه أحمد بن أحمد الحملي
- ١٩٣ إسماعيل بن حسين قيس
- ١٩٣ محمد بن عبد الله بن الإمام
- ٢١٤ [انتقال الإمام عليه السلام من كحلان إلى صنعاء]
- ٢١٦ [بيعة الإمام عليه السلام]
- ٢١٩ [نكت أهل صنعاء لبيعة الإمام عليه السلام]
- ٢٢٠ [عاقبة النكت تظهر في الأغراب والأغنام]
- ٢٢١ [عاقبة الذين منعوا الإمام عليه السلام من دخول صنعاء]
- ٢٢٢ [القاضي العلامة علي بن يحيى الشرقي]
- ٢٢٥ [انتقال الإمام عليه السلام إلى كحلان تاج الدين]
- ٢٢٦ [معركة بيت قُدم]
- ٢٢٩ ناعق حسين الهادي

- ٢٣٥ [قصائد شعرية واردة للإمام عليه السلام]
- ٢٥٧ ذكر قدوم الإمام إلى السودة واستقراره بحصن المقعد
- ٢٦٢ [إرسال الإمام عليه السلام لشيخ الإسلام إلى أهل صنعاء]
- ٢٦٥ [دخول الإمام عليه السلام حصن ذي مرمر]
- ٢٦٦ [تأريخ حصن ذي مرمر ومن سكنه من الملوك والأئمة عليهم السلام]
- ٢٨٢ [الإمام عليه السلام وأحداثه مع الباطنية]
- ٢٨٢ [استدعاء أهل الحيمتين للباطنية]
- ٢٨٣ [دعاء الإمام عليه السلام للجهاد ووصول بعض القبائل إليه]
- ٢٨٤ [دخول الإمام عليه السلام صنعاء مع أهل برط ومعركة الحيمة مع الباطنية]
- ٢٨٦ أصل مذهب الباطنية
- ٢٩٠ رجوع الإمام عليه السلام من الحيمة إلى ذي مرمر
- ٣٠٥ قدوم مولانا الإمام عليه السلام إلى بلاد عمران والصيد من بلاد حاشد
- ٣٠٧ [معركة الإمام عليه السلام مع أهل عمران وجهاتها]
- ٣٠٨ [كرامة الإمام عليه السلام]
- ٣١٠ فتنة البليبي بصنعاء
- ٣١٢ [دخول حسين بن المتوكل صنعاء]
- ٣١٥ [وصول الإمام عليه السلام إلى أرحب ثم إلى صنعاء]
- ٣١٦ [وقائع بين الإمام عليه السلام وأهل صنعاء]
- ٣١٨ [من كرامات الإمام عليه السلام]

- وصول أهل الشرفين ومتفق أهل ضلع معهم ٣١٨
- [بعض الوقائع بين جيش الإمام عليه السلام وأهل صنعاء] ٣٢٥
- [اختلاف محسن معيوض وحسين بن المتوكل] ٣٢٨
- [استسلام أهل صنعاء ووصولهم إلى الإمام عليه السلام] ٣٣١
- [دخول الإمام عليه السلام صنعاء وذكر بعض النقباء الذين جاهدوا معه] ٣٣١
- [ذكر بعض النقباء المخلصين مع الإمام عليه السلام] ٣٣٢
- [أولاد النقيب حسين بن علوان] ٣٣٢
- [النقيب داحش بن صالح الهجام واخوته] ٣٣٣
- [السيد علي بن هاشم الحمزي واخوته] ٣٣٣
- [ذكر الشيخ محب آل محمد صالح بن ناصر القوبري] ٣٣٣
- [ذكر النقيب المجاهد أحمد بن يحيى الشاوش وأخوته حمود وعلي ومحمد] ٣٣٤
- [المجاهد الفاضل محمد بن أحمد سلامة] ٣٣٥
- [حضور الإمام عليه السلام جنازة شيخ الإسلام القرشي رحمه الله] ٣٣٥
- [دخول الباطنية بني أسعد من بلاد آنس ومعركة جيش الإمام معهم] ٣٣٨
- [فتنة حسين الهادي ونكت أهل صنعاء] ٣٣٨
- [وصول الإمام عليه السلام إلى هجرة سناع وحصاره لصنعاء] ٣٤٠
- [تجديد البيعة من أهل صنعاء للمرة الثالثة وعمارة الإمام عليه السلام لقصر بيت سبطان] ٣٤١
- [إقامة الإمام عليه السلام حد الخرابة وحد السرقة] ٣٤٣
- [ظهور غالب من الروضة وخروجه إلى برط ورجوعه خاسراً] ٣٤٤
- [خروج الإمام عليه السلام إلى بلاد آنس] ٣٤٧
- [وصول أهل ضوران إلى الإمام عليه السلام ومبايعتهم له] ٣٥٠
- [وصول مشائخ آنس والحداء إلى الإمام عليه السلام] ٣٥١

- [دخول الإمام عليه السلام بلاد أنس] ٣٥١
- [زيارة الإمام عليه السلام لمشهد الأئمة المتوكل على الله إسماعيل وولده المؤيد بالله والمهدي أحمد بن الحسن عليهم السلام] ٣٥٣
- [رجوع الإمام عليه السلام إلى قرية حزيز] ٣٥٤
- [معركة الإمام عليه السلام مع بعض قبائل همدان ووفود بعض القبائل إليه] ٣٧٩
- [أمر الإمام بقيام حد الحراية] ٤١٤
- [حوادث بسبب نكث العهود] ٤١٥
- [حادثة الأعتاب] ٤١٦
- [حادثة البقر] ٤١٧
- [وجوب اتباع أهل البيت عليهم السلام وجزاء من خالفهم] ٤١٧
- [حادثة الطاعون وموت العلماء] ٤١٨
- [حادثة انتشار النجوم] ٤١٩
- [حادثة ظهور الجراد] ٤٢٠
- [حادثة الرجفة والقعاقع السماوية] ٤٢٠
- [حادثة خروج الرماد والحريق] ٤٢١
- [بعض معتقدات الباطنية] ٤٢٢
- [ابتداء ظهور الباطنية] ٤٢٣
- [أخذ الباطنية للحجر الأسود] ٤٢٣
- [ذكر من جاهد الباطنية من أئمة آل عليهم السلام] ٤٢٦
- [حادثة نجوم حسين الهادي] ٤٢٧
- [رسالة در النادي في الكشف عن خبث حسين الهادي] ٤٣١

- ٤٣٥ [بعض علامات الساعة]
- ٤٤٠ [من كلام أهل الحكمة]
- ٤٤٦ [شروط الإمامة]
- ٤٥٠ [معنى السحر وحكمه]
- ٤٥١ [تحريم الكذب]
- ٤٥٦ [وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]
- ٤٦٠ [التحذير من النفاق وشهادة الزور وعلماء السوء]
- ٤٦٢ [صفات الملوك]
- ٤٨٩ أحداث حجة وفتح حصن الظفير
- ٤٨٩ ذكر السيد الحسن بن يحيى الرصين
- ٤٩٠ فتح حصن الظفير
- ٤٩٣ طلاب الإمام للرصين لاختبار ما قيل فيه
- ٤٩٤ ذكر القاضي علي بن محمد الغفاري
- ٤٩٤ ذكر عبد الله بن محسن وهبان
- ٤٩٥ ذكر شراء الإمام القلعة
- ٤٩٥ [قتال أهل حجة مع الشايف]
- ٤٩٦ غدر الشائف ببيت الكحلاني
- ٤٩٧ [السيد يحيى بن علي بن إسماعيل]
- ٤٩٨ [ترجمة السيد العلامة علي بن إبراهيم بن علي بن المهدي]
- ٤٩٨ مولده رضي الله عنه:
- ٥٠١ [إبراهيم بن علي بن إبراهيم]

- [علي بن الحسين الشرفي] ٥٠٢
- [محمد بن أحمد بن إبراهيم] ٥٠٣
- [إقامة الإمام عليه السلام لحد الحراة] ٥٠٥
- حركة الإمام عليه السلام لجهاد الباطنية في الحيمة ٥٠٦
- [قيادة السيد العلامة محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين للجيش ومعركته مع الباطنية] ٥٠٧
- [انتصار الإمام عليه السلام على الباطنية] ٥٠٩
- [تجدد المعارك مع الباطنية] ٥١١
- [عدد معارك الإمام مع الباطنية] ٥١٢
- خروج مولانا عز الإسلام محمد عليه السلام أمير المؤمنين لاستنهاض قبائل أرحب ٥١٣
- ذكر الشهيد محمد بن قاسم بن المهدي ٥١٤
- ذكر الحاج المجاهد حسين بن علي مداعس ٥٣٨
- خروج مولانا صفي الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين لاستنهاض قبائل حاشد وخروجهم إلى الحيمة ٥٦٠
- [قدوم سيف الإسلام أحمد بن الإمام عليه السلام بالجيش] ٥٦٤
- [معركة مع الباطنية وقتل رئيسهم] ٥٦٤
- وفاة القاضي علي الغفاري ٥٦٥
- خروج يام الطغام واستشهاد الحاجان الفاضلان رحمهم الله ٥٧٤
- الجوابات على قصيدة المكرمي ٦٠٧
- [تهنئة العلامة جحاف للإمام عليه السلام بعيد الأضحى سنة ١٢٨٦هـ] ٦٣٩
- [الجواب على التهنئة] ٦٤٣
- [ذكر بعض دعاة الباطنية وبعض من جاهدتهم من أئمة الآل عليهم السلام] ٦٤٦
- ذكر ميمون القداح وعلي بن الفضل ومنصور بن حسن ٦٤٨

- [معركة الإمام الهادي عليه السلام مع الباطنية في ريذة] ٦٥١
- [أخذ الباطنية للحجر الأسود] ٦٥٣
- [مقتل القرمطي علي بن الفضل] ٦٥٤
- [قيام الإمام الناصر بن الهادي عليه السلام ووقعة نغاش] ٦٥٥
- [ذكر قاسم بن عبيد الله بن ميمون القداح القرمطي] ٦٦٤
- [ذكر ولده إسماعيل بن قاسم] ٦٦٤
- [ذكر المعز معد بن إسماعيل] ٦٦٥
- [ترجمة الشريف الرضي] ٦٦٨
- [أبو عبد الله الداعي] ٦٧٥
- [الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين عليه السلام] ٦٧٦
- [الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين عليه السلام] ٦٧٧
- [الإمام أبو طالب الصغير عليه السلام] ٦٧٨
- [علي بن حمزة بن أبي هاشم] ٦٧٩
- [ذكر الطاهر بن الحاكم القرمطي وقيام ولده المستنصر] ٦٧٩
- [الإمام أبو الفتح الديلمي عليه السلام] ٦٨١
- [السيد الداعي حمزة بن أبي هاشم] ٦٨٢
- [الأمير الفاضل القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم العياني] ٦٨٢
- [الأمير ذو الشرفين] ٦٨٩
- [رسالة الأمير ذي الشرفين إلى بعض الزيدية بشبام] ٦٩٠
- [ذكر البساسيري والامر بن المستنصر ولده] ٦٩٢
- [ترجمة الشيخ محمد بن عليان البحيري] ٦٩٦
- [ابتداء ظهور المطرفية وبعض أخبارها] ٧٠٥

- [قيام الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد عليهم السلام وجهاده للباطنية] ٧١١
- [ذكر الحشيشة وقصة الإمام المهدي أحمد بن الحسين عليه السلام معهم] ٧١٧
- [تكملة ذكر دعاة الباطنية] ٧١٨
- [ذكر دعاة الباطنية بني الأنف] ٧٢٠
- [بعض القصائد الواردة إلى الإمام عليه السلام] ٧٢٨
- [ترجمة السيد الأديب يحيى بن أحمد القاسمي] ٧٤٢
- [محمد بن أحمد بن قاسم طشني] ٧٤٣
- [دخول الأتراك اليمن وأخبارهم مع الإمام عليه السلام] ٧٥٤
- [معركة الأتراك مع قبائل عسير في باجل] ٧٥٤
- [خيانة عاقل صنعاء ومراسلته للأتراك] ٧٥٦
- [وصول الأتراك إلى حراز] ٧٥٧
- [انتقال الإمام عليه السلام من حزيز] ٧٥٧
- [الأتراك وهزيمة الباطنية] ٧٥٨
- [انتقال الإمام عليه السلام إلى بلاد أرحب ودخول الأتراك صنعاء] ٧٦٠
- [معركة الأتراك مع عبد الله الدفعي] ٧٦٠
- [معركة الأتراك مع بعض قبائل أرحب] ٧٦٢
- [انتقال الإمام عليه السلام إلى بلاد حاشد ودخوله مدينة حوث] ٧٦٣
- [هزيمة الأتراك في معركتهم مع أمير كوكبان] ٧٦٤
- [إعانة رجال حاشد الساكنين بحجة لأمر كوكبان] ٧٦٧
- [ملحق بالسيرة يضم عدة مواقف للإمام عليه السلام] ٧٧١
- [بعض مواقف الإمام عليه السلام مع الأتراك] ٧٧٧
- [محتويات الكتاب] ٧٨١